شخصية المختار الثقفي عند المؤرخين القدامى

تأليف
سالم لذيذ والي الغزي

إصدار
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

١٥٨

شخصية المختار الثقفي
عند المؤرخين القدامى

شبكة كتب الشيعة

shiabooks.net

mktba.net > رابط بديل

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ـ وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١٥ - ٦٤٤

الغزي، سالم لذيذ والي

شخصية المختار الثقفي عند المؤرخين القدامى / [تأليف] سالم لذيذ والي الغزي؛ تقديم محمدعلي الحلو – الطبعة الأولى . - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية . شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية ١٤٣٦ق.= ٢٠١٥م.

ص٤٩٦. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ١٥٨).

المصادر في الحاشية.

١ . المختار بن أبي عبيد، ١– ٦٧ هـ . نقد وتفسير. ٢. اسلام– الحركات الثورية. ٣. المختار ابن ابي عبيد، ١– ٦٧هـ.– شبهات وردود . ٤ . حركة التوابين، ٦٥هـ - ٥ . الاسلام والحكم. ألف. الحلو، محمد علي، ١٩٥٧م، مقدم. ب. السلسلة. جـ العنوان.

BP 34.5.M88 G4 2015

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

شخصية المختار الثقفي
عند المؤرخين القدامى

سالم لذيذ والي الغزي

العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

طُبِعَ برعاية

العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

تنويه: إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها،

ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

الإهداء

إلى...

- سادتي أئمة الهدى ومصابيح الدجى... ولاة الـدين والـشريعة..محمـد وآل محمد الطيبين الطاهرين.... حباً وولاءً..

- مَن قَرَن اللّه طاعته بطاعتهما...ربياني صغيراً...وأحباني كثيراً..

غيبتهما عن عينيَّ الأقدار...والِدَيَّ الحبيبَين....

ترحماً واستغفاراً...

- القلوبِ والعيونِ المعلّقةِ بي طوال رحلتي... أفراد أسرتي.

مقدمة اللجنة العلمية

المختار الثقفي... رجل الأسطورة في نصرة الحق

لم تعد شخصية المختار بن أبي عبيدة الثقفي شخصية درامية يتخذها البعض في تصوير مشهد تاريخي ما، بل فرضت هذه الشخصية نفسها على الحدث الإسلامي لتكون مفردة تاريخية مستقلة، وهذا يعني أن المختار ذو القابليات المتعددة صار مسرحاً للنقد والدراسة والتحليل، ومنه يُعلم ماهذه الجهود من تجاذبات فكرية تتفقُ أحياناً وتتقاطع أخرى، لتزيد المشهد التاريخي تعقيداً فوق كل تعقيداته المختلفة فهذا المختار الذي تعددت قراءات فكره وتوجهاته بين كيساني النزعة، إلى زيدي الهوى حتى إمامي الانتهاء، وفي نطاق السياسة فهو بين زبيري حتى مرواني إلى علوي الاصطفاف، وهكذا هي دوامة تاريخية لا تنتهي إلاّ بقناعات غير قطعية محالة على الظن أو التهمة أو الكراهية وحتى عبثية التحليل، وينتمي كل دارسٍ إلى ثقافته القبلية التي تفرض عليه ترسيم حدود الشخصية التاريخية التي لم تجد مجالاً للنقد أو التروي حتى تتحكم في تعريفها هذه الدواعي غير العلمية، وتتجه نتائج البحث أخيراً لتؤشر على الحالة الانتمائية التي يبتلي بها الكاتب أو المحلل التاريخي الذي

تستهويه هذه المطاردات لتسقط أخيراً من مضمار الهوس والتسابق الذوقي حتى تحط رحالها إلى حيث انتهت معه التؤدة في التحقيق، والتروي في معالجة البحث، وتخرج الجهود التحقيقية بنتائجها القيمة من تحديد شخصية المختار ذلك المؤمن الشجاع المنتمي إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام بكل تفاصيل حياته وجزئياتها فطفولته شاهدة على انتماء علوي عريق، ونشأته باعثة للاطمئنان على توجهاته وطموحاته في عارية الظلم والتجبر، وكهولته حاكية عن نهاية مشرفة في أخذ الثأر من قتلة الإمام الشهيد الحسين بن علي عليهما السلام، وما سطرته أقلام المؤرخين قرينة مهمة على مظلومية هذا الرجل العظيم، ولعل في الدراسة التي قدمها الأستاذ سالم لذيذ والي الغزي الموسومة شخصية المختار بن أبي عبيد الثقفي عند المؤرخين القدامى حاكية عن جهدٍ استثنائي دقيق، وتحقيق تاريخي عميق، يعيد للأذهان ما اتجهت إليه أقلام العلماء الافذاذ في تنزيه شخصية المختار رضوان الله عليه، ويؤكد ما لهذا الجهد من أهمية في الاجابة على كل التساؤلات الواردة على شخصيته وسيرته وانتمائه يعزز النظرة السائدة بأن المختار رجل الأسطورة في متاهات الغفلة عن نصرة الحق، وأسلوب التحدي في مواجهة الصخب الإعلامي الذي سعى لتضليل الكثير في إلقاء هذه الشخصية العظيمة، وتبقى جهود الكاتب في مصافي الدقة التاريخية، والعطاء الزاخر بالحق.

عن اللجنة العلمية

السيد محمد علي الحلو

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين إمام المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، اللهم إنك ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة، وبعد:

مما لاشك فيه أن موضوع الرسالة: (شخصية المختار بن أبي عبيد الثقفي عند المؤرخين القدامى) ذو أهمية كبيرة لما لتلك الشخصية من دورٍ محوري ومهم في الحقبة التي تلت استشهاد أبي الأحرار الإمام الحسين (عليه السلام) وارتباطها بقضية آل البيت والأخذ بثأرهم من قتلتهم وأعدائهم وما آل إليه ذلك من إدخال السرور على آل بيت النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وشيعتهم ومحبيهم.

ومن البديهي أن يضم التاريخ الإسلامي في طياته الكثير من الروايات الصحيحة إلا أنه لم يخلُ من التناقضات التي لا تخفى على مطلعٍ فضلاً عن الاجتهادات والآراء الشخصية التي تحكمّت بها أهواء مَن كتبوه وميولهم منذ بدايته وحتى يومنا هذا؛ مما نتج عنه تشويه للحقائق ظُلمَ بسببها العديد من

رجاله العظماء لاسيما الموالون لآل البيت، فإذا كان بنو أمية قد سبّوا الإمام علياً (عليه السلام) لأكثر من ثمانين عاماً على منابر المسلمين في كل البلاد التي حكموها دون رادع أو خوف من أحد فمن الهيّن واليسير إلصاق التهم وطمس فضائل وتغييب ملامح كل مَن سارَّ في ركبه (عليه السلام) أو نهج خطاه.

وشخصية المختار من أكثر الشخصيات التي انقسم الرواة والمؤرخون إزاءها، ففئة تبنت رأي السلطة الحاكمة آنذاك حتى أصبحت جزءاً لا يتجزء منه، فضلاً عن ميولها المذهبية، وقد سار في ركبها آخرون فأضافوا على ما كُتب لإيمانهم به، في حين كتبت فئة بنوع من الموضوعية والحيادية، وفئة ثالثة أخذت عن تلك الفئتين فرددت ما كُتب سلباً أم إيجاباً فكرّست وكرّرت ما كان مغرضاً ومختلقاً حتى أصبح لكثرة ما ذُكر كأنه من المسلمات التي لا يجوز التمحيص والتدقيق فيه، فكان الوقوف عند ذلك والكشف عن الحقائق المغيبة من دواعي اختيار البحث، فضلاً عن إن أولئك المؤرخين تعرضوا لشخصية ارتبط اسمها - شاؤوا أم أبوا - بقضية الإمام الحسين (عليه السلام)، والتاريخ لا يسعه أن ينصف مثل هذه الشخصية، فيكشف كل حقيقته للناس، لأن أعداء آل البيت لا يروق لهم أن يسلم مثله من النقد والتهم بما يصح وما لا يصح[1]، فكان من الواجب على محبي آل محمد وشيعتهم أن يَنبروا للدفاع عنه وفق الحقائق والمعطيات التاريخية وتبيان مدى صحة تلك الروايات من عدمها

١ - الدجيلي، أحمد، المختار الثقفي، مطبعة النجف، النجف ١٩٥٥م، ص٥.

ودوافعها وأهدافها المعلنة والخفية، وعلى الرغم من أن هناك الكثير من الدراسات التي تناولت حركة المختار وتصديه للأخذ بثأر الإمام الحسين (عليه السلام)، لكنها ركزت على دوره العسكري وأثره السياسي والفكري، ولم نجد من تصدى بشكل أوسع وأشمل في كشف زيف العديد من المؤرخين وتحاملهم على تلك الشخصية لا لشيء سوى أنّه جاهد وتبنّى حتى الرمق الأخير من حياته الدفاع عن آل البيت وإدراك ثأرهم، وإذا كنّا نتمنى أن نكون قد وفقنا بعض الشيء في ذلك فإننا لا نزعم أن المختار - ذلك القائد العسكري والسياسي المحنك الذي ربما يؤمن بأن الحرب خدعة وأن السياسة فن الممكن - بأنه معصوم من الخطأ والزلل، لكننا نجزم بأن الله سبحانه وتعالى وفقه ورزقه حسن العاقبة بأن جعل أخذ ثأر سيد الشهداء وآل بيت النبوة وأصحاب الحسين (عليهم السلام) على يديه وهو شرف تتضاءل أمامه الكثير من الأعمال، فنال بذلك ما نال ومنها دعاء الأئمة المعصومين له بالخير[١]، وأنّى لغيره ذلك؟

وقد قُسم البحث على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، تضمن الفصل الأول الذي خُصِص لدراسة السيرة الشخصية للمختار مبحثين، تحدثنا في المبحث الأول عن ولادة المختار وقبيلته وأسرته ودورها في نشوء الولاء العلويّ عند المختار من خلال مواقف عمه سعد بن مسعود مع الإمام عليٍّ

---

١ - الكشي، محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت: ٣٤٠هـ-٩٥١م)، رجال الكشي، قدم له وعلق عليه: أحمد الحسيني، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٩م، ص٩٨.

(عليه السلام) في حين خُصِصَ المبحث الثاني لولاء المختار وعقيدته التي أسهب بعض المؤرخين القدامى في التركيز عليها هادفين من وراء ذلك النيل منه والطعن فيه لما للولاء والعقيدة من أهمية كبيرة لدى المسلمين.

أما الفصل الثاني فقد خُصِصَ لدراسة شخصية المختار عند المؤرخين القدامى من خلال مواقفه السياسية في تلك الحقبة التاريخية المهمة من الدولة الإسلامية فجاء على ثلاثة مباحث، تناولنا في المبحث الأول موقفه من نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)، وقد عرّجنا في هذا المبحث على مواقفه التي سبقت النهضة الحسينية كونها امتداداً طبيعياً لها، في حين خُصِصَ المبحث الثاني لدراسة موقفه من التوابين قبل وأثناء خروجهم من الكوفة وحتى عودة من بقي منهم إليها بعد معركة عين الوردة.

بينما خُصِصَ المبحث الثالث لدراسة موقفه من عبد الله بن الزبير، وفي هذا المبحث اضطررنا للخروج عن التسلسل التاريخي للأحداث وعرّجنا على التسلسل الموضوعي كون مقتل المختار وقع ضمن موقف المختار من عبد الله ابن الزبير.

أما الفصل الثالث فقد تناولنا فيه دولة المختار وتضمن ثلاثة مباحث، جاء المبحث الأول ليتضمن نشوء دولته وإرسال ولاته على الولايات والمدن التابعة لدولته، وكذلك تعيين قضاته، ثم جاء المبحث الثاني ليبين قيام المختار بتنفيذ وعوده في الأخذ بثأر الإمام الحسين (عليه السلام)، وعدم تهاونه في ذلك مهما اشتدت عليه المحن، في حين خصصنا المبحث الثالث لمعرفة موقف

المجتمع الكوفي من ثورة المختار ودولته، وتم التركيز في هذا المبحث على دور أشراف الكوفة والموالي لما لعبه هؤلاء من دورٍ كبير ومهم في تلك الأحداث.

وجاء الفصل الرابع ليتناول التُهم التي وُجِهت للمختار، ومن الجدير بالذكر إن تلك التُهم التي تناولناها في هذا الفصل لم تكن التهم الوحيدة وإنما تم التطرق إلى تُهمٍ غيرها في الفصول السابقة لم تقلْ خطورة عن هذه التهم، وللمحافظة على وحدة الموضوع تطرقنا إليها في موضعها، وقد قُسّم هذا الفصل على ثلاثة مباحث خُصِصَ المبحث الأول لتهمة إدعاء النبوّة كونها أهم التهم التي وجهت لضرب شخصية المختار في صميم عقيدته الإسلامية، في حين تناول المبحث الثاني تُهمة الكذب التي دأب بعض المؤرخين على ذكرها بعد اسمه وكأنها كنية أو لقب له، بينما جاء المبحث الثالث لتناول تُهمة الكرسي المقدس، أما خاتمة البحث ذكرنا فيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال هذه الدراسة.

ولعل من أهم الصعوبات التي واجهت الباحث هي عدم وضوح آراء بعض المؤرخين في شخصية المختار وإنما تداخلت تلك الآراء مع سرد الروايات في حين اكتفى بعضهم بنقل تلك الروايات فقط دون التعليق عليها، وقليل من هؤلاء مَن ذكر رأيه صراحة مما حدا بالباحث إلى اللجوء إلى الاستنتاج بناءً على ما أوردوه من روايات وما أغفلوه منها، ولما كان عنوان الرسالة (شخصية المختار بن أبي عبيد الثقفي عند المؤرخين القدامى)، فكان من العسير علينا الإلمام والإحاطة بكل المؤرخين القدامى فحاولنا أن نغطّي

ذلك بذكر نماذج من أولئك المؤرخين لأغلب الفترات التاريخية راجين من الله العلي القدير أن نكون قد وُفِقنا في ذلك.

واعتمدت الدراسة على مصادر متنوعة ومصنفات متباينة من كتب تاريخية وطبقات وتراجم وأدب وجغرافية وغيرها، فضلاً عن المراجع الثانوية التي رفدت الدراسة بالعديد من الآراء والاستنتاجات، فمن كتب الطبقات كان لكتاب (الطبقات الكبرى) لابن سعد (ت: ٢٣٠هـ /٨٤٤م)، أهمية كبيرة لما يحتويه من نصوص مهمة وتراجم للعديد من الشخصيات التي وردت في الدراسة، ومن كتب التراجم التي رفدت البحث كتاب (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) لابن عبد البر (ت :٤٦٣هـ /١٠٧٠م)، الذي اضطررنا أن نستخدم طبعتين منه لمحققَين مختلفَين وذلك لوجود بعض الآراء التي تهم البحث غير موجودة في النسخة الأخرى، مما حدا بنا إلى ذكر اسم المحقق في كل هامش ذكرناه لكتاب الاستيعاب، وأفاد البحث من كتاب ابن الأثير (ت :٦٣٠ هـ/١٢٣٢م)، (أُسْد الغابة في معرفة الصحابة)، وذلك لأهمية المعلومات التي رفدت الدراسة، وكذلك كان كتاب (سَير أعلام النبلاء) للذهبي (ت: ٧٤٨هـ /١٣٤٧م)، أما كُتب الأنساب فقد كان كتاب (جمل من أنساب الأشراف) للبلاذري، (ت :٢٧٩هـ/٨٩٢م) من المصادر الأولية التي أغنت الدراسة بمعلومات قيمة ومهمة ومفصلة.

وكان لكتب التاريخ العام دورٌ كبيرٌ في هذه الدراسة كونها دراسة تتعلق بالمؤرخين كما أنّ كتب التاريخ العام في الأعمّ الأغلب فصلت تلك الحوادث

التاريخية بشكل واضح، فكان لكتاب (مقتل الحسين) المنسوب لأبي مخنف (ت:١٥٧هـ/٧٧٣م)، أهمية كبيرة وذلك كون أبي مخنف من أقدم الرواة والمؤرخين في هذا المجال وقربهُ من أحداث الكوفة فضلاً عن وثاقته واعتماد الكثير من المؤرخين على رواياته مثل الطبري وغيره، وكان لكتاب (الأخبار الطوال) للدينوري (ت:٢٨٢هـ/٨٩٥م)، دورٌ واضحٌ في رفد الدراسة بالكثير من المعلومات لما خصصه الدينوري في كتابه لتلك الأحداث التاريخية، وشكّل (تاريخ اليعقوبي) لليعقوبي (ت: ٢٩٢هـ/٩٠٤م) بمعلوماته المميزة عنصراً مهماً أمدّ البحث بالكثير من المعلومات على الرغم من الاختصار الذي يغلب على طبيعة أخباره فقد خَصَّص حيّزاً واضحاً لتلك الحقبة التاريخية. لكن كتاب (تاريخ الأمم والملوك) للطبري (ت:٣١٠هـ /٩٢٢م) ضَمّ بين دفتيه أخباراً متنوعة ومعلومات غاية في الأهمية أفادت الدراسة في أغلب مراحلها، وكذلك تمت الاستعانة بـ (كتاب الفتوح) لابن أعثم الكوفي (ت:٣١٤هـ/٩٢٦م)، وكتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) للمسعودي (ت:٣٤٦هـ/٩٥٧م)، وكتاب (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) لابن الجوزي (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) وكتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير (ت:٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، وغير ذلك الكثير من كتب التاريخ العام التي تم الاعتماد عليها والتي ثُبِتَتْ في قائمة المصادر.

وتمت الاستعانة بمجموعة من كتب الفرق والمقالات التي أفادت البحث بمعلومات وافية خاصة في المبحث الثاني من الفصل الأول، ومن بين تلك

الكتب (الفَرق بين الفُرق) للبغدادي (ت :٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، وكذلك كتاب (المِلل والنِحل) للشهرستاني (ت :٥٤٩هـ/١١٥٤م).

واعتمدت الدراسة كذلك على مجموعة من كتب الأدب واللغة منها كتاب (الكامل في اللغة والأدب) للمُبّرد (ت : ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م)، وكتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي (ت :٣٢٨هـ/٩٣٩م)، واستعنا في معرفة المفردات اللغوية على بعض المعاجم اللغوية منها كتاب (لسان العرب) لابن منظور (ت : ٧١١هـ/١٧١٩م).

ولغرض التعريف بالمدن وتحديد مواقعها في الأمصار والأقاليم استعنا ببعض كتب الجغرافيين وكان في مقدمتها كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي (ت :٦٢٦هـ/١٢٣٣م) الذي أمدّ الدراسة بمعلومات وافية عن ذلك.

كذلك اعتمدت الدراسة على العديد من المراجع الحديثة والرسائل الجامعية ومن تلك الكتب كتب إبراهيم بيضون (التوابون) و(الحجاز والدولة الإسلامية) و(من دولة عمر إلى دولة عبد الملك)، وكتاب (دولة المختار الثقفي) لصفاء الخطيب، وكتاب (التاريخ السياسي للدولة العربية الإسلامية) لعبد المنعم ماجد، وكتاب (تنزيه المختار) للسيد عبد الرزاق المُقَّرم الموسوي، وكتاب (أحزاب المعارضة السياسية في صدر الإسلام) للمستشرق الألماني يوليوس فلهوزن وغيرها من الكتب والرسائل التي ثُبِتَتْ في قائمة المراجع الثانوية والرسائل الجامعية.

وفي الختام فإن هذا البحث المتواضع ليس إلا محاولة بسيطة لتسليط

الضوء على شخصية إسلامية قُدِر لها أن تناط بها مهمة القِصاص من قَتَلَةِ الإمام الحسين (عليه السلام) الذي عجز غيره عن تحقيقه، وهو شرف ما بعده شرف تتضاءل أمامه الكثير من المهام ومنقبة تَشرْأب إليها أعناق عظماء المسلمين، وإذ أجد نفسي مقصراً في رفع بعض الحيف والظلم عنه؛ فإنني أتمنى أن أكون حققتُ جزءاً من ذلك، وهو مبلغ علمنا وطاقتنا، نسأل الله السداد والتوفيق.

الفصل الأول

المبحث الأول: ولادته ونشأته

أولاً: نسبه وقبيلته

ينتسب المختار إلى قبيلة ثقيف العربية إحدى بطون قيس عيلان بن مضر[١]، التي كانت تسكن مدينة الطائف[٢]، وهو المختار بن أبي عبيد بن مسعود ابن عمير

---

١ - ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ-٨٨٩م)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة، دار المعارف، د. ت، ص ٩١؛ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت: ٤٥٦هـ-١٠٦٥م)، جمهرة أنساب العرب، مراجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م، ص٢٦٩؛ السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت: ٥٦٢هـ-١١٦٦م)، الأنساب، قدم له: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، ١٩٨٨م، ج١، ص٥٠٨-٥٠٩؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت: ٦٣٠هـ-١٢٣٢م)، اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد، د. ت، ج١، ص٢٤٠؛ القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت: ٨٢١هـ-١٤١٨م)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الطبعة الثالثة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٩١م، ص١٩٨.

٢ - الطائف: وهو وادي وج وهي بلاد ثقيف وسميت طائفاً بحائطها المبني حولها والمحدق بها، وكانت تسمى قبل ذلك وجا بوج بن عبد الحي من العماليق، وهو من الأمم الخالية، والطائف ذات مزارع ونخل وأعناب وموز وسائر الفواكه وبها مياه جارية وأودية، وأغلب أهل الطائف ثقيف وحمير وقوم من قريش، وهي بليدة صغيرة على طرف وادي، وهي محلتان احداهما تعرف بطائف ثقيف والأخرى يقال لها الوهد، وتشتهر كذلك بإنتاج الكروم وفيها من العنب ما لا ←

ابن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف[1]. وولد في السنة الأولى للهجرة[2]

يوجد مثله وأما زبيبها فيضرب بحسنه المثل، وتفردت ثقيف بملك الطائف بعد بنائها الحائط الذي أصبح حصناً لهم من أي طامع في أرضهم وأصبحت العرب تضرب المثل به فقال أبو طالب بن عبد المطلب:

منعنا أرضنا من كل حيٍّ كما امتنعت بطائفها ثقيف

أتاهم معشر كي يسلبوهم فحالت دون ذلكم السيوف

ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله (ت:٦٢٦هـ-١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د. ت، ج٤، ص٨-١٢.

١ - البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩هـ-٨٩٢م)، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، ج٦، ص٣٧٥؛ ابن الأثير، أُسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي أحمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ج٥، ص١١٧؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت:٧٤٨هـ-١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م، ج٣، ص٥٣٨؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت:٧٧٤هـ-١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، أرض اللواء، ١٩٩٨م، ج١٢، ص٦٤؛ المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت:٨٤٥هـ- ١٤٤١م)، أمتاع الأسماع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٩م، ج١٢، ص٢٥٠؛ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت:٨٥٢هـ-١٤٤٨م)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ج٦، ص٢٧٥.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٧٥؛ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ-٩٢٢م)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٨م، ج٢، ص٢٤٩؛ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت:٤٦٣هـ-١٠٧٠م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢ هـ، ج ٤، ص١٤٦٥؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٥، ص١١٧؛ ابن نما الحلي، جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة الله (ت: ٦٤٥هـ-١٢٤٧م)، ذوب النضار في شرح

وكان يكنى بأبي إسحاق [١]، ويقال أنه لقب بكيسان [٢]، أما قبيلة ثقيف فقد كانت من القبائل العربية القوية التي أثرت في الأحداث قبل وبعد البعثة وهي تنقسم إلى قسمين هما:

أولاً: بنو مالك، ثانياً: الأحلاف [٣] والأخيرة ينتسب إليها المختار بن أبي عبيد الثقفي [٤].

الثأر، تحقيق: فارس حسون كريم، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٦هـ، ص٦٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٥٨١؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، الطبعة الثانية، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧١م، ج٦، ص٦؛ والإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٢٧٦.

١ - ابن عبد البر، الاستيعاب، (تحقيق: علي البجاوي)، ج٤، ص١٤٦٥؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت:٥٩٧هـ-١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج٦، ص٦٧؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٥، ص١١٧؛ المجلسي، محمد باقر (ت: ١١١١هـ-١٦٩٩م)، بحار الأنوار، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣ م، ج٤٥، ص٣٥٠.

٢ - النوبختي، الحسن بن موسى (ت:حوالي٣٠٠هـ-٩١٢م)، فرق الشيعة، مطبعة الدولة لجمعية المستشرقين الألمانية، إسطنبول، ١٩٣١م، ص٢٠؛ ابن عبد ربه الاندلسي، أحمد بن محمد (ت:٣٢٨هـ-٩٣٩م)، العقد الفريد، تحقيق: بركات يوسف هبود، بيروت، ١٩٩٩م، ج٢، ص٣٨٤؛ الكشي، رجال الكشي، ص٩٩؛ البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت٤٢٩هـ-١٠٣٧م)، الفرق بين الفرق، تحقيق: إبراهيم رمضان، الطبعة الرابعة، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٨م، ص٤٦؛ سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي بن عبد الله (ت: ٦٥٤هـ- ١٢٥٦م)، تذكرة الخواص، قدم له: محمد صادق بحر العلوم، مكتبة نينوى، طهران، د. ت، ص٢٩٣؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ- ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د. ت، ج٣، ص١٧٢-١٧٣.

٣ - ابن قتيبة، المعارف، ص٩١.

٤ - ابن قتيبة، المعارف، ص٩١؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٦٨.

وأنجبت هذه القبيلة مجموعة من الأشخاص الذين لعبوا دوراً بارزاً وتركوا أثراً بالغاً في الجاهلية والإسلام، إذ تميز العديد من رجالها بالحنكة والفطنة والدهاء [١]. فمنهم أمية بن أبي الصلت بن ربيعة بن عوف، الشاعر الجاهلي، الذي كان يُعد من علماء العرب، وكان داهية من دواهي ثقيف، لبس المسوح تعبداً، وحرم على نفسه الخمر [٢]، ومنهم الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج، طبيب العرب، سافر إلى فارس وتمرن فيها، له كتاب المحاورة في الطب بينه وبين كسرى أنوشروان ملك الفرس [٣]، ومنهم أبو محجن بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف الثقفي، أسلم سنة تسع للهجرة، وكان فارساً شاعراً، أشترك في فتوح المسلمين في العراق، وقاتل في القادسية، توفي في أرمينية عام ثلاثين للهجرة. [٤]

---

١ - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: ٢٥٥هـ ٨٦٨م)، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ١٩٦٥م، ج٢، ص٣٢٠؛ الابشيهي شهاب الدين محمد بن أحمد (ت٨٥٠هـ-١٨٤٦م)، المستطرف من كل مستظرف، دار الندى، بيروت، ٢٠٠٤م، مج١، ص٤٦٢.

٢ - الجاحظ، الحيوان، ج٢، ص٣٢٠؛ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٣، ص٣٣٢؛ ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت٥٧١هـ-١١٧٥م)، تاريخ دمشق، تحقيق: محب الدين عمر بن غراشة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٩، ص٢٥٥-٢٦٠.

٣ - ابن سعد، محمد بن منيع الزهري (ت: ٢٣٠هـ-٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١م، ج٨، ص٦٧-٦٨؛ ابن الاثير، أُسد الغابة، ج١، ص٦٣٣-٦٣٤؛ ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة (ت٦٦٨هـ-١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: عامر النجار، دار المعارف، ١٩٩٦م، ج١، ص٣٨٦-٣٩٥.

٤ - ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٧٦؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٦، ص ٣٣٢؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٦٨-٢٦٩.

ومن رجال ثقيف المغيرة بن شعبة الذي كان معروفاً بولائه للأمويين، الذي أسلم في عهد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وأستعمله عمر ابن الخطاب (١٣هـ-٢٣هـ) على البصرة ثم عزله، ثم جعله معاوية بن أبي سفيان والياً على الكوفة، وهو من أشار على معاوية (٤١هـ-٦٠هـ) بجعل يزيد ولياً للعهد وأخذ البيعة له من المسلمين وتوفي سنة (٥٠هـ). (١)

ومن الثقفيين من لعب دوراً محورياً ورئيساً في توطيد حكم بني أمية، وتفانى في إخلاصه لهم، مثل الحجاج بن يوسف الثقفي الذي استطاع القضاء على أغلب الثورات التي ناهضتهم، ومنها القضاء على حركة عبد الله بن الزبير (عام ٧٣هـ) إذ أسرف الحجاج في ولائه للأمويين فقام بقتله وصلبه على أستار الكعبة في عام (٧٣هـ) (٢).

وعلى الرغم من أنّ الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) قصد الطائف - موطن قبيلة ثقيف - في بداية الدعوة الإسلامية، إلا أنهم لم يوفقوا لنصرته والدخول في الإسلام، فرجع إلى مكة(٣) وبعد فتح مكة عام

---

١ - ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص١٧٣-١٨٠؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٢٤٩-٢٩٥؛ ابن الاثير، أُسد الغابة، ج٥، ص٢٣٨ - ٢٤٠.

٢ - ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٩-٣٩٨؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣، ص١٤-٥٤؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٢، ص١١٣-٢٠٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٥٠٧-٥٥٥.

٣ - اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب (ت: ٢٩٢هـ-٩٠٤م)، تاريخ اليعقوبي، وضع حواشيه: خليل المنصور، الطبعة الثانية، دار الاعتصام، قم، ١٤٢٥ هـ، ج٢، ص٢٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٢١٧-٢١٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ج٢، ص٧٩-٨١.

ثمانية للهجرة[١] هرعت هوازن[٢] وثقيف لحرب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فخرج إليهم من مكة بجيش بلغت عدته أكثر من أثني عشر الف مقاتل[٣]، فدارت بينهما وقعة حنين، وعلى الرغم من تفوق المسلمين بالعدة والعدد إلا أنه كان«يوماً عظيم الخطب وانهزم المسلمون عن رسول الله حتى بقي في عشرة من بني هاشم، وقيل تسعة، وهم: علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث، ونوفل بن الحارث، وربيعة ابن الحارث، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب، والفضل بن العباس، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وقيل أيمن بن أم أيمن». [٤] وأشتد القتال فقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يومها وهو يقاتل: الآن حمي الوطيس وهو أول من قالها [٥] وثبت الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بمن معه، وفتح

---

١ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٨-٤٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٢٦-٣٩.

٢ - أشار بعض النسابين إلى هوازن فجعلوها إحدى بطون قيس عيلان، فحين ذكروا نسب ثقيف قالوا: واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر. ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص٩١؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٦٨-٢٦٩؛ ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد بن هبة الله (ت:٦٥٦هـ-١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، بغداد، ٢٠٠٩م، مج٤، ج٨، ص٤٢٢.

٣ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٤٤؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٣٧

٤ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤١؛ للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٤٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٣٧-٢٣٨.

٥ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٣٩.

الله على نبيه، وأيده بجنود من الملائكة، ومضى الإمام علي (عليه السلام) إلى صاحب راية هوازن فقتله، فحلت بهم الهزيمة [١]، بعدها حاصر الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) الطائف أكثر من عشرين يوماً[٢]، ثم أذن بالرحيل عنها وأقام أهل الطائف على الشرك حتى عام (٩هـ) [٣].

وقد لعب عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف الثقفي [٤] أحد صلحاء ثقيف [٥] دوراً ايجابياً في دعوة قبيلته لاعتناق الإسلام، إذ كان من زعماء ثقيف، وكان يكنى بأبي يعفور [٦]، وكان يتحمل ديات القتلى في الجاهلية [٧]، أرسلته قريش للتفاوض مع الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) يوم الحديبية، فلما رجع إليهم قال: «وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه بما

---

١ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٤٦.

٢ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٢.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٥٧.

٤ - ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٦٤؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (تحقيق: علي البجاوي)، ج٣، ص١٠٦٦؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٤، ص٣٠؛ الصفدي، صلاح الدين بن خليل بن أيبك (ت:٧٦٤هـ-١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار أحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٠م، ج١٩، ص٣٦٠.

٥ - الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعد الكوفي (ت:٢٨٣هـ-٨٩٦م)، الاستنفار والغارات، تحقيق: جلال الدين الحسيني، د. م، د. ت، ج٢، ص٥١٧؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٢، ج٤، ص٢٨٦.

٦ - ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٦٤؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٤، ص٣٠.

٧ - المجلسي، بحار الأنوار، ج٩، ص٢٣٥.

يعظم أصحاب محمد محمداً، وأنه عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها»[١].

ويرى بعض المؤرخين أنّ عروة بن مسعود هو أحد العظيمين[٢] الذين أشار إليهما القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ }[٣]، لكن ابن قتيبة[٤] يرى أنّ مسعوداً جد المختار «هو عظيم القريتين»، بينما ذكر ابن أبي الحديد[٥] أنه«مختلف فيه، أهو عروة ابن مسعود، أم جد المختار بن أبي عبيد»، ويبدو مما تقدم أنّ الرجلين لهما منزلة كبيرة عند العرب حسب معطياتهم ومفاهيمهم في ذلك الوقت معتقدين أن الأمر يتعلق بالجاه والمال والسيادة.

ولم يكن عروة حاضراً في حصار الطائف فلما انصرف عنهم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أتبع أثره حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة، فأسلم، وسأل رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أن يرجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فلما دعاهم رماه أحدهم بسهم، فقال لقومه:«هي

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٣٧٤؛ ابن شهر أشوب، محمد بن علي (ت:٥٨٨هـ-١١٩٢م)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف، المطبعة الحيدرية، النجف - ١٩٥٦م، ج١، ص١٧٤-١٧٥؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٤، ص ٣٠.

٢ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القران، تقديم خليل الميس، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٢٥، ص٨٤؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، (تحقيق: علي البجاوي)، ج٣، ص١٠٦٧؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٤، ص٣١؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٩، ج١٨، ص٣٦٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٩، ص٣٦١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩، ص٢٣٥.

٣ - الزخرف، الآية ٣١.

٤ - المعارف، ص٤٠٠.

٥ - شرح نهج البلاغة، مج٩، ج١٨، ص٣٦٦.

كرامة أكرمني الله بها، وقد اخبرني رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) إنكم تقتلوني»، وأوصى أن يدفن مع شهداء المسلمين الذين استشهدوا أثناء حصار الطائف [١].

وعروة بن مسعود الثقفي هو جد علي الأكبر ابن الإمام الحسين (عليه السلام) لأمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود [٢]، وهو ما عناه معاوية ابن أبي سفيان حين قال: إنّ أحق الناس بالخلافة علي الأكبر ابن الإمام الحسين (عليه السلام) فجده رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)«وفيه شجاعة بني هاشم، وسخاء بني أمية، وزهو ثقيف». [٣] وعلى الرغم من أن معاوية له في حديثه هذا مآرب أخرى، إلا أنه يشير بذلك إلى إحدى الصفات التي تميز بها بنو ثقيف.

---

١ - ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت:٢١٣هـ - ٨٢٨م)، السيرة النبوية، مؤسسة المعارف، بيروت، ٢٠٠٧م، ص٦٧٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٥٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٥٧.

٢ - خليفة بن خياط (ت:٢٤٠هـ-٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: اكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، دار طيبة، الرياض، ١٩٨٥م، ص٢٣٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣١٠؛ أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد (ت:٣٥٦هـ-٩٦٦م)، مقاتل الطالبيين، تحقيق: أحمد صقر، الطبعة الرابعة، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٦م، ص٨٦؛ النعمان المغربي، أبو حنيفة النعمان بن محمد (ت٣٦٣هـ - ٩٧٣م)، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق: محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، د. ت، ج٣، ص١٥٤؛ ابن عبد البر، التمهيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ، ج٩، ص١٥٦.

٣ - أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٨٦

يتضح من خلال نسب المختار وعروة بن مسعود أن الرجلين من بني عوف أحد بطون قبيلة ثقيف، وأنّ ما ذهب إليه أحد الباحثين [١] بأن عروة ابن مسعود هو عم المختار بن أبي عبيد ليس دقيقاً، بل هو أحد أبناء عمومته ومن زعماء قبيلة ثقيف.

ولم تلبث ثقيف إلا قليلاً بعد استشهاد عروة بن مسعود حتى أعلنت إسلامها؛ عندما علمت أن لا طاقة لها بقتال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وقد أسلمت العرب حينذاك، وقال بعضهم لبعض: «ألا ترون أنّه لا يأمن لكم سرب ولا يخرج منكم أحد إلا اقتُطع به» [٢]، فأجمعوا رأيهم أن يرسلوا وفداً من ستة أشخاص، ثلاثة من الأحلاف وثلاثة من بني مالك، وكان عبد ياليل عمرو بن عمير وهو في سن عروة بن مسعود، ناب القوم وصاحب أمرهم [٣]، وهو من أشترط أن يكون الوفد بهذا الشكل خشية أن يحدث له ما حدث لعروة بن مسعود [٤].

وعند وصول الوفد إلى المدينة تفاوض مع الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وعرضوا عليه إسلامهم بشرط أن يسمح لهم بترك الصلاة، ويبقي صنمهم اللات ثلاث سنين، فرفض النبي (صلى الله عليه واله وسلم)

---

١ - القرشي، باقر شريف، المختار الثقفي ثورة وجهاد، تحقيق: محمد باقر القرشي، الطبعة الثالثة، دار الذخائر، النجف، ٢٠١١م، ص٢٠.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٥٩.

٣ - ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٦٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٥٨-٥٩.

٤ - ابن هشام، السيرة النبوية، ص٦٧٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٥٩.

شروطهم وأصر على دخولهم الإسلام دون قيد أو شرط، فأجابوه إلى ذلك[(١)] ودخلت ثقيف الإسلام وهُدم صنمهم، وأمر عليهم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عثمان بن أبي العاص الثقفي، أحد أعضاء الوفد وكان أصغرهم سناً، وذلك لما علم الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) عن حرصه على الإسلام والتفقه في الدين وتعلم القرآن أثناء وجود الوفد في المدينة.[(٢)]

ثانيا: نشأته

بعد أن تطرقنا إلى قبيلة ثقيف وكيفية دخولها الإسلام، لابد لنا من الإشارة إلى أسرة المختار بن أبي عبيد التي نشأت في ذلك الوسط، وهي الأسرة التي لعب أفرادها دوراً واضحاً ورئيساً منذ السنوات الأولى للإسلام.

فوالد المختار هو أبو عبيد بن مسعود الثقفي، الذي أشتهر بكنيته أبي عبيد ولم تشر المصادر التاريخية إلى اسمه، وأنّ ما ذكره ابن الجوزي [(٣)] بأن اسم أبي عبيد هو مسعود بن عمرو بن عمير، لا يمكن الأخذ به لأن أغلب المصادر التاريخية ذكرت أن مسعود هو والد أبي عبيد الثقفي[(٤)] الذي أسلم في عهد

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٥٨-٦٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٥٧-٢٥٨.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٦٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٥٨.

٣ - المنتظم، ج٦، ص٦٧.

٤ - ابن قتيبة، المعارف، ص٤٠٠؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٥٧؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٥، ص١١٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص٥٣٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٦٤؛ المقريزي، أمتاع الأسماع، ج١٢، ص٢٥٠؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٢٧٥.

رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وكان من أجلّ الصحابة [١] فلما تولى عمر بن الخطاب (١٣هـ-٢٣هـ) الخلافة انتدب الناس أربعة أيام إلى قتال الفرس وفتح العراق، فكان أول من انتدب لقتالهم أبو عبيد، وكان وجه فارس من أثقل الوجوه على المسلمين وأكرهها إليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وقهرهم الأمم[٢]، فدعا الخليفة عمر أبا عبيد بن مسعود وعقد له على خمسة آلاف رجل وأمره بالمسير إلى العراق وكتب إلى المثنى بن حارثة الشيباني[٣] أن ينضم إليه[٤]. وقيل للخليفة الثاني أتؤمر رجلاً من ثقيف على المهاجرين والأنصار؟ فقال: لا أؤمر إلا أول من انتدب لقتالهم ولا يصلح

١ - ابن عبد البر، الاستيعاب، (تحقيق: علي البجاوي)، ج٤، ص١٤٦٥؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٥، ص١١٧.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٢٧٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤٠٠-٤٠١.

٣ - هو المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مرة بن ذهل بن شيبان، وفد على النبي (صلى الله عليه واله وسلم) (سنة ٩هـ) مع وفد قومه، وكان كثير الإغارة على الفرس فقال أبو بكر: من هذا الذي تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه؟ فقال قيس بن عاصم: أما أنه غير خامل الذكر، ولا مجهول النسب، ولا قليل العدد، ولا ذليل الغارة، ذلك المثنى بن حارثة الشيباني. فسيره أبو بكر في صدر خلافته إلى العراق، وهو الذي أطمع أبا بكر والمسلمين في الفرس وهون أمرهم، كان شهماً شجاعاً ميمون النقيبة حسن الرأي أبلى في القتال مع الفرس بلاء لم يبلغه أحد، ولما تولى عمر بن الخطاب الخلافة سير أبا عبيد فاستقبله المثنى واجتمعوا على قتال الفرس وأصيب يوم قس الناطف مات من جراحتها قبل القادسية، وتزوجت امرأته سلمى بنت جعفر سعد بن أبي وقاص وهي التي قالت له يوم القادسية وامثنياه، ولا مثنى للمسلمين اليوم. ينظر ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٥، ص٥٥.

٤ - الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت:٢٨٢هـ-٨٩٥م)، الأخبار الطوال، تحقيق: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن الأرقم، بيروت، د. ت، ص١٠٨-١٠٩.

للحرب إلا الرجل المكيث[1]، وقد أعلمـــته إنني بعثت معه من هم أسبق إسلاماً منه فلا يقطع أمراً دونهم[2]، وسار أبو عبيد إلى العراق، ووقعت عدة معارك بين المسلمين والفرس بقيادته، أستطاع أن يهزمهم أكثر من مرة، وأسر في إحـدى معاركـه قائـدهم جابـان[3]، وأوقـع هزيمـة منكـرة بقائـدهم الجالينوس[4]، وفتح باروسما[5]، والزوابي[6][7].

١ - المكيث: الرزين الذي لا يعجل في أمره، ورجل مكيث أي رزين. ينظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت:٧١١هـ-١٣١١م)، لسان العرب، تحقيق: يوسف البقاعي، وآخرين، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٥م، ج٤، ص٣٧٥٧.

٢ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٠٨-١٠٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٢٧٦؛ المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ-٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتاب العربي، بغداد، ٢٠٠٤م، ج٢، ص٣٢٥؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤٠١.

٣ - جابان: هو أحد قادة رستم الذي أرسله لقتال المسلمين فهزموه، وأسره أحد المسلمين فأعطاه الأمان وأطلق سراحه؛ فأخذه المسلمون وجاؤا به إلى أبي عبيد وقالوا له إنّه الملك، وأشاروا عليه بقتله، فقال إني أخاف الله أن اقتله، وقد أمنه رجل مسلم والمسلمون في التواد والتناصر جسدٌ واحدٌ، فقالوا له إنّه الملك فقال وإن كان لا أغدر، وتركه. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٢٧٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤٠١-٤٠٢.

٤ - الجالينوس: هو أحد القادة الفرس الذي بُعث لقتال المسلمين ومددا إلى جابان، فلما دنى بادره أبو عبيد وهو على تعبيته، فهزمهم المسلمون وهرب الجالينوس وأقام أبو عبيد وقد غلب على البلاد. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٢٨٠-٢٨١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤٠٤.

٥ - باروسما: ناحيتان من سواد بغداد يقال لهما باروسما العليا وباروسما السفلى من كورة الإستان الأوسط. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٢٠.

٦ - الزوابي: وهي جمع على غير قياس للزاب، وهي أربعة أنهر: نهران فوق بغداد ونهران تحتها، يقال لكل واحد منهما زاب، وهي عبارة عن ثلاث طساسيج من الضياع والعمائر تسمى الزوابي. ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٢٤٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٥٥.

٧ - ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٩٧-٩٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٢٧٩-٢٨١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤٠٣-٤٠٥.

وعندما هُزم الجالينوس ورجع إلى رستم، قال رستم: أي العجم أشد على العرب فيما ترون قالوا بهمن جاذويه [١] فوجهه إلى قتال المسلمين ومعه الجالينوس وجهز الجيش بالعدة والعدد ومعهم الفيلة المدربة على القتال، والخيول عليها التجافيف [٢] وحملوا معهم راية كسرى العظيمة [٣]، فنزلوا بقس الناطف [٤]، وأقبل أبو عبيد فنزل بالمروحة [٥]، وسأله بهمن جاذويه أما أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور وأما أن تدعونا نعبر إليكم، فأصر أبو عبيد على العبور قائلاً: لا يكونوا أجرأ على الموت منا، ولما بدأ القتال لم تستطع خيول المسلمين الصمود أمام الفيلة، وعندما رأى أبو عبيد أن قوة الخصم

١ - بهمن جاذويه: وهو المعروف بذي الحاجب، وقيل له ذا الحاجب لأنه كان يعصب حاجبيه بعصابة ليرفعهما كبراً، وهو أحد قادة الفرس ومن أشدهم عداوة على العرب. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٢٨٢؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص٤٠٤-٤٠٥.

٢ - التجافيف: وهي من آلات الحرب، يوضع على الفرس يتقي بها كالدرع للإنسان. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤٠٥.

٣ - راية كسرى: اسمها درفش كابيان، من جلود النمر، عرضها ثماني اذرع، وطولها اثنتي عشر ذراعاً على خشب طوال موصل، وكانت فارس تتيمن بها تظهرها في الأمور الشديدة، فنزل بها بهمن جاذويه في قس الناطف. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٢٨٢؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٣٢٦-٣٢٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤٠٥.

٤ - قس الناطف: وهو موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي، وقعت فيه المعركة بين المسلمين والفرس سنة ثلاث عشرة للهجرة، استشهد فيها أمير المسلمين أبو عبيد بن مسعود الثقفي. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٤٩.

٥ - المروحة: موضع بشاطئ الفرات الغربي. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٤٩.

تكمن في الفيله قرر أن يتصدى لها بنفسه، واستطاع أن يصيب أحدها ويقطع بطانته ويوقع من كان عليه من مقاتليهم، إلا أنه دفع حياته ثمن ذلك، فحمل اللواء بعد استشهاده رجالٌ من ثقيف غالبيتهم من أهل بيته بوصية منه فاستشهدوا جميعاً[١]، ثم حمل الراية المثنى بن حارثة وأنسحب بالناس، فأستشهد من المسلمين أكثر من أربعة آلاف وقتل من الفرس يومها ستة الاف.[٢]

ولم يكن استشهاد أبي عبيد حدثاً عابراً عند المسلمين فقد شق ذلك عليهم، وكان دافعاً للمسلمين للتأهب لفتح العراق، بعد أن نعي إليهم أبو عبيد وثلاثة من بنيه، ووجوه من الأنصار والمهاجرين، وقد ذكر ابن أعثم الكوفي[٣] ذلك بقوله: «فضج الناس بالبكاء والنحيب»، وعلى أثر ذلك بدأ التهيؤ والاستعداد لفتح العراق.

وهكذا أصبح أبو عبيد مثالاً يحتذى به في الجهاد والذود عن الإسلام، وقائداً فاتكاً من قادة المسلمين[٤] ملهماً متسلحاً بالإيمان والشهامة والنبل[٥].

يظهر من خلال هذه النظرة اليسيرة على سيرة هذا القائد الذي وصف

١ - ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد (ت: ٣١٤هـ-٩٢٦م)، كتاب الفتوح، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت -١٩٩١م، ج١، ص١٣٤-١٣٥.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٢٨٢-٢٨٤؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٣٢٦-٣٢٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤٠٤-٤٠٦.

٣ - كتاب الفتوح، مج١، ج١، ص١٣٦.

٤ - المقرم، عبد الرزاق الموسوي، تنزيه المختار، المكتبة الحيدرية، قم، ١٤٣٧هـ، ص٨.

٥ - القرشي، المختار الثقفي، ص٢٢.

بالرجل المكيث؛ مدى المروءة والشجاعة اللتين يتحلى بهما فضلاً عن النبل الذي يتمتع به، واتضح ذلك من خلال رفضه القاطع لرأي الذين اقترحوا عليه قتل القائد الفارسي الذي أسر في أحدى المعارك،حين قالوا له إنّه الملك قال وإن كان الملك لا أغدر حيث قال:«إنّي أخاف الله أن أقتله وقد آمنه رجل مسلم»..[1] وهو بذلك يضع القيم والمبادئ التي جاء بها الدين الإسلامي موضع التطبيق العملي على أرض الواقع لكي تكون منهجاً وسنة لمن يأتي بعدهم للعمل بها كما أمر الله ورسوله الكريم (صلى الله عليه واله وسلم).

أما والدة المختار فهي دومة بنت عمرو بن وهب [2] وهي من ثقيف من ربات الفصاحة والبلاغة والرأي والعقل[3]، ويقال إنّ أبا عبيد كان يتنوق[4] النساء فيرفض الزواج عندما تعرض النساء عليه، فرأى في المنام قائلاً يقول له: تزوج من دومة الحسناء الحومه، لا يسمع فيها للائم لومة، فتزوجها، وقد شاركت زوجها في فتوح العراق وعندما نزل أبو عبيد بالمروحة قبل معركة قس الناطف كانت معه وشهدت مصرع زوجها وأولادها في تلك المعركة،

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٤٠٣.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٧٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٦٧؛ ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص٦٠؛ المقريزي، أمتاع الأنساب، ج١٢، ص٢٤٩.

٣ - كحالة، عمر رضا، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ت، ج١، ص٤٢١؛ الخطيب، صفاء، دولة المختار الثقفي، الطبعة الرابعة، دار العلوم، بيروت، ٢٠١١م، ص١٩.

٤ - يتنوق: تنوق في الأمر أي تأنق فيه، وقيل تنوق فلان في منطقه وملبسه وأموره إذا تجود وبالغ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٤٠٥٦.

وقد قصّت عليهم كيف أنها رأت في المنام رجلاً نزل من السماء ناولها إناءً فيه شراب فشرب أبو عبيد ومعه نفر من أهل بيته، فقال لها أبو عبيد: إنها الشهادة إن شاء الله[١]، وكانت عندما حملت بالمختار، قالت إنها سمعت منادياً في النوم يناديها:

ابشري بالولد أشبه شيء بالأسد

إذا الرجال في كبد تقاتلوا على بلد

كان له الحظ الأشد

فلما وضعته أتاها ذلك الأتي، فقال لها: انه قبل أن يترعرع، وقبل أن يتشعشع، قليل الهلع، كثير التبع»..[٢].

ويبدو أن الروايات السالفة الذكر في باب الأساطير التي توضع غالباً عندما يصبح شخصٌ ما عالي الشأن فيما بعد، فتحاك حول ولادته وطفولته الكثير من الروايات التي تنسب إلى الأحلام والغيبيات.

وولد أبو عبيد العديد من الأبناء، أربعة منهم أشتركوا في المعركة التي جرت بين المسلمين والفرس في قس الناطف وحملوا راية الجهاد وقيادة الجيش بوصية من أبي عبيد، ذكر ابن أعثم الكوفي [٣] قول أبي عبيد عندما حمل على الفيل ليقتله: «يامعشر المسلمين! أنظروا إن أنا قتلت فأميركم من بعدي وهب

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٢٨٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤٠٥.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٧٥؛ ابن نما، ذوب النضار، ص٥٩-٦٠.

٣ - كتاب الفتوح، ج ١، ص١٣٤.

ابني، فإن أصيب فابني مالك، فان أصيب فـابني جـبر،..؟». فاستـشهدوا بعـد والدهم في المعركة نفسها وهم وهب ومالك [١] وجبر [٢].

ومن أخوة المختار أبو جبر بـن أبي عبيـد [٣]، وأسـيد [٤]، وأبـو الحكـم، وأبو أمية[٥]، وصفية زوجـة عبـد الله بـن عمـر بـن الخطـاب الـتي أنجبـت منـه العديد من الأبناء والبنات، وكان لها دورٌ كبيرٌ في الوساطات التي قـام بهـا عبـد الله بن عمر وتدخله لإخراج المختار من سجون الأمويين والزبيريين لأكثر من مرة. [٦]

ومن أبرز الشخصيات في أسرة المختار التي لعبت دوراً مهمـاً ورئيـساً في الأحداث السياسية التي عاصرته، وكان له تأثير مباشرٌ عليه، هو عمه سعد بن مسعود الثقفي، من صحابة رسول الله [٧]، وكان من الموالين المخلصين للإمام علي والإمام الحسن (عليهما السلام) طيلة فترة حياته، وقـد سـطع نجمـه مـع

١ - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج١، ص١٣٤ -١٣٦.

٢ - خليفـة بـن خيـاط، تـاريخ خليفـة بـن خيـاط، ص ١٢٤؛ ابـن قتيبـة، المعـارف، ص ٤٠١؛ البـلاذري، جمـل مـن أنـساب الأشـراف، ص٣٥٢؛ ابـن أعـثم الكـوفي، كتـاب الفتـوح، ج١، ص١٣٤ -١٣٦.

٣ - خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص١٢٤؛ ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص٦٠.

٤ - ابن قتيبة، المعارف، ص٤٠١.

٥ - ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص٦٠.

٦ - ابن قتيبة، المعارف، ص٤٠١؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٧٧؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٥، ص١٤٥؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٦٨.

٧ - ابن عبد البر، الاستيعاب، (تحقيق: علي البجاوي)، ج٢، ص٦٠٢؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٦٢؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٢، ص٤٥٩.

الإمام عليٍّ (عليه السلام) منذ الأيام الأولى لخلافته، التي كانت حافلة بالأحداث السياسية وتباينت فيها المواقف، ولم يوفق لنصرته إلا من كان ذا حظ عظيم، فكان سعد بن مسعود في مصاف تلك النخبة، أمثال مالك الأشتر، وحجر بن عدي، وعدي بن حاتم الطائي، وغيرهم، ومن الطبيعي أن يكون أبناء أسرته ومنهم المختار من أشد المؤيدين لهذا التوجه والولاء الذي انعكس عليهم طيلة مدة حياهم.

فبعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان (٢٣هـ-٣٥هـ) بويع الإمام عليٌّ (عليه السلام) (٣٥هـ -٤٠هـ) بالخلافة، فكان أول من بايعه طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، ثم المهاجرون والأنصار[١] وذلك في عام (٣٥هـ)[٢]، ولم يلبث طلحة والزبير إلا قليلاً حتى خرجا من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، فلقيا عائشة زوج الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) فسألاها الخروج إلى البصرة لتأليب الناس على الإمام عليٍّ (عليه السلام) بدعوى الاقتصاص من قتلة عثمان بن عفان، فامتنعت في بادئ الأمر ثم أجابتهم إلى ذلك.[٣]

وكان الإمام عليٌّ (عليه السلام) قد تهيأ للخروج لقتال معاوية وأهل

---

١ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٢٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٢٩٠؛ أبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٦٣ -١٦٥.

٢ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٢٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٢٨٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٦٣.

٣ - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة (المنسوب إليه)، تعليق: إبراهيم شمس الدين، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٦م، ص٥٩؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٢٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٣٠٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٧٨ -١٧٩.

الشام بعد أن رفض معاوية أوامر عزله من قبل الإمام عليٍّ (عليه السلام) وإرساله خيلاً اعترضت والي الشام الذي أرسله الإمام عليٌّ (عليه السلام) الصحابي الجليل سهل بن حنيف، فحالت بينه وبين دخول الشام.[١]

ولما وصل نبأ خروج طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، استخلف الإمام عليٌّ (عليه السلام) على المدينة أحد أصحابه[٢] وسار منها في تعبأته التي تعبأ بها إلى أهل الشام وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين، راجياً أن يدركهم في الطريق ويحول بينهم وبين وصولهم إلى البصرة، فلما وصل إلى الربذة[٣] علم أنه لن يدركهم، فأقام فيها أياماً[٤]، ثم أكمل مسيرته إلى البصرة وفي الطريق أستنفر عدي بن حاتم الطائي قبيلته لنصرة الإمام عليٍّ (عليه السلام)، فالتحقت به جميع طيء، وأقبل شيخ من طيء كبير السن فقال: بعد أن نظر إلى الإمام علي (عليه السلام)«أنت أبن أبي طالب؟ قال: نعم، قال: مرحباً بك وأهلاً، قد جعلناك بيننا وبين الله، وعدياً بيننا وبينك، ونحن بينه

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٣٠١؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٥، ص٧٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٧٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٤٢٩.

٢ - أختلف المؤرخون في تحديد الوالي الذي جعله الإمام عليٌّ عليه السلام على المدينة عند خروجه: أهو: قثم ابن العباس، أم أبو الحسن عبد عمرو أحد بني النجار، أم تمام بن العباس، أم سهل بن حنيف؟ ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص٦٠؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٢٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٣٠٩، ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج٣،ص١٩٠.

٣ - الربذة: قرية من قرى المدينة، بها قبر الصحابي أبي ذر الغفاري. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٤-٢٥.

٤ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٣١٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٩١.

وبين الناس، لو أتيتنا غير مبايعين لك لنصرناك، لقرابتك من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وأيامك الصالحة... والله لا يتخلف عنك من طيء إلا عبد أو دعي إلا بإذنك.».. [١]، واستمر الإمام عليٌّ عليه السلام في المسير نحو البصرة حتى وصل إلى ذي قار فعسكر فيها وأرسل إلى أهل الكوفة يدعوهم لنصرته واللحوق به، فألتحق به أكثر من ستة آلاف رجل منهم، فوافوه في ذي قار [٢].

وكانت الكوفة في عهد عثمان بن عفان والإمام عليٌّ (عليه السلام) يدعون إلى الحرب أسباعاً، فنفرت إليه جميع أسباع الكوفة مع الإمام الحسن عليه السلام رسوله إليهم، فكان على سُبع قيس سعد بن مسعود الثقفي [٣]

---

١ - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص٦٤.

٢ - ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص١٨٢؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٣، ص٣٢-٣٣؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٢٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٣٣٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٩٨.

٣ - كانت الكوفة في عهد عثمان بن عفان والإمام عليٍّ (عليه السلام) يدعون أسباعاً، حتى ولاية زياد بن أبيه في خلافة معاوية بن أبي سفيان، فصيرهم أرباعاً، أما أسباع الكوفة فهي: همدان وحمير سبعاً عليهم سعيد بن قيس الهمداني، ومذحج والاشعريون سبعاً وعليهم زياد بن النضر الحارثي، إلا أن عدي بن حاتم على طي مفرداً دون سبع مذحج والاشعرين، وقيس عيلان وعبد القيس سبعاً وعليهم سعد بن مسعود، وكندة وحضرموت وقضاعة ومهرة سبعاً وعليهم حجر بن عدي الكندي، والأزد وبجيلة وخثعم والأنصار سبعاً وعليهم مخنف بن سليم الازدي، وبكر بن وائل وتغلب وسائر ربيعة غير عبد القيس سبعاً وعليهم وعلة بن محدوج الذهلي، وقريش وكنانة وأسد، وتميم وضبة والرباب ومزينة سبعاً وعليهم معقل بن قيس الرياحي. ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٣، ص٣٢-٣٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٩٨.

وشهد هؤلاء الأسباع معه حروب الجمل وصفين والنهروان[١] وعند وصولهم استقبلهم الإمام عليٌّ (عليه السلام) ورحب بهم، وخاطبهم قائلاً: «...دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة فإن يرجعوا فذاك الذي نريد وإن يلجوا داويناهم بالرفق حتى يبدأونا بظلم ولم ندع أمراً فيه صلاح الا آثرناه على ما فيه من الفساد إن شاء الله.»[٢]، ولما اقترب الإمام عليٌّ (عليه السلام) من البصرة كتب الكتائب وعقد الألوية فجعلها سبع رايات؛ حيث عقد لقيس وعبس وذبيان راية وولى عليها سعد بن مسعود الثقفي[٣].

وبعد الانتصار الذي حققه الإمام عليٌّ (عليه السلام) في حرب الجمل، رحل من البصرة، فأقام في الكوفة واتخذها عاصمة لدولة الإسلام المترامية الأطراف، فعين الولاة واستعمل العمال على المدن والأمصار، فاستعمل سعد بن مسعود على إستان الزوابي[٤] في بداية الامر[٥] ثم جعله والياً على

١ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٣، ص٣٣.

٢ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٩٨.

٣ - عقد لحمير وهمدان راية وولى عليهم سعيد بن قيس الهمداني، وعقد لمذحج والاشعريين راية وولى عليهم زياد بن النضر الحارثي، ثم عقد لطي راية وولى عليهم عدي بن حاتم، وعقد لكندة وحضرموت وقضاعة ومهرة راية وولى عليهم حجر بن عدي، وعقد للأزد وبجيلة وخثعم وخزاعة راية وولى عليهم مخنف بن سليم الأزدي، وعقد لبكر وتغلب وافناء ربيعة راية وولى عليهم محدوج الذهلي، وعقد لسائر قريش والأنصار وغيرهم راية وولى عليهم عبد الله بن عباس. ينظر الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٣٨.

٤ - استان الزوابي: الإستان: تعني الكورة، والكورة هي الناحية الزراعية. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٥٥.

٥ - المنقري، نصر بن مزاحم (ت:٢١٢هـ-٨٢٧م)، وقعة صفين، تصحيح: حسين علي قصفة، ←

المدائن كلها[١].

ولم يكن اختيار سعد بن مسعود الثقفي والياً على المدائن من قبل الإمام عليٍّ (عليه السلام) بالأمر الاعتيادي وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: هو أن الأمام علياً (عليه السلام) يضع الكثير من المعايير والشروط التي يعتمدها عند اختيار ولاته وعماله منها: الدين والورع والفقه والحياء، وأن يكون من أسرة صالحة وشريفة، ويمتلك الخبرة الإدارية والسياسية.[٢]

الأمر الثاني: هو أن ولاية المدائن ونتيجة لأهميتها الاقتصادية والسياسية جعلها الأمام عليٌّ (عليه السلام) ولاية مستقلة عن الكوفة، لكثرة الأراضي الزراعية فيها، وكذلك لجعلها خطاً متقدماً أمام هجمات المتمردين من أصحاب معاوية الذين كانوا يهاجمون العراق، لوقوعها شمال الكوفة عاصمة الدولة الإسلامية، وهذا سبب حرص الإمام عليٍّ (عليه السلام) إذ كان حريصاً على تولية من يثق بولائهم وقوهم على هذه الولاية [٣].

وعند توجه الإمام عليٍّ (عليه السلام) إلى صفين لقتال معاوية بن أبي

دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٨م، ص٤٥؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٤٤.

١ - الثقفي، الغارات، ج١، ص٣٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٣٨٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٣٨.

٢ - ينظر: الشرهاني، حسين علي، التغير في السياسة المالية للدولة الإسلامية في خلافة الإمام علي بن أبي طالب، دار تموز، دمشق، ٢٠١٣م، ص٢٥٣-٢٧٢.

٣ - الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص٢٩٥-٢٩٦.

سفيان كان سعد بن مسعود على طلائعه المتوجهة لصفين [١].

ولما توجه أبو موسى الأشعري [٢] للتحكيم حاول الخوارج التعرض للمدائن فقال بعضهم لبعض: إنّ فيها سعد بن مسعود يمنعكم من الدخول إليها [٣] فلما اقتربوا منها وعلم سعد بن مسعود بهم أغلق أبواب المدائن دونهم، وخرج في الخيل، واستخلف على المدينة ابن أخيه المختار [٤]، وسار في طلبهم، فبلغ الخوارج ذلك فعدلوا عن طريقهم وساروا إلى بغداد، لكن ذلك لم يثن سعد بن مسعود فاستمر في ملاحقتهم في خمسمائة فارس، حتى أدرك مؤخرهم في الكرخ فاقتتلوا حتى حجبهم الليل، ثم امتنع القوم، فقال أصحاب سعد لأميرهم سعد ما تريد من هؤلاء ولم يأتك فيهم أمر؟ فدعهم، واكتب إلى أمير المؤمنين فإن أمرك بملاحقتهم اتبعتهم، وان كفاك غيرك كان في ذلك عافية لك، فأبى ذلك، فلما جن الليل عبروا النهر إلى ارض جوخى [٥]

١ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٣، ص٨٠.

٢ - هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن عامر بن عتر بن بكر... ابن الأشعر، أسلم بمكة، استعمله عمر بن الخطاب على البصرة، وأقره عثمان عليها ثم استعمله على الكوفة، عزله الإمام عليٌّ (عليه السلام) عنها بعد تثبيطه أهل الكوفة على نصرته في حرب الجمل، قيل إنّه توفي سنة (٥٢هـ). ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤، ص٩٨-١٠٩؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٣، ص٣٦٤ - ٣٦٦.

٣ - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص١٣٤؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٣، ص١٣٤؛ ابن ألأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٨٨.

٤ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٥٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٨٩.

٥ - جوخى: وهو نهر تقع عليه كوره واسعة في سواد بغداد، بين خانقين وخوخزستان، كان خراجها ثمانين ألف ألف درهم، قالوا ولم يكن ببغداد مثل كوره جوخى، حتى صرفت دجلة عنها فخربت. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٧٩.

وساروا إلى النهروان[١] فعسكروا بها.[٢]

ويتضح من هذا الموقف أنّ سعد بن مسعود كان على بصيرة من أمره في مطاردة الخوارج، ولم يشك إطلاقاً بموافقة الإمام عليٍّ (عليه السلام) على جميع التدابير التي اتخذها ضد الخوارج ومطاردته إياهم وهو ما يدل كذلك على مكانته لدى الإمام عليٍّ (عليه السلام) وثقته به. ويستنتج منها أن المختار كان ملازماً لعمه سعد، وأنه محل ثقته، فضلاً عن ذلك فإنّه كان يمتلك المؤهلات القيادية ولولا ذلك لما استخلفه عليها في مثل تلك الظروف الحرجة عند خروجه منها.

ولما خرجت الخوارج بعد التحكيم، وهرب أبو موسى الأشعري إلى مكة بعد انتهائه بتلك النتيجة المعروفة استنفر الإمام عليٌّ (عليه السلام) أهل البصرة فلم يوافه منهم سوى ثلاثة آلاف ومائتي رجل ولم يكن راضياً بهذا العدد، فجمع زعماء أهل الكوفة وأخبرهم بعزمه على المسير لقتال أهل الشام ومعاوية بن أبي سفيان، فاجتمع إليه خمسة وستون ألفاً سوى أهل البصرة، فكتب إلى سعد بن مسعود الثقفي: «فإنّي قد بعثت إليك زياد بن خصفة[٣]

---

١ - النهروان: وهي ثلاثة نهروانات: الأعلى والأوسط والأسفل، وهي كوره واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدها الأعلى متصل ببغداد، وكانت بها وقعة لأمير المؤمنين (عليه السلام) مع الخوارج مشهورة، وروي أنّ فارس هي التي حفرت النهروان وكان اسمه نهروانا أي إن قل ماؤه عطش أهله وإن كثر غرقوا. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٢٤-٣٢٧.

٢ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٨٨ -٢٨٩.

٣ - هو من قادة الإمام عليٍّ (عليه السلام) وكان على ربيعة يوم صفين، فقتل عبيد الله بن عمر ابن الخطاب، الذي كان يقاتل إلى جنب معاوية بن أبي سفيان، في سنة ثمان وثلاثين. ينظر: ابن ←

فأشخص معه من قبلك من مقاتلة أهل الكوفة، وعجل ذلك إن شاء الله ولا قوة إلا بالله»[١] لكن الإمام علياً (عليه السلام) غير رأيه وتوجه إلى النهروان لقتال الخوارج وذلك لأنهم قاموا بقتل عبد الله بن الخباب[٢]، ثم قُتِلَ رسوله إليهم الحارث بن مرة العبدي[٣]، فجعل على مقدمته قيس بن سعد[٤] وقدم

عبد البر، الاستيعاب، (تحقيق: علي البجاوي)، ج ٣، ص١٠١٢؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٩، ص٦٣-٦٤؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٢، ص١٦٥.

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٥٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٩٢.

٢ - هو عبد الله بن الخباب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي، أدرك النبي له رؤية وصحبة، روي أنه أول مولود ولد في الإسلام، سماه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عبد الله، وعبد الله بن الخباب قتله الخوارج، وكان من سادات المسلمين. ينظر: ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٣، ص٢٢٣-٢٢٤.

٣ - الحارث بن مرة العبدي :وكان يوم صفين على رجالة الميسرة، أرسله الإمام عليٌّ (عليه السلام) إلى أهل النهروان عندما قتلوا عبد الله بن الخباب، فقتلوه سنة ثمان وثلاثين للهجرة، ويقال إنّه تقدم متطوعاً للذهاب إلى فتوح الهند فذهب بأمر الإمام عليٍّ (عليه السلام) فأوغل في الفتح. ينظر: ابن خياط، تاريخ خليفة، ص١٩١، ١٩٤، ٢٠٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٩٤؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٢، ج٤، ص٢٥٠؛ الزركلي، خير الدين، الأعلام، الطبعة الخامسة عشرة، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠٠٢م، ج٢، ص١٥٧.

٤ - هو قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري، من شجعان العرب وكرمائهم، حمل لواء الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في بعض غزواته، وأستعمله الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) على الصدقات، وولاه الإمام عليٌّ (عليه السلام) مصر، وكان من ذوي الرأي، شهد معه صفين والنهروان، وجعله على شرطة الخميس وهم مقدمة أهل العراق الذين بايعوا الإمام علياً (عليه السلام) على الموت، ولما أستشهد الإمام عليٌّ (عليه السلام) كان على مقدمة الإمام الحسن (عليه السلام) حين عزم على قتال معاوية، صالح معاوية بعد عقد معاهدة الصلح بين الإمام الحسن (عليه السلام) ومعاوية، توفي في المدينة في آخر خلافة معاوية بن أبي

خلفه مباشرة، فلما وصل إلى النهر وافاه قيس مع سعد بن مسعود الثقفي[١] فحدثت معركة النهروان (٣٨هـ) التي انتصر فيها الإمام عليٌّ (عليه السلام) على الخوارج انتصاراً مؤزراً.

وبعد معركة النهروان في سنة (٣٨هـ) ظهر الخوارج مرة أخرى ليعبثوا بأمن الولايات والمدن التابعة لولاة الإمام عليٍّ (عليه السلام) فوجه الإمام عليٌّ (عليه السلام) قادته وولاته وعماله للقضاء عليهم، فخرج سعيد بن قفل التيمي من تيم بن ثعلبة، بالبندنيجين [٢] ومعه مائتا رجل فأتى درزنجان[٣]، وهي قريبة من المدائن، فخرج إليهم سعد بن مسعود فقتلهم في رجب سنة (٣٨هـ)[٤]. واستمر سعد بن مسعود في ولائه للإمام عليٍّ (عليه السلام) مخلصاً للإسلام والمسلمين طيلة خلافة الإمام عليٍّ (عليه السلام).

سفيان. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٣٦٩-٣٧٥؛ ج٨، ص١٧٥؛ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ مدينة بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١م، ج١، ص٥٢٩-٥٣٠.

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٥٤.

٢ - البندنيجين: موضع بناحية العراق يسمى وندنيكان وعُرِّبَ إلى البندنيجين، وهي بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد، والبندنيجين اسم يطلق على عدة محال متفرقة غير متصلة البنيان لكن نخيلها متصل، واكبر محلة فيها يسمى با قطنايا، ثم بويقيا، ثم سوق جميل، ثم فلشت. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٩٩.

٣ - درزنجان: وهي قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربي، وهي من المدن السبع التي كانت للاكاسرة، وبها سميت المدائن، واصلها درزيندان فعربت الى درزيجان. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٥٠.

٤ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٢٢.

وعلى الرغم مما عرف عن الإمام عليٍّ (عليه السلام) محاسبته ولاته وعماله مهما كان نفوذهم ومنزلتهم منه، إلا أن سعد بن مسعود واليه على المدائن كتب له كتاب ثناء وشكر «أما بعد فقد وفرت على المسلمين فيئهم، وأطعت ربك ونصحت إمامك فعل المتنزه العفيف، فقد حمدت أمرك ورضيت هديك وابيت رشدك، غفر الله لك والسلام».(١)

وأورد اليعقوبي (٢) كتاب الإمام عليٍّ (عليه السلام) بصيغة أخرى فذكر: «أما بعد، فأنك قد أديت خراجك، وأطعت ربك، وأرضيت إمامك، فعل المبر التقي النجيب، فغفر الله ذنبك، وتقبل سعيك وحسن ما بك».

وكتاب الإمام عليٍّ (عليه السلام) هذا يوضح بشكل جلي المنزلة والثقة التي يتمتع بها سعد بن مسعود عند الإمام عليٍّ (عليه السلام) فهو كتاب تقييم الأداء وشهادة صدق بحق هذا الوالي في وقت اشتدت فيه الفتن وكثرت فيه المساومات وبيعت الضمائر وهرب فيه أصحاب المطامع والمصالح إلى جبهة معاوية بن أبي سفيان، وعرف عن الإمام عليٍّ (عليه السلام) أنّه لا تأخذه في الله لومة لائم في تطبيق مبادئ دولته وعدالته التي كان ولاته وعماله على الولايات والمدن مرآة تلك العدالة والسيرة فإذا علم الإمام (عليه السلام) عكس ذلك من ولاته وعماله أخذهم أخذ عزيز مقتدر.

---

١ - البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٧٤م، ج١، ص١٥٨.

٢ - وكتب إلى عدد من ولاته كتباً هددهم فيها بعزلهم من ولاياتهم ومنهم من وبخه ومنهم من سجنه. ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٣٩ -١٤٢.

وعندما استشهد الإمام عليٌّ (عليه السلام) في سنة أربعين للهجرة على أيدي الخوارج، بايع المسلمون الإمام الحسن عليه السلام [١]، فقرر الإمام (عليه السلام) المسير لقتال معاوية بن أبي سفيان، فأرسل مقدمة جيشه، وعلى قيادتها عبيد الله بن العباس ومعه قيس بن سعد بن عبادة، لكن معاوية تمكن من إغراء عبيد الله بن العباس فقام بترك الجيش والتوجه إلى معاوية فاستلم قيادة الجيش قيس بن سعد، وبعد ذلك استطاع معاوية من خلال أنصاره وجواسيسه في مؤخرة جيش الإمام الحسن (عليه السلام) أن يشيع بأنّ قيس بن سعد قد قتل، فهجم الناس على فسطاط الإمام الحسن فانتهبوه وجرح الإمام (عليه السلام) جرحاً بليغاً فحمل إلى المدائن وكان واليها سعد بن مسعود فقام بمعالجة الإمام (عليه السلام) حتى تم شفاؤه[٢] فكان سعد بن مسعود المحطة الأخيرة التي وصل إليها الإمام الحسن (عليه السلام) قبل إبرام الهدنة مع معاوية، وذلك لأن الإمام الحسن (عليه السلام) لم يكن مطمئناً في

---

١ - خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص١٩٩؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٣، ص٢٧٩؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٩٩؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٤٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٠٧؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٤، ص٢٨٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٥٠.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٣، ص٢٨٣؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٠٠؛ الطبري، التاريخ، ج٥ ص١٠٧؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٤، ص٢٢٨؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٧٢؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٥، ص١٦٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٥٢؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص١٩٧؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٨، ج١٦، ص٢٢٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص١٣٢.

ذلك الوقت إلى الكثير من العناصر الموجودة في جيشه وبالقرب منه بحيث إنّه طلب من المقربين له أن يستدعوا له ربيعة وهمدان فأطافوا به ودفعوا الناس عنه[١].

ومن خلال هذه النظرة اليسيرة لسيرة الصحابي سعد بن مسعود يتضح مدى صدق عقيدته وولائه للإسلام والمسلمين بوقوفه مع الإمام عليٍّ (عليه السلام) في جميع المواقف والحروب التي خاضها وأستمر هذا الولاء طيلة حياة الإمام عليٍّ (عليه السلام) والإمام الحسن (عليه السلام) وفي ظل هذا الولاء للإمام عليٍّ (عليه السلام) يظهر أنّ المختار كان مصاحباً لعمه في أغلب تلك المواقف والحروب، وأطلق أحد المؤرخين المحدثين[٢] تسمية ثقيف المعارضة على بيت مسعود الثقفي المتعاطفة مع آل علي تمييزاً لها عن باقي ثقيف الموالية لبني أمية.

وأشارت المصادر التاريخية إلى أن للمختار زوجات عدة، وله منهن العديد من الأبناء، وقد تصدرت عمرة بنت النعمان[٣] بن بشير الأنصاري

١ - أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٧٢؛ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت: ٤١٣هـ-١٠٢٢م)، الإرشاد، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت -٢٠٠٨م، ص١٨٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة مج٨، ج١٦، ص٢٢٧.

٢ - بيضون، إبراهيم، ثورة الحسين حدثاً وإشكاليات، الطبعة الثانية، شركة المطبوعات، بيروت، ٢٠٠٧م، ص١٠٧.

٣ - هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة من الخزرج، ولد عام الهجرة وقيل ولد قبل وفاة الرسول (صلى الله عليه واله وسلمٍ) بثمان سنين، عمل والياً لمعاوية بن أبي سفيان على حمص والكوفة، وكذلك كان عاملا ليزيد بن معاوية على الكوفة، دعا إلى بيعة عبد الله بن الزبير في ←

نساء المختار عند أغلب المؤرخين وذلك لارتباطها بتلك الحادثة المشينة التي ارتكبها آل الزبير وخاصة مصعب بن الزبير[١]، الذي استدعى نساء المختار بعد مقتله وعرض عليهن البراءة منه[٢] فقالت أم ثابت بنت سمرة بن جندب[٣]«وما عسى أن نقول فيه إلا ما تقولون فيه أنتم»[٤]، وفي رواية أخرى: أن أم ثابت في بداية الأمر كان قولها كقول عمرة: كيف نتبرأ من رجل يقول ربي الله؟ كان صائماً نهاره قائماً ليله، قد بذل دمه لله ولرسوله في طلب قتلة ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وأهله وشيعته، فلما كتب مصعب إلى أخيه عبد الله بن الزبير، فقال له عبد الله أعرضهما على السيف إما أن تتبرءا أو يقتلن فرجعت أم ثابت وقالت: لو دعوتني مع

زمن مروان بن الحكم فقتل في حمص سنة أربع وستين للهجرة. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٣٦٣-٣٦٦؛ ابن الأثير أُسد الغابة، ج٥، ص٣١٠-٣١٢.

١ - وهو مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد، أصبح والياً على العراق في زمن أخيه عبد الله بن الزبير، وجهز جيشاً جراراً لقتال المختار بن أبي عبيد وقتله في الكوفة، وأعطى الأمان للأسرى في القصر وغدر بهم وقتلهم، قتله عبد الملك بن مروان في سنة اثنتين وسبعين للهجرة. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص١٨١ - ١٨٢.

٢ - المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص١١٧

٣ - هو سمرة بن جندب بن هلال بن حريج بن مرة بن حزن، يكنى أبو سعيد، شهد أحد مع المسلمين، سكن البصرة، وكان زياد بن أبيه يستخلفه على البصرة ستة أشهر إذا توجه للكوفة حيث جمع له معاوية العراقين الكوفة والبصرة، توفي سنة تسع وخمسين وقيل ثمان وخمسين للهجرة. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤، ص٣٦٣ - ٣٦٥؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٢، ص٥٥٤-٥٥٥.

٤ - المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص١١٧.

السيف إلى الكفر لكفرت: أشهد أن المختار كافر. فأطلق سراحها[١].

بينما لم يكن موقف عمرة أقل شأناً من موقف المخلصين للمختار إيماناً منها بعقيدة وأهداف زوجها التي قاتل من أجلها حتى الرمق الأخير، ولذا نجدها تسير على نفس النهج الذي سار عليه، رافضةً أن تنجوا بنفسها كسابقتها بل قالت لمصعب بن الزبير: «ما علمته رحمه الله إلا مسلماً من عباد الله الصالحين، فحبسها وكتب إلى أخيه عبد الله بن الزبير: إنها تزعم أنّه نبي، فأمره بقتلها».[٢] وهذه الرواية تشير بوضوح إلى كيفية تغيير الحقائق والتجني الواضح من قبل آل الزبير على الآخرين والاستهانة بدمائهم، فقد ألصق مصعب بن الزبير تهمة النبوة بالمختار من جهة، واستباح دم زوجته عندما نسب إليها القول الذي كتبه إلى أخيه من جهة أخرى.

وفي رواية أخرى ذكرها اليعقوبي[٣] أنها قالت: «أقول إنّه كان تقياً، نقياً، صواماً، قال - أي مصعب بن الزبير - يا عدوة الله أنت ممن يزكيه» وقريباً من هذا المعنى وردت رواية ابن أعثم الكوفي[٤] فذكر قولها «ولكني أقول كان عبداً مؤمناً، محباً لله ولرسوله وأهل بيت رسوله محمد (صلى الله عليه

---

١ - المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص١١٧.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٣٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٠٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٦٩، ص٢٩٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٦٨٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٦٣.

٣ - تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٤؛ وانفرد اليعقوبي في أنّ اسمها فقد ورد عنده: أسماء بنت بشير الأنصاري.

٤ - كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٩٣.

واله وسلم) فإنكم إن قتلتموه لم تبقوا بعده إلا قليلاً».

بينما ذكر المسعودي[١] كلامها بنحو أخر فقالت: «شهادة أرزقها فأتركها؟ كلا!

إنها موتة ثم الجنة والقدوم على الرسول وأهل بيته، والله لا يكون، آتي مع ابن هند فاتبعه وأترك ابن أبي طالب؟ اللهم اشهد أني متبعة لنبيك وابن بنته وأهل بيته وشيعته».

ورثاها الشعراء على موقفها هذا وفي الوقت نفسه كان استشهادها موضوعاً ثرياً لهجاء آل الزبير فقد قال الشاعر عمر بن ابي ربيعة[٢]:

ان من أعجب العجائب عندي ... قتل بيضاء حرة عطبولِ

قتلت هكذا على غير جرم ... إنّ لله درها من قتيلِ

كتب القتل والقتال علينا ... وعلى المحصنات جر الذيولِ

ونسب البلاذري[٣] هذه الأبيات إلى عبد الله بن الزبير الأسدي، ثم أعقب ذلك ويقال إلى عمر بن أبي ربيعة، في حين ذكر تلك الأبيات الدينوري[٤] وابن

---

١ - مروج الذهب، ج٣، ص١١٧.

٢ - المبرد، محمد بن يزيد (ت: ٢٨٥هـ-٨٩٨م)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٨م، ج٣، ص١٧٤؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٤؛ الطبري، التاريخ، ج٦، ص١٠٩-١١٠؛ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص٣٨٥؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٩، ص٢٩٧، ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص ٦٨٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص٦٣-٦٤.

٣ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٣٣.

٤ - الأخبار الطوال، ص٢٨٣.

أعثم الكوفي[١] والمسعودي[٢] ولم ينسبوها لأحد، بينما نسبها ابن عساكر[٣] إلى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وهو من نسب له الطبري[٤] وغيره قصيدة أخرى بشأن رثاء عمرة يصفها فيها بذي الدين والحسب ويصف آل الزبير بالإلحاد فقال فيها:

أتى راكب بالأمر ذي النبأ العجب ... بقتل ابنة النعمان ذي الدين والحسبْ
بقتل فتاة ذات دل ستيرة ... مهذبة الأخلاق والخيم والنسبْ
أتاني بأن الملحدين توافقوا ... على قتلها لاجنبواالقتل والسلبْ
فلا هنأت آل الزبير معيشة ... وذاقوا لباس الذل والخوف والحربْ
ألم تعجب الاقوام من قتل حرة ... من المحصنات الدين محمودة الأدبْ
من العاقلات المؤمنات برئية ... من الذم والبهتان والشكك والكذبْ

وأدى استشهادها إلى استياء الناس إلى درجة أنكره حتى الخوارج الذين عرفوا بتطرفهم وانتهاكهم للحرمات، فقد ذكر المبرد[٥]: «ولما قتل مصعب بن الزبير بنت النعمان بن بشير الأنصارية، امرأة المختار، أنكره الخوارج غاية الإنكار، ورأوه قد أتي بقتل النساء أمراً عظيماً».

ومن أزواجه الأخريات أم زيد الصغرى بنت سعيد بن زيد[٦] وأمها من

١ - كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٩٣.
٢ - مروج الذهب، ج٣، ص١١٧-١١٨.
٣ - تاريخ دمشق، ج٦٩، ص٢٩٥-٢٩٦.
٤ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١١٠؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٩، ص٢٩٧-٢٩٨.
٥ - الكامل في اللغة والأدب، ج٣، ص١٧٤.
٦ - هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأمه فاطمة بنت بعجة بن أمية بن خويلد، ويكنى أبو ←

طي[١]، وأم الوليد بنت عمير بن رباح بن عوف.[٢]

وأوردت المصادر التاريخية بعض الإشارات التي توضح بأن للمختار العديد من الأبناء فقد قال ابن قتيبه[٣] عن ذلك «عقبه بالكوفة كثير» فمن أولاده جبر، وأبو أمية، والأخير تزوج أم سلمة بنت عبيد الله بن عمر بن الخطاب[٤]، أما إسحاق ومحمد فأمهما أم ثابت سمرة بنت جندب[٥]، ومن أبنائه أبو الحكم وهو الذي أثنى الامام الباقر (عليه السلام) على المختار أمامه على أثر حديث دار بين الإمام الباقر (عليه السلام) وبين أبي الحكم ابن المختار فمن قول الإمام (عليه السلام): «أو لم يبن دورنا، وقتل قاتلينا، وطلب بثأرنا؟ فرحم الله أباك - وكررها ثلاثاً - ما ترك حقاً لنا عند أحد إلا طلبه»[٦]، أما بناته أم سلمة بنت المختار ، وأمها أم الوليد بنت عمير بن رباح

الأعور، أسلم قبل أن يدخل رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) دار الأرقم، وهاجر إلى المدينة، وآخى الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بينه وبين رافع بن مالك، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، توفي بالعقيق وحمل إلى المدينة ودفن فيها سنة خمسين وقيل سنة إحدى وخمسين للهجرة، في خلافة معاوية بن أبي سفيان، ينظر ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص ٣٥٢-٣٥٨؛ وج٨، ص١٣٥؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٢، ص٤٧٦-٤٧٩.

١ - ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٣٥٤؛ ابن حبيب، محمد بن حبيب البغدادي (ت: ٢٤٥هـ-٨٩٥م)، المحبر، مطبعة الدائرة، ١٣٦١هـ، ص٧٠.

٢ - ابن قتيبة، المعارف، ص٤٠١.

٣ - المعارف، ص٤٠١.

٤ - ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٦٨.

٥ - ابن قتيبة، المعارف، ص٤٠١.

٦ - الكشي، رجال الكشي، ص٩٧؛ ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص٦٢.

ابن عوف، تزوجت عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأنجبت له عمر ابن عبد الله[١].

أما عن صفاته قد أشارت بعض المصادر التاريخية إلى العديد منها التي تميز بها فقال عنه ابن نما الحلي[٢] بأنه: «مقداماً شجاعاً لا يتقي شيئاً، وتعاطى معالي الأمور، وكان ذا عقل وافر، وجواب حاضر وخلال مأثورة، ونفس بالسخاء موفورة، وفطنة تدرك الأشياء بفراستها، وهمة تعلوا على الفراقد بنفاستها، وحدس مصيب...وقد مارس التجارب فحنكته، ولامس الخطوب فهذبته»، في حين وصفه ابن الطقطقي[٣]: «رجلاً شريفاً في نفسه عالي الهمة كريماً» أما الذهبي[٤] فقال كان المختار: «من كبراء ثقيف، وذوي الرأي، والفصاحة، والشجاعة، والدهاء.»... وعلى غرار المؤرخين القدامى وصفه المؤرخون المحدثون إذ يرى الريس[٥] بأن المختار «شخصية عربية مليئة بالحيوية، تثير الإعجاب»، ووصفه آخر بأنه: «باسل جرئ مشهور مجازف، صلب الرأي كثير الطموح»[٦]، ووصفه مؤرخ محدث[٧] آخر بالقول: «داهية عارف بقلوب الرجال وتسييرهم»، ومن خلال ما تقدم يمكن القول عنه بأنه

١ - ابن سعد، الطبقات، ج١٠، ص٤٣٩.

٢ - ذوب النضار، ص٦١.

٣ - محمد بن علي بن طباطبا (ت: ٧٠٩هـ-١٣٠٩م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د. ت، ص١٢٠.

٤ - سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٥٣٩.

٥ - ضياء الدين، عبد الملك بن مروان موحد الدولة العربية، المؤسسة المصرية، القاهرة ٢٠٠٢م، ص١٧٥.

٦ - أبو النصر، عمر، عبد الملك بن مروان، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت١٩٦٢م، ص٨٨.

٧ - العش، يوسف، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان، الطبعة الخامسة، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م، ص١٩٥.

شخصية لها طابع خاص ومميز كأن الأيام خبأته لكي يلعب دوراً كبيراً يختلف عن بعض رجالات ثقيف الذين عرفوا بانحرافهم عن آل البيت مثل المغيرة بن شعبة والحجاج بن يوسف الثقفي وغيرهما، فنجده قد نشأ منذ نعومة أظفاره في بيت رفيع كانت له السيادة في الطائف، وسادت فيه التقاليد العربية المعروفة من الكرم والذود عن الجار، فضلاً عن التعاليم الإسلامية من الإيمان بالله، وحب الخير، ونتيجة لملازمته لعمه الذي كان من أشد الموالين والمخلصين للإمام عليٍّ (عليه السلام) تأثر المختار بهذا الولاء والإخلاص، فنشأ منقطعاً إلى بني هاشم محباً لهم، وقد شاهد معاناتهم وعاصرها بدءاً من خلافة الإمام عليٍّ (عليه السلام) وكيف أن الأمة قد غبنت حقه، ووقف بعضها إلى جنب معاوية، إلى أن انتهى الأمر باستشهاد الإمام عليٍّ (عليه السلام) في محرابه، وعاصر عهد الإمام الحسن (عليه السلام) وكيف خذله الناس، مما اضطره إلى عقد الصلح بينه وبين معاوية، الذي أدى إلى إصابة الكثير من محبي آل محمد بالجزع والإحباط، ورأى المختار بأم عينيه ما تعرض له الشيعة في ظل حكم الأمويين، وكيف يُسب الإمام عليٌّ (عليه السلام) على المنابر، وقتل أنصاره أمثال حجر بن عدي وعمرو بن الحمق الخزاعي وأصحابهم، وعاصر بيعة مسلم بن عقيل واستشهاده، ثم واقعة الطف واستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وكيف قتل أهل بيته وأصحابه. وأخيراً خسارة التوابين المعركة واستشهاد كوكبة من الشيعة أمثال سليمان بن صرد الخزاعي وغيره، كل هذه الأحداث جعلت المختار يعد العدة بدقة متناهية لغاية سامية أقسم على تحقيقها ولو كلفه ذلك حياته وهي الثأر من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) وهو ما حصل بالفعل.

المبحث الثاني: عقيدته وولاؤه

ترعرع المختار في مدينة الطائف حيث تسكن أسرته، وعندما أسلم والده أصطحبه معه إلى مدينة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، وتوسم فيه الإمام عليٌّ (عليه السلام) منذ صباه الفطنة والذكاء[١]، فأجلسه على فخذه، وقال وهو يمسح على رأسه: «ياكيس ياكيس»[٢][٣].

---

١ - الخطيب، دولة المختار، ص٢٦.

٢ - الكيس: وهي ضد الحمق، والرجل كيس مكيس، أي ظريف؛ والكيس العاقل. ينظر الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: بعد٦٦٦هـ-١٢٦٨)، مختار الصحاح، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٣١٧؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٣٥١٤، وأشار الإمام الحسن (عليه السلام) إلى المعنى نفسه في خطبته بعد الصلح مع معاوية بن أبي سفيان: ((أيها الناس إن أكيس الكيس التقي، وأحمق الحمق الفجور...» ينظر: ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج ٤، ص ٢٩٣؛ ابن حجر الهيتمي، أحمد (ت:٩٧٤هـ-١٥٦٦م)، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، اعتنى به: كمال مرعي، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٩م، ص١٧١، وقال سعد بن أبي وقاص عندما عزله الخليفة الثالث عثمان بن عفان عن ولاية الكوفة للوالي الجديد الوليد بن عقبة بن أبي معيط: ((أكست بعدنا أم حمقنا بعدك...» ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٧؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٩، ج١٧، ص١٥٧.

٣ - الكشي، رجال الكشي، ص٩٨.

وبعد أن أصبح أبو عبيد والد المختار قائداً للجيش الذي وجهه عمر بن الخطاب لفتح العراق كان المختار مع أبيه، وحضر حروبه، وشهد وقعة قس الناطف التي أستشهد فيها والده وكوكبة من أسرته، وكان يتفلت للقتال فيها، فيمنعه عمه سعد بن مسعود [١] وحينها لم يتجاوز عمره ثلاث عشرة سنة[٢]، بعد تلك الوقعة رجع إلى المدينة المنورة وهناك انقطع فيها إلى بني هاشم[٣]، فنشأ في هذا الوسط المشبع بالإخلاص والحب للإمام عليٍّ (عليه السلام) وأبنائه، ومن الطبيعي أن يتحلى بأخلاق أهل البيت (عليهم السلام) ويتأثر بهم، ويكونون مثله الأعلى، فنشأ على حب آل أبي طالب[٤]«واستفاد منهم أدباً جماً وأخلاقاً فاضلة وناصح لهم في السر والعلانية»[٥]، وكان المختار علوياً مطبوعاً على الولاء لهذا البيت[٦]، فكان مع الإمام عليٍّ (عليه السلام) في العراق[٧] إلى جنب عمه سعد بن مسعود الذي كان والياً للإمام عليٍّ

١ - ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص٦٠-٦١.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٧٦؛ ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص٦٠-٦١.

٣ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص٥٤٤؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٢٧٧.

٤ - ماجد، عبد المنعم، التاريخ السياسي للدولة العربية (عصر الخلفاء الأمويين)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م، ج٢، ص١١٣.

٥ - المقرم، تنزيه المختار، ص٩.

٦ - الحسني، هاشم معروف، الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ، دار التعارف، بيروت، ١٩٩٠م، ص٣٣٤.

٧ - ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٢٧٧.

والإمام الحسن (عليهما السلام) على المدائن [١].

وما إن أُبرم الصلح بين الإمام الحسن (عليه السلام) ومعاوية حتى عاد المختار أدراجه إلى مدينة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) لينهل هناك العلم والحديث على يد محمد ابن الحنفية وآل بيت النبوة [٢].

وقد اختلف المؤرخون القدامى فيما بينهم في ولاء المختار ومذهبه، إذ وردت الكثير من الآراء في هذا الأمر، والظاهر أنّ أسباب ذلك ناتجة من اختلاف ميولهم المذهبية والفكرية، زيادة على ذلك الوضع السياسي الذي عاصره أولئك المؤرخون، بمعنى أنهم تجنبوا إثارة السلطات الحاكمة والشخصيات التي لها سطوة على الواقع الاجتماعي، فعلى سبيل المثال سخط الحنابلة على المؤرخ محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) عندما صنف كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء ولم يذكر أحمد بن حنبل، لأنه عده محدثاً وليس فقيهاً، فكان حبيس منزله في أواخر حياته، بل وصل الأمر أن دفن ليلاً خشية منهم [٣] واتهم بالرفض لأنه يجوّز مسح الرجلين في الوضوء بدلاً من غسلهما [٤]،

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٣٨٣؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٣٨.

٢ - الكشي، رجال الكشي، ص٩٧؛ الطوسي، محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠هـ-١٠٦٧م)، اختيار معرفة الرجال، تحقيق: مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت، قم، ١٤٠٤هـ، ج١، ص٣٤٠؛ إبن نما الحلي، ذوب النضار، ص٦٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٥٢؛ الخوئي، أبو القاسم الموسوي، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، الطبعة الخامسة، النجف ١٩٩٢م، ج١٩، ص١٠٣.

٣ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٠١.

٤ - ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣، ص٢١٧؛ للتفاصيل ينظر: مطر، رحيم عباس، آل البيت النبوة ←

واضطر ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) أن يجيب إجابة مُبهمة لّما سُئل أيهما أفضل بعد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فأجابهم بالقول: أفضلهما مَن كانت ابنته تحته، وهي تحتمل مَعَنيين، ففسرها السنة على أنّ أبا بكر هو أفضل الناس بعد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في حين فسرها الشيعة على أنه الإمام عليٌّ (عليه السلام)[1]، ويتضح مما تقدم أنّ ابن الجوزي راعى في ذلك سطوة المجتمع وقوته، لكن الاختلاف بين المؤرخين حول شخصية المختار نراه يأخذ منحى آخر، وأنّ ما يميزه ذلك التحامل الواضح، وعدم الموضوعية لدى بعض المؤرخين، وان هناك انتقائية واضحة عند البعض منهم، وكأن الهدف الرئيس من تناول بعض الحوادث التاريخية ليس له هدف سوى النيل من المختار، وهذا ما نراه مجافياً للحقيقة، وهناك من يميل إلى أن المختار كان له أعداء كثيرون في حياته، فهم يحملون عليه ويذمونه، ويتتبع الناس في ذكر سيرته ما قال أعداؤه فيه[2]، ويرى البعض[3] أن هناك تعتيماً وتشويهاً تاريخياً لثورات الشيعة وملاحقة لقادها صاحبَ التدوين الفعلي لكتابة التاريخ الإسلامي. ويمكن أن نوجز أهم آراء المؤرخين القدامى في ولاء المختار ومذهبه بالآتي:

(عليهم السلام) في كتاب تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) حتى عام ٦١هـ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، ص٦٢-٦٩.

١ - ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٤١.

٢ - الريس، عبد الملك بن مروان، ص١٧٤؛ حسان، خليل نعيم خليل، خلافة بني أمية عند خليفة بن خياط ٤١هـ-١٣٢هـ، الجامعة الإسلامية في غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، ص١٣٦.

٣ - فولتن، فان، السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أمية، ترجمة إبراهيم بيضون، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٦م، ص٨. (مقدمة المترجم).

أولا: المختار والولاء العثماني

وهذا الرأي ذهب إليه كل من البلاذري[١] الذي ذكر: «وكان المختار عند الشيعة عثمانياً»، وابن عبد البر[٢] حيث ذكر أثناء ترجمته للمختار: «وكان يضمر بغض علي بن أبي طالب»، وسار الكتبي[٣] على ما ذكره ابن عبد البر، في حين قال ابن كثير[٤]: «وكان أول أمره ناصبياً يبغض علياً بغضاً شديداً»، وسار على ذلك بعض المؤرخين المحدثين فقال حسن إبراهيم حسن[٥]: «فقد كان - أي المختار - أموياً ثم زبيرياً» وقال آخر: أنه كان عثمانياً[٦].

وهذه الآراء لا يمكن الاطمئنان إليها والأخذ بها أو رفضها قبل مناقشتها والتعرف على المعطيات التاريخية بشأنها، ومن الضروري أن نبّين قبل ذلك المراد من مصطلح العثمانية، فقد أطلق مصطلح العثمانية على: «أنصار عثمان بن عفان، والمحتجون لفضله،...وكانت العثمانية أشد الفرق السياسية خلافاً على علي بن أبي طالب»[٧]، فيفضلون عثمان على الإمام عليٍّ (عليه

---

١ - جمل من أنساب الأشراف، ج ٦، ص٣٨٤.

٢ - ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت: ٤٦٣هـ - ١٠٧٠م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، صححه وخرج أحاديثه: عادل مرشد، دار الإعلام، الأردن، ٢٠٠٢م، ص٧١٦؛ وينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٥، ص٢٠٩.

٣ - فوات الوفيات، مج٤، ص١٢٣.

٤ - البداية والنهاية، ج١٢، ص ٦٥.

٥ - تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الطبعة الرابعة عشرة، دار النهضة المصرية، القاهرة ١٩٩٦م، ج١، ص٣٢٨.

٦ - داود، نبيلة عبد المنعم، نشأة الشيعة الإمامية، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٩٩٤م،ص٧٩.

٧ - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت:٢٥٥هـ-٨٦٨م)، كتاب العثمانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت١٩٩١م، ص٥.

(عليه السلام)، حيث يقول شاعرهم:

وقستم بعثمان علياً سفاهة وعثمان أزكى من علي وأطيب[١]

وكان مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان (٢٣هـ-٣٥هـ) على يد ثوار الأمصار في سنة خمس وثلاثين للهجرة[٢] السبب الذي تذرع به كل من أصحاب الجمل الذين نكثوا بيعتهم من الإمام عليٍّ (عليه السلام)، وكذلك أهل الشام بزعامة معاوية بن أبي سفيان.

ولم يكن مقتل عثمان بن عفان إلا ذريعة اتخذها كل من أصحاب الجمل ومعاوية ومن معه من أهل الشام، لغايات وأهداف خاصة، بعد أن أصبح واضحاً لهم أنّ السياسة الجديدة التي تبناها الإمام عليٌّ (عليه السلام)، سوف تنهي كل تلك الامتيازات التي حصلوا عليها خلال الحقبة التي سبقت تلك التغيرات.

فما أن تولى الإمام عليٌّ (عليه السلام) الخلافة (٣٥هـ-٤٠هـ) حتى أوضح برنامجه السياسي والاقتصادي في الخطبة التي ألقاها في يوم توليته[٣] التي جاء فيها: «ألا لا يقولن رجال منكم غداً قد غمرهم الدنيا، فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار، وركبوا الخيول الفارهة، واتخذوا الوصائف الروقة، فصار

١ - مشكور، محمد جواد، موسوعة الفرق الإسلامية، تقديم: علي هاشم، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت ١٩٩٥م، ص٣٨٦.

٢ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٢٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٢٤٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٥٣.

٣ - ينظر: الشر هاني، التغير في السياسة المالية، ص٦٦ -٧٣.

ذلك عليهم عاراً وشناراً، إن لم يغفر لهم الغفار، إذا منعوا ما كانوا فيه، وصيروا إلى حقوقهم التي يعلمون، يقولون حرمنا ابن أبي طالب، وظلمنا حقوقنا، ونستعين بالله ونستغفره، وأما من كان له فضل وسابقة منكم، فإنما أجره فيه على الله، فمن استجاب لله ولرسوله ودخل في ديننا، واستقبل قبلتنا، واكل ذبيحتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فانتم أيها الناس، عباد الله المسلمون، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية، وليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى، وللمتقين عند الله خير الجزاء وأفضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين جزاءً، وما عند الله خيرٌ للأبرار»[١].

يتضح من خلال تلك الخطبة المعالم الرئيسة لسياسة الإمام عليٍّ (عليه السلام) التي عقد العزم على تنفيذها بحذافيرها، دون أن تأخذه في الله لومة لائم، فكان أول من نكث بيعته طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، اللذان سارا ومعهما السيدة عائشة زوج الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) إلى البصرة[٢]، فحدثت معركة الجمل التي انتصر فيها جيش الإمام (عليه السلام) نصراً مؤزراً، ثم وقعت بعدها مباشرة وقعة صفين، وكادت الهزيمة تطبق على معاوية وجنده لولا أن أُجبر الإمام (عليه السلام) على القبول بمهزلة التحكيم، ونهايته المأساوية.

---

١ - الطوسي، محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠هـ-١٠٦٧م)، الأمالي، مكتبة ذوي القربى، قم، ١٤٣١هـ، ص٥٦٤؛ وينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٧، ص٢٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٢، ص١٧؛ الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص٦٦-٦٧.

٢ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٢، ج٤، ص٢٩٥.

وقد خصص ابن أبي الحديد فصلاً خاصاً بالمنحرفين من الصحابة والتابعين والمحدثين الذين يقولون السوء في الإمام عليٍّ (عليه السلام) [١] وهم لا ريب أنهم عثمانيو الهوى، ومنهم من كان في الكوفة مثل عفاق بن شرحبيل بن أبي رهم التيمي الذي قال: «اللهم إني منهم بريء - أي من الإمام علي (عليه السلام) وأصحابه -، ولابن عفان ولي»[٢] ومنهم أبو بردة بن عوف[٣]، على الرغم من أنّهُ شهد صفين مع الإمام عليٍّ (عليه السلام) إلا أنّه كان يكاتب معاوية سراً، فلما ظهر معاوية أقطعه قطيعة...، وكان عليه كريماً[٤] ومنهم حسان بن ثابت، كان عثمانياً يحرض الناس على الإمام عليٍّ (عليه السلام) ويدعو إلى نصرة معاوية بن أبي سفيان وذلك مشهور عنه في نثره ونظمه ومنها قوله:[٥]

يا ليت شعري وليت الطير تخبرني ما كان بين علي وابن عفانا

---

١ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٢، ج٤، ص٢٨٢ -٣٠٧.

٢ - ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٢، ج٤، ص٢٨٢-٣٠٧.

٣ - هو أبو بردة بن عوف الأزدي تابعي من أهل الكوفة وفد على يزيد بن أبي سفيان بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام. ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٦، ص١٦.

٤ - ينظر: المنقري، وقعة صفين، ص٤٢؛ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (٤١٣هـ-١٠٢٢م)، الامالي، تحقيق: حسين الأستاذ ولي، الطبعة الثانية، دار المفيد، بيروت١٩٩٣م، ص١٢٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٢، ص٣٥٣؛ القمي، عباس، الكنى والألقاب، مكتبة الصدر، طهران، د. ت، ج١، ص١٨.

٥ - الشريف المرتضي (ت: ٤٣٦هـ-١٠٤٤م)، الفصول المختارة، تحقيق: نور الدين جعفريان، الطبعة الثانية، دار المفيد، بيروت ١٩٩٣م، ص ٢٥٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٨، ص٢٦٦؛ القمي، الكنى والألقاب، ج٢، ص٢٤٢.

ضحوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

ليسمعن وشيكاً في ديارهم ... الله اكبر يا ثارات عثمانا

وأشار ابن الأثير[١] في الكامل إلى العثمانية عندما ذكر أن الإمام علياً (عليه السلام) عند دخوله إلى الكوفة أثناء رجوعه من صفين«مرَّ بالناعطيين[٢]، وكان جلهم عثمانية، فسمع بعضهم يقول: والله ما صنع عليٌّ شيئاً، ذهب ثم انصرف في غير شيءٍ، فلما رأوه أبلسوا، فقال علي: وجوه قوم مارأوا الشام. ثم قال لأصحابه: من فارقناهم آنفاً خير من هؤلاء»..

وصنف الجاحظ[٣] كتابه العثمانية تطرق فيه إلى فضائل العثمانية، وحاول في كتابه هذا النيل من الإمام عليٍّ (عليه السلام) وإظهار أنصار العثمانية بالمظهر المدافع عن الإسلام والمسلمين والنيل من كل من وقف ضدهم.

وقد أثار الكتاب حفيظة الكثير من المؤرخين والباحثين، ومن بينهم المسعودي[٤] الذي قال عنه: «استقصى فيه الحجاج عند نفسه، وأيده بالبراهين وعضده بالأدلة فيما تصوره من عقله،... يحل فيه عند نفسه فضائل

١ - الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٧٧ -٢٧٨.

٢ - ناعط: وهو حي من همدان، وناعط هو حصن في أرضهم. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٣٩٦٠؛ الزبيدي، محمد مرتضى (ت:١٢٠٥هـ-١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م، ج١٠، ص٤٣٣.

٣ - ابن النديم، محمد بن إسحاق (ت: ٣٨٥هـ-٩٩٥م)، الفهرست، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٢م، ج١، ص٢١٠.

٤ - المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢٧٢.

الإمام عليٍّ (عليه السلام) ومناقبه، ويحتج فيه لغيره، طلباً لإماتة الحق، ومضادة لأهله، والله متمم نوره.»..، مما اقتضى الرد على كتاب الجاحظ من قبل متكلمي الشيعة والمعتزلة بما عرف نقض العثمانية[1]، ومن خلال ذلك يظهر مدى تطابق وتداخل أهداف كل من كان عثمانياً أو أموياً أو ناصبياً أو مبغضاً للإمام عليٍّ (عليه السلام) في عدائه له وولائه وحبه للأمويين، وإذا كان اللفظ مختلفاً فالهدف والمعنى واحد.

وقبل أن نوضح ما إذا كان المختار عثمانياً أم لا، لابد لنا أن نعرج قليلاً على نشأة المختار وحياته ودوره الاجتماعي والسياسي، فالمختار كان مع عمه سعد بن مسعود الذي حضر مع الإمام عليٍّ (عليه السلام) كل مشاهده، وكان والياً على المدائن، معتمداً على ابن أخيه في الكثير من المهام، فلما خرج سعد من المدائن لقتال الخوارج استخلف المختار والياً عليها[2]

وبعد أن استتب الأمر للأمويين كان المختار من الشخصيات المعروفة والبارزة، وإن كان هناك غموض في ذكره في حرب الجمل وصفين والنهروان فعلى الرغم من مشاركته فيها لم يظهر على المسرح العام إلا بعد أن تجاوز

١ - المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢٧٣؛ ولمزيد من التفاصيل في نقض العثمانية ينظر: الجاحظ، كتاب العثمانية، ص٢٨١-٣٤٣؛ النقوي، حامد، خلاصة عقبات الأنوار، مؤسسة البعثة، طهران١٤٠٥هـ، ص٢٠.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٥٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٨٩؛ ابن خلدون، عبد الرحمن (ت:٨٠٨هـ-١٤٠٦م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت ٢٠٠١م، ج٢، ص٦٣٨.

الستين من عمره [١]، وربما يعود هذا الأمر إلى أن الرواة والمؤرخين لم يعيروه اهتماماً أو لوجود عددٍ كبيرٍ من الصحابة فقد«كان مع عليٍّ - في حرب الجمل - خمسة وعشرون بدرياً، وأكثر أصحاب أحد، وستمائة من الأنصار، وجماعة من المهاجرين الأولين» [٢]، ووصف جيش الإمام عليٍّ (عليه السلام) المتوجه إلى صفين بالقول: «فخرجت العساكر والمواكب يتلو بعضها بعضاً، حتى لم يبق في الكوفة من القبائل احد إلا بنو هاشم، فظهر علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى ظاهر الكوفة في بني هاشم، وتحت لوائه الحسن والحسين عليهما السلام ومحمد بن أبي بكر، وقد حمل اللواء محمد ابن الحنفية.... وعن يمين أمير المؤمنين (عليه السلام) شيوخ بدر وحنين، وعلى يساره الأنصار والمهاجرون، وكان مع عليٍّ في ذلك اليوم ثمانون بدرياً، ومائة وثمانون من أصحاب محمد (صلى الله عليه واله وسلم)».. [٣]، ومن الطبيعي أن يتصدر أصحاب بدر وحنين وكبار الصحابة الأدوار الرئيسة في جيش الإمام عليٍّ (عليه السلام)، ويبدو أن المختار في تلك الحقبة لم يكن بارزاً كما عرف فيما بعد، وقد يكون جندياً غير مؤثر في الأحداث مع وجود هذا العدد الكبير من كبار الصحابة، وهذا قد يفسر لنا الغموض الذي يسود الأدوار الأولى من حياة المختار في المصادر التاريخية.

---

١ - فلهوزن، يوليوس، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة١٩٥٨م، ص١٩٧.

٢ - البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٢٨١.

٣ - المنقري، وقعة صفين، ص٩٢.

والظاهر من خلال ما تقدم أنّ مَن كان عثمانياً، كان لابد أن يكون قاتل الإمام علياً (عليه السلام) ووقف ضده في حروبه التي خاضها كحرب الجمل، وصفين، والنهروان، أو تربص في بعض حروب الإمام (عليه السلام) وأشترك في قسم منها، فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان بعد استشهاد الإمام عليٍّ (عليه السلام) وعقد الصلح مع الإمام الحسن (عليه السلام)، أفصح من كان عثمانياً عن نفسه بشكل واضح من أجل الحصول على الامتيازات والمناصب التي لطالما منحها الأمويون إلى الكثير من أنصارهم وشيعتهم في معسكر خصومهم.

ولو سلمنا بالرأي القائل أن المختار كان عثمانياً وهواه مع بني أمية فلماذا لم يلجأ المختار إلى الأمويين الذين أصبح الحكم بأيديهم بعد عقد الصلح مع الإمام الحسن (عليه السلام)، لاسيما أنّ أكثر أنصار بني أمية استغلوا تلك الظروف للحصول على المكاسب، ويؤيد هذا ما كتبه معاوية إلى عماله: «انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه.... والذين يرون فضله ويتحدثون بمناقبه، فأدنوا مجالسهم وأكرموهم وقربوهم وشرفوهم... وبعث إليهم بالصِلات والكسى وأكثر لهم القطايع من العرب والموالي»[(١)]، فكان الأحرى بالمختار لو كان عثمانياً كما زعموا، أن يستغل تلك الامتيازات التي تهيأت لمن هو أدنى منه وأقل شأناً، لكننا نجد العكس من ذلك فقد أزداد عداؤه للأمويين في فترة سيطرتهم على السلطة وبالأخص في ولايتي

---

١ - سليم بن قيس (ت: ٧٦هـ-٦٩٥م)، كتاب سليم بن قيس، تحقيق: محمد باقر الأنصاري، دار المجتبى، النجف ٢٠٠٩م، ص٢٣٧.

زياد بن أبيه وعبيد الله بن زياد، فكان ذلك سبباً في دخوله السجن مرات عدة، وفي السياق نفسه ذكر أحد الباحثين [١] :«ولكنا إذا القينا نظرة فاحصة على ما ورد في سيرته وجدناه على العكس مفرطاً في إخلاصه لبني هاشم، مع أنّه كانت لديه الفرصة للتقرب من الأمويين، الذين كانوا يبحثون عن أنصار لهم من بين شيعة علي.».، وكذلك وصفه مؤرخ معاصر ثانٍ بعد أن تناول إساءة الناس لشخصية المختار فقال :«لكن دراسة المختار وأعماله على النحو الذي فعلنا تبين تماماً صدق عقيدته، وقوة شخصيته، وسلامة هدفه، فهو كان مخلصاً لمبدئه الذي عاش ومات من أجله، وهو نصرة آل البيت والأخذ بثأرهم».. [٢]، وعلى هذا النحو قال المستشرق الألماني فلهوزن [٣] :«فكان — المختار - شيعياً غيوراً».

وليس غريباً أن يرى البلاذري [٤] بأن المختار عثمانيٌّ، فسبق وأن ذكر رواية اتهم فيها الإمام الحسن (عليه السلام) بأنه عثماني، جاء فيها :«وقال عليٌّ لابنه الحسن، ورآه يوماً يتوضأ: أسبغ الوضوء، فقال — الحسن -: قد قتلتم أمس رجلاً كان يسبغ الوضوء، فقال عليٌّ: لقد أطال الله حزنك على عثمان»، وهي بدون شك رواية واهية موضوعة هدفها النيل من قدسية الإمامين علي والحسن (عليهما السلام)، لاسيما رواية البلاذري المتقدمة

---

١ - ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ص١١٧.

٢ - الريس، عبد الملك بن مروان، ص١٧٤ -١٧٥.

٣ - أحزاب المعارضة السياسية، ص١٩٨.

٤ - جمل من أنساب الأشراف، ج٣، ص٢٦٩ -٢٧٠.

الذكر التي تتهم الإمام الحسن (عليه السلام) بأنه عثماني، ولم يسبغ الوضوء، لم تقف عند هذا الحد فجعلت من الإمام عليٍّ (عليه السلام) قاتلاً لعثمان وعلى لسان الإمام الحسن (عليه السلام).

ولم يدخر طه حسين [١] في ذلك وسعاً فأطنب في الاستنتاج وكأنها من المسلمات التي لا تستحق تمحيصاً أو تدقيقاً فقال: «ولم يفارق الحسن حزنه على عثمان، فكان عثمانياً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، إلا أنه لم يسل سيفاً للثأر بعثمان، لأنه لم ير ذلك حقاً له، وربما غلا في عثمانيته حتى قال لأبيه ذات يوم ما لا يحب، فقد روى الرواة أن علياً مر بابنه الحسن وهو يتوضأ فقال له: أسبغ الوضوء. فأجابه الحسن بهذه الكلمة المُرّة: لقد قتلتم بالأمس رجلاً كان يسبغ الوضوء. فلم يزد عليٌّ على أن قال: لقد أطال الله حزنك على عثمان».

لكن طه حسين [٢] لم يكتف بالقول بأن الإمام الحسن (عليه السلام) كان عثمانياً بالمعنى الدقيق للكلمة فحسب، بل إنّه يرى أن معاوية قد غير سياسته في عهد الإمام الحسن (عليه السلام) لعلمه بعثمانية الحسن فقال: «وقد غير معاوية سياسته فجأة تغييراً تاماً، فأعرض عن العنف ومال إلى الرفق وأمعن فيه. وكأنه كان يعرف عثمانية الحسن وبغضه للفتنة وتحرجه من سفك الدماء،..»..

١ - الفتنة الكبرى، دار الجمال، بيروت، د. ت، ج٢، ص١٧٦ -١٧٧.

٢ - الفتنة الكبرى، ج٢، ص١٨١.

يتضح من خلال ما تقدم أنّ التهم توجه جزافاً إلى الآخرين فيتلقفها المؤرخون ويعولون عليها آراءهم واستنتاجاهم وكأها حقائق ثابتة في صدقها ووثاقتها، ومن يتهم الإمام علياً والإمام الحسن (عليهما السلام) بتلك التهم فمن اليسير عليه اهام من هو أقل شأناً ومنزلةً منهما مثل المختار دون أي عناء يذكر.

ويظهر أن كل من تناول قضية المختار بتأنٍ وموضوعية توصل إلى إنصافه من تلك الأقاويل، التي لا يستبعد أن تكون من وضع الأمويين والزبيريين الذين جرت بينهم وبين المختار الكثير من الحروب.

وقد يعود سبب اعتقاد بعض المؤرخين القدامى ومن تأثر هم من المحدثين بأن المختار كان عثمانياً أو أموياً أو مبغضاً للإمام عليٍّ (عليه السلام) على الرواية التي ذكرت أن المختار اقترح على عمه سعد بن مسعود والي المدائن بتسليم الإمام الحسن (عليه السلام) إلى معاوية والتي أوردها البلاذري[1] بالشكل الآتي: «وحمل الحسن إلى المدائن وعليها سعد بن مسعود عم المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان علي ولاه إياها فأدخلوه منزله فأشار عليه المختار أن يوثقه ويسير به إلى معاوية على أن يطعمه خراج جوخى سنة، فأبى ذلك وقال للمختار: قبح الله رأيك، أنا عامل أبيه وقد ائتمنني وشرفني، وهبني نسيت بلاء أبيه، أأنسى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ولا أحفظه في ابن ابنته وحبيبه. ثم إن سعد بن مسعود أتى الحسن بطبيب وقام

---

١ - جمل من أنساب الأشراف، ج٣، ص٢٨٣.

عليه حتى برئ»، وهذه الرواية غير مقبولة لا تصمد أمام البحث العلمي وسنناقشها في موضعها.[١]

ثانيا: المختار ومذهب الخوارج

ذهب بعض المؤرخين القدامى إلى القول بأن المختار كان خارجياً، وهو ما أشار إليه المبرد[٢] فقال: «وكان المختار لا يوقف له على مذهب كان خارجياً، ثم صار زبيرياً، ثم صار رافضياً في ظاهره»، وعلى ذلك سار كل من ابن عبد البر[٣]، والشهرستاني[٤]، ابن شاكر الكتبي[٥]، والمقريزي[٦]، وابن حجر العسقلاني[٧].

ومن الضروري أن نتطرق بإيجاز إلى الخوارج وكيفية ظهورهم على المسرح السياسي في تلك الحقبة التاريخية التي عاصرها المختار كي يتسنى لنا معرفة مدى صحة القول بأن المختار كان على مذهب الخوارج أو غير ذلك.

يبدو أنّ البذرة الأولى لظهور الخوارج ترجع إلى زمن الرسول (صلى

١ - ينظر من خلال البحث، ص٦٦ -٧٥.

٢ - الكامل في اللغة والأدب، ج٣، ص١٨٦.

٣ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (تحقيق: عادل مرشد)، ص٧١٦.

٤ - أبو الفتح محمد عبد الكريم (ت :٥٤٩هـ - ١٤٥١م)، الملل والنحل، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٦م، ص١٤٠.

٥ - محمد بن شاكر بن أحمد (ت: ٧٦٤هـ-١٣٦٢م)، فوات الوفيات الذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د. ت، مج٤، ص١٢٣.

٦ - إمتاع الأسماع، ج١٢، ص٢٤٩.

٧ - الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٢٧٦.

الله عليه واله وسلم) عندما أعترض أحد المسلمين، واسمه ذو الخويصرة التميمي[١] على قيام الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بتقسيم بعض الغنائم؛ حينها غضب الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وقال: «...سيكون له شيعة يتعمقون في الدين، حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية»..[٢]، ولذلك نجد أن الشهرستاني[٣] عند حديثه عن الخوارج قال: «وهم الذين أولهم ذو الخويصرة.»..، وعلى غرار ذلك وصف ابن الجوزي[٤] ذي الخويصرة بأنه: «هو أول خارجي في الإسلام».

وقد ذكر الإمام عليٌّ (عليه السلام) أنه سيقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، وعندما انتصر في النهروان على الخوارج، طلب من أنصاره أن يبحثوا عن رجل من بين القتلى مخدج اليد، فلما وجدوه كبر الإمام وسجد شكراً لله وقال: «والله ما كذبت ولا كُذبت..».[٥]، مما يدل على أن الرسول صلى الله عليه واله وسلم قد أخبر الإمام علياً (عليه السلام) بأنه سوف يقاتل المارقين، وسوف يكون من أمرهم ما كان وهو ما أشار إليه الإمام عليٌّ

---

١ - هو حرقوص بن زهير ذو الخويصرة التميمي أصل الخوارج، قتل يوم النهروان مع الخوارج. ينظر: ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٢، ص٢١٤ -٢١٥.

٢ - ابن هشام، السيرة النبوية، ص٦٥١ -٦٥٢.

٣ - الملل والنحل، ص١١٥.

٤ - جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ-١٢٠٠م)، تلبيس إبليس، دار ابن خلدون، الإسكندرية، د. ت، ص٨٨.

٥ - ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٥٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٥٨٥ -٦٣١.

(عليه السلام) يوم النهروان بقتله المخدج، وعدم عبورهم النهر.

وذكر أحد الباحثين: أن المؤرخين القدامى اعتقدوا أن ظهور الخوارج كان نتيجة لقبول الإمام عليٍّ (عليه السلام) بمبدأ التحكيم في أعقاب وقعة صفين، وتابعهم في ذلك المؤرخون المحدثون، وعلى الرغم من ذلك، فإنه يرى أن نشأة الخوارج يكتنفها الغموض، وتحيطها الشبهات. [١]

ويظهر أن الخوارج قد أدوا دوراً واضحاً ومهماً بعد وقعة صفين عام سبعة وثلاثين للهجرة[٢] التي دارت بين الإمام عليٍّ (عليه السلام) ومعه المسلمون من الأنصار والمهاجرين وأهل العراق من جهة، وبين أهل الشام يتزعمهم معاوية بن أبي سفيان من جهة أخرى، حيث كانت الحرب سجالاً، لكن في نهاية المطاف دارت الدائرة على معاوية وجنده، وكان النصر قاب قوسين أو أدنى من جيش الإمام عليٍّ (عليه السلام) لولا أن عمرو بن العاص - أهم قادة معاوية ومستشاريه - قد أشار على معاوية برفع المصاحف؛ ليوقع الخلاف في معسكر الإمام عليٍّ (عليه السلام)، ويظهر معاوية بمظهر الحريص على وحدة المسلمين وحقن دمائهم حين رفعوا المصاحف على أسنة الرماح وأخذوا ينادون من لثغور أهل الشام وثغور أهل العراق إذا فني أهل الشام وأهل العراق، هذا كتاب الله بيننا وبينكم[٣]،

---

١ - معروف، نايف، الخوارج في العصر الأموي، الطبعة السادسة، دار سبيل الرشاد، بيروت ٢٠٠٦م، ص١١.

٢ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٣٠.

٣ - الدينوري، الاخبار الطوال، ص١٧٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣١.

وأخذت تلك المكيدة مأخذها في معسكر جيش الإمام عليٍّ (عليه السلام) إلا أنها لم تنطل على الإمام عليٍّ (عليه السلام) والمخلصين من جيشه، وقد خاطب الإمام عليٌّ عليه السلام أولئك الذين انطلت عليهم تلك المكيدة قائلا: «ويحكم والله ما رفعوا لكم هذه المصاحف إلا خديعة ومكيدة، وهم لا يريدون الكتاب بل يريدون المكر والخداع»[1].

واختلف معسكر الإمام عليٍّ (عليه السلام) فيما بينهم فجاءه من أصحابه نحو عشرين الفاً مقنعين في الحديد، وسيوفهم على عواتقهم، فنادوه: «يا علي، أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت، وإلا قتلناك كما قتلنا عثمان»..[2].

وقد إضطر الإمام عليٌّ (عليه السلام) أن يرسل رسوله إلى الأشتر مرتين، وكان الأشتر على ميمنة الجيش في مذحج، وسعيد بن قيس في همدان، وقد أشرفوا على الدخول في معسكر معاوية، فقال الأشتر لرسول الإمام عليٍّ (عليه السلام): «ويحك أمهلني ساعة فإنّي قد قاربت الفتح، فقال له الرسول: أفتحب أن تظفر وأمير المؤمنين يقتل؟ فقال الأشتر: والله ما أحب ذلك. قال: فارجع فان القراء قد قالوا ابعث إلى الأشتر فليأتك وإلا قتلناك كما قتلنا عثمان»[3].

وعندما رجع الأشتر إلى الإمام علي (عليه السلام) توقف القتال بين

---

١ - المنقري، وقعة صفين، ص٢٣٥.

٢ - المنقري، وقعة صفين، ص٢٣٥ -٢٣٦.

٣ - المنقري، وقعة صفين، ص٢٣٨.

الطرفين، فاجتمع قراء أهل العراق وقراء أهل الشام بين العسكرين، واتفق هؤلاء على تحكيم حكمين، أحدهما يمثل الإمام علياً (عليه السلام) والآخر يمثل معاوية بن أبي سفيان، فقال أهل الشام قد رضينا بعمرو بن العاص، وقال قراء أهل العراق ومعهم الأشعث بن قيس قد رضينا بأبي موسى الأشعري.(١)

أعترض الإمام عليٌّ (عليه السلام) على اختيارهم لأبي موسى الأشعري، لعدم ثقته برأيه وبحزمه، وجعل الأمر إلى عبد الله بن العباس قال له الأشعث: لا يحكم فينا مضريان(٢)، فقال الإمام عليٌّ (عليه السلام): فأني أجعل ذلك إلى الأشتر، فقالوا له: وهل سعر الحرب إلا الأشتر، عند ذلك قال الإمام عليٌّ (عليه السلام) لهم: فان أبيتم إلا أبا موسى فاصنعوا ما أحببتم (٣).

وحضر عمرو بن العاص عند الإمام عليٍّ (عليه السلام) وكتبت وثيقة التحكيم بينهما، وشهد الشهود على وثيقة التحكيم، وأشترط على الحكمين «أن يحكما بما في كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته لا يتجاوزان ذلك، ولا يحيدان عنه إلى هوى ولا إدهان، وأخذ عليهما أغلظ العهود والمواثيق، فإن

---

١ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٧٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٤١٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٧٢.

٢ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٣١.

٣ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٧٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٧٢.

هما جاوزا بالحكم كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته فلا حكم لهما»[١]، ثم خرج الأشعث بن قيس ليقرأ الكتاب على الناس ولما وصل إلى طائفة من بني تميم، فيهم عروة بن أدية فقرأه عليهم، فقال عروة: تحكمون في أمر الله الرجال؟ لا حكم إلا لله، وشد بسيفه على الأشعث فأخطأه وضرب دابته، فغضب الأشعث وغضب له أهل اليمن، فسار إليه سادات تميم فقبل منهم وصفح[٢] وبعد ذلك رحل أهل الشام إلى شامهم وأهل العراق إلى عراقهم[٣].

ولما دخل الإمام عليٌّ (عليه السلام) الكوفة انحاز عنه أكثر من عشرة الاف من القراء وغيرهم إلى حروراء[٤]، أحدى قرى الكوفة، وسموا الحرورية لاجتماعهم فيها[٥]، وجرت عدة محاولات من الإمام عليٍّ (عليه السلام) لإرجاعهم إلى صفه، فقد بعث لهم بكتاب عندما أراد التوجه لقتال معاوية ختمه بقوله: «فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا فإنا سائرون إلى عدونا وعدوكم، ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه والسلام».[٦]

---

١ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٣١.

٢ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٧٩-١٨٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٦؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ص١١٦-١١٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٧٤.

٣ - المنقري، وقعة صفين، ص٢٤٨.

٤ - حروراء: وهي قرية بظاهر الكوفة، ويقال هي موضع على ميلين منها، نزل به الخوارج الذين خالفوا الإمام علياً عليه السلام فنسبوا إليها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٥.

٥ - البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٨٠.

٦ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٥١.

ولم تفلح كل تلك المحاولات وغيرها، وعلى الرغم من ذلك فقد قرر الإمام عليٌّ (عليه السلام) تركهم والتوجه إلى قتال معاوية، إلا أن الخوارج تمادوا أكثر من ذلك عندما قتلوا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وبقروا بطن أم ولده [١]، فقاتلهم الإمام (عليه السلام) في النهروان وهزمهم هزيمة منكرة [٢]، وعلى الرغم من أن الخوارج اختلفوا فيما بينهم في الكثير من الأمور، إلا أنهم أجمعوا على تكفير الإمام عليٍّ (عليه السلام)[٣].

وبعد هذا المدخل إلى الخوارج، لابد من مناقشة آراء بعض المؤرخين القدامى التي ذكرت: بأن المختار كان خارجياً، ويظهر من تلك الآراء أنها وردت دون وجود أي نص تاريخي يؤيد ما ذهبوا إليه بهذا الموضوع، فقد ذكروا تلك الروايات في سياق حديثهم بشكل عام دون التوقف أمامه أو ذكر حادثة تاريخية تؤيد ذلك، وأقدم نص بهذا الشأن رأي المبرد الذي لم يسنده إلى أي راوٍ أو مصدر تاريخي أو حادثة تاريخية تؤيد رأيه المتقدم وحتى المقريزي المتأخر ذكر رأي المبرد دون أن يعزز هذا الرأي بأي أدلة.

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٥٣.

٢ - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص١٤٠-١٤١؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٨٩-١٩٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٥٦-٥٨.

٣ - الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: ٣٢٤هـ - ٩٣٥م)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م، ج١، ص١٥٦؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٧٩؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ص١١٣-١١٧.

وربما اعتمد بعض المؤرخين على القول بأن المختار كان خارجياً، على مفهومهم للخارجي وتعريفهم له، فالشهرستاني[١] الذي يرى أن المختار خارجيٌّ، يعرف الخوارج بأنهم: «كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان»، إن هذا التعريف المتقدم يكتنفه التشويه والتضليل وهو من صناعة الفكر الأموي الذي أثر في كتابات المؤرخين بشكل كبير جداً، ومن الأمثلة على ذلك ما قاله ابن العربي[٢] في خضم دفاعه عن قيام يزيد بن معاوية (٦٠هـ-٦٤هـ) بقتل سبط الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) الإمام الحسين (عليه السلام): «وما خرج إليه إلا بتأويل، ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جده المهيمن على الرسل، المخبر بفساد الحال، المحذر من الدخول في الفتن»، والذي رد ابن خلدون[٣] عليه بالقول: «وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال في كتابه الذي سماه بالعواصم والقواصم ما معناه: أن الحسين قتل بشرع جده وهو غلط حملته عليه الغفلة عن أشتراط الإمام العادل ومن أعدل من الحسين في زمانه في إمامته وعدالته في قتال أهل الآراء».

---

١ - الملل والنحل، ص١١٣.

٢ - أبو بكر محمد بن عبد الله (ت:٥٤٣هـ - ١١٤٨م)، العواصم والقواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي، تحقيق: محب الدين الخطيب، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠م، ص٢٣٣-٢٣٤.

٣ - تاريخ ابن خلدون، ج١، ص٢٧١.

ولم يكن ابن العربي غافلاً عن ذلك، وإنما تغافل واتبع هواه حتى وصل به الأمر إلى الطعن بالرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وسنته والنيل من الإمام الحسين (عليه السلام).

وعند إعلان ابن الزبير الثورة على يزيد، أرسل الأخير له وفداً، أحدهم عبد الله بن عضاه [١]، فقال له عبد الله بن الزبير: «إنما أنا حمامة من حمام هذا المسجد، أفكنتم قاتلي حمامة من حمام المسجد؟! فقال ابن عضاه: يا غلام أتني بقوسي وأسهمي، فأتاه بذلك، فأخذ سهما فوضعه في كبد القوس ثم سدده لحمامة من حمام المسجد وقال: يا حمامة أيشرب يزيد الخمر؟ قولي نعم، فو الله لئن قلت لأقتلنك، يا حمامة أتخلعين أمير المؤمنين يزيد وتفارقين الجماعة وتقيمين بالحرم ليستحل بك، قولي نعم، فو الله لئن قلتي لأقتلنك. فقال ابن الزبير: ويحك يا بن عضاه أو يتكلم الطير؟ قال: لا ولكنك أنت تتكلم، وأنا اقسم بالله لتبايعن طائعاً أو كارهاً أو لتقتلن، ولئن أمرنا بقتالك ثم دخلت الكعبة لنهدمنها أو لنحرقنها عليك.».. [٢]

والذي يهمنا من هذه المناظرة بين ابن الزبير وابن عضاه، كيف أن الأخير أشار إلى أن الجماعة قد اتفقت على يزيد وأنه لا يحق لأحد أن يفرق الجماعة ويشق عصا المسلمين وأنّه لا يجوز الخروج على الإمام الحق الذي

---

١ - عبد الله بن عضاه الأشعري شهد مع معاوية صفين، وكان رسول يزيد بن معاوية لأخذ البيعة له من عبد الله بن الزبير. ينظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص١٥٤.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٢٥.

يمثله في ذلك الوقت يزيد بن معاوية حسب وجهة نظرهم.

وهكذا نجد كلاً من الذهبي، والسيوطي -على سبيل المثال- يعدان مروان ابن الحكم خارجاً وباغياً على ابن الزبير ولا تصح خلافته، بينما يعدان عبد الملك بن مروان خليفة بعد قتله عبد الله بن الزبير[١]، ومن الغريب أنّ عبد الملك ابن مروان الذي في نظرهم باغٍ وخارج على الإمام الحق، أصبح إماماً بقتله وصلبه عبد الله بن الزبير على أستار الكعبة، فصحت خلافته بعد ذلك.

وليس غريباً أن الأمويين قاموا بإلصاق العديد من التهم بأعدائهم والى كل من يقف بوجه سياستهم، لأجل قتلهم وتشريدهم والنيل منهم، وكذلك من أجل التمويه على الناس واستغفالهم، وقد أشارت المصادر التاريخية إلى الحوار الذي دار بين يزيد بن معاوية وبين رأس اليهود، عندما دخل على يزيد ووجد رأس الإمام الحسين (عليه السلام) بين يديه، فسأله لمن هذا الرأس، فقال: رأس خارجي خرج علينا في العراق، ولما قال له رأس اليهود من هذا الخارجي؟ قال له يزيد: هو الحسين بن علي (عليه السلام).[٢]

---

١ - محمد بن أحمد بن أحمد (ت: ٧٤٨هـ-١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب، بيروت، ١٩٩٠م، ج٦، ص١٣٣؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ-١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد أحمد عيسى، دار الغد الجديد، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٢٠٨، ٢١٠.

٢ - الراوندي، قطب الدين (ت: ٥٧٣هـ- ١١٧٧م)، الخرائج والجرائح، تحقيق: محمد باقر الموحد الأبطحي، مؤسسة الإمام المهدي، قم ١٤٠٩هـ، ج٢، ص٥٨١؛ العاملي، ابن حاتم جمال الدين يوسف (ت: ٦٦٤هـ- ١٢٦٥م)، الدر النظيم في مناقب الأئمة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، د. ت، ص٥٦٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٨٧.

ويبدو أن الأمويين لم يقفوا عند توجيه التهم لأعدائهم فحسب، بل وجهوها إلى كل من يعارض آراءهم بأنه من الخوارج، فقد ذكر ابن أبي الحديد كيف أن الوليد بن عبد الملك (٨٦هـ-٩٦هـ) اتهم عمر بن عبد العزيز (٩٩هـ-١٠١هـ) بأنه خارجي لمجرد أنه أبدى رأيه في رجل من الخوارج لعن الحجاج والأمويين، حيث قال عمر بن عبد العزيز: «هذا رجل يشتمكم، فأما أن تشتموه كما شتمكم، وإما أن تعفوا عنه، فغضب الوليد وقال لعمر: ما أظنك إلا خارجياً!...»..[1].

وتكمن خطورة هذا الاتهام لعمر بن عبد العزيز (٩٩هـ-١٠١هـ) أن صاحب شرطة الوليد بن عبد الملك قال لعمر: «لقد ضربت بيدي إلى قائم سيفي أنتظر متى يأمرني بضرب عنقك، قال: أو كنت فاعلاً لو أمرك؟ قال: نعم»[2].

و يتضح من خلال ما تقدم، أنّ اتهام الناس بأنهم خوارج هي أفكار قد روج لها الأمويون، واتهموا الناس بها، وتلقفتها أيدي الرواة والمؤرخين الذين تأثروا بمنهج بني أمية دون تدقيق أو تمحيص.

خلاصة هذا الأمر أنّ القول بأن المختار كان خارجياً أمر لا يؤيده أي نص تاريخي وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية ذكرت الكثير من رجال الخوارج لكن لم نجد أي مصدر ذكره ضمن هؤلاء.

---

١ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٩، ج١٧، ص٣١.

٢ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٩، ج١٧، ص٣٢.

ثالثا: المختار وولاؤه للزبيريين

ذكر بعض المؤرخين [١] : أن المختار كان زبيرياً، وهذا الرأي يحتاج إلى مناقشة وافية وذلك لعدة أسباب :

الأول : وردت تلك الروايات في كتب المؤرخين بهذا الشأن دون ذكر أي سند لها، وذكروها أثناء حديثهم عن المختار دون التوقف أمامها أو إيضاحها، وأورد بعض المؤرخين آراءهم وهم غير مطمئنين أو جازمين بصحتها، فنسبوا ذلك للمجهول بقولهم : يقال، والله أعلم، وأقدم رأي ذُكر بهذا الشأن هو رأي المبرد، والذي يبدو من خلاله أنه أكثر تحاملاً من غيره على المختار، فقد ذكر مع رأيه المتقدم أنه كان رافضياً في ظاهره، وكأنه أستكثر على المختار أن يكون رافضياً لأنه يعلم أن مصطلح الرفض يقصد به التشيع لأهل البيت (عليهم السلام)، فلم يلبث أن قال : في ظاهره، ويظهر من كلامه أنه مطلع على السرائر، حتى علم بأن المختار لم يكن رافضياً حقيقياً، وبينه وبين وفاة المختار أكثر من مئتي عام.

الأمر الثاني : أن ابن الزبير لم يكن صاحب مذهب، حتى يكون المختار على مذهبه، وهو أقرب ما يكون إلى مذهب العثمانية - السالف الذكر - وهو ما أشار إليه ابن الزبير عندما ناظره الخوارج، بعد حصار مكة الأول على

---

١ - المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج٣، ص ١٨٦؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (تحقيق : عادل مرشد)، ص٧١٦؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ص١٤٤؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، مج٤، ص١٢٣؛ المقريزي، أمتاع الأسماع، ج١٢، ص٢٤٩.

أثر وفاة يزيد عام أربع وستين للهجرة [١]، فقد أشهد من حضره أنه وليٌّ لابن عفان في الدنيا والآخرة، وولي لأوليائه، وعدو لأعدائه. [٢]

الأمر الثالث: على الرغم من أن المختار قاتل إلى جانب ابن الزبير أثناء حصار الأمويين لبيت الله الحرام في خلافة يزيد بن معاوية (٦٠هـ-٦٤هـ)، فهو ليس بالضرورة على رأيه، فقد ذكر الطبري [٣]: بسنده عن هشام بن محمد الكلبي: «وقدم عليه، يعني ابن الزبير، كل أهل المدينة، وقد قدم عليه نجدة بن عامر الحنفي في أناس من الخوارج يمنعون البيت»، وقاتلوا معه وهم ليسوا على رأيه، وذكر الطبري أيضاً بسنده عن أبي مخنف قول الخوارج: «فإن يكن على رأينا - أي عبد الله بن الزبير- جاهدنا معه العدو، وإن يكن على غير رأينا دافعنا عن البيت ما استطعنا».. [٤]، ولما عوتب ابن الزبير على قتال الخوارج معه قال: «لو شايعتني الترك والديلم على قتال أهل الشام لشايعتهم». [٥]

وحسب رواية البلاذري [٦] أنه قال: «لو أعانتني الشياطين على أهل الشام لقاتلتهم بهم» وهذا يوضح أن ابن الزبير قد استعان بالكثير من الناس في

١ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٦٣.

٢ - ينظر: المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج٣، ص١٩٦ - ١٩٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٨١-٣٨٢.

٣ - تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٣٧.

٤ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٨١.

٥ - المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج٥، ص١٩٩.

٦ - جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٦٠.

قتال الأمويين، وهو على علم بأنهم ليسوا على رأيه، فكل ما كان يعنيه هو تحقيق النصر على الأمويين.

وذكر ابن سعد (١) بسنده عن الواقدي: «قاتل مع ابن الزبير، المسور بن مخرمة (٢)، وأمده بالسلاح، وقاتل معه مواليه، وهم كهول من الفرس، فقتلوا عدداً من أهل الشام».

وروي أن الأحباش قاتلوا أهل الشام مع ابن الزبير فقد ذكر البلاذري (٣) بسنده عن المدائني: «أرسل النجاشي جماعة من الحبش للدفاع عن الكعبة وأعان أبن الزبير بهم، فضمهم إلى أخيه مصعب بن الزبير فكانوا يقاتلون معه...»، وربما هذه الرواية في قتال الأحباش مع ابن الزبير تفتقر إلى الدقة والموضوعية، لكن البلاذري لا يستغرب قتال الأحباش مع ابن الزبير وهم قطعاً أبعد من المختار وغيره من العرب في صلتهم ببيت الله وهؤلاء الأحباش من المؤكد أنهم ليسوا على رأي ابن الزبير.

ويتضح من خلال ما تقدم أنّ الكثير قاتلوا مع ابن الزبير أثناء حصار الأمويين الأول للكعبة، بدوافع وأهداف متعددة، كان من أهمها الدفاع عن

---

١ - الطبقات، ج٦، ص٥٢٨-٥٢٩.

٢ - هو المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، ويكنى أبا عبد الرحمن، وأمه عاتكة بنت عوف وهي أخت عبد الرحمن بن عوف، ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين، وتوفي فيها يوم جاء نعي يزيد بن معاوية سنة أربع وستين للهجرة. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٥٢١-٥٣٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٩٠-٣٩٤.

٣ - جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٦٢.

بيت الله الحرام لمكانته المقدسة عند المسلمين، وفضلاً عن هذا الهدف فلدى المختار هدف آخر هو عداؤه للأمويين، وهذا ما أشار إليه إبراهيم بيضون [١] عندما ذكر الذين قاتلوا مع ابن الزبير فقال: «والمختار الثقفي، الذي كان منفياً من الكوفة، ووجد في ابن الزبير حليفاً ضد العدو الأموي المشترك».

ويبدو أن المختار وجد الفرصة سانحة في ضوء تلك الظروف التي يمر بها المسلمون في الدفاع عن الكعبة، فأدى دوراً بطولياً مشرفاً، أعترف به معاصروه فقال ابن الزبير: «ما أبالي إذا قاتل معي المختار من لقيت فأني لم أر أشجع منه قط».. [٢].

ومن الطبيعي أن يكون شخصٌ مثل المختار يتميز بصفات عديدة ويشار إليه بالبنان، طموحاً ويسعى إلى تغيير الواقع الإسلامي في تلك المرحلة، فكان المختار على الرغم من نزعة الطائف الأموية، يتزعم الفئة التي عاشت بين الحياد والمعارضة في تلك الحقبة التاريخية. [٣] فوجد في الدفاع عن الكعبة، والوقوف إلى جانب ابن الزبير في ذلك الوقت هو قراراً صائباً، وهذا ما يفسر عدم بقائه مع ابن الزبير بعد تلك المرحلة.

رابعا: المختار والكيسانية

اختلف المؤرخون القدامى في تحديد تعريفهم للكيسانية، ومن هو

---

١ - الحجاز والدولة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٥م، ص٣٤١.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٦٠.

٣ - بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية، ص٣٤٢.

كيسان، فأثناء حديث ابن قتيبة[١] وأبـن عبـد ربـه الأندلـسي[٢] والبغـدادي[٣] وابن حزم[٤] وسبط بن الجوزي[٥] عن الكيسانية قالوا: «هؤلاء أتبـاع المختـار ابن أبي عبيد».

أما ابن منظور: [٦] فيرى أن: «الكيسانية صنف من الروافض أصـحاب المختار بن أبي عبيد»،

بينما يرى الشهرستاني [٧] عندما تحدث عن المختارية فقـال: «أصـحاب المختار بـن أبي عبيـد الثقفـي، كـان خارجيـاً، ثم صـار زبيريـاً، ثم صـار شـيعياً وكيسانياً»..

والكيسانية حسب رأي البغدادي [٨] وغيره: هي مجموعة فـرق يجمعهـم القول بإمامة محمد ابن الحنفية ويقولون بجواز البداء [٩] على الله وسميـت نـسبة

---

١ - المعارف، ص٦٢٢

٢ - العقد الفريد، ج٢، ص٣٨٤.

٣ - الفرق بين الفرق، ص٤٦

٤ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: يوسف البقاعي، دار إحياء التراث العـربي، بـيروت، ٢٠٠٢م، ج٣، ص١٢.

٥ - تذكرة الخواص، ص٢٩٣

٦ - لسان العرب، ج٤، ص٣٥١٤.

٧ - الملل والنحل، ص١٤٤

٨ - ينظر: البغدادي، الفـرق بـين الفـرق، ص٤٦؛ الـشهرستاني، الملـل والنحـل، ص١٤٣-١٤٧؛ العكيدي، علي فرعـون، محمـد ابـن الحنفيـة ودوره في الحيـاة الفكريـة والـسياسية، دار الـشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٧م، ص٩٦-١١٠.

٩ - ينظر: في معنى البداء من خلال البحث، ص٥٣-٥٦.

إلى اسم كيسان مؤسس هذه الفرقة، وعلى الرغم من هذه الصلة بين اسم هذه الفرقة ومؤسسها، فقد اختلف المؤرخون في تحديد هوية كيسان، فالبلاذري[١] يجزم بأن أبا عمرة صاحب حرس المختار هو كيسان فقال: «وولي حرسه كيسان مولى عُرينة، ويكنى أبا عمرة، وهو صاحب الكيسانية»، ولا يرى النوبختي[٢] فرقاً بين الكيسانية والمختارية، مضيفاً أنّ محمد ابن الحنفية هو من طلب من المختار طلب قتلة الحسين وتنفيذ القصاص بهم وسماه كيسان لكياسته ولما عُرف من قيامه ومذهبه فيهم، لكنه يعزو في موضع آخر سبب تسميته بكيسان إلى صاحب شرطته فيقول: «وإنما لُقب المختار كيسان بصاحب شرطته المكنى بأبي عمرة كان اسمه كيسان»..[٣]

ويرى الأشعري[٤] سبب تسميتهم بالكيسانية فيقول: «وإنما سموا كيسانية لأن المختار الذي خرج وطلب بدم الحسين بن علي ودعا إلى محمد ابن الحنفية كان يقال له كيسان، ويقال: إنه مولى لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليه»، وأثناء حديث ابن عبد ربه الأندلسي[٥] عن فرق الشيعة قال: «من الروافض الكيسانية؟ قلت: وهم أصحاب المختار بن أبي عبيد، ويقولون إنّ اسمه كيسان».

---

١ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٩٥.

٢ - فرق الشيعة، ص٢٤.

٣ - فرق الشيعة، ص٢٠-٢١.

٤ - مقالات الإسلاميين، ج١، ص٨٩ -٩٠.

٥ - العقد الفريد، ج٢، ص٣٨٤.

وعند حديث كلٍّ من الكشي والطوسي[1] عن المختار والكيسانية قالا: «والمختار هو الذي دعا الناس إلى محمد بن علي بن أبي طالب ابن الحنفية وسموا الكيسانية، وهم المختارية، وكان لقبه كيسان، ولقب بكيسان لصاحب شرطته المكنى أبا عمرة وكان اسمه كيسان، وقيل إنّه سمي كيسان بكيسان مولى علي بن أبي طالب (عليه السلام)».

بينما نجد الأمر أكثر اختلافاً وغموضاً عند المسعودي [2] فيقول: «وإنما سموا بالكيسانية لإضافتهم إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان اسمه كيسان، ويكنى أبا عمرة، وأن علي بن أبي طالب سماه بذلك، ومنهم من رأى أن كيسان أبا عمرة هو غير المختار».

وعندما يروي المسعودي[3] ما جرى بين المختار ومصعب فيقول: «والمختار معه خلق كثير من الشيعة قد سموا الخشبية من الكيسانية وغيرهم... فكان جملة من أدركه الإحصاء ممن قتله مصعب مع المختار سبعة آلاف رجل، كل هؤلاء طالبون بدم الحسين، وقتلة أعدائه، فقتلهم مصعب، وسماهم الخشبية.»..

ويرى النعمان المغربي[4] أنما«سموا الكيسانية بكيسان رئيسهم، وكان فيما قيل مولى لعليٍّ عليه السلام، وكان مع المختار يتتبع قتلة الحسين عليه السلام».

١ - رجال الكشي، ص٩٩؛ اختيار معرفة الرجال، ج١، ص٣٤٢.

٢ - مروج الذهب، ج٣، ص٩٣-٩٤.

٣ - مروج الذهب، ج٣، ص١١٦-١١٧.

٤ - شرح الأخبار، ج٣، ص٣١٥.

بينما قال البغدادي[١] أثناء حديثه عن الكيسانية :«وكان المختار يقال له : كيسان، وقيل : إنّه اخذ مقالته عن مولى لعليٍّ رضي الله عنه كان اسمه كيسان».

وعندما ذكر الشهرستاني[٢] الكيسانية قال :«أصحاب كيسان، مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقيل تلميذ للسيد محمد ابن الحنفية رضي الله عنه.»..

في حين يرى الصفدي[٣] : أن«الكيسانية فرقة من الرافضة منسوبة إلى كيسان مولى عليٍّ رضي الله عنه أخذ العلوم من السيد محمد ابن الحنفية وقرأ عليه وأقتبس الأسرار منه.»..

وقال ابن خلدون[٤] : الكيسانية نسبة إلى كيسان مولى الإمام عليٍّ (عليه السلام)، أما المجلسي[٥] فذكر :«الكيسانية وهم أصحاب المختار، وإنما سميت بهذا الاسم لأن المختار كان اسمه أولاً كيسان، وقيل : إنّه سمي بهذا الاسم لأن أباه حمله وهو صغير، فوضعه بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام قالوا : فمسح يده على رأسه وقال : كيس كيس، فلزمه هذا الاسم، وزعمت فرقة منهم أن محمد بن علي استعمل المختار على العراقيين بعد قتل

١ - الفرق بين الفرق، ص٤٦.

٢ - الملل والنحل، ص١٤٤.

٣ - الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص٢٨٧.

٤ - تاريخ ابن خلدون، ج ١، ص٢٤٨.

٥ - بحار الأنوار، ج٣٧، ص١.

الحسين (عليه السلام)، أمره بالطلب بثاراته، وسماه كيسان لما عرف من قيامه ومذهبه.»..

ويتبين من خلال ما تقدم، أنّ شخصية كيسان التي نسب إليه تأسيس الكيسانية، هو شخصية غامضة لم يتفق المؤرخون على تحديد هويته، التي يمكن أن نجملها بما يلي:

١ - مولى الإمام عليٍّ (عليه السلام) الذي أستشهد في صفين سنة سبع وثلاثين للهجرة [١].

٢ - المختار بن أبي عبيد، واختلفوا في سبب تسميته بذلك.

٣ - تلميذ محمد ابن الحنفية (رضي الله عنه).

٤ - أبو عمرة صاحب شرطة المختار.

وهذا الاختلاف مدعاة للشك والتساؤل في مدى صحة علاقة المختار بالكيسانية لاسيما إذا علمنا أن هناك علاقة واضحة بين مؤسس الكيسانية واسم كيسان، وهذا ما نلاحظه من خلال إصرار قسم من المؤرخين على إضافة اسم أو لقب كيسان إلى المختار من أجل خلق مبرر منطقي بين المختار والكيسانية، ولا يستغرب أن هناك عدم دقة في تلك المعلومات المتعلقة بالكيسانية، فهم ينسبون تأسيسها إلى كيسان مولى الإمام عليٍّ (عليهم السلام) وهو المستشهد يوم صفين سنة ٣٧هـ [٢] أي أنه متوفى قبل الادعاء

---

١ - ينظر: المنقري، وقعة صفين، ص١١٧ -١١٨.

٢ - المصدر السابق.

بتأسيس الكيسانية بما يقارب ثلاثين سنة.

ومن خلال ما تقدم يمكن القول إن اسم كيسان الذي ألصق بالمختار، كان اسماً لصاحب شرطة المختار المكنى بأبي عمرة، الذي كان له اليد الطولى في الكوفة بعد قيام ثورة المختار في الاقتصاص من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) فقد ذكر الدينوري [١] عندما تحدث عن غلبة المختار على الكوفة قال: «وولى الشرطة كيسان أبا عمرة، وأمره أن يجمع الف رجل من الفعلة بالمعاول، وتتبع دور من خرج لقتال الحسين بن علي فيهدمها. وكان أبو عمرة بذلك عارفاً.».. وقال عنه الكشي: [٢]«وكان صاحب سره والغالب على أمره وكان لا يبلغه عن رجل من أعداء الحسين (عليه السلام) أنّه في دار أو موضع إلا قصده وهدم الدار بأسرها.»..

الأمر الثاني الذي اعتمد عليه المؤرخون في صلة المختار بالكيسانية هي أنّها دعت إلى إمامة محمد ابن الحنفية، ومادام المختار قد دعا الناس إلى محمد ابن الحنفية فهم يرون من الطبيعي أن يكون كيسانياً، وهذا ما ذهب إليه البغدادي [٣] فيقول: «وافترقت الكيسانية فرقاً يجمعها شيئان: أحدهما قولهما بإمامة محمد ابن الحنفية واليه يدعو المختار بن أبي عبيد».

وعلق السيد الخوئي [٤] على القول بأنّ المختار دعا بالإمامة إلى محمد

١ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٦٨.

٢ - رجال الكشي، ص٩٩.

٣ - الفرق بين الفرق، ص٤٦.

٤ - معجم رجال الحديث، ج١٩، ص١١٠.

ابن الحنفية فيقول: «وهذا القول باطل جزماً، فإنّ محمد ابن الحنفية لم يدع الإمامة لنفسه حتى يدعو المختار الناس إليه، وقد قتل المختار ومحمد ابن الحنفية حي، وإنما حدثت الكيسانية بعد وفاة محمد ابن الحنفية».

بيد أن المختار قد استند في شرعية ثورته إلى محمد ابن الحنفية وهذا لا يخفى على احد، فكان المختار يقول: جئت من قبل محمد ابن الحنفية، وذلك لعلمه بمكانته عند الشيعة، وعرض نفسه بوصفه شخصية سياسية، وكان تأييد محمد ابن الحنفية للمختار من المرتكزات الأساسية لنجاح ثورته، فلم يلتف الشيعة حوله ولم يجمعهم إلا بعد أن ذهب وفد من أهل الكوفة يترأسه رجل وصف بأنه عظيم الشرف (١)، فالتقى الوفد بمحمد ابن الحنفية، وبعد أن بينوا له الأمر، قال لهم: فو الله لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه، فخرجوا من عنده وهم يقولون قد أذن لنا، ولما وصلوا إلى الكوفة قالوا للمختار: قد أمرنا بنصرتك، حينها كبر المختار، وأمر بجمع الشيعة له. (٢)

يتضح من خلال ذلك أن تأييد محمد ابن الحنفية لثورة المختار أعطى

---

١ - كان رئيس الوفد عبد الرحمن بن شريح ومعه سعيد بن منقذ الثوري، وسعر بن أبي سعر الحنفي، والأسود بن جراد الكندي، وقدامه بن مالك الجشمي. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٨-٣٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٣٩؛ ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص٩٤.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٨-٤٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٣٩-٦٤٠.

الصفة الشرعية لها، بل يرى ابن نما الحلي[1] أن هذا التأييد بتخويل من الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) لعمه محمد ابن الحنفية في قضية الأخذ بالثأر وقوله له: «يا عم لو أن عبداً زنجياً تعصب لنا أهل البيت، لوجب على الناس مؤازرته، وقد وليتك هذا الأمر فاصنع ما شئت».

وفي ظل الظروف المعقدة في ذلك الوقت ليس غريباً أن ينأى الإمام زين العابدين (عليه السلام) بنفسه عن الأمور السياسية والعسكرية ويتجنب الخوض في غمارها بشكل علني، ويرى السيد المقرم[2] في دعوة المختار لمحمد ابن الحنفية «هو ضرب من التدبير وتمويه في السياسة يقصد به تنزيه مقام السجاد (عليه السلام) من كل ثورة ضد سلطان الضلال، وحفظاً لشخص الإمامة أن تناله يد السوء والبغضاء.»..

ويرى صفاء الخطيب[3]: «أن الوضع السياسي كان يقتضي التكتم على إمامة الإمام زين العابدين (عليه السلام) خوفاً على دمه من شرار الخلق، فلذلك عندما تصدى محمد ابن الحنفية للزعامة الشيعية في تلك الظروف الحرجة، تصوره البعض إماماً مفترض الطاعة.»..

وليس بالأمر الهيّن أن يحصل المختار على تأييد وموافقة شخص بمكانة وهيبة محمد ابن الحنفية، صاحب المنزلة الكبيرة عند المسلمين، ولمكانته عند

---

١ - ذوب النضار، ص٩٧.

٢ - تنزيه المختار، ص١٧.

٣ - دولة المختار الثقفي، ص٥٢٧.

الإمام عليٍّ (عليه السلام)، وقربه من أخويه الحسن والحسين (عليهما السلام) وهو ما يفسر قوله: «أني لو أردت القتال لوجدت الناس إلي سراعاً، والأعوان لي كثيراً».. [١] فكان له لواء يحج أصحابه في ظله [٢] مما يدل على تلك المكانة الرفيعة له عند المسلمين. فكان من أهم عوامل نجاح ثورة المختار هو تأييد محمد ابن الحنفية لها، وثورته ليست ببعيدة عن ثورة أهل المدينة، والتي تعزى الهزيمة فيها لعدم حصولها على تأييد البيت العلوي. [٣]

أما قول المختار إنّ محمد ابن الحنفية هو المهدي، فلم يكن ذلك من قبل المختار وحده، فقد ذكر ابن سعد [٤] في طبقاته أنه: «كانوا يسلمون على محمد بن علي: سلام عليك يا مهدي. فقال: أجل أنا مهدي أهدي إلى الرشد والخير، اسمي أسم نبي الله وكنيتي كنية نبي الله،...»..

الأمر الثالث: الذي استند إليه البعض في إلصاق الكيسانية بالمختار قوله بالبداء، وهم يشيرون بذلك إلى المعركة التي حدثت بين المختار بن أبي عبيد وجيش مصعب بن الزبير في حروراء، تلك المعركة التي خسر فيها المختار وأصحابه أمام جيش مصعب، فذكروا أن المختار قال له بعض أصحابه بعد

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٨.

٢ - وقف في سنة ثمان وستين أربعة ألوية للحج، لواء لمحمد ابن الحنفية، ولواء عبد الله بن الزبير وأصحابه، ولواء لبني أمية، ولواء لنجدة الحروري. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٢٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٧٠٦.

٣ - عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي، ص٨٨.

٤ - الطبقات، ج٧، ص٩٦.

أن خسر المعركة: ألم تكن وعدتنا الظفر وإنا سنهزمهم؟ فقال: أما قرأت كتاب الله تعالى: {يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [١] [٢] وهذا الأمر يجانب الحقيقة لسببين:

الأول: أنّ هذا القول الذي نسب للمختار، ذكره الطبري بسنده عن أبي مخنف ونسبه إلى أحد أصحاب المختار فقال: «أن عبد الله بن نوف خرج من بيت هند بنت المتكلفة [٣] حين خرج الناس إلى حروراء، وهو يقول: يوم الأربعاء، ترفعت السماء، ونزل القضاء، بهزيمة الأعداء. فاخرجوا على اسم الله إلى حروراء. فخرج، فلما التقى الناس للقتال، ضرب على وجهه ضربة، ورجع الناس منهزمين، ولقيه عبد الله بن شريك النهدي، وقد سمع مقالته، فقال له: ألم تزعم لنا يا بن نوف أنا سنهزمهم؟ قال: أو ما قرأت في كتاب الله {يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [٤]» [٥]

ويبدو أن رواية الطبري أكثر دقة من غيرها، وذلك للأسباب التالية:

---

١ - سورة الرعد، الاية ٣٩.

٢ - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٨٩؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٨٦.

٣ - هند بنت المتكلفة الناعطية، كان يجتمع إليها كل غالٍ من الشيعة، فيتحدث في بيتها وفي بيت ليلى بنت قمامة المزنية، حتى وصل خبرهما إلى محمد ابن الحنفية. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٠٣؛ التستري، محمد تقي، قاموس الرجال، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٢٥هـ، ج١٢، ص٣٥١.

٤ - سورة الرعد، الآية ٣٩.

٥ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٠٣-١٠٤.

(١) أن الطبري أورد روايته مسندة في حين أورد ابـن أعـثم وابـن الأثـير روايتهما دون إسناد.

(٢) حددت الرواية اليوم الذي وقعت فيه المعركة.

(٣) أوردت الرواية اسم الشخص الذي تسائل عن النصر في المعركة.

(٤) ورد في رواية الطبري أنّ الذي تنبأ بالنصر هـو عبـد الله بـن نـوف، والتي أشارت الشواهد التاريخية أنـه يفعـل أمـوراً دون علـم المختـار مما جعـل المختار يتبرأ منه [١]

(٥) ومما يرجح رواية الطبري كذلك، أن الجواب«أو ما قرأت في كتاب الله» ورد بصيغة المفرد مما يدل على أن الذي تسائل كان شخـصاً واحـداً كمـا أورده الطبري.

يتضح مما تقدم أن الذي تنبأ بالنصر في المعركة التي هُزم فيها المختار أمام جيش مصعب هو عبد الله بن نوف ولما سُئل عـن ذلـك النـصر أجـاب بـذكر قوله تعالى {يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [٢]. ولم يكن القـول المتقدم للمختار حسب رواية الطبري التي أشرنا إليها

السبب الثاني: هو قضية البـداء نفـسه، فالبـداء لغـةً يعـني الظهـور، مـن قولهم: بدا الشيء، أي ظهر لي [٣]، أما اصطلاحاً فيعرفه الشريف المرتـضى:

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص ٨٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج٥، ص٥٣.

٢ - سورة الرعد، الآية ٣٩.

٣ - الرازي، مختار الصحاح، ص٣١؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٢٤٨.

«هو الأمر بالفعل الواحد بعد النهي عنه، أو النهي عنه بعد الأمر به مع اتحاد الوقت والوجه والآمر والمأمور» [١]، وكذلك يعرفه الحلبي [٢] بالقول: « والبداء هو النهي عن نفس ما وقع به الأمر به أو الأمر بنفس ما حصل النهي عنه، وإنما يكون كذلك بأن يكون ما تعلق به النهي والأمر واحداً، والمأمور والمنهي واحداً، والوقت والوجه واحداً.»..

وروى الكليني [٣] بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما عظم الله بمثل البداء»، ويرى الشيخ الصدوق [٤] في باب الاعتقاد في البداء فيقول: «إنّ اليهود قالوا إنّ الله قد فرغ من الأمر.قلنا: بل هو تعالى كل يوم هو في شأن، لا يشغله شأن عن شأن، يحي ويميت، ويخلق ويرزق، ويفعل ما يشاء. وقلنا: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ }[٥]، وأنه لا يمحوا إلا ما كان، ولا يثبت إلا ما لم يكن. وهذا ليس ببداء كما قالت اليهود وإتباعهم فنسبتنا اليهود في ذلك إلى القول بالبداء، وتابعهم على ذلك من

---

١ - الشريف المرتضى، علي بن الحسين (ت:٤٣٦هـ-١٠٤٤م)، رسائل المرتضى، قدم له: أحمد الحسيني، دار القرآن الكريم، قم ١٤٠٥ هـ، ج٢، ص٢٦٤.

٢ - أبو الصلاح (ت:٤٤٧هـ-١٠٥٥م)، الكافي في الفقه، تحقيق: رضا أستادي، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، أصفهان، د. ت، ص٨٠.

٣ - محمد بن يعقوب (ت:٣٢٩هـ-٩٤٠م)، أصول الكافي، علق عليه: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثالثة، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٨٨هـ، ص١٤٦.

٤ - محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت:٣٨١هـ-٩٩١م)، الاعتقادات في دين الامامية، تحقيق: عصام عبد السيد، الطبعة الثانية، دار المفيد، بيروت، ١٩٩٣م، ص٤٠.

٥ - سورة الرعد، الآية ٣٩.

خالفنا من الأهواء المختلفة».

ويتضح من قول الشيخ الصدوق الآنف الذكر، أن هناك بعض الفرق التي تختلف في الأهواء عن الإمامية تتهمهم بالبداء.

ويؤكد الشهرستاني [١] أن للبداء الكثير من المعاني، منه البداء في العلم، والبداء في الإرادة والبداء في الأمر، وان هناك تداخلاً بين النسخ والبداء، وهو يرى بأنّ المختار: «كان لا يفرق بين النسخ والبداء، قال: إذا جاز النسخ في الأحكام، جاز البداء في الإخبار».

ويبدو من خلال ذلك أن البداء من المسائل العقائدية المختلف عليها بين المذاهب الإسلامية، بحيث يصف صاحب الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل البداء بأنه: «أحد البحوث العويصة بين الشيعة والسنة»[٢].

يقول أحد الباحثين[٣]: «إنّ من العقائد الثابتة عند الشيعة الإمامية، هو القول بالبداء، ومن الكلمات الدارجة بين علمائهم أن النسخ والبداء صنوان[٤]، غير أن الأول في التشريع والثاني في التكوين» ويرى الباحث نفسه

---

١ - الملل والنحل، ص١٤٥.

٢ - الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الطبعة الثانية، دار الأميرة، بيروت، ٢٠٠٩م، ج٧، ص٤٢٧.

٣ - السبحاني، جعفر، أضواء على عقائد الشيعة الامامية، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، قم ١٤٢١هـ، ص٤٢٧.

٤ - صنوان: وتعني أن أصلهما واحد، عم الرجل صنو أبيه، ويقال فلان صنو فلان أي أخوه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٢٢٥٠.

أثناء حديثه عن الكيسانية: «أنّ القول بالبداء ليس من عقائد هذه الطائفة وإنما هو عقيدة إسلامية جاء بها القران الكريم ونصت به السنة النبوية ولو فسرت على وجه صحيح لعلم أن المسلمين باجمعهم متفقون على القول به»[١]. وبيّن أحد الباحثين[٢] التداخل بين البداء والناسخ والمنسوخ فقال: «إنّ القول بالبداء هو المقالة الوحيدة التي نستطيع بهديها أن نفسر لك الناسخ والمنسوخ في القران، كالحكمة فيما ورد من تحريم الخمر، وكيف تدرج ذلك التحريم في صورة مراحل ليعالج سبحانه بذلك اعوجاج النفس البشرية.».، ويرى السيد الخوئي[٣] أن«القول بالبداء: هو الاعتراف الصريح بأن العالم تحت سلطان الله وقدرته في حدوثه وبقائه، وأنّ إرادة الله نافذة في الأشياء أزلاً وأبداً، بل وفي القول بالبداء يتضح الفارق بين العلم الإلهي وبين علم المخلوقين.... والقول بالبداء يوجب انقطاع العبد إلى الله وطلبه إجابة دعائه منه وكفاية مهماته، وتوفيقه للطاعة، وإبعاده عن المعصية، فإن إنكار البداء والالتزام بأن ما جرى به قلم التقدير كائن لا محالة دون استثناء يلزمه يأس المعتقد بهذه العقيدة عن إجابة دعائه»..

ويبدو أن قول المختار بالبداء لم يكن دقيقاً، فبالإضافة لاختلاف

١ - السبحاني، جعفر، بحوث في الملل والنحل دراسة موضوعية مقارنة للمذاهب الإسلامية، الطبعة الثانية، مؤسسة الإمام الصادق، قم ١٤٢٣هـ، ج٧، ص٣٣.

٢ - المظفر، محمد رضا، عقائد الأمامية، قدم له: حامد حفني داود، مؤسسة الأنصار، قم، د. ت، ص٢٦.

٣ - أبو القاسم الموسوي، البيان في تفسير القرآن، الطبعة الثانية، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، قم، ٢٠٠٧م، ج٥٠، ص٣٩٠-٣٩١.

الروايات في القول الآنف الذكر أهو قوله أم قول أحد أصحابه عبد الله بن نوف، فإن سلمنا بأنّ القول هو للمختار فقضية البداء وكما أشرنا هي من القضايا العقائدية المختلف عليها وقول المختار بالبداء كان من ضمن ما يعتقده الشيعة الإمامية في المسائل العقائدية.

وبعد أن استعرضنا علاقة المختار بالكيسانية من خلال اسم كيسان، والدعوة بالإمامة إلى محمد ابن الحنفية والقول بالبداء، وما ورد فيهما من اختلاف وتناقض بين المؤرخين، إضافة إلى أن تلك الروايات وردت دون إسناد، نجد هناك ما يدل على عدم دقة تلك الروايات لدى المؤرخين والتي ينسبونها إلى المجهول فذكروا: يقولون، وقيل، ويقال.

زيادة على ذلك فإن هناك غموضاً وتداخلاً في روايات المؤرخين في تحديد من هم المقصودون بالكيسانية، فيرى النوبختي [١]: أن الكيسانية هم أنفسهم المختارية، في حين يقول ابن حزم [٢] عندما ذكر الكيسانية: «وهم أصحاب المختار بن أبي عبيد، وهم عندنا شعبة من الزيدية.».، وحين ذكر الشهرستاني [٣] المختارية قال: إنها إحدى فرق الكيسانية، أما المسعودي [٤] فيذكر أن الذين قاتلوا مع المختار خلق كثير من الشيعة قد سموا الخشبية من الكيسانية وغيرهم، ثم ذكر بعد ذلك: أن مصعباً قتل سبعة الاف من أصحاب

---

١ - فرق الشيعة، ص٢٤.

٢ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٣، ص٩٧

٣ - الملل والنحل، ص١٤٤.

٤ - مروج الذهب، ج٣، ص١١٦، ١١٧.

المختار، وسماهم الخشبية، في الوقت نفسه ذهب البلاذري[1] إلى القول: إنّ عبد الله بن الزبير هو من سمى أصحاب المختار بالخشبية، وذلك عندما بعثهم المختار لنصرة محمد ابن الحنفية وأهل بيته وأصحابه، حين سجنهم ابن الزبير وأعد الحطب لإحراقهم، فجاء هؤلاء، وكسروا السجن وأخرجوهم منه وهم ينادون يالثارات الحسين فقال ابن الزبير: واعجباً لهذه الخشبية، ينعون الحسين كأني أنا قاتله... وقيل: لهم: خشبية؛ لأنهم دخلوا مكة وبأيديهم الخشب، كراهة إشهار السيوف في الحرم، أو لأنهم وثبوا على الخشب الذي كان ابن الزبير جمعه حول زمزم لإحراق ابن الحنفية وأصحابه، فأخذ كل امرئ منهم بيده خشبة من ذلك الحطب الذي أعده ابن الزبير[2].

وحسب هذه الروايات أن أصحاب المختار لهم أكثر من مسمى فقد وردت الكيسانية والمختارية والخشبية، وجعلهم ابن حزم شعبة من الزيدية، وهذا التداخل والاختلاف بين روايات بعض المؤرخين يثير الكثير من الشكوك، فقول المسعودي: إنّ مع المختار خلقاً كثيراً من الشيعة قد سموا الخشبية من الكيسانية وغيرهم، أشارة إلى أن هناك من أصحاب المختار هم من غير الكيسانية. وإن صح قول ابن حزم أنهم شعبة من الزيدية، يدل على أن الكيسانية حدثت بعد وفاة المختار بمدة ليست بالقصيرة، وأحصى الأشعري فرق الكيسانية إحدى عشرة فرقة، تسع فرق منها اختلفوا في وفاة

---

١ - جمل من أنساب الأشراف، ج٣، ص٤٦٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٧٠.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٣، ص٤٦٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٧٠.

محمد ابن الحنفية ووصيته[١] وهذا يعضد رأي السيد الخوئي[٢]: أن الكيسانية حدثت بعد وفاة محمد ابن الحنفية، وقد قتل المختار بن أبي عبيد ومحمد ابن الحنفية على قيد الحياة، وإن لم يصح قول ابن حزم فهو يوضح مدى الاختلاف والتناقض بين روايات المؤرخين في بعض النصوص التاريخية بشأن المختار.

ولا يستبعد أن العباسيين قد روجوا لفكرة الكيسانية وأعطوها أكثر من حجمها الحقيقي، إن لم يكن هناك خلق كامل لها من قبلهم، فهم استندوا في أحقيتهم بالخلافة عليها، وذلك من خلال وصية أبي هاشم بن محمد ابن الحنفية إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وأوصى محمد إلى ابنه إبراهيم الإمام، وأوصى إبراهيم إلى أخيه عبد الله الملقب بالسفاح، وأوصى هو إلى أخيه المنصور وانتقلت في ولده بالنص واحداً بعد واحد إلى آخرهم[٣].

ونسب مؤلف أخبار الدولة العباسية الكيسانية إلى المختار بن أبي عبيد وقال: «كان يلقب كيسان، وهو أول من قال بإمامة محمد بن علي، وبها كان يقول علي بن عبد الله وولده إلى أيام المهدي[٤] (١٥٨هـ-١٦٩هـ)، وكان

١ - الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج١، ص٩٥.

٢ - معجم رجال الحديث، ج١٩، ص١١٠.

٣ - الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج١، ص٩٢-٩٤؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج١، ص٢٥٠؛ الليثي، سميرة مختار، جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول، دار الكتاب العربي، قم، ٢٠٠٧م، ص٥١؛ الخطيب، دولة المختار، ص٥٢٨.

٤ - هو محمد بن المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي العباسي، ولد في سبع وعشرين ومائة للهجرة، وأمه أم موسى الحميرية، تولى الخلافة بعد وفاة والده المنصور عشر سنوات ←

تشيع العباسية أصله من قبل محمد ابن الحنفية، والى ذلك دعا أبو مسلم[١] حتى كان زمان المهدي (١٥٨هـ-١٦٩هـ)، فردهم إلى إثبات الإمامة للعباس بن عبد المطلب، وقال لهم: إنّ الإمامة كانت للعباس عم النبي (صلى الله عليه واله وسلم)... ثم من بعده عبد الله بن العباس،....ثم المهدي».[٢]

واستنتج أحد الباحثين:[٣]«أنّ العباسيين قد موهوا على الناس، واستطاعوا أن يخدعوهم....فصنعوا سلسلة الوصاية المعروفة عنهم من علي بن أبي طالب، إلى محمد ابن الحنفية، وإلى أبي هاشم، فإلى علي بن عبد الله بن العباس، وهكذا، وهي في الحقيقة نفس عقيدة الكيسانية.».، وهذا الاستنتاج تطابق مع ما يراه السبحاني[٤]«أنّ المذهب الكيساني تحدقه ايهامات

(١٥٨هـ-١٦٩هـ)، توفي سنة تسع وسبعين ومائة للهجرة. . ينظر :الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٤٠٠-٤٠٣؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٥٩-٢٦٥.

١ - هو أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم، ويقال :عبد الرحمن بن عثمان بن يسار الخراساني، الأمير، صاحب الدعوة العباسية، وهازم جيوش الأمويين، ولد سنة مئة للهجرة، وأول ظهور له في سنة تسع وعشرين ومائة في خراسان وكان واليها نصر بن سيار من قبل الأمويين، دخل خراسان وملكها بعد تسع سنوات، وتقدم منها إلى العراق وبلاد الشام بكتائب أمثال الجبال فقلب دولة وأقام دولة، قتله أبو جعفر المنصور في سنة سبع وثلاثين ومائة للهجرة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٤٨-٧٣.

٢ - مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، تحقيق: عبد العزيز الدوري، دار صادر، بيروت د. ت، ص١٦٥-١٦٦.

٣ - مرتضى السيد جعفر، حياة الإمام الرضا (عليه السلام)، دار التبليغ الإسلامي، ١٩٧٨م، ص٤٨.

٤ - بحوث في الملل والنحل، ج٧، ص٤٠.

وغموض في مؤسسه وأتباعه وأهدافه تكاد تدفع الإنسان إلى أنّه مذهب مختلق من جانب الأعداء، ملصق بشيعة أهل بيت النبي (صلى الله عليه واله وسلم) لغاية تشويش أذهان الشيعة أولاً وتحطيم سمعة... المختار ثانياً».

وانقراض الكيسانية وعدم استمرارها إلى فترة طويلة يثير الشكوك في غايتها وأهدافها وربما انتفت الحاجة إليها بعد فترة من نشوئها، فقال عنها الشريف المرتضى [١]: «إنّ الكيسانية في وقتنا هذا لا بقية لهم ولا يوجد عدد منهم يقطع العذر بنقله بل لا يوجد احد منهم يدخل في جملة أهل العلم...»، ووصفها ابن حزم [٢] بأنها: «طائفة قديمة قد بادت..»..

ويبدو من خلال ما تطرقنا له عن الكيسانية ومدى صلتها بالمختار بن أبي عبيد، أن هناك اضطراباً وغموضاً وتداخلاً في الروايات التاريخية حولها، وحسب تلك المعطيات التاريخية التي ذكرت، أنّ الكيسانية قد نشأت وتبلورت أفكارها وعقائدها في فترة ليست بالقصيرة بعد وفاة محمد ابن الحنفية، وهو ما يتضح بسبب اختلافهم في وفاته، ومن أجل أن تكون الكيسانية لها قدرة على جذب الآخرين، وإعطائها الصفة الشرعية، اجتهدت في إرجاع أصل نشأتها إلى شخصيات أدت دوراً مهماً في التاريخ الإسلامي مثل محمد ابن الحنفية، والمختار، وكيسان صاحب شرطة المختار، ولا يستبعد أن هناك من روج ووظف هذا الأمر لصالحه مثل العباسيين، فهم أصحاب تنظيم دقيق لثورتهم، وأحاطوا ذلك

---

١ - الفصول المختارة، ص٣٠٤-٣٠٥.

٢ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٣، ص١٢.

بسرية تامة، وكان شعارهم الرضا من آل محمد، ولم يكن ذلك حقيقياً.

خامسا: المختار بين الزيدية والرافضة

ذهب ابن حجر العسقلاني [١] إلى القول بأن المختار كان زيدياً، وقوله يدل على أن بعض الروايات التاريخية بشان المختار تفتقر إلى الدقة والموضوعية في طرحها، ويبدو ثمة تحاملٌ واضحٌ لدى البعض من المؤرخين في إلصاق التهم إليه دون ذكر أي دليل يعضد ذلك.

ومن المُسلّم به أن زيد بن علي بن الحسين (عليه السلام) قد أعلن ثورته في الكوفة على الخلافة الأموية زمن هشام بن عبد الملك (١٠٥هـ-١٢٥هـ)[٢] وكان السبب المباشر لها تلك المقابلة السيئة التي قابله بها هشام بن عبد الملك، حيث قال له: لقد بلغني أنك تذكر الخلافة وتتمناها، وأنك لست أهلاً لها، وأنت ابن أمة[٣]، فقد كانت أمه أم ولد أهداها المختار بن أبي عبيد إلى علي ابن الحسين (عليه السلام)[٤]، ولم يكن زيد بن علي (عليه السلام) شخصية اعتيادية فقد وصفه ابن الطقطقي[٥] بالقول: «كان زيد من عظماء أهل البيت

---

١ - الاصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٢٧٦.

٢ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣١٦؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٢٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٧، ص١٢٢ -١٢٩؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢٣٥ - ٢٣٧؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٩، ص٤٥٠ -٤٨٠.

٣ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٢٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٧، ص١١٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢٣٦؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٩، ص٤٥١.

٤ - أبو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٢٤.

٥ - الفخري في الآداب السلطانية، ص١٣٢.

(عليهم السلام) علماً وزهداً وورعاً وشجاعة وديناً وكرماً»، فكان رده حاسماً وبديهياً على هشام، فقال له: «ويلك مكان أمي يضعني؟ والله لقد كان إسحاق ابن حرة وإسماعيل ابن أمة، فاختص الله عز وجل ولد إسماعيل، فجعل منهم العرب، فمازال ذلك ينمي حتى كان منهم رسول الله.»[١]، ثم خرج من قصر هشام وهو يقول: «ما أحب الحياة أحد قط إلا ذل»[٢].

ولم تكن ثورة زيد بن علي عليه السلام ردة فعل على مقابلة هشام فحسب، وإنما كانت ذا أهداف سامية، فقد دعا إلى الكتاب والسنة وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين، ورد المظالم وإرجاع من كان ملازماً فترة طويلة في الثغور، وتقسيم الفيء بين أهله بالسوية، ونصر أهل البيت على من نصب لهم وجهل حقهم[٣]، وقد وقف إلى جانبه الكثير من العلماء والفقهاء ومنهم أبو حنيفة النعمان[٤].

انتهت تلك الثورة باستشهاد قائدها الذي صلبه الأمويون في كناسة الكوفة وبقي مصلوباً حتى مات هشام بن عبد الملك، إذ أمر الوليد بن يزيد ابن عبد الملك (١٢٥هـ-١٢٦هـ) أن يحرق جثمان زيد ويذر في نهر الفرات[٥]، وكان استشهاده في سنة ١٢٢هـ.[٦]

---

١ - تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٢٧.

٢ - ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٣٢٠.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٧، ص١١٧.

٤ - أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٤٠-١٤١.

٥ - أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص١٣٩

٦ - ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٣٢١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٧، ص ١٢٩؛ ←

والمذهب الزيدي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بزيد بن علي (عليه السلام) فقد ذكر الأشعري[١] الزيدية فقال: «وإنما سموا زيدية لتمسكهم بقول زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان زيد بويع له بالكوفة في أيام هشام بن عبد الملك.»، وقال البغدادي [٢]: «فأما الزيدية من الرافضة.... يجمعها القول بإمامة زيد بن علي بن الحسين في أيام خروجه وكان ذلك في أيام هشام بن عبدالملك (١٠٥هـ-١٢٥هـ)».، وهو ما أكده الشهرستاني [٣] بقوله: «الزيديه أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة.»..

وهكذا يتضح أن المذهب الزيدي وجد إما أثناء حياة زيد بن علي (عليه السلام) أو بعد وفاته، وهي مدة ليست بالقصيرة بين وفاة المختار عام سبع وستين للهجرة وبين استشهاد زيد بن علي (عليه السلام) عام مئة واثنين وعشرين للهجرة، وحسب رواية ابن سعد [٤]، وأبي الفرج الأصفهاني [٥]، وابن عساكر [٦]، أن سن زيد بن علي (عليه السلام) حين استشهاده اثنتان وأربعون سنة، فهو يشير إلى أن زيد بن علي قد ولد بعد وفاة المختار بأكثر من

→
المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢٣٥.

١ - مقالات الإسلاميين، ج١، ص١٢٩.

٢ - الفرق بين الفرق، ص٣٠.

٣ - الملل والنحل، ص١٥١.

٤ - الطبقات، ج٧، ص٣٢١.

٥ - مقاتل الطالبيين، ص١٢٧.

٦ - تاريخ دمشق، ج١٩، ص٤٧٦.

عشر سنوات على أقل تقدير.

ومن خلال تلك المعطيات التاريخية يتضح لنا أنه لا توجد أي علاقة بين المذهب الزيدي والمختار بن أبي عبيد، وما ذهب إليه ابن حجر العسقلاني في هذا القول وغيره بشأن المختار، لابد أن يوضع أمامه الكثير من علامات الاستفهام.

وأما كون المختار رافضياً، وهو ما ذهب إليه قسم من المؤرخين (١)، على الرغم من أن البعض يرجع تسمية الرافضة إلى ثورة زيد بن علي (عليه السلام) وذلك أن جماعة من أنصاره سألوه حين قام بثورته في البراءة من أبي بكر وعمر، فقال لهم: بل أتولاهما، عند ذلك قالوا له إذا نرفضك، فسموا هؤلاء بالرافضة (٢) على الرغم من ذلك فإن تهمة الرفض طالت الكثير من أنصار آل البيت، وأصبح مصطلحاً عاماً يشمل أغلب فرق الشيعة في نظر الكثير من المؤرخين، ولذلك أرجعوا نشوء الرافضة إلى زمن الإمام عليٍّ (عليه السلام)، فيرى الأشعري (٣): «وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وهم مجمعون على أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على استخلاف

---

١ - ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (تحقيق: عادل مرشد)، ص٧١٦؛ الكتبي، فوات الوفيات، مج٤، ص١٢٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٩؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، ج١٢، ص٢٤٩؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٢٧٦.

٢ -الشهرستاني، الملل والنحل، ص١٥٢-١٥٣؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٩، ص٢٦٤؛ ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص٢٠٩.

٣ - مقالات الإسلاميين، ج١، ص٨٧.

علي بن أبي طالب باسمه، واظهر ذلك وأعلنه، وان أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنّ الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف،..»..

ويقول البغدادي[١]: «ثم افترقت الرافضة بعد زمان علي رضي الله عنه أربعة أصناف: زيدية، وإمامية، وكيسانية، وغلاة،..»., وقال في موضع آخر أثناء حديثه عن الروافض: «وجمهورهم الأكبر من الإمامية يزعمون أن الصحابة كفروا إلا ستة منهم»[٢]، في حين وصف ابن حزم[٣] الإمامية بجمهور الرافضة، وحسب هذه النظرة لمعنى الرفض فلا يستغرب أن تنسب تهمة الرفض إلى المختار، فهذا المصطلح أخذ منحى آخر وأصبح يطلق على عامة الشيعة فيشمل المختار وغيره بشكل تلقائي وطبيعي.

ويبدو أن هذا التناقض الواضح في أغلب روايات المؤرخين القدامى في مذهب المختار وولائِه، هو دليل على ضعف تلك الروايات ووهنها التي تنم عن العداء المفرط لكل من يقف إلى جانب آل بيت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ولذلك كانت تلك التهم تطلق جزافاً فيتلقفها الآخرون دون تدقيق أو تمحيص وكأنها من المُسلمات، والبعض منهم يعبر في ذلك عن انتمائه المذهبي فيحاول النيل من المختار بشتى الوسائل، والذي يظهر مما قام به

١ - الفرق بين الفرق، ص٢٩.

٢ - البغدادي، كتاب الملل والنحل، تحقيق: ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م، ص١٥٥.

٣ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٣، ص١٢.

المختار أنه على المذهب الإمامي، وأنه أفنى حياته في الدفاع عن آل بيت الرسول، ومن أجل الهدف الأسمى الذي رسمه لنفسه على أثر استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وهو القصاص العادل من قتلته، فكان قيامه بذلك سبباً رئيساً في قيام أعدائه على الرغم من اختلافهم فيما بينهم في بعض الأمور على تلفيق شتى أنواع التهم عليه وهو أمر دأب عليه الأمويون والزبيريون، وكون هؤلاء تحكموا بمقدرات المسلمين فترة حكمهم أصبحت اتهاماتهم كأنها من المُسلمات، فإخلاص المختار وإصراره على القصاص من القتلة دون هوادة يدل على تدينه وموالاته لآل البيت وحبه لهم، وهذا ما أكدته زوجته عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري عندما عرضت عليها البراءة منه فقالت: «أقول إنّه كان تقياً، نقياً، صواماً»..[١] وفي رواية أخرى أنها قالت: «ولكني أقول كان عبداً مؤمناً، محباً لله ورسوله وأهل بيت رسوله محمد صلى الله عليه واله وسلم»[٢]، وذكر المسعودي [٣] أنها قالت: «... كيف نتبرأ من رجل يقول ربي الله ؟ كان صائماً نهاره قائماً ليله، قد بذل دمه لله ولرسوله في طلب قتلة ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وأهله وشيعته»..وهي تعلم مسبقاً أن ثمن ما قالته هو حياتها، فلم يكن مجرد موقف عاطفي وإنما ينم عن صدق إيمانها بعقيدة وأهداف زوجها التي قاتل لأجلها حتى الرمق الأخير.

---

١ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٤.

٢ - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٩٢.

٣ - مروج الذهب، ج٣، ص١١٧.

الفصل الثاني

المبحث الأول: الموقف من نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)

أولاً: موقف المختار في عهد الإمام علي (عليه السلام)

قبل التطرق إلى موقف المختار عند المؤرخين القدامى من نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) لابد لنا من الرجوع إلى مواقفه قبل تلك النهضة، لأنها امتداد طبيعي لها. فقد أشارت كتابات المؤرخين القدامى إلى بعض مواقف المختار الثقفي في خلافة الإمام علي (عليه السلام) وان كانت تلك الإشارات مقتضبة وشحيحة لكنها تدل على أن هناك دوراً مميزاً قام به المختار في تلك المرحلة من تاريخ المسلمين.

أشارت بعض المصادر التاريخية خلال حديثها عن الخوارج، لاسيما بعد ظهور البوادر الأولى لتحركهم بشكل مسلح، فذكرت قيام الإمام علي (عليه السلام) بإرسال أبي موسى الأشعري لحضور التحكيم في دومة الجندل[1]

١ - وهي حصن وقرى بين الشام والمدينة، ذهب بعض الرواة إلى أن التحكيم بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية وقع فيها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٨٧ -٤٨٩.

حسب الاتفاق المبرم مع معاوية بن أبي سفيان. وعلى أثر ذلك عقد الخوارج اجتماعاً في منزل أحد زعمائهم عبد الله بن وهب الراسبي وأمّروه عليهم[١]، بعدها قرر الخوارج اختيار إحدى المدن لتنفيذ حكم الله، حسب زعمهم، قال بعضهم لبعض: «نخرج إلى المدائن فننزلها، ونأخذ بأبوابها، ونخرج منها سكانها، ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا»[٢]، لكن هذا الرأي جوبه برفض أحد كبار قادتهم وهو زيد بن حصين الطائي فقال لهم: فأما المدائن فإن بها من يمنعكم منها[٣]، وفي رواية أخرى أنه قال: «إن المدائن لا تقدرون عليها، فإن بها جيشاً لا تطيقونه وسيمنعونها منكم،..».[٤]، ويتضح من خلال تلك الروايات أمران:

الأمر الأول: أنّ سكان المدائن كانوا من المعارضين للخوارج وهو ما وضحه قول الخوارج وكما اشرنا إليه: «ونخرج منها سكانها».

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٤٩؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٥، ص١٣١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٨٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٥٧٩.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٤٩؛ ينظر ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٥، ص١٣١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٨٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٥٨٠.

٣ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٨٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٤٩؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٥، ص١٣١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٨٨.

٤ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٥٨١.

الأمر الثاني: أنّ المدائن لم تكن تتمتع بقوة ومنعة فحسب، بل إنها تمتلك جيشاً قوياً لا يطيقه الخوارج.

وعلى أثر ذلك اتخذ والي المدائن العديد من الإجراءات التي تمثلت: بغلق أبواب المدينة، وتهيئة أكثر من خمسمائة فارس لقتالهم، وخروجه بنفسه لقتالهم وملاحقتهم، وانابته عليها قبل خروجه ابن أخيه المختار الثقفي.[١]

واختلف المؤرخون في كيفية قيام سعد بن مسعود والي المدائن بملاحقة الخوارج، فقد أشار بعضهم[٢]: إلى أن عدي بن حاتم الطائي هو من حذر سعد بن مسعود بخروج الخوارج نحو المدائن، فأغلق أبوابها وخرج إليهم في خمسمائة فارس، بينما يرى ابن خلدون[٣] أن الإمام علياً (عليه السلام) هو من أرسل إلى سعد بن مسعود يأمره بذلك.

ومن خلال ما تقدم يمكن القول إنّ سعد بن مسعود كان على ثقة تامة بموافقة الإمام علي (عليه السلام) بما قام به تجاه الخوارج من قيامه بتكليف ابن أخيه والياً على المدائن نيابة عنه أثناء فترة غيابه عنها، أو الإجراءات التي طبقها من غلق الأبواب، وملاحقتهم إلى الكرخ في بغداد والاصطدام معهم، والذي يُرجح ذلك الرأي، هو قول أصحابه له عند امتناع الخوارج

---

١ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٨٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٥٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٨٩؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٦٣٨.

٢ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٨٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٥٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص٢٨٩.

٣ - تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٦٣٨.

وانصرافهم عنه: «ما تريد من قتال هؤلاء، ولم يأتك فيهم أمر خلهم فليذهبوا؟ واكتب إلى أمير المؤمنين فإن أمرك بإتباعهم اتبعتهم، وإن كفاكهم غيرك كان في ذلك عافية لك، فأبى عليهم».[١]

ولم يكن ولاة الإمام علي (عليه السلام) باستطاعتهم الاستعانة في أمورهم الإدارية المهمة مثل الإنابة عنهم أو تعيين العمال على النواحي التابعة لولاياهم مطلقي الأيدي، فقد وضع الإمام علي (عليه السلام) لولاته الضوابط والشروط والصفات الضرورية ليكون الاختيار على ضوئها[٢]، فمن غير الممكن أن يكون تكليف المختار بإدارة ولاية مهمة مثل المدائن، قد جاء بشكل عفوي وغير مدروس، لأن الوضع كان دقيقاً وأن تحرك الخوارج لم يكن مقتصراً على الكوفة فقط، فقد ذكر ابن كثير[٣] أنّ الخوارج: «اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطؤوا على المسير إلى المدائن ليملكوها ويتحصنوا بها ثم يبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم ممن هو على ما هم عليه، من أهل البصرة وغيرها فيوافوهم إليها ويكون اجتماعهم عليها». وهو ما حصل فعلاً، فقد اجتمع الخوارج في البصرة وأمروا عليهم مسعر بن فدكي

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٥٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٨٩؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٦٣٨.

٢ - ينظر: العيساوي، علاء كامل صالح، النظم الإدارية والمالية في عهد الإمام علي (عليه السلام، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠٠٥م، ص٨١-١٢٣؛ الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص٢٥٣-٢٧٢.

٣ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٥٨٠-٥٨١؛ ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٤٩.

التميمي والتحقوا بخوارج الكوفة في النهروان[١]، وهذا يعني أن المدائن كانت مهددة في تلك الظروف من خوارج الكوفة وغيرهم، وذلك لما تتمتع به المدائن من أهمية اقتصادية وسياسية وعسكرية.

كذلك أشارت بعض المصادر التاريخية إلى أن المختار كان يُكلفْ من قبل عمه والي المدائن في خلافة الإمام علي (عليه السلام) ببعض المهام الإدارية والمالية، فقد ذكر بعض المؤرخين [٢]: «أتى المختار علي بن أبي طالب بمال من المدائن وعليها عمه سعد بن مسعود، قال: فوضع المال بين يديه وعليه مقطعة حمراء، قال: فأدخل يده فاستخرج كيسا فيه نحو خمس عشرة مائة، قال: هذا من أجور المومسات، قال: فقال علي: لا حاجة لنا في أجور المومسات، قال: وأمر بمال المدائن فرفع إلى بيت المال، قال: فلما أدبر قال له علي: والله لو شق على قلبه لوجد ملآن من حب اللات والعزى»، لكن هذه الرواية بحاجة إلى نقاش ولا يمكن أن نقبلها كما هي، لأن فيها الكثير من المآخذ والإشكالات غير المقبولة:

المأخذ الأول: الرواية تشير إلى أن الإمام علياً (عليه السلام) غير راض على جباية بعض هذه الأموال، وهذا يعني أن سعد بن مسعود لم يكن عارفا

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٥٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٩٠.

٢ - ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد (ت:٢٣٥هـ-٨٤٩م)، المصنف في الحديث والآثار، تحقيق: سعيد اللحام، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩م، ج٧، ص٢٦٣؛ وينظر ابن عبد البر، الاستيعاب، (تحقيق: عادل مرشد)، ص٧١٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٥، ص٢٠٩؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٦، ص٢٧٦؛ المقرم، تنزيه المختار، ص٢٥-٢٧.

بما يقوم به من أموره الدينية، وهو يتعارض مع نهج الإمام علي (عليه السلام) وسيرته في اختيار ولاته وعماله على الولايات والأمصار منذ استلامه الخلافة، فقد قال للزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله لما طلبا منه أن يستعملهما على بعض أعماله: «واعلما أني لا أشرك في أمانتي إلا من أرضى بدينه وأمانته من أصحابي، ومن قد عرفت دخيلته»[١]، وهو كذلك يتعارض مع رأي الإمام علي (عليه السلام) في سعد بن مسعود، الذي أرسل له كتاب شكر وثناء يمدحه فيه لأمانته[٢].

المأخذ الثاني: أنّ مسألة جباية أموال المسلمين وإيصالها لبيت المال تتطلب أشخاصاً على قدر كبير من الأمانة والثقة التامتين وقول الإمام علي (عليه السلام): "لو شق على قلبه..." يدل إن صحت الرواية دلالة واضحة على خلاف ذلك.

المأخذ الثالث: الرواية تشير إلى أن الإمام علياً (عليه السلام) بعدما اعترض على تلك الأموال أمر بوضعها في بيت المال وكان من المفروض لو صحت الرواية أن يرجع تلك الأموال ولا يقبلها.

المأخذ الرابع: الرواية ذكرت أن الإمام علياً (عليه السلام) قال قوله في المختار عندما أدبر وفي رواية ابن حجر العسقلاني أنّه قال قاتله الله، وحاشا للإمام علي (عليه السلام) أن يتكلم بسوء عن امرئ بعد مغادرته، فمن

---

١ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج١، ج١، ص١٥٣.

٢ - البلاذري، أنساب الأشراف، ص١٥٨؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٣٩؛ الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص٢٩٧.

المعروف عنه أنه لا تأخذه في الله لومة لائم، ولماذا يتكلم الإمام علي (عليه السلام) بعد مغادرة المختار، وهل يخشى الإمام علي (عليه السلام) المختار أو غيره؟.

المأخذ الخامس: من المسلم به أن أصنام ثقيف هدمت وأزيلت من الوجود في السنة التاسعة للهجرة، وحسب الروايات التي أشارت إلى ولادة المختار أنّ عمره لم يتجاوز حينها التاسعة، ومن غير المعقول أن يكون قلب المختار قد ملئ إيماناً وحباً للات والعزى وهو لم يدرك عبادة قومه لهما إلا في طفولته.

ولا يستبعد أن المختار قد كُلف بمهام إدارية ومالية من قبل عمه سعد ابن مسعود فقد سبق وأن أشرنا إلى أنه جعله نائباً للمدائن في غيابه، ومن الطبيعي أن يكون تكليفه بإيصال بعض الأموال إلى الإمام علي (عليه السلام) أيسر من ذلك بكثير. ويظهر أن البعض من الرواة والمؤرخين قد استكثروا تلك المهمة على المختار فحاولوا إضافة بعض الأمور إليها من أجل النيل من قدسية الإمام علي (عليه السلام)، والنيل من سعد بن مسعود والمختار في آن واحد.

ثانياً: موقف المختار في عهد الإمام الحسن (عليه السلام)

تقلد الإمام الحسن (عليه السلام) الإمامة بعد استشهاد الإمام علي (عليه السلام) في سنة أربعين للهجرة[1] بموجب الوصية التي أشهد عليها

١ - خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ١٩٩؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ←

الإمام علي (عليه السلام) شهوداً وهم الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية وجميع ولده وأهل بيته ورؤساء شيعته فقال: «يابني: أمرني رسول الله صلى الله عليه واله أن أوصي إليك وأدفع كتبي وسلاحي إليك، كما أوصى إلي رسول الله ودفع كتبه وسلاحه إلي وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثم أقبل على الحسين عليه السلام فقال له: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك هذا، وأخذ بيد أبنه علي بن الحسين عليه السلام وهو صغير فضمه إليه وقال له: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمد، فأقرأه من رسول الله السلام ومني»[(١)].

وروى الكليني[(٢)] أن الإمام علياً (عليه السلام) قال للإمام الحسن (عليه السلام): «أنت ولي الأمر وولي الدم».

فكان أول من بايعه بالخلافة قيس بن سعد الأنصاري، فقال له أبسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه وقتال المحلين، فأجابه الإمام الحسن (عليه السلام) بقوله: على كتاب الله وسنة رسوله، فأنهما يأتيان على كل

ج٣، ص٢٧٩؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٩٩؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٤٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٠٧؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٤، ص٢٨٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٥٠.

١ - سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس، ص٣٧٦ -٣٧٧؛ الكليني، أصول الكافي، ج١، ص١٧٢؛ الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨هـ-١١٥٣م)، إعلام الورى بأعلام الهدى، صححه: علي أكبر الغفاري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٨م، ص٢١٥.

٢ - أصول الكافي، ج١، ص١٧٢.

شرط، فبايعه الناس.(١)

وبعد مراسلات بينه وبين معاوية، وقيام الأخير بالتوجه نحو العراق، «استقبل الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص لمعاوية إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها.»(٢)، لكن المكر والخداع الذي استطاع من خلاله معاوية أن يخترق الجيش الذي أرسله الإمام الحسن (عليه السلام) إلى قتاله، ويكسب إلى جانبه قائده عبيد الله بن العباس، وأن يشيع بين الناس أن قيس بن سعد قد صالحه وصار معه، ثم أرسل وفداً للتفاوض مع الإمام الحسن (عليه السلام) وفيه المغيرة بن شعبة فيخرج الوفد وهو يقول: «إنّ الله حقن بابن رسول الله الدماء، وسكن به الفتنة وأجاب إلى الصلح؛ فاضطرب العسكر ولم يشكك الناس في صدقهم»(٣)، أدت هذه الأخبار وغيرها إلى قيام بعض العسكر في الهجوم على سرداق الإمام الحسن (عليه السلام) وأنتهبوه وكمن له أحدهم وأسمه الجراح بن سنان الأسدي فجرحه بمعول في فخذه، فحُمل الإمام الحسن (عليه السلام) إلى المدائن وقد نزف نزفاً شديداً.(٤)

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٠٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٥٠؛ الصلابي، علي محمد، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٩م، مج١، ص١٤٤-١٤٥.

٢ - ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص١٧١.

٣ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٤٩.

٤ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٤٩-١٥٠.

وقد اختلف المؤرخون في ذكر موقف المختار من الإمام الحسن (عليه السلام)، الذي كان إلى جنب عمه سعد بن مسعود والي المدائن منذ عهد الإمام علي (عليه السلام) ثم أقره الإمام الحسن (عليه السلام) عليها، فحين جُرح حُمل إليها وعولج حتى برئ، وأقدم رواية وردتنا في هذا الشأن هي رواية ابن سعد [١] التي قال فيها: «لما أتي الحسن بن علي قصر المدائن قال المختار لعمه: هل لك في أمر تسود به العرب؟ قال: وما هو ؟ قال: تدعني أضرب عنق هذا وأذهب برأسه إلى معاوية. قال: ما ذاك بلاؤهم عندنا أهل البيت»، كذلك رواية البلاذري [٢] تشبه رواية ابن سعد إذ قال: «وحمل الحسن إلى المدائن وعليها سعد بن مسعود عم المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان علي ولاه إياها فأدخلوه منزله فأشار عليه المختار أن يوثقه ويسير به إلى معاوية على أن يطعمه خراج جوخى سنة، فأبى ذلك وقال للمختار: قبح الله رأيك، أنا عامل أبيه وقد ائتمنني وشرفني، وهبني نسيت بلاء أبيه، أأنسى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ولا أحفظه في ابن ابنته وحبيبه. ثم إن سعد بن مسعود أتى الحسن بطبيب وقام عليه حتى برئ، وحوله إلى أبيض المدائن».

وذكر الطبري[٣] رواية بسنده عن إسماعيل بن راشد فقال: «....وخرج الحسن حتى نزل المقصورة البيضاء بالمدائن وكان عم المختار بن أبي عبيد

١ - الطبقات، ج٦، ص٣٧٠؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص١٩٧.

٢ - جمل من أنساب الأشراف، ج٣، ص٢٨٣.

٣ - تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٠٧-١٠٨.

عاملاً على المدائن، وكان اسمه سعد بن مسعود، فقال له المختار وهو غلام شاب: هل لك في الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: توثق الحسن، وتستأمن به إلى معاوية! فقال له سعد: عليك لعنة الله، أثب على ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فأوثقه؟ بئس الرجل أنت».

وجاءت رواية الشيخ الصدوق[1] أثناء تطرقه إلى محاولة اغتيال الإمام الحسن (عليه السلام) فذكر: «...فقال المختار لعمه تعال حتى نأخذ الحسن ونسلمه إلى معاوية فيجعل لنا العراق، فبدر بذلك الشيعة من قول المختار لعمه فهموا بقتل المختار فتلطف عمه لمسألة الشيعة بالعفو عن المختار ففعلوا،..»..

ووردت روايات ابن الجوزي[2]، وابن الأثير[3]، وسبط ابن الجوزي[4]، وابن كثير[5]، متطابقة بشكل كبير مع الروايات السالفة الذكر مع بعض الاختلافات البسيطة والتي لا تغير من المضمون شيئاً.

أوضحت الروايات السابقة موقف المختار الثقفي من الإمام الحسن (عليه السلام) على أثر تناولهم قضية محاولة اغتياله وكيف آلت الأمور إلى

---

١ - أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ-١٤٥١م)، علل الشرائع، تقديم محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدريه، النجف ١٩٦٦م، ج١، ص٢٢١.

٢ - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٥، ص١٦٦.

٣ - الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٥٣.

٤ - تذكرة الخواص، ص١٩٧.

٥ - البداية والنهاية، ج١١، ص١٣٢.

عقد الصلح مع معاوية بن أبي سفيان. وقبل أن نناقش تلك الروايات سوف نتطرق إلى روايات المؤرخين الذين ذكروا نفس الحادثة لكنهم لم يشيروا إلى هذا الموقف والذي عُد من المآخذ السلبية على المختار.

أورد الدينوري[١] محاولة اغتيال الإمام الحسن (عليه السلام) بشكل واضح ومفصل فقال: فلما«بلغ معاوية قتل علي تجهز، وقدم أمامه عبد الله ابن عامر بن كريز فأخذ على عين التمر، ونزل الأنبار يريد المدائن، وبلغ ذلك الحسن بن علي وهو بالكوفة، فسار نحو المدائن... فنزل ساباط وقام فيها خطيباً،... فلما سمع أصحابه ذلك نظر بعضهم إلى بعض، فقال من كان معه ممن يرى رأي الخوارج كفر الحسن كما كفر أبوه من قبله فشد عليه نفر منهم فانتزعوا مطرفه عن عاتقه، فدعا بفرسه، فركبها ونادى أين ربيعة وهمدان فتبادروا إليه، ودفعوا عنه القوم ثم أرتحل يريد المدائن، فكمن له رجل ممن يرى رأي الخوارج يسمى الجراح بن قبيصة من بني أسد بمظلم ساباط، قام إليه بمعول فطعنه في فخذه، وحمل على الأسدي عبد الله بن خطل وعبد الله بن ظبيان، فقتلاه. ومضى الحسن رضي الله عنه مثخنا حتى دخل المدائن، ونزل القصر الأبيض وعولج حتى برئ وأستعد للقاء بن عامر».

وتناول اليعقوبي[٢] محاولة اغتيال الإمام الحسن (عليه السلام) فقال: «فوثبوا بالحسن.... وحُمَل الحسن إلى المدائن وقد نزف نزفاً شديداً، واشتدت به العلة، فافترق عنه الناس، وقدم معاوية العراق.؟»..

---

١ - الأخبار الطوال، ص٢٠٠-٢٠١.

٢ - تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٤٩-١٥٠.

وجاءت رواية ابن أعثم الكوفي[١] أكثر تفصيلاً من رواية الدينوري واليعقوبي فقال: «... وأقبل رجل من بني أسد يقال له سنان بن الجراح... وأفاق الحسن من غشائه وقد ضعف، فعصبوا جراحه وأقبلوا به إلى المدائن؛ قال: وعامل المدائن يومئذ سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد، قال: فأنزل الحسن في القصر الأبيض، وأرسل إلى الأطباء فنظروا إلى جراحته وقالوا ليس عليك بأس يا أمير المؤمنين. قال: فأقام الحسن بالمدائن يداوى».

وأسهب أبو الفرج الأصفهاني[٢] في روايته التي ابتدأها من خطبة الإمام الحسن (عليه السلام) بعد استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) ثم بيعة الإمام الحسن (عليه السلام) ومسيره لقتال معاوية وأهل الشام، وخطبته في ساباط، ثم تناول ما حصل له من قيام قسم من العسكر بالهجوم على فسطاطه، وكيف دعا الإمام الحسن (عليه السلام) ربيعة وهمدان فطافت به ودفعوا الناس عنه، ثم تعرضه لمحاولة الاغتيال، وبعد قتل الجراح بن سنان الذي حاول اغتياله قال أبو الفرج الأصفهاني:[٣] «وحمل الحسن على سرير إلى المدائن، وبها سعد بن مسعود الثقفي والياً عليها من قبله، وكان علي ولاه فأقره الحسن بن علي، فأقام عنده يعالج نفسه».

وذكر الشيخ المفيد بيعة الإمام الحسن (عليه السلام) وخطبته بعد استشهاد الإمام علي (عليه السلام) وكيف أن معاوية قد دس العيون

---

١ - كتاب الفتوح، ج٤، ص٢٨٧ -٢٨٨.

٢ - مقاتل الطالبيين، ص٧٢.

٣ - مقاتل الطالبيين، ص٧٢.

والجواسيس إلى الكوفة والبصرة ليكتبوا إليه بالأخبار ويفسدوا على الإمام الحسن (عليه السلام) الأمور، لكنه استطاع أن يكتشفهم ويأمر بضرب أعناقهم ثم كتب إلى معاوية: «أما بعد فأنك دسست الرجال للاحتيال والاغتيال وأرصدت العيون كأنك تحب اللقاء وما أوشك ذلك فتوقعه إن شاء الله، وبلغني أنك شمتّ بما لا يشمت به ذوو الحجى وإنما مثلك في ذلك كما قال الأول:

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ... تجهز لأخرى مثلها فكأن قد

فإنا ومن قد مات منا لكالذي ... يروح فيمسي في المبيت ليغتدي»[١]

ثم استطرد في روايته فذكر كيف أن الإمام الحسن (عليه السلام) أراد أن يمتحن أصحابه ويستبرئ أحوالهم في الطاعة له ليعرف بذلك أولياءه من أعدائه ويكون على بصيرة من أمرهم عند لقائه معاوية وأهل الشام، فنزل في ساباط ونادى الصلاة جامعة، وألقى خطبته، فحصل ما حصل في العسكر، وبعد ذلك قال الشيخ المفيد[٢]«...وحمل الحسن (عليه السلام) على سرير إلى المدائن فأُنزل به على سعد بن مسعود الثقفي وكان عامل أمير المؤمنين (عليه السلام) بها فأقره الحسن (عليه السلام) على ذلك وأشتغل بنفسه يعالج جرحه».

وكذلك ذكر الطوسي[٣] أنّ عسكر الإمام الحسن (عليه السلام) وثبوا فيه فجرح وعاد إلى المدائن حتى تحصن فيها عند عم المختار بن أبي عبيدة.،

---

١ - المفيد، الإرشاد، ص١٧٩.

٢ - الإرشاد، ص١٨١.

٣ - اختيار معرفة الرجال، ج١، ص٣٣٠.

بينما أوجز ابن شهر آشوب[١] روايته عن تلك الحادثة وهو أيضاً لم يتطرق فيها للمختار الثقفي وموقفه من الإمام الحسن (عليه السلام)، في حين وصف كيفية وصوله إلى المدائن فقال: «فأطاف به ربيعة وهمدان وهو على سرير حتى أنزل على سعد بن مسعود الثقفي».

كما أسهب ابن أبي الحديد في تفصيل تلك الحادثة فذكر روايتين في هذا الشأن:

الرواية الأولى: جاء بها حسب رواية المدائني بعد أن ذكر خطبة الإمام الحسن (عليه السلام) في ساباط والتي ذكر فيها ألإمام الحسن (عليه السلام) إنكم تبايعوني على أن تسالموا من سالمت فقال: «قال الناس: ما قال هذا القول إلا وهو خالع نفسه وسلم الأمر لمعاوية، فثاروا به وقطعوا كلامه، وانتهبوا متاعه، وانتزعوا مطرفاً كان عليه،.... وأختلف الناس فصارت طائفة معه، وأكثرهم عليه، فقال: اللهم أنت المستعان، وأمر بالرحيل، فارتحل الناس، وأتاه رجل بفرس، فركبه وأطاف به بعض أصحابه، فمنعوا الناس عنه وساروا، فقدمه سنان بن الجراح الأسدي إلى مظلم ساباط، فأقام به، فلما دنى منه تقدم إليه يكلمه، وطعنه في فخذه بالمعول طعنة كادت تصل إلى العظم فغشي عليه...، وأفاق الحسن (عليه السلام) من غشيته، فعصبوا جرحه وقد نزف وضعف، فقدموا به المدائن، وعليها سعد بن مسعود، عم المختار بن أبي عبيد، وأقام بالمدائن حتى برئ من جرحه»[٢]

١ - مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١٩٥.

٢ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٨، ج١٦، ص٢١٨-٢١٩.

الرواية الثانية : نقلها عن أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني والتي سبق وأن أشرنا إليها [١].

وذكر الأربلي [٢] روايته عن ذلك فذكرها معتمداً على رواية الشيخ المفيد السالفة الذكر فابتدأ ذلك بقوله :«قال الشيخ المفيد في إرشاده : لما قبض أمير المؤمنين (عليه السلام) خطب الحسن بن علي (عليه السلام) وذكر حقه، فبايعه أصحاب أبيه (عليه السلام)».

وأورد أبن خلدون [٣] روايته فذكر بيعة الإمام الحسن (عليه السلام) وزحفه إلى قتال معاوية بعد أن بلغه أن الأخير قد أتجه نحو الكوفة، وعند وصوله المدائن شاع بين العسكر أن قيس بن سعد قد قتل ثم ذكر :«واهتاج الناس وماج بعضهم في بعض...، وقامت ربيعة وهمدان دونه واحتملوه على سرير إلى المدائن ودخل إلى القصر»..

وذكر أبن عنبة [٤] روايته عن الإمام الحسن (عليه السلام) فقال«وسار الحسن (عليه السلام) حتى أتى ساباط المدائن....فعصبوا جراحته وأقبلوا به إلى المدائن فأقام يداوي جراحته»..

١ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٨، ج١٦، ص٢٢٧ -٢٢٨.

٢ - أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت : ٦٩٢هـ -١٢٩١م)، كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام، تحقيق : علي الفاضلي، المجمع العالمي لأهل البيت، د. م، ١٤٢٦هـ، ج٢، ص٣٣٦-٣٤٢.

٣ - تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٦٤٨.

٤ - أحمد بن علي (ت :٨٢٨هـ- ١٤٢٤م)، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، صححه : محمد صادق بحر العلوم، دار الأندلس، النجف، د. ت، ص٦٦ -٦٧.

وأورد ابن الصباغ [1] روايته على غرار رواية الشيخ المفيد، فقال: «وحمل الحسن (عليه السلام) على سرير من تلك الضربة إلى المدائن فنزل بها على سعد بن مسعود الثقفي وكان عاملاً عليها من جهة أبيه علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فأقره الحسن (عليه السلام) على ذلك، واشتغل الحسن عليه السلام بمعالجة جرحه..»..

الذي يتأمل الروايات التي أشرنا إليها يرى أن الكثير من المؤرخين، أمثال الدينوري، واليعقوبي، وابن أعثم الكوفي، والأصفهاني، والمفيد، والطوسي، وابن شهر آشوب، وابن أبي الحديد، والأربلي، وابن خلدون، وابن عنبة، وابن الصباغ، تناولوا تلك القضية بنوع من التفصيل ولم يتطرقوا إلى موقف المختار الذي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بتلك القضية وكأنه جزءٌ منها، فمن غير المعقول أنهم ذكروا تلك القضية بهذا التفصيل وأغفلوا ذلك الموقف، وعدم تطرق هؤلاء المؤرخين لذلك الموقف يضع الكثير من علامات الاستفهام أمام روايات المؤرخين التي ذكرت موقف المختار من الإمام الحسن (عليه السلام) والذي تمثل باقتراحه على عمه سعد بن مسعود بقتل الإمام الحسن أو تسليمه إلى معاوية، وهو ما يشكك بوجود هذه الروايات أصلا.

الأمر الثاني: الذي يتمعن في اقتراح المختار حسب تلك الروايات، أنه كان علنياً ولم يكن سرياً بينه وبين عمه، فقد ذكرت تلك الروايات أن الشيعة

---

١ - علي بن محمد بن أحمد (ت: ٨٥٥هـ-١٤٥١م)، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق: جعفر الحسيني، الطبعة الثانية، المجمع العالمي لأهل البيت، بيروت، ٢٠١١م، ص٢٣٩.

أرادت قتل المختار عندما أقترح على عمه ذلك، وكان حرياً بالمختار - إن صحت الرواية - أن يكون هذا المقترح سرياً بينه وبين عمه، فمن المعروف أن أنصار الإمام الحسن (عليه السلام) وشيعته يحيطون به وكانوا إلى جانبه، وإن كان سرياً فمن غير المعقول أن سعد بن مسعود هو من أعلن موقف المختار هذا على رؤوس الأشهاد فهذا - إن صح - سيكون مثلبة على أسرة سعد ابن مسعود لأن المختار بن أبي عبيد هو أحد أفرادها.

الأمر الثالث: أشارت روايات المؤرخين التي ذكرت بأن المختار اقترح على عمه قتل أو تسليم الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية، كان يريد بذلك التقرب إلى الأمويين. وسبق وأن أشرنا في الفصل الأول عند التطرق إلى العثمانية أن المصادر التاريخية قد ذكرت العديد من الشخصيات التي قامت بتلك الأدوار وحصلت على الكثير من الامتيازات نتيجة لمواقفها من الأمويين في خلافة الإمامين علي والحسن عليهما السلام، فلم تشر تلك المصادر إلى حصول أي محاولة من قبل المختار للاتصال بالأمويين أو التقرب إليهم، في الوقت الذي لم يدخر الأمويون جهداً لكسب ود أنصار الإمام علي عليه السلام المقربين الذين كانوا على دراية تامة بمحاولات الأمويين لاستمالتهم(١)، بل إن أصحاب الإمام علي عليه السلام كانوا على ثقة بأنّ الأمويين يتمنون أن يكسبوا ود أنصار آل البيت وهو ما أشار إليه ابن أعثم الكوفي(٢) عندما ذكر

---

١ - عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ص١١٧.

٢ - كتاب الفتوح، ج٤، ص ٢٩٦؛ وينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج ٨، ج١٦، ص٢١١.

كلام المسيب بن نجبة [١] للإمام الحسن (عليه السلام) أنه قال: «أما والله يا بن رسول الله! ما يعظم علينا هذا الأمر الذي صار إلى معاوية، ولكنا نخاف عليكم أن تضاموا بعد هذا اليوم، وأما نحن فأنهم - أي ألأمويين - يحتاجون إلينا وسيطلبون المودة منا كلما قدروا عليها».

يتضح من خلال ما تقدم أن المختار لو كان لديه النية للتقرب إلى الأمويين فقد كانت الفرص مهيأة له في ذلك الوقت. لكن ذلك لم يحصل، فبقي المختار يتحين الفرص للوقوف بوجه الأمويين وعدم التعاون معهم بأي شكل من الأشكال، وقد ظهر ذلك جلياً من خلال رفضه الشهادة ضد حجر بن عدي [٢].

الأمر الرابع: لو سلمنا بصحة روايات المؤرخين حول موقف المختار لرأيناه لا يختلف عن مواقف الكثير من أصحاب الإمام الحسن (عليه السلام) الذين عبروا عن استيائهم وغضبهم لما آلت إليه نتيجة الأمور من معاهدة الصلح بينه وبين معاوية بن أبي سفيان فقد أورد المؤرخون روايات كثيرة أشارت إلى تلك المواقف من الصلح.

١ - هو المسيب بن نجبة بن ربيعة بن رباح بن عوف بن هلال بن شمخ من فزارة، شهد القادسية، كان من كبار أصحاب الإمام علي عليه السلام شهد معه مشاهده كلها، وهو أحد زعماء التوابين الذين تحمسوا للأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام، فشارك في معركة عين الوردة وهو من حمل راية التوابين بعد استشهاد سليمان بن صرد الخزاعي فقاتل قتال الأبطال حتى أستشهد وحمل رأسه إلى مروان بن الحكم فنصبه في دمشق. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٣٣٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص٢٤٨.

٢ - ينظر من خلال البحث، ص٧٦-٨٤.

فقد ذكر البلاذري [١] موقف الشيعة منه فقال: «لما بايع الحسن بن علي معاوية أقبلت الشيعة تتلاقى بإظهار الأسف والحسرة على ترك القتال»، ونسب ابن قتيبة [٢] قولاً إلى سليمان بن صرد الخزاعي [٣] فقال: «وذكروا أنّه لما تمت البيعة لمعاوية بالعراق، وانصرف راجعاً إلى الشام، أتاه سليمان بن صرد، وكان غائباً عن الكوفة، وكان سيد أهل العراق ورأسهم، فدخل على الحسن، فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال الحسن: وعليك السلام، اجلس لله أبوك،...».، ونقل الدينوري[٤] قول حجر بن عدي للإمام الحسن (عليه السلام): «يابن رسول الله، لوددت أني مت قبل ما رأيت، أخرجتنا من العدل إلى الجور، فتركنا الحق الذي كنا عليه، ودخلنا في الباطل الذي كنا نهرب منه، وأعطينا الدنية من أنفسنا، وقبلنا الخسيسة التي لم تلق بنا»، وكذلك

١ - جمل من أنساب الأشراف، ج٣، ص٢٩٠.

٢ - الإمامة والسياسة، ص١٥٤.

٣ - هو سليمان بن صرد بن أبي الجون الخزاعي، يكنى أبو مطرف، كان اسمه يسار فلما أسلم سماه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) سليمان، نزل الكوفة وأبتنى فيها داراً، شهد مع الإمام علي عليه السلام صفين، وقتل فيها أحد قادة معاوية مبارزة، كاتب الإمام الحسين عليه السلام للقدوم للكوفة ولم يوفق لنصرته، فكان فيمن ندم على ذلك وتاب مع العديد من المسلمين فسموا التوابين، وسمي هو أمير التوابين، فسار إلى بلاد الشام لقتال عبيد الله بن زياد فقاتله قتال الأبطال، استشهد في معركة عين الوردة (٦٥هـ). ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص١٩٦-١٩٧؛ خليفة بن خياط (ت: ٢٤٠هـ -٨٥٤م)، طبقات خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، ص١٨١؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ٥٦٣ -٥٦٤؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٢، ص٥٤٨ - ٥٤٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص١٢٢-١٢٣.

٤ - الأخبار الطوال، ص٢٠٤

أورد الدينوري[١] أن حجر بن عدي دخل مع عبيدة بن عمرو[٢] على الإمام الحسين (عليه السلام) فقالا: «أبا عبد الله، شريتم الذل بالعز، وقبلتم القليل، وتركتم الكثير، أطعنا اليوم، واعصنا الدهر، دع الحسن وما رأى من هذا الصلح، وأجمع أليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها، وولني وصاحبي هذه المقدمة، فلا يشعر ابن هند ألا ونحن نقارعه بالسيوف. فقال الحسين: إنا قد بايعنا وعاهدنا، ولا سبيل إلى نقض بيعتنا».

وذكر ابن أعثم الكوفي[٣] قول المسيب بن نجبة بعد الصلح فقال: «وقام المسيب بن نجبة الفزاري إلى الحسن بن علي فقال: لا والله جعلني الله فداك، ما ينقضي تعجبي منك، كيف بايعت معاوية ومعك أربعون ألف سيف، ثم لم تأخذ لنفسك ولا لأهل بيتك ولا لشيعتك منه عهداً وميثاقاً في عقد ظاهر، لكنه أعطاك أمراً بينك وبينه ثم إنه تكلم بما قد سمعت.»..

وأورد الدينوري[٤]، وأبو الفرج الأصفهاني[٥]، والمفيد[٦]، والطوسي[٧]،

---

١ - الأخبار الطوال، ص٢٠٤

٢ - هو عبيدة بن عمرو بن ناجية بن مراد السلماني، أسلم في عام فتح مكة، من أهل اليمن، أخذ الفقه عن الإمام علي عليه السلام فبرع فيه، وكان ثبتاً في الحديث، روى عن الإمام علي (عليه السلام) وابن مسعود وغيرهما. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٤٠-٤٤.

٣ - كتاب الفتوح، ج٤، ص٢٩٤-٢٩٥.

٤ - الأخبار الطوال، ص٢٠٤.

٥ - مقاتل الطالبيين، ص٧٥.

٦ - الاختصاص، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، دار المفيد، بيروت، ١٩٩٣م، ص٨٣.

٧ - اختيار معرفة الرجال، ج١، ص٣٢٧-٣٢٨.

وابن أبي الحديد[١]، والمجلسي [٢]:

أنّه دخل رجل من أصحاب الإمام الحسن (عليه السلام) يقال سفيان ابن أبي ليلى[٣] فقال له: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال له الإمام الحسن (عليه السلام): وعليك السلام، أجلس لست مذل المؤمنين، ولكني معزهم.

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال لأحد أصحابه: «اعلم أن الحسن بن علي (عليه السلام) لما طعن واختلف الناس عليه سلم الأمر لمعاوية فسلمت عليه الشيعة عليك السلام يا مذل المؤمنين. فقال عليه السلام: ما أنا بمذل المؤمنين ولكني معز المؤمنين. إنّي لما رأيتكم ليس بكم عليهم قوة سلمت الأمر لأبقى أنا وأنتم بين أظهرهم، كما عاب العالم السفينة لتبقى لأصحابها وكذلك نفسي وأنتم لنبقى بينهم»[٤].

ويظهر من روايات المؤرخين أن الظروف التي رافقت صلح الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية قد تباينت فيه مواقف أصحابه واختلطت عليهم الأمور ولم يميز البعض منهم الهدف الأسمى الذي ابتغاه الإمام من

---

١ - شرح نهج البلاغة، مج٨، ج١٦، ص٢١١.

٢ - بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٣-٢٤.

٣ - هو سفيان بن أبي ليلى من أصحاب الأمام الحسن (عليه السلام، وقيل أنه من حواريه ينظر: النفرشي، مصطفى بن الحسين، (ت: القرن الحادي عشر للهجرة)، نقد الرجال، مؤسسة إحياء التراث، قم ١٤١٨هـ، ج٢، ص٣٣١-٣٣٢، الخوئي، معجم رجال الحديث، ج٩، ص١٥٦-١٥٧.

٤ - الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة (ت: القرن الرابع الهجري)، تحف العقول آل الرسول، دار المتقين، النجف، ٢٠١٢م، ص١٩٦.

خلال الصلح مع معاوية، ومن الطبيعي أن يكون المختار أحد هؤلاء إن صحت الروايات التي أوردت موقفه من الإمام الحسن (عليه السلام)، ونجد أن تلك الروايات قد نسبت بعض المواقف إلى حجر بن عدي وسليمان بن صرد الخزاعي وهي محاولة للنيل منهما فهي لا تتفق مع سيرة الصحابيين الجليلين، فلا غرابة أن ينسب للمختار ما لم يقله أو يفعله.

ثالثاً: موقف المختار من الشهادة ضد حجر بن عدي

يُعد حجر بن عدي بن جبلة بن ربيعة الكندي(١)، المكنى بأبي عبد الرحمن(٢)، والملقب بحجر الخير(٣)، من عظماء أصحاب الإمام علي عليه السلام وشيعته(٤) شهد مع الإمام علي عليه السلام الجمل وصفين والنهروان(٥)، ولم يكن حجر بن عدي شخصية اِعتيادية عند المسلمين وإنما كان من فضلاء صحابة النبي صلى الله عليه واله وسلم(٦)، ثقة

---

١ - ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٣٣٧؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٢، ص٢٠٧؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ج١، ص٦٩٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٦٢ - ٤٦٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٢٢٧.

٢ - الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص٢٤٧.

٣ - ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٢٣٩؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ج١، ص٦٩٧.

٤ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٠٧؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٦٠.

٥ - ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٢٣٩؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ج١، ص٦٩٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص٢٤٧.

٦ - ابن عبد البر، الاستيعاب، (تحقيق علي البجاوي)، ج١، ص٣٢٩؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٢، ص٢١٢؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ج١، ص٦٩٧.

معروفاً[١]، شريفاً، أميراً مطاعاً، أماراً بالمعروف، مقدماً على الإنكار [٢]، وكان من عباد الناس وزهادهم [٣]، شهد القادسية، وهو الذي أفتتح مرج عذراء، وكان عطاؤه ألفين وخمس مئة. [٤]

ولما آلت الأمور إلى معاوية بن أبي سفيان بعد الصلح مع الإمام الحسن (عليه السلام) ولى على الكوفة المغيرة بن شعبة وذلك في سنة أحدى وأربعين للهجرة [٥] دعاه معاوية وقال له: «وقد أردت أيصاءك بأشياء كثيرة، فأنا تاركها اعتمادا على بصرك بما يرضيني ويسعد سلطاني، ويصلح به رعيتي، ولست تاركاً ايصاءك بخصلةٍ: لا تتحمَ عن شتم علي وذمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب علي، والإقصاء لهم، وترك الاستماع منهم، وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه، والإدناء لهم والاستماع منهم» [٦]

فأقام المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة حتى وفاته، وكان طيلة مدة ولايته لا يدع ذم الإمام علي (عليه السلام) والوقيعة فيه[٧] فكان حجر بن

١ - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٢، ص٢١٠؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص٢٤٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٢٢٨.

٢ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٦٣.

٣ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص ٢٢٩.

٤ - ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص ٣٣٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٦٣.

٥ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص ١٦٩.

٦ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٦٩؛ ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤١٣.

٧ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٥٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ←

عدي إذا سمع ذلك، يقوم من بين الناس فيقول: «وأنا أشهد أن من تذمون وتعيرون لأحق بالفضل، وأن من تزكون وتطرون أولى بالذم» [1]، واستمر حجر بن عدي في معارضته لحكم الأمويين طيلة مدة أمارة المغيرة، ولم تقتصر تلك المعارضة على شجب سياسة السب التي أبتدعها الأمويون [2] فحسب، وإنما تبنى الدفاع عن حقوق المسلمين، فقد قام حجر ووبخ المغيرة في المسجد بعد أن أوغل في كلامه عن الإمام علي (عليه السلام) في أواخر أيام أمارته وقال له: «إنك لا تدري بمن تولع وقد هرمت أيها الإنسان وحرمت الناس أرزاقهم، وأخرت عنهم عطاءهم».. [3].

لقد أثارت تلك المطالب التي أعلنها حجر في المسجد أهل الكوفة فقام معه أكثر من ثلثي الناس وهم يقولون: «صدق والله حجر وبر، مر لنا بأرزاقنا وأعطياتنا» [4]، وكان لتلك الوقفة التي وقفها حجر بن عدي من حكم

ص١٦٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٤١٣؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص١٣.

١ - الطبري، الأمم والملوك، ج٥، ص١٦٩؛ أبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤١٣.

٢ - للمزيد من التفاصيل ينظر: الجابري، علي رحيم أبو الهيل، الدعاية الأموية المضادة للإمام علي عليه السلام دراسة في سياسة السب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، ص٦٦ -٧٢.

٣ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٥٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٧٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤١٤؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص١٣.

٤ - الطبري،تاريخ الأمم والملوك، ج٥،ص١٧٠؛ ابن الأثير،الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤١٤.

الأمويين وسياسة المغيرة في السب والنيل من الإمام علي (عليه السلام)؛ أثرها على المقربين من المغيرة فأشاروا عليه بالتصدي لحجر وقتله، فأجابهم المغيرة: «أنه قرب أجلي، وضعف عملي، ولا أحب أن أبتدئ أهل هذا المصر بقتل خيارهم، وسفك دمائهم، فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعز في الدنيا معاوية، ويذل يوم القيامة المغيرة»[١].

ولم يكن المغيرة بن شعبة في سياسته هذه يخشى الحساب ويوم القيامة، وإنما كان رجل دنيا وسلطة حاول الحفاظ على سلطته بمداراة أهل الكوفة من جهة، وتجنب إثارة حفيظة معاوية عليه من جهة أخرى، فهو التزم بوصايا معاوية بن أبي سفيان بالسب والنيل من الإمام علي (عليه السلام) وهو يعلم ما يرتكبه في ذلك من الإثم العظيم.

وبعد وفاة المغيرة في سنة أحدى وخمسين للهجرة جمع معاوية الكوفة والبصرة لزياد بن أبيه[٢] فلما قدمها «خطب خطبة له مشهورة لم يحمد الله فيها، ولم يصل على محمد، وأرعد فيها وأبرق، وتوعد وهدد، وأنكر كلام من تكلم، وحذرهم ورهبهم، وقال: وقد سمّيت الكذبة[٣]، على المنبر، الصلعاء، فإذا أوعدتكم أو وعدتكم، فلم أف لكم بوعدي ووعيدي، فلا

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٧٠.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٧٠، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤١٤.

٣ - وردت الكلمة عند اليعقوبي الكلبة، والظاهر أنه خطأ مطبعي لعدم تناسقها مع المعنى ووردت لدى الطبري بالكذبة. ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٦٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٧٠ -١٧١.

طاعة لي عليكم»[١] وكان بينه وبين حجر مودة، فأحضره وقال له: «يا حجر! أرأيت ما كنت عليه من المحبة والمولاة لعلي؟ قال: نعم قال: فإنّ الله قد حول ذلك بغضة وعداوة، أو رأيت ما كنت عليه من البغضة والعداوة لمعاوية؟ قال: نعم! قال: فإن الله قد حول ذلك محبة وموالاة، فلا أعلمنك ما ذكرت علياً بخير ولا أمير المؤمنين معاوية بشر»[٢]

ويظهر من خلال ما تقدم أن زياد بن أبيه أراد أن يوضح لحجر سياسته الجديدة التي تختلف في حدها وصرامتها عن سلفه المغيرة الذي عُد متساهلاً إلى حدٍ ما مع شيعة الإمام علي (عليه السلام) فيما زعموا، فضلاً عن أن زياد بين لحجر بن عدي بأن مودته للإمام علي (عليه السلام) قد تحولت إلى كراهية وبغض له ولشيعته، وبغضه وعدواته لمعاوية أصبحت مودة ومحبة له ولبني أمية، والتي أعتقد أنها أشارة واضحة لحجر لكي يتوقف عن الحملة التي يقودها ضد ولاة الأمويين في الكوفة.

وكان زياد بن أبيه يقيم في الكوفة ستة أشهر وفي البصرة ستة أشهر[٣]، وأثناء غيابه عن الكوفة ينيب مكانه عمرو بن حريث[٤]، الذي أستمر في

---

١ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٦٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٧٠ - ١٧١.

٢ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٦٠؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٣٣٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٦٣ -٣٦٤.

٣ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٠٦.

٤ - هو عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان المخزومي عمره اثنتا عشرة سنة حين توفي رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، نزل الكوفة وأبتنى فيها داراً كبيرة، وكان من أصحاب الأموال ←

تطبيق سياسة الأمويين المتمثلة بالسب والنيل من الأمام علي (عليه السلام) على المنابر، وفي الوقت ذاته استمر حجر في ولائه للإمام علي (عليه السلام) وصعد موقفه من ولاة الأمويين، وتخطى مرحلة المعارضة في الكلام والرد على السب بالسب؛ عندما وجد ذلك لا يجدي نفعاً في ظل تلك الظروف، فكان أول شيءٍ صدر منه أنه أخذ يحصب عمرو بن حريث عندما تعرض للإمام علي (عليه السلام) بالسوء، وكان عمله هذا بداية مرحلة جديدة من النضال، وشاركه في عمله هذا آخرون ممن هم على رأيه ومبدئه. فهو ينسجم جملة وتفصيلاً مع مكانة حجر وأصحابه وموقفهم الصارم من السب ومعارضته.[١]

وعندما شعر عمرو بن حريث نائب زياد بن أبيه على الكوفة بخطورة الوضع ومدى التأييد الذي حظي به حجر وأصحابه وسط المجتمع الكوفي، كتب إلى زياد يخبره بما يجري في الكوفة خلفه، موضحاً له قوة حجر وأصحابه فقال: «وأنه لا يملك من الكوفة معهم إِلا دار الأمارة»[٢] وحثه على القدوم إلى الكوفة قائلاً: «إن كانت لك حاجة بالكوفة فالعجل»[٣]

والأولاد، ولي الكوفة لزياد بن أبيه وأبنه عبيد الله بن زياد، توفي سنة (٨٥هـ). ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٥٣٤-٥٣٥؛ وج٨، ص١٤٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤١٧-٤١٩.

١ - الحسني، الانتفاضات الشيعية، ص٢١٤؛ الجابري، السياسة الأموية المضادة، ص١٠١.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٥٤.

٣ - ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٣٣٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٦٤.

يتضح من خلال ما كتبه عمرو بن حريث لزياد أن ما يقوم به حجر بن عدي وأصحابه، لم يكن عملا فرديا أو ردة فعل آنية على موقف معين وإنما ثورة منظمة استقطبت الكثير من أهالي الكوفة، بحيث أصبحت السلطة الأموية معها لا تتعدى دار الأمارة.

وما إن وصل كتاب عمرو بن حريث حتى قفل زياد راجعاً بأسرع ما يمكن، وحال وصوله بدأ باتخاذ التدابير التي اعتاد العتاة من ولاة الأمويين على اتخاذها في مثل تلك الظروف، والتي تمثلت بالتهديد والوعيد بالقتل وحرق البيوت وحبس العطاء عن الثوار وقبائلهم وغيرها، فما إن دخل القصر، حتى أعتلى المنبر في الكوفة فقال: «أمّا بعد فإنّ غِبّ البَغْي والغَيّ وَخِيمٌ، إن هؤلاء جموا فأشروا، وأمنوني فاْجترؤوا علي، وأيْمُ الله، لئن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم؛... ثم قال: أبلغ نصيحة أن راعي إِبلها سقط العشاء به على سرحان»[1].

وجرت محاولات عسكرية عديدة لإلقاء القبض على حجر إلا أنّها فشلت في الوصول إلى مبتغاها، في الوقت نفسه استمرت الضغوط على قدم وساق على زعماء القبائل التي ينتمي لها حجر وأصحابه، فقد ذكر الطبري[2] بسنده عن هشام بن محمد فقال: «وثب زياد بأشراف أهل الكوفة، فقال: يا أهل الكوفة، أتشجون بيد وتأسون بأخرى؟ أبدانكم معي وأهواؤكم مع

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٧١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤١٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٢٣١.

٢ - تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٧٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤١٥.

حجر... هذا والله من دحسكم وغشكم! والله لتظهرن لي براءتكم أو لآتينكم بقوم أقيم بهم أودكم وصعركم!»، في أشارة من زياد بن أبيه إلى استقدام جند الشام الذين لطالما كانوا مصدر تهديد لأهل الكوفة في مثل تلك الظروف.

وفي وسط تلك الظروف الحرجة والعصيبة التي مرت على حجر وأصحابه، شعر حجر بمدى خطورة الوضع الذي يتعرض له عامة الناس من قبائلهم بسبب الضغوط والغارات التي تقوم بها شرطة زياد للبحث عنهم، فبعث غلاماً له إلى محمد بن الأشعث الذي قال له زياد لما عجز عن القبض على حجر: «والله لتأتيني به، أو لأقطعن كل نخلة لك وأهدم دورك، ثم لا تسلم مني حتى أقطعك إرباً إرباً. فأستمهله، فأمهله ثلاثاً»[(١)] فأخبره الغلام برغبة مولاه في تسليم نفسه، على أن يأخذ له أماناً من زياد، ويبعث به إلى معاوية ليرى فيه رأيه.[(٢)]

ويبدو أن حجراً فضل أن يوكل أمره إلى معاوية، تخلصاً من جبروت زياد وتعسفه، وبالفعل توجه محمد بن الأشعث مع جماعة من أشراف أهل الكوفة، وعرضوا على زياد رغبة حجر في تسليم أمره إلى معاوية على أن يمنحه الأمان على نفسه، فوافق على ذلك، فأرسلوا إلى حجر، فحضر عند زياد، وهو جريح[(٣)]، فلما رآه قال: «مرحباً بك أبا عبد الرحمن، حرب في

١ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤١٦، ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٥٩.

٢ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤١٦.

٣ - وقعت العديد من المعارك بين حجر بن عدي وأنصاره من جهة وبين قوات زياد بن أبيه من ←

أيام الحرب، وحرب وقد سالم الناس، على أهلها تجني براقش، قال: ما خالعت طاعة، ولا فارقت جماعة، وأني لعلى بيعتي؛ فقال: - زياد - هيهات هيهات يا حجر! تشج بيد وتأسوا بأخرى، وتريد إذ أمكن الله منك أن نرضى! كلا والله.

قال - حجر -: ألم تؤمني حتى آتي معاوية فيرى فيّ رأيه؟ قال: بلى، قد فعلنا، انطلقوا به إلى السجن».. [١].

وبعد ذلك جد زياد في البحث عن أصحاب حجر فأستطاع أن يلقي القبض على أربعة عشر رجلاً منهم [٢]، وقيل أثني عشر [٣]، ثم دعا أليه رؤوس الأرباع وأشهدهم على حجر فشهدوا: «ان حجراً جمع اليه الجموع، وأظهر شتم الخليفة، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين؛ وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل أبي طالب، ووثب بالمصر وأخرج عامل أمير المؤمنين، وأظهر عذر أبي تراب والترحم عليه، والبراءة من عدوه وأهل حربه؛ وأن هؤلاء النفر الذين معه هم رؤوس أصحابه على مثل رأيه وأمره» [٤].

جهة أخرى التي أرسلها للبحث عنه، وفي أحدى المواجهات بينهم ضرب يزيد بن طريف المُسلي حجر بعمودٍ على فخذه فجرحه. ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٥٧ -٢٥٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٧٤ -١٧٦

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٧٦؛ ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٥٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤١٧.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٦٢.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٧٨.

٤ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٧٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٢٢.

ويظهر أن تلك الشهادة لم تعجب زياد بن أبيه، وكذلك فضل أن يكون الشهود أكثر من أربعة [١]، فجاء أبو بردة بن أبي موسى فكتب: «هذا ما شهد عليه الشهود أبو بردة بن أبي موسى لله رب العالمين، شهد أن حجر بن عدي خلع الطاعة وفارق الجماعة، ولعن الخليفة ودعا إلى الحرب والفتنة، وجمع إليه جموعاً يدعوهم إلى نكث البيعة، وخلع أمير المؤمنين معاوية، فكفر بالله كفرة صلعاء، وأتى معصية شنعاء، فقال زياد أشهدوا على مثل شهادته» [٢] وأستكثر من الشهود على ذلك [٣] فشهد سبعون رجلاً. [٤]

وأورد البلاذري [٥] قضية حجر وشهادة الشهود بالتفصيل، فذكر أغلب أسمائهم ابتداءً من رؤوس الأرباع، ثم ذكر العديد من الشهود من أشراف الكوفة وزعمائها، إلى أن قال: «وهرب المختار بن أبي عبيد، وعروة بن المغيرة من أن يشهدا».

أما الطبري [٦] الذي أسهب كذلك في تفصيل قضية حجر بن عدي فذكر شهادة الشهود وأسماءهم وقبائلهم إلى أن قال: «ودعا المختار بن أبي عبيد وعروة بن المغيرة بن شعبة ليشهدا عليه، فراغا.»..

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٧٩.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٦٢.

٣ - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص١٥.

٤ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٨٠.

٥ - جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٦٣.

٦ - تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٨٠؛ الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف، بيروت، ١٩٨٣ م، ج٤، ص١٠.

وذكر أبو الفرج الأصفهاني [١] قصة حجر بن عدي فقال: «...وشهد حجار بن أبجر العجلي وعمرو بن الحجاج ولبيد بن عطارد ومحمد بن عمير ابن عطارد وأسماء بن خارجة وشمر بن ذي الجوشن وزحر بن قيس الجعفي وشبث بن ربعي وسماك بن مخرمة الأسدي صاحب مسجد سماك ودعا المختار ابن أبي عبيد وعروة بن المغيرة بن شعبة إلى الشهادة فراغا وشهد سبعون رجلاً ودفع ذلك إلى وائل بن حجر وكثير بن شهاب.»..

ويلاحظ أن أغلب المؤرخين لم يتطرقوا إلى ذكر موقف المختار من الشهادة ضد حجر بن عدي على الرغم من أنها لم تكن أمراً اعتيادياً فقد ترتب على ذلك الكثير من الأمور:

الأمر الأول: عندما بعث زياد بحجر وأصحابه إلى معاوية كتب إليه كتاباً جاء فيه: «.... وقد دعوت خيار أهل المصر وأشرافهم وذوي السن والدين منهم، فشهدوا عليهم بما رأوا وعملوا، وقد بعثت بهم إلى أمير المؤمنين، وكتبت شهادة صلحاء أهل المصر وخيارهم في أسفل كتابي هذ»[٢]، فلما قرأ معاوية الكتاب وشهادة الشهود عليهم، قال: «ماذا ترون في هؤلاء النفر الذين شهد عليهم قومهم بما تسمعون؟»..[٣]، يتضح من وصف زياد للشهود أن البيّنة أقيمت على حجر وأصحابه، وهو ما فهمه معاوية وعرف مقصده فقال مقولته ماذا ترون في هؤلاء...، فالشهادة وفرت على معاوية

١ - الأغاني، تحقيق: سمير جابر، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، د. ت، ج١٧، ص١٥٠.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٨١.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٨١.

المبررات التي أراد أن يوضح من خلالها قتل حجر وأصحابه.

وأتخذ معاوية من تلك الشهادة مبرراً شرعياً أحل به دماء حجر وأصحابه، فقد ذكر الطبري قول معاوية على لسان رسوله الذي بعثه إلى حجر وأصحابه لتنفيذ عملية قتلهم: «...وإنّ أمير المؤمنين يزعم أن دماءَكم قد حلت له بشهادة أهل مصركم عليكم، غير أنه قد عفا عن ذلك، فأبرؤوا من هذا الرجل – أي الإمام علي عليه السلام – نُخل سبيلكم.»..[١]؛ ونقل ابن كثير[٢] قول معاوية بن أبي سفيان لعائشة لما قالت له: أين ذهب عنك حلمك يا معاوية حين قتلت حجراً وأصحابه فقال لها: «إنّما قتله الذين شهدوا عليه».

وروى أبن سعد[٣] أن حجر بن عدي قبل أن يستشهد قال: اللهم إنا نستعديك على أمتنا فإن أهل العراق شهدوا علينا وأن أهل الشام قتلونا...، ومن الملاحظ على هذه الرواية أنّها تسير على منهج التحامل على أهل العراق عامة وأهل الكوفة خاصة، كونهم معقل التشيع لآل البيت زمن بني أمية وبني العباس، فمن اليسير عند ملاحظة أسماء الشهود على حجر بن عدي وأصحابه هم المنتفعين والموالين لبني أمية؛ في الوقت ذاته يستشف من رواية ابن سعد أنّها تخفف الوزر عن كاهل معاوية وزياد بن أبيه في مسؤليتهما عن قتل حجر وأصحابه رضوان الله عليهم.

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٨٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٢٤.

٢ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٢٣٦-٢٣٧.

٣ - الطبقات، ج٨، ص ٣٣٩.

وعندما بعث معاوية كتاباً إلى زياد بن أبيه، يبيّن فيه تردده بين العفو عن حجر وأصحابه وبين قتلهم، كتب إليه زياد قائلاً: «أما بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت رأيك في حجر وأصحابه، فعجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم، وقد شهد عليهم بما قد سمعت من هو أعلمُ بهم، فإن كانت لك حاجة في هذا المصر فلا تردن حُجراً وأصحابه إلي».[١]

وعلى الرغم من أن وزر قتل حجر وأصحابه لا شك يقع على معاوية وزياد بن أبيه، لكنهم وظفوا تلك الشهادة كي تكون مبرراً لقتلهم، ولا يمكن تجاوزها إلا بالبراءة من الإمام علي (عليه السلام) أو القتل، وهو ما حصل فعلاً.

الأمر الثاني: الذي يتأمل الروايات التي ذكرت قضية شهادة الشهود على حجر وأصحابه، يرى أن البعض منهم كتبت شهادتهم دون علمهم، أو أثناء غيابهم[٢] وقد أشار الطبري[٣] إلى شهادة الشهود فقال: «....والسري ابن وقاص الحارثي، وكتب شهادته وهو غائب في عمله».. وذكر الطبري[٤] في موضع آخر«...وأسماء بن خارجه الفزاري، كان يعتذر من أمره»..

وكذلك ذكر الطبري[٥] الموضوع نفسه«وكتب في الشهود شُريح بن

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٨٢.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٦٤.

٣ - تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٧٩.

٤ - تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٨٠.

٥ - تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٨٠.

الحارث القاضي وشُريح بن هانئ الحارثي؛ فأما شريح فقال: سألني عنه، فأخبرته أنه كان صواماً قواماً، وأما شريح بن هانئ الحارثي فكان يقول: ما شهدت، ولقد بلغني أن قد كتبت شهادتي، فكذبته ولمته»، وروي أن شريح ابن هاني قد بعث بكتاب إلى معاوية ورد فيه«...فانه بلغني أن زياداً كتب إليك بشهادتي على حجر بن عدي، وأن شهادتي على حجر أنه ممن يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويديم الحج والعمرة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؛ حرام الدم والمال، فان شئت فاقتله، وان شئت فدعه. فقرأ كتابه على وائل بن حجر وكثير، فقال: ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسه من شهادتكم».[١]

ويظهر من خلال ذلك أن زياداً حاول قدر الإمكان الزج بأكبر عدد من الشهود الذين لهم مكانة بارزة في المجتمع الكوفي حتى وإن كانوا غير حاضرين، وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يتجرأ على درج أسم المختار من ضمن الشهود لمعرفته بعدم موافقته مسبقاً على تلك الشهادة، وجل ما فعله هو أنه دعاه ليشهد على تلك الشهادة.

ولم يذكر البلاذري، والطبري، وأبو الفرج الأصفهاني، الذين أسهبوا في ذكر شهادة الشهود، أحداً دعي إلى الشهادة ورفض ذلك غير المختار وعروة ابن المغيرة بن شعبة، مما يوضح مدى أهمية ومكانة شخصية المختار، في الوقت

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٨١؛ ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٦٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٢٣.

نفسه الذي ألقى أسماء بعض الشهود على الرغم من شهادتهم على ذلك، «فقال: زياد ألقوهم إلا من قد عرف بحسب وصلاح في دينه.؟»..[١]. وهي من المفارقات أن بعض الناس يشهدون حسب رغبة الأمويين وولاتهم فترفض شهادتهم، بينما يدعى إلى الشهادة المختار فيرفض ذلك. مما يدل على صدق ولائه لآل البيت والإمام علي (عليه السلام)، فمحور الشهادة التي تدور حوله شهادة الشهود هو الولاء للإمام علي (عليه السلام)، بحيث أقترن العفو عن حجر وأصحابه أو قتلهم بإعلان البراءة من الإمام علي عليه السلام من عدمها.

الأمر الثالث: عُدت الشهادة ضد حجر بن عدي من المثالب الرئيسة على أي شخص دونت شهادته في ذلك الموقف، فبعد أكثر من خمسة عشر عاماً أراد المختار أن يجعل شريحاً على قضاء الكوفة، إلا أنه تراجع عن ذلك بسب عدم قبول الناس به، فكان أحد أسباب رفضهم لتقلد شريح القضاء هو أنه شهد على حجر بن عدي[٢]، وهذا يعني أن الشهادة ضد حجر بن عدي كانت وصمة عار ومثلبة على كل من أشترك في ذلك الفعل الدنيء للأهمية والمكانة المرموقة بين المسلمين عامة والموالين لآل البيت خاصة التي يتمتع بها الصحابي الجليل حجر بن عدي.

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٨٠.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٥٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٤-١٥.

رابعاً: موقف المختار أثناء نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)

تولى الخلافة يزيد بن معاوية (٦٠هـ-٦٤هـ) بعد وفاة والده معاوية سنة ستين للهجرة [١]، بعهد من أبيه، الذي أخذ له البيعة من الأمصار في حياته، فرفض تلك البيعة الإمام الحسين (عليه السلام)، وعبد الله بن الزبير بن العوام[٢] وما أن آلت الأمور إلى يزيد حتى كتب كتابين إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان عامله على المدينة، نعى إليه في أحدهما موت معاوية، وجاء في كتابه الثاني، الذي كتبه في صحيفة وصفت لصغرها كأنها أذن فأرة: «أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة ولا هوادة حتى يبايعوا؛ والسلام».[٣]

وما إن وصل كتاب يزيد إلى الوليد بن عتبة والي المدينة، حتى بعث إلى مروان بن الحكم ليشاوره في الأمر، وعلى الرغم من سوء العلاقة بينهما فقد حضر مروان إليه، فأخبره الخبر واستشاره في ذلك، فأشار عليه أن يبعث على وجه السرعة إلى الإمام الحسين (عليه السلام) وعبد الله بن الزبير، فيدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة، فإن استجابوا خيراً وإن أبوا فتضرب أعناقهم، قبل أن يعلموا بموت معاوية، لأنهم إن علموا أظهروا الخلاف ووثب كل واحد منهم في جهة [٤].

---

١ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٦٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢١٨.

٢ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٠٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢١٧.

٣ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٣١٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٢٧-٢٢٨؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٥، ص١٠.

٤ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢١٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٦٩.

وأصر مروان أن يرسل في طلبهما في جوف الليل أي عند وصول رسول يزيد إلى المدينة وأن لا يؤخر ذلك إلى الصباح، وبالفعل أرسل الوليد عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو غلام صغير السن، يدعوهما للحضور، فوجدهما في المسجد يتحدثان، وأتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها، فبلغهما بذلك، فصرفاه وقالا له: سنأتي في أثرك. وتداولا الأمر فيما بينهما عن سبب تلك الدعوة فقال الإمام الحسين عليه السلام لأبن الزبير: أظن أن طاغيتهم قد مات، ويدعونا لنبايع قبل أن يعلم الناس بذلك، وأقتنع عبد الله ابن الزبير بصحة حدس الإمام الحسين (عليه السلام) بهذا الشأن.[١]

قرر الإمام الحسين (عليه السلام) التوجه إلى مجلس الوليد وبدد مخاوف ابن الزبير عليه من الوليد فقال له: لا آتيه إلا وأنا قادر على الامتناع منه، ثم جمع الإمام الحسين عليه السلام أصحابه ومواليه وفتيانه وأوصاهم أن يقفوا في باب مجلس الوليد فان دعاهم أو سمعوا صوته قد علا، يدخلوا عليه بإجمعهم إلى مجلس الوليد، ثم دخل وسلم، فلما وجد مروان عنده، قال: الصلة خير من القطيعة، والصلح خير من الفساد، في اشارة إلى ما كان من الخلاف بين الوليد ومروان، ثم جلس الإمام الحسين (عليه السلام)، فقرأ عليه الوليد كتاب يزيد، ونعى له معاوية، ودعاه إلى بيعة يزيد، فاسترجع الحسين، ثم قال: «آما ما سألتني من البيعة فان مثلي لا يعطي بيعته سراً، ولا أراك

١ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢١٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٢٨؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٥، ص ١١ -١٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٦٩.

تجتزئ بها مني سراً دون أن نظهرها على رؤوس الناس علانية؛ قال: أجل، فإذا خرجت إلى الناس فدعوهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً، فقال له الوليد، وكان يحب العافية: فانصرف على أسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس» (١)، لكن هذا الرأي لم يعجب مروان فقال للوليد: «والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، أحبس الرجل، ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه، فوثب عند ذلك الحسين، فقال: يابن الزرقاء، أنت تقتلني أم هو! كذبت والله وأثمت، ثم خرج فمر بأصحابه، فخرجوا معه حتى أتى منزله».(٢)

ثم أنشغل الوليد بإرسال الرسل إلى عبد الله بن الزبير الذي طلب أن يمهلوه إلى اليوم التالي، فبعث أخاه جعفر بن الزبير إلى الوليد فقال له: «كف عن عبد الله، فإنك قد أفزعته وذعرته بكثرة رسلك، وهو آتيك غداً إن شاء الله فمر رسلك فلينصرفوا عنا، فبعث اليهم فانصرفوا».(٣) وخرج ابن الزبير من ليلته، هو وأخوه جعفر لا ثالث لهما، فأخذ الطريق الفرع وتجنب الطريق الأعظم مخافة الطلب.

وقد تجنب الوليد اتخاذ أي أجراء آخر ضد الإمام الحسين (عليه السلام)، وذلك لمكانته الدينية المرموقة بين المسلمين، ولكونه ابن بنت رسول

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٢٨-٢٢٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٧٠.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٢٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٧٠.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٢٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٧٠.

الله (صلى الله عليه واله وسلم)، وعلى الرغم من الموقف السيئ الذي وقفه مروان في تلك الأحداث، فقد قال للوليد: «عصيتني لا والله لا يمكنك من مثلها من نفسه أبداً».[١] فكان رد الوليد واضحاً وعنيفاً فقال: «ويحك، أتشير علي بقتل الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وعليهما السلام؟ والله إن الذي يُحاسب بدم الحسين يوم القيامة لخفيف الميزان عند الله»[٢]، وذكر ابن أعثم الكوفي[٣] أنّه قال: «ويحك! أشرت عليَّ بقتل الحسين وفي قتله ذهاب ديني ودنياي».

أوضح الإمام الحسين (عليه السلام) رأيه بشكل جلي بأنه لم ولن يبايع يزيد منذ الوهلة الأولى فقد قال أثناء حديثه مع عبد الله بن الزبير في شان البيعة: «.... أنى أبايع ليزيد ويزيد رجل فاسق معلن الفسق يشرب الخمر ويلعب بالكلاب والفهود ويبغض بقية آل الرسول! لا والله لا يكون ذلك أبدا».[٤]

وقال لأخيه محمد ابن الحنفية: «والله يا أخي لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية أبداً».[٥]

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٢٩؛ ينظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢١١؛ المفيد، الإرشاد، ص١٩٢

٢ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢١١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٢٩؛ المفيد، الإرشاد، ص١٩٢.

٣ - كتاب الفتوح، ج٥، ص١٤.

٤ - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٥، ص١٢.

٥ - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٥، ص٢١.

يتضح من كلام الإمام (عليه السلام) مع الوليد ومروان تصميمه على القيام بإصلاح أوضاع الأمة والوقوف بوجه يزيد وأعوانه ورفض بيعته وعلى أثر ذلك حدثت مشادة بينه وبين مروان أنب فيها مروان وعنفه فقد قال له: «ويلك يا مروان! إليك عني فإنك رجس وإنا أهل بيت الطهارة الذين أنزل الله عز وجل على نبيه (صلى الله عليه واله وسلم) فقال: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً }[1].

قال: فنكس مروان رأسه لا ينطق بشيء»[2].

بعد ذلك كتب الوليد إلى يزيد بن معاوية يخبره بما كان من أهل المدينة وابن الزبير، ثم ذكر له أمر الإمام الحسين (عليه السلام) أنّه ليس يرى لنا عليه طاعة ولا بيعة، فكتب إليه يزيد: «من عبد الله يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد ابن عتبة، أما بعد، فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة ثانياً على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، وذر عبد الله بن الزبير فأنه لن يفوتنا ولن ينجو منا أبداً ما دام حياً، وليكن جوابك إلي رأس الحسين بن علي، فإن فعلت ذلك فقد جعلت لك أعنة الخيل ولك عندي الجائزة والحظ الأوفر والنعمة واحدة والسلام»[3].

واستمرت تلك الضغوط فقرر الإمام الحسين (عليه السلام) التوجه إلى مكة المكرمة وبصحبته بنوه وإخوته وبنو أخيه وجل أهل بيته، إلا محمد ابن

---

١ - الأحزاب، الآية ٣٣.

٢ - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٥، ص١٧.

٣ - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٥، ص١٨.

الحنفية، وقبل أن يخرج من مكة دخل مسجد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وتمثل بقول الشاعر:

لا ذعرت السوام في فلق الصبـ ... ـح مغيراً ولا دعيت يزيداً

يوم أعطى من المهابة ضيماً ... والمنايا يرصدنني أن أحيدا[1]

ولما خرج لزم الطريق الأعظم فقال له أهل بيته: لو تنكبت الطريق الأعظم كما فعل ابن الزبير لئلا يلحقك الطلب فقال: لا والله حتى يقضي الله ما هو قاضٍ[2] فرفض أن يتخذ غيره خوفاً من الطلب، ولما خرج نحو مكة، تلا قوله تعالى: {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ }[3].

فلما دخل مكة قرأ قوله تعالى: {وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ }[4] [5]، ومضى حتى وافى مكة، فنزل شعب علي، وأختلف الناس إليه، فكانوا يجتمعون عنده حلقاً حلقاً، وتركوا عبد الله بن الزبير، وعلم أن الناس لا يحفلون به والإمام الحسين (عليه السلام) مقيم بالحجاز، فكان يختلف إلى الحسين صباحاً ومساءً[6].

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٣٠؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٥، ص٢٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٧١.

٢ - المفيد، الإرشاد، ص١٩٣.

٣ - القصص، الآية ٢١.

٤ - القصص، الآية ٢٢.

٥ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٣٠.

٦ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢١٢؛ المفيد، الإرشاد، ص١٩٣.

خامساً: موقف أهل الكوفة من الإمام الحسين (عليه السلام)

أرجع الدينوري [١] تحرك أهل الكوفة نحو الإمام الحسين (عليه السلام) إلى وقت مبكر جداً، وبالتحديد في عهد الإمام الحسن (عليه السلام) وذلك أثناء عقد الصلح مع معاوية فقد ذكر أن حجر بن عدي دخل مع عبيدة بن عمرو على الإمام الحسين (عليه السلام) فقالا: «أبا عبد الله، شريتم الذل بالعز، وقبلتم القليل، وتركتم الكثير، أطعنا اليوم، واعصنا الدهر، دع الحسن وما رأى من هذا الصلح، وأجمع إليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها، وولني وصاحبي هذه المقدمة، فلا يشعر ابن هند إلا ونحن نقارعه بالسيوف. فقال الحسين: إنا قد بايعنا وعاهدنا، ولا سبيل إلى نقض بيعتنا».

ويبدو - إن صحت رواية الدينوري هذه بأن صاحب القول هو حجر ابن عدي - فهي لا تتعدى عن ردة الفعل التي انتابت العديد من شيعة آل البيت في ذلك الظرف العصيب الذي رافق عقد الصلح، ولا يمكن أن تكون بأي حال من الأحوال هي بيعة للإمام الحسين (عليه السلام) في حياة أخيه الإمام الحسن (عليه السلام)، فقد كان الحماس شديداً لدى الخلص من شيعة آل البيت في قتال معاوية.

وعندما قتل حجر بن عدي وأصحابه على يد معاوية سنة أحدى وخمسين للهجرة [٢]، أستفظع أهل الكوفة ذلك استفظاعاً شديدا، وخرج نفر

---

١ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٠٤.

٢ - خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٢١٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٨٥.

من أشرافها إلى الإمام الحسين (عليه السلام) في المدينة، وأخبروه بما جرى على حجر وأصحابه، وقام هؤلاء يختلفون اليه [١]، مما أثار الشكوك والريبة لدى والي المدينة يومئذٍ مروان بن الحكم، «فكتب إلى معاوية يعلمه أن رجالاً من أهل العراق قدموا على الحسين بن علي رضي الله عنهما، وهم مقيمون عنده يختلفون إليه، فاكتب إلي بالذي ترى» [٢].

وعلى الرغم من أن معاوية لم يسمح لمروان والي المدينة بالتعرض للإمام الحسين حيث كتب له «لا تعرض للحسين في شيء، فقد بايعنا، وليس بناقض بيعتنا ولا مخفر ذمتنا» [٣]، ومن المعروف أنّ الإمام الحسين عليه السلام إلتزم بالهدنة التي عقدها الإمام الحسن (عليه السلام) مادام معاوية على قيد الحياة إلا أن ذلك لم يبدد مخاوف معاوية من منزلة ومكانة الإمام الحسين (عليه السلام) عند المسلمين عامة وعند أهل العراق خاصة، فكتب إليه: «أما بعد، فقد انتهت إلي منك أمور، لم أكن أظنك بها رغبة عنها، وأن أحق الناس بالوفاء لمن أعطى بيعة من كان مثلك، في خطرك وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله بها، فلا تنازع إلى قطيعتك، وأتق الله، ولا تردن هذه الأمة في فتنة، وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون» [٤].

---

١ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٠٧ -٢٠٨؛ الشريف المرتضي، علي بن الحسين (ت: ٤٣٦هـ-١٠٤٤م)، تنزيه الأنبياء، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، د. ت، ص١٧٥؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٣.

٢ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٠٧ -٢٠٨؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٣.

٣ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٠٨.

٤ - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص١٦٧؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٠٨.

ويتضح من خلال كتاب معاوية هذا حجم مخاوفه من اتصال أهل الكوفة بالإمام الحسين (عليه السلام)، وما سوف تؤول إليه الأمور في حال استجابته إلى ذلك، ويبدو كذلك من جواب الإمام الحسين الذي كان رداً حاسماً وقوياً، فأجابه بكتاب كتب فيه: «...وأما ما ذكرت أنّه رقي إليك عني، فإنما رقاه الملاقون، المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الجمع، وكذب الغاوون المارقون، ما أردت حرباً ولا خلافاً، وأني لأخشى الله في ترك ذلك منك ومن حزبك، القاسطين المحلين، حزب الظالم، وأعوان الشيطان الرجيم، ألست قاتل حجر، وأصحابه العابدين المخبتين... أو لست بقاتل عمرو بن الحمق؟»..[(١)]

والإمام الحسين (عليه السلام) يرى أحقيته في النهضة ضد الأمويين ولكنه يرى أن الوقت لم يحن بعد، فقد سبق وأن وجه بعض شيعته وأنصاره قائلاً: «ليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته، مادام معاوية حياً؛ فإنها بيعة كنت والله لها كارهاً، فإن هلك معاوية نظرنا ونظرتم، ورأينا ورأيتم».[(٢)]

وما إن توفي معاوية عام (٦٠هـ) وعلم أهل الكوفة بتنصيب أهل الشام يزيد خليفة للمسلمين، ورفض الإمام الحسين (عليه السلام) مبايعته وخروجه إلى مكة، حتى اجتمع أهل الكوفة في بيت سليمان بن صرد الخزاعي، وبعد أن

---

١ - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص١٦٩؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٠٨.

٢ - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص١٥٥.

تداولوا الأمر فيما بينهم كتبوا له كتاباً جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر. وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة، سلام عليك، فانا نحمد اليك الله الذي لا اله إلا هو، أما بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فأبتزها أمرها، وغصبها فيئها، وتأمر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها، وأستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود!، إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الامارة، لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج إلى عيد، ولو قد بلغنا أنّك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله، والسلام ورحمة الله عليك».[1]

وما إن وصل كتاب أهل الكوفة المتقدم الذكر في العاشر من رمضان سنة ستين للهجرة إلى الإمام الحسين (عليه السلام) مع عبد الله بن سبع الهمداني وعبد الله بن وال[2]، فلم يلبث أهل الكوفة أكثر من يومين حتى

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٣٧؛ وينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص٢١٠؛ المفيد، الإرشاد، ص١٩٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٤٧٥؛ ابن طاووس، علي بن موسى (ت:٦٦٤هـ - ١٢٦٥م)، اللهوف في قتلى الطفوف، دار السجدة، قم، ٢٠٠٣م، ص٢٢، ٢٣؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة، ص٢٧٧، ٢٧٨.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٣٧؛ وينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص٢١٠؛ المفيد، الإرشاد، ص١٩٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٤٧٥؛ ابن طاووس، اللهوف، ص٢٢، ٢٣.

سرحا مع قيس بن مسهر الصيداوي(١) وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبي وعمارة بن عبيد السلولي، أكثر من ثلاثٍ وخمسين صحيفة من رجال من أهل الكوفة، وتوالت الكتب على الإمام الحسين تدعوه إلى القدوم على الكوفة فقد كتب بعض قادتهم منهم شبث بن ربعي وحجار بن أبجر وعمرو ابن الحجاج وغيرهم«أما بعد، فقد أخضرت الجناب، وأينعت الثمار، وطَمّت الجمام، فإذا شئت فأقدم على جندٍ لك مجندٍ والسلام عليك»(٢).

ولما قرأ الإمام الحسين (عليه السلام) تلك الكتب وسأل الرسل عن أمر الناس كتب لهم مع هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي، وكانا آخر من قدم عليه من الرسل: «بسم الله الرحمن الرحيم من حسين بن علي

١ - هو قيس بن مسهر الصيداوي أحد حملة رسائل أهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام بعد إعلان الإمام رفضه لبيعة يزيد بن معاوية، ثم صحب مسلم بن عقيل عليه السلام عند قدومه سفيراً عن الإمام عليه السلام إلى الكوفة، ورجع يحمل إلى الإمام الحسين عليه السلام رسالة من مسلم بن عقيل عليه السلام، قبل استشهاده بسبع وعشرين ليلة يخبره فيها بيعة من بايع ويدعوه إلى القدوم، ولما رجع إلى الكوفة حاملاً كتاب الإمام عليه السلام القي القبض عليه قبل دخولها الحصين بن نمير فمزق الكتاب وأرسله إلى ابن زياد فسأله لماذا مزقت الكتاب قال له لئلا تعرف ما فيه فقال له: من أين فقال من الحسين إلى جماعه من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم، فأمره أن يصعد ويسب الإمام الحسين وأباه، فصعد وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس أنا رسول الحسين بن علي خير خلق الله... فأجيبوه، ولعن ابن زياد وأباه، وأستغفر للإمام عليٍّ عليه السلام فأمر أن يرمى من فوق القصر فرمي وتقطع وأستشهد. ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٣، ص٣٧٨، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٦٦ -٢٦٧.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٣٧ -٢٣٨؛ ابن طاووس، اللهوف، ص٢٣.

إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين؛ أما بعد، فإن هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلكم: إنّه ليس علينا إمام، فاقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق. وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إلي أنه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم، وقرأت في كتبكم أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله؛ فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله. والسلام».[1]

وهكذا استدعى الإمام الحسين (عليه السلام) مسلم بن عقيل فسرحه مع قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبد السلولي وعبد الرحمن بن عبد الله الارحبي وأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجل إليه بذلك، فسار مسلم حتى نزل الكوفة[2]. وهنا يذكر معظم المؤرخين أنه نزل في دار المختار بن أبي عبيد[3] في حين ذكر بعضهم أنه

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٣٨؛ ينظر: المفيد، الإرشاد، ص١٩٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٧٥.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٣٨-٢٣٩.

٣ - أبو مخنف، لوط بن يحيى (ت:١٥٧هـ-٧٧٣م)، مقتل الحسين، تحقيق: حسن الغفاري، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٨هـ، ص٢٠؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٢، ص٣٣٤-٣٣٥؛ الدنيوري، الأخبار الطوال، ص٢١٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٣٩؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٥، ص٣٣؛ ابن حبان، أبو حاتم محمد (ت:٣٥٤هـ-٩٦٥م)، ←

نـزل في دار هـاني بـن عـروة [١]، وذكـر آخـرون أنـه نـزل في دار مـسلم بـن عوسجة [٢].

وعلى الرغم من هذا الاختلاف بين المؤرخين في المكان الـذي نـزل فيـه مسلم بن عقيل إلا أنهم أجمعوا على ثلاثة من كبار أهل الكوفـة آنـذاك وهـم هانئ بن عروة، ومسلم بن عوسجة، والمختار بن أبي عبيد، وهؤلاء أشهر من أن يُعرف موقفهم من نهضة الإمـام الحـسين (عليـه الـسلام) فهـاني بـن عـروة (رحمه الله) أستشهد مع مـسلم بـن عقيـل عليـه الـسلام قبـل وصـول الإمـام الحسين (عليه السلام) ومسلم بـن عوسـجة (رحمـه الله) أستـشهد مـع الإمـام الحسين (عليه السلام) في واقعة الطف، والثالث هو المختار. والاقتران بهـؤلاء لم يكن شيئاً اعتيادياً وإنما هو منقبة بحد ذاته، فضلاً عن ذلك كانت الكوفة في ذلك الوقت معقل كبـار أنـصار آل محمـد أمثـال حبيـب بـن مظـاهر الأسـدي وسليمان بن صرد الخزاعي وغيرهم فلم يختر مسلم النزول عند أحدٍ منهم.

الثقـات، دائـرة المعـارف العثمانيـة، حيـدر آبـاد، ج٢، ص٣٠٧؛ المفيـد، الإرشـاد، ص١٥٩؛ النيسابوري، محمد بن الفتال (ت :٥٠٨هـ-١١١٤م)، روضة الواعظين، تحقيـق : محمـد مهـدي حسن، منشورات الشريف الرضي، قم، د. ت، ص١٧٣؛ الطبرسي، إعلام الورى، ص٢٣٠؛ ابن شهر آشوب، مناقـب آل أبي طالـب، ج٣، ص٢٤٢؛ ابـن عـساكر، تـاريخ دمـشق، ج١٨، ص٢٩٥؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٧٦؛ ابن طاووس، اللهوف، ص٢٤؛ ابـن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٤٨٠.

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٦٣.

٢ - المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٦٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملـوك، ج٥، ص٢٣٤؛ ابـن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٤٨٠.

وقد نقل الطبري روايته بسنده عن أبي مخنف لوط بن يحيى دخول مسلم إلى الكوفة وتحركاته فيها فوصف تلك الرواية فقال: «وأما أبو مخنف فإنّه ذكر من قصة مسلم بن عقيل وشخوصه إلى الكوفة ومقتله قصة هي أشبع وأتم من خبر عمار الدهني[1] الذي ذكرناه».[2] - فقال: «....ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة، فنزل دار المختار بن أبي عبيد، وهي التي تدعى اليوم دار مسلم بن المسيب، وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فكلما اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب حسين، فأخذوا يبكون. فقام عابس بن أبي شبيب الشاكري، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإني لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في أنفسهم، وما أغرك منهم، والله أحدثك عما أنا موطن نفسي عليه، والله لأجيبنكم، إذا دعوتم، ولا قاتلن معكم عدوكم، ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله. فقام حبيب بن مظاهر الفقعسي؛ فقال: رحمك الله! قد قضيت ما في نفسك، بواجز من قولك؛ ثم قال: وأنا والله الذي لا اله إلا هو على مثل ما هذا عليه..»..[3]، ثم بايع الناس بعد ذلك فكان المختار فيمن بايعه وناصحه، وأخذ البيعة له من الناس.[4]

---

١ - عمار الدهني: هو أحد رواة الطبري الذي ذكر أنّ مسلماً نزل في دار رجلٍ من أهل الكوفة يقال له ابن عوسجة. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٣٤.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٣٦.

٣ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٢٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٣٩.

٤ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٧٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٨٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص٦١.

ويبدو أن الروايات التي أشارت إلى نزول مسلم بن عقيل في دار المختار هي أرجح الروايات، وذلك لأن أغلب المصادر التاريخية أشارت إلى ذلك، فضلاً عن أن هناك عاملاً آخر رجح تلك الروايات، وهو أن المختار كان متزوجاً من عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري والي الكوفة من قبل الأمويين آنذاك وهو ما يجعل محل إقامته بعيداً عن شك الأمويين وجواسيسهم.

وبعد أن ناقش هاشم معروف الحسني[١] فرضية وجود صداقة ومودة بين الرجلين استبعد ذلك وعلله بفارق العمر الكبير بينهما، وسكن أحدهما في المدينة بينما يسكن الثاني في الكوفة؛ لكن أحد الباحثين[٢] توصل إلى أن عُمر مسلم بن عقيل عند دخوله الكوفة قد ناهز الخمسين مستنداً في استنتاجه هذا على رواية للواقدي ذكر فيها مشاركة مسلم بن عقيل في فتوح مصر إبان خلافة عمر بن الخطاب[٣]، وهو ما يعني أن فارق العمر لم يكن كبيراً بين مسلم بن عقيل والمختار، وسبق وأن أشرنا لقول الذهبي[٤]«ونشأ المختار بالمدينة يعرف بالميل إلى بني هاشم»، فلا يستبعد - فضلاً عن ولاء المختار لبني هاشم وعمله الدؤوب في سبيل انتقال السلطة إليهم - هناك روابط من الصداقة والمودة القديمة بين مسلم بن عقيل والمختار.

١ - الانتفاضات الشيعية، ص٣٣٧

٢ - الجميلي، علي إبراهيم عبيد، مسلم بن عقيل دراسة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، بغداد، ٢٠١٠م، ص٨، ١١.

٣ - للمزيد من التفاصيل ينظر: الواقدي، محمد بن عمر (ت: ٢٠٧هـ-٨٢٢م)، فتوح الشام، مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد، دار ابن خلدون، الإسكندرية، ج٢، ص٢٦٨-٣٤٨.

٤ - سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٥٤٤.

ويُعد نزول مسلم بن عقيل في دار المختار دليلاً على عظمته ومنزلته، فقد أورد ابن أعثم الكوفي [١] قول الإمام الحسين (عليه السلام) عندما دعا مسلم بن عقيل ووجهه إلى الكوفة فقال له: «إني موجهك إلى أهل الكوفة وهذه كتبهم إلي، وسيقضي الله من أمرك ما يحب ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض على بركة الله حتى تدخل الكوفة، فإن دخلتها فانزل عند أوثق أهلها وادع الناس إلى طاعتي واخذلهم عن آل أبي سفيان، فإن رأيت الناس مجتمعين على بيعتي فعجل لي بالخبر حتى أعمل على حسب ذلك إن شاء الله تعالى، ثم ودعه وبكيا جميعاً».

وهنا يشير الإمام الحسين عليه السلام إلى قضية في غاية الأهمية وهي أن ينزل مسلم بن عقيل عند أوثق أهل الكوفة، ويتبين من خلال ذلك أنه لم يكن نزول مسلم بن عقيل في دار المختار أمراً اعتباطياً وإنما عن دراية كاملة، وتخطيط مسبق.

ثم تغيرت الموازين على وجه السرعة بعد أن كتب أنصار الحزب الأموي إلى مركز الخلافة الأموية بقدوم مسلم بن عقيل إلى الكوفة وأخذ البيعة للإمام الحسين (عليه السلام، وأن والي الكوفة ضعيف ولم يحرك ساكناً، فاستشار يزيد أعوانه في ذلك فأشاروا عليه بتولية عبيد الله بن زياد على الكوفة وكان حينها والياً على البصرة، فجمع له يزيد الكوفة معها، فقدم إليها على وجه السرعة، وكان وصوله إليها على حين غرة من أهلها، وأتبع

---

١ - كتاب الفتوح، ج٥، ص٣١.

الحيلة والدهاء في دخولها على هيئة الإمام الحسين (عليه السلام)، فعزل واليها النعمان بن بشير الأنصاري، ثم سلط شرطته وجواسيسه على كل من يشك بولائه لآل محمد فملأ السجون بهم، وبدأ يتجسس على محل إقامة مسلم بن عقيل الذي انتقل على أثر وصول ابن زياد من دار المختار إلى دار هاني بن عروة للحفاظ على سرية محل إقامته، وكذلك للولاء المنقطع النظير لهاني بن عروة لآل البيت وللمنزلة الرفيعة التي يتمتع بها في قومه، وما أن علم عبيد الله ابن زياد بمكان مسلم في دار هاني بن عروة حتى استدعاه على وجه السرعة إلى القصر ومن ثم اعتدى عليه بالضرب ثم أودعه السجن.[١]

وقد أشار المؤرخون إلى موقف المختار من مسلم بن عقيل بعد أن أُلقي القبض على هاني بن عروة، فما أن علم مسلم بذلك حتى هبّ لمحاصرة قصر الأمارة لإنقاذ هاني بن عروة من مثالب ابن زياد، وقد ذكرت المصادر التاريخية العديد من الروايات بهذا الشأن:

فقد أورد أبو مخنف روايته بشكل مفصل ودقيق فذكر: أن المختار بن أبي عبيد كان في قرية له تدعى لقفا[٢]، فجاءه خبر خروج مسلم بن عقيل عند الظهر ولم يكن خروجه على موعد من أصحابه، وإنما كان بسبب التطورات السريعة التي حدثت وهي اعتقال هاني بن عروة، فأقبل المختار في موالٍ حتى

---

١ - للمزيد من التفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٤٠-٢٤٧؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٥، ص٣٥-٤٨.

٢ - وهي قرية في ناحية خطرنية إحدى نواحي بابل في العراق. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٧٨.

موالٍ حتى وقف بباب الفيل بعد الغروب، فقال له هاني بن أبي حية: أظنك والله قاتلاً نفسك، ولما علم بقدوم المختار عمرو بن حريث صاحب راية عبيد الله بن زياد التي عقدها للناس في المسجد أرسل إليه يقول: أن صاحبه لا يُدرى أين هو فلا يجعلن على نفسه سبيلا، وطلب منه أن ينضم إلى رايته ويعطيه الأمان وأنه سيشفع له إذا وصل أمره إلى ابن زياد، فلما استشهد مسلم بن عقيل (عليه السلام، ودخل المختار مع الناس على عبيد الله بن زياد في اليوم التالي، فقال له ابن زياد: «أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عقيل فقال له: لم أفعل ولكني أقبلت ونزلت تحت راية عمرو بن حريث وبت معه وأصبحت فقال له عمرو: صدق أصلحك الله، قال: فرفع القضيب فأعترض به وجه المختار فخبط به عينه فشترها، وقال: أولى لك، أما والله لولا شهادة عمرو لك لضربت عنقك،انطلقوا به إلى السجن؛ فانطلقوا به إلى السجن فحُبس فيه، فلم يزل في السجن حتى قتل الحسين».(١)

وجاءت رواية البلاذري (٢) متطابقة مع رواية أبي مخنف، إلا أنها أقل تفصيلاً منها، وتختلف في بعض المفردات التي لا تغير من المضمون شيئاً، وعلى الرغم من الإيجاز في رواية البلاذري إلا أنها أشارت إلى حماس المختار في نصرة مسلم بن عقيل، فقال: «وقدم المختار الكوفة مسرعاً، فوقف على

---

١ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٢٦٩ -٢٧٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص ٣٨٤-٣٨٥؛ وينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٠٢؛ ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص٦٩؛ المقريزي، أمتاع الأسماع، ج١٢، ص٢٥٠.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٧٦.

باب المسجد الذي يعرف بباب الفيل في جماعة»..

وأورد اليعقوبي [١] رواية مقتضبة فقال: «وكان المختار بن أبي عبيد أقبل في جماعة عليهم السلاح، يريدون نصر الحسين بن علي، فأخذه عبيد الله بن زياد، فحبسه، وضربه بالقضيب، حتى شتر عينه»..

وعلى الرغم من تطابق أغلب مفردات رواية اليعقوبي مع الروايات الأخرى، إلا أنّه انفرد بقوله: بأن المختار قدم لنصرة الإمام الحسين (عليه السلام، حيث أجمعت المصادر التاريخية أن المختار أثناء قدوم الإمام الحسين إلى كربلاء كان في سجن بن زياد.

وأورد الطبري بهذا الشأن روايتين:

الأولى: وهي رواية أبي مخنف السالفة الذكر، فقال بسنده «قال هشام ابن محمد الكلبي: قال أبو مخنف:.....والمختار في قرية له بخطرنية [٢] تدعى لقفا، فجاءه خبر ابن عقيل عند الظهر».. [٣]

الرواية الثانية: أوردها الطبري [٤] بسنده عن هارون بن مسلم فقال: «إنّ المختار بن أبي عبيد وعبد الله بن الحارث بن نوفل كانا خرجا مع مسلم، خرج المختار براية خضراء، وخرج عبد الله براية حمراء، وعليه ثياب حُمرٌ،

---

١ - تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٨٠.

٢ - وهي ناحية من نواحي بابل في العراق. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٧٨.

٣ - تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٨٤.

٤ - تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٥٧.

وجاء المختار برايته فركزها على باب عمرو بن حريث، وقال إنما خرجت لأمنع عمراً؛ وأن أبن الأشعث والقعقاع بن شور وشبث بن ربعي قاتلوا مسلماً وأصحابه عشية سار مسلم إلى قصر بن زياد قتالاً شديداً، وان شبثاً جعل يقول: انتظروا بهم الليل يتفرّقوا؛ فقال له القعقاع: إنّك قد سددت على الناس وجه مصيرهم، فأفرج لهم ينسربوا، وأنّ عبيد الله أمر أن يُطلب المختار وعبد الله بن الحارث، وجعل فيهما جُعلاً، فأتي بهما فحبسا».

ورواية الطبري الثانية ذكرها ابن كثير[1] بصيغة أخرى فقال: «وسمع مسلم بن عقيل الخبر - أي ضرب وسجن هاني بن عروة — فركب ونادى بشعاره: يا منصور أمتْ. فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، وكان معه المختار بن أبي عبيد، ومعه راية خضراء، وعبد الله بن الحارث بن نوفل براية حمراء، فرتبهم ميمنةً وميسرةً، سار هو في القلب إلى عبيد الله وهو يخطب الناس في أمر هانيء.....إذ جاءت النظارة يقولون جاء مسلم بن عقيلٍ.؟»..

ويبدو أن روايتي الطبري الثانية وابن كثير لا يمكن الأخذ بهما بهذه السهولة، وذلك لأن أغلب المصادر التاريخية أشارت إلى أن المختار أثناء هذه الأحداث لم يكن في الكوفة، فضلاً عن أن الحملة التي قادها مسلم بن عقيل على القصر عقب ورود خبر هاني بن عروة أوردتها المصادر التاريخية بشكل آخر فقد جعل على مقدمته عبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي وعقد له

---

١ - البداية والنهاية، ج١١، ص٤٨٥.

راية ربع كندة وربيعة، ومسلم بن عوسجة على ربع مذحج وأسد، وأبا ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان، وعلى ربع المدينة عباس بن جعدة الجدلي، فأقبل بهم نحو القصر وحاصر بن زياد.[١]

وعلى الرغم من أن رواية ابن أعثم الكوفي[٢] قريبة من رواية أبي مخنف التي ذكرناها، إلا أنها تختلف في بعض الأمور المهمة، فذكر أنّ ابن زياد قال: «يابن أبي عبيد! أنت المقبل في الجيوش بالأمس لنصرة مسلم بن عقيل، وأنت ممن يتولى علياً وولده ؟ فقال: إني أحبهم بمحبة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لهم، وأما نصرتي لمسلم بن عقيل فلم أفعل، وهذا عمرو بن حريث المخزومي يعلم ذلك، وهو شيخ أهل الكوفة يعلم أنّي كنت في ذلك الوقت لازماً لمنزلي. قال: وأستحيي عمرو بن حريث أن يشهد على رجل مسلم في ذلك الوقت بين يدي عبيد الله بن زياد فيقتل، غير أنه قال: صدق أيها الأمير لم يقاتل مع مسلم بن عقيل، ولقد كذب عليه في هذا، فإن رأى الأمير أن لا يعجل عليه فإنه من أبناء المهاجرين.»..

وهنا يشير ابن أعثم الكوفي في روايته هذه إلى مسألة غاية في الأهمية وهي: أن الولاية والمحبة لعلي وأولاده كانت من الأسباب المباشرة للقبض والتنكيل بالمختار، وكذلك أوضحت الرواية أن عمرو بن حريث كان على

---

١ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢١٩ -٢٢٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٤٨؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٠٣؛ المفيد، الإرشاد، ص٢٠١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٨٤.

٢ - كتاب الفتوح، ج٥، ص١٤٤ -١٤٥.

يقين بأن المختار إنما جاء لنصرة مسلم بن عقيل، إلا أنه أضطر أن يكون في ذلك الموقف إلى جانبه لأنه كره أن يشهد على رجل مسلم فيكون سبباً في قتله.

ويبدو أن هناك مبالغة في سبب شهادة عمرو بن حريث إلى جانب المختار لأنه رجلٌ مسلمٌ، فعمرو من قادة ابن زياد الذي قتل العترة الطاهرة ولم يكن يعنيه الإسلام شيئاً، أما موقفه هذا فربما بسبب الوعد الذي قطعه على نفسه عندما بعث زائدة بن قدامه للمختار للانضمام إلى رايته، لكن تلك الرواية أوضحت حجم الجيش الذي قدم به المختار لنصرة مسلم بن عقيل فأشارت إلى قول عبيد الله بن زياد: «أنت المقبل في الجيوش».

وأورد أبن عساكر [١]، وابن الأثير [٢]، وابن نما الحلي [٣]، والذهبي [٤]، والمقريزي [٥]، والمجلسي [٦] موقف المختار من مسلم بن عقيل بعد مجيء عبيد الله بن زياد وقيامه بضرب وسجن هانئ بن عروة فوردت رواياتهم مختصرة تتفق بشكل تقريبي مع رواية أبي مخنف بشكل واضح مع بعض الاختلافات التي لا تغير من المضمون شيئاً.

---

١ - تاريخ دمشق، ج١٨، ص٢٩٥-٢٩٦.

٢ - الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٠٢.

٣ - ذوب النضار، ص٦٨-٦٩.

٤ - تاريخ الأسلام، ج٥، ص٦١

٥ - إمتاع الأسماع، ج١٢، ص٢٥٠.

٦ - بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٥٣.

وعلق السيد الشهيد الصدر الثاني [١] على موقف المختار من مسلم بن عقيل فقال: «إنه لا شك أنه مخلص بدرجة معتد بها، حيث شارك مسلم بن عقيل في حركته، وأعانه على أهدافه، وهو يعلم أن من نتائج ذلك السجن أو القتل، لأن الحكم الحقيقي لم يكن بيدهم، بل بيد أعدائهم»

يتضح من خلال ما تقدم الأهمية الكبيرة التي يتمتع بها المختار والدور الكبير الذي قام به مع مسلم بن عقيل، ولولا أن الأمور جرت بشكل سريع لأصبح الموقف أكثر تعقيداً على عبيد الله بن زياد، باكتمال وصول أنصار مسلم بن عقيل على الموعد الذي ضربه إليهم لكن تغيير وقت الشروع بالثورة حال دون وصولهم لنصرة مسلم بن عقيل الذي أدى استشهاده إلى إلقاء القبض على الموالين له وزجهم بالسجون فقتل بعضهم مثل ميثم التمار، وحال السجن بين من بقي منهم بالأشتراك في ثورة الأمام الحسين (عليه السلام) كالمختار وغيره.

١ - محمد محمد صادق، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين، تحقيق: أسعد الناصري، دار البصائر، بيروت، ٢٠١٠م، ص١١١.

المبحث الثاني: موقف المختار من حركة التوابين

عند الحديث عن موقف المختار من التوابين لابد أن نقسم هذا الموقف على مرحلتين: الأولى التي تتمثل في شخوصهم لقتال الأمويين، والثانية عند عودتهم من بلاد الشام بعد أن استشهد معظم قادتهم وعلى رأسهم سليمان ابن صرد الخزاعي المنافس القوي للمختار في زعامة الشيعة، وقبل أن نتطرق إلى موقف المختار في المرحلتين لابد لنا من أن نعرج على حركة التوابين.

كان استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء على أيدي الأمويين وأتباعهم سبباً رئيساً ودافعاً حقيقياً لقيام الثورات في العديد من أمصار الدولة الإسلامية، والتي أدت في نهاية المطاف إلى سقوط دولتهم تحت شعار الرضا من آل محمد.

كانت حركة التوابين من أولى تلك الحركات التي أخذت على عاتقها ألاقتصاص من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) والأخذ بثأره، وتميزت تلك الحركة بأنها حركة شيعية منظمة اتخذت في بدايتها طابعاً سرياً منظماً[١]، وقد

١ - الخطيب، دولة المختار الثقفي، ص١٦٢.

أورد الطبري[١] في تاريخه أنّها بدأت تحركاتها منذ الأيام الأولى التي تلت استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، فقال: «...قتل الحسين بن علي ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة[٢]، فدخل الكوفة، تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم، ورأت أنها قد أخطأت خطأً كبيراً بدعائهم الحسين إلى النصرة وتركهم إجابته، ومقتله إلى جانبهم لم ينصروه، ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله إلاّ بقتل من قتله، أو القتل فيه، ففزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة: إلى سليمان بن صرد الخزاعي وكانت له صحبة مع النبي صلى الله عليه واله وسلم، وإلى المسيب بن نجبة الفزاري وكان من أصحاب علي وخيارهم، وإلى عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي[٣]، وإلى عبد الله بن والٍ

١ - تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٧٢-٣٧٣؛ وينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٦٤؛ الثقفي، الغارات، ج٢، ص٧٧٤؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص١١٠؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٧، ص٤٥٨؛ ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج٣، ص٥٩٣-٥٩٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٦٠؛ البحراني، عبد الله بن نور الله، عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار، تحقيق: محمد باقر المرتضى، مدرسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٧هـ، ص٦٧٤، الخطيب، دولة المختار الثقفي، ص١٥٤؛ الخشخشي، خالد راسم أمير، حركة التوابين ٦١هـ-٦٥هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل، كلية التربية، ٢٠٠٧م، ص١٥٤-١٦٣؛ الزيدي، مروان عطية، ثورة الإمام الحسين وأثرها في حركات المعارضة حتى عام ١٣٢هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، ٢٠٠٧م، ص١١١-١١٣.

٢ - النخيلة: تصغير نخله، وهو موضع قرب الكوفة على سَمْت الشام، كثيراً ما يتخذها أهل الكوفة معسكراً لقواهم إذا أرادوا أن يستعدوا للحرب. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٧٨.

٣ - هو عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي من أزد شنوءة، أحد زعماء التوابين، أوقف ماله كله ←

التيمي[١]، وإلى رفاعة بن شداد البجلي[٢]».

وأتصل التوابون بالشيعة خارج الكوفة من أهل المدائن والبصرة فاستجابوا لهم فكان ابتداء أمرهم في آخر سنة إحدى وستين

→

عدى سلاحه الذي يقاتل به صدقة على المسلمين حين استعد التوابين للأخذ بثأر الأمام الحسين (عليه السلام)، وهو من أشار على سليمان بطلب دم الحسين من عمر بن سعد، ومن بالمصر فإنهم الذين شركوا في دمه وتولوا أمره، لكن سليمان كان يرى ابن زياد هو من سرب وجهز الجيش لقتل الحسين (عليه السلام)، كان قائد الميمنة في عين الوردة، وحامل راية التوابين بعد استشهاد سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة، قيل له إن أهل المدائن وأهل البصرة في طريقهم للحوق بكم فقال: هذا لو جاؤونا ونحن أحياء، وحين جزع البعض من التوابين لكثرة القتلى والجرحى بينهم، قال: لأجل هذا خرجنا، فاستشهد في عين الوردة (سنة ٦٥هـ) ، نعته الأعشى في قصيدة كانت تكتم ذلك الزمان بسيد شنوءة. للمزيد من التفاصيل ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص٦، ٧، ١٤، ١٧؛ الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٨٩.

١ - هو عبد الله بن والٍ التيمي من تيم اللآت بن ثعلبة من بكر بن وائل، من أصحاب الأمام علي (عليه السلام)، يعد من الفقهاء والعباد، خرج مع التوابين لقتال جيش الشام، وحمل راية التوابين بعدما أستشهد سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة وعبد الله بن سعد، فأستشهد في معركة عين الوردة (سنة ٦٥هـ). للمزيد من التفاصيل ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٦٤-٣٧١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٢، ص١٤، ١٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦١٥-٦١٦؛ السماوي، محمد بن طاهر، إبصار العين في أنصار الحسين، تحقيق: محمد جعفر الطبسي، دار الثورة، د. م، ١٤١٩هـ، ص٣٨.

٢ - هو رفاعة بن شداد بن عبد الله بن قيس بن حيال بن بد الفتياني، وفتيان بطن من بطون بجيلة، من أصحاب حجر بن عدي، وعمرو بن الحمق، وأحد زعماء التوابين وكان آخر من حمل رايتهم بعد استشهاد قادهم فانسحب بهم إلى الكوفة. ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٦٤-٣٦٥.

للهجرة[١]، وحافظوا على سرية حركتهم حتى مات يزيد بن معاوية، فذكر الطبري[٢] بسنده عن أبي مخنف فقال: «فلم يزل القوم في جمع آلة الحرب، والاستعداد للقتال، ودعاء الناس في السر، من الشيعة وغيرها، إلى الطلب بدم الحسين؛ فكان يجيبهم القوم بعد القوم، والنفر بعد النفر فلم يزالوا كذلك وفي ذلك، حتى مات يزيد بن معاوية.»..

يتضح من خلال ما تقدم الطابع السري الذي امتازت به حركة التوابين ودقة تنظيمها من خلال دعوة الموالين لهم في الأمصار الأخرى، حتى جاء الوقت الذي قرروا فيه الخروج للقتال، فخرج سليمان بن صرد الخزاعي سنة (٦٥هـ) إلى معسكر النخيلة، وأستعرض أصحابه فلم يعجبه عددهم، وكان قد عاهده على الخروج معه قبل ذلك ستة عشر ألفا، فأرسل حكيم بن منقذ الكندي[٣] والوليد بن عصير[٤] فناديا في الكوفة: يا لثارات الحسين! فكانا

١ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٦٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٧٧.

٢ - تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٧٧؛ وينظر: مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت:٤٢١هـ-١٠٣٠م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٣م، ج٢، ص٦٩-٧٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٥٩٧.

٣ - هو حكيم بن منقذ الكندي من التوابين أرسله سليمان بن صرد الخزاعي هو والوليد بن عصير من النخيلة إلى الكوفة فناديا يا لثارات الحسين وذلك في سنة خمس وستين للهجرة. ينظر: الأمين، أعيان الشيعة، ج٦، ص٢١٦.

٤ - هو الوليد بن عصير الكناني من التوابين أرسله سليمان بن صرد هو وحكيم بن منقذ الكندي من النخيلة إلى الكوفة فناديا يا لثارات الحسين وذلك في سنة خمس وستين للهجرة. ينظر: الأمين، أعيان الشيعة، ج٦، ص٢١٦.

أول خلق الله دعا: يا لثارات الحسين (عليه السلام) [١].

وبعد أن أقام بالنخيلة ثلاثة أيام يبعث إلى من تخلف عنه، قال له المسيب بن نجبة: «رحمك الله! إنه لا ينفعك الكاره، ولا يقاتل معك إلا من أخرجته النية، فلا ننتظرن أحداً، وأكمش في أمرك، قال: فإنك والله لنعما ما رأيت» [٢].

كانت أهداف التوابين واضحة وجلية أعلنها زعيمهم سليمان بن صرد عند مغادرتهم معسكرهم في الكوفة وقد عزموا على المسير إلى الشام فقال: «أيها الناس، من كان خرج يريد بخروجه وجه الله والآخرة، فذلك منا، ونحن منه، فرحمة الله عليه حياً وميتاً، ومن كان إنما يريد الدنيا، فو الله ما يأتي فيء نأخذه، وغنيمة نغنمها، ما خلا رضوان الله، وما معنا من ذهب ولا فضة ولا متاع، وما هو إلا سيوفنا على عواتقنا، وزاد قدر البلغة».. [٣]

وهكذا وفي ظل محدودية الأهداف، وضعف التمويل، وقلة العدد، توجهت نخبة من المسلمين في الكوفة إلى كربلاء حيث القبر الشريف فأقاموا فيه يوماً وليلة يبكون ويندبون ويطلبون من الله سبحانه التوبة، ومن كربلاء

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٠٨.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦؛ ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٠٨.

٣ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٠٨-٦٠٩؛ ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص٧٣.

توجهوا إلى هيت[١] ثم خرجوا منها باتجاه قرقيسيا[٢] وعليها زفر بن الحارث[٣] الذي فتح لهم سوقاً لإمدادهم بالمؤن التي يحتاجونها وقدم لهم معلومات مهمة عن تحرك الجيش الأموي الذي كان بقيادة عبيد الله بن زياد ونصحهم بأن يسبقوهم إلى عين الوردة [٤] وينزلوا غربيها ويجعلوها من ورائهم لتحمي ظهورهم [٥].

بعد خمسة أيام من نزولهم التقى الجمعان غير المتكافئين في العدد والعدة، قاتل التوابون قتال الأبطال واستماتوا في الدفاع عن المبادئ والقيم التي

---

١ - هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار، كثيرة النخيل وخيراتها واسعة، مجاورة للصحراء، فتحها المسلمون عام ستة عشر للهجرة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٤٢٠-٤٢١.

٢ - قرقيسيا: بلد على نهر الخابور تبعد ستة فراسخ عن مصبه في مثلث بين الخابور والفرات، فتحها المسلمون عام ستة عشر للهجرة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٢٨-٣٢٩.

٣ - هو زفر بن الحارث بن عبد بن عمرو بن معاوية الكلابي، يكنى أبو الهذيل، تابعي من أهل الجزيرة، شهد صفين مع معاوية بن أبي سفيان، كان سيد قيس في وقته وقف إلى جانب عبد الله ابن الزبير في وقعة مرج راهط فهرب على أثرها إلى قرقيسيا، توفي في خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥هـ-٨٦هـ). ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٩، ص٣٤-٤٠؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٤، ص١٣٤؛ الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٤٥.

٤ - عين الوردة: وهو رأس عين المدينة المشهورة بالجزيرة كانت فيها وقعة عين الوردة بين التوابين من أهل العراق والجيش الأموي من الشام. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٨٠.

٥ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٧٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٢-١٣.

خرجوا للقتال دونها، لكن التفوق العددي لجيش الشام استطاع أن يهاجمهم من جميع الجهات، وقاتل سليمان ومعه التوابون بعد أن كسروا جفون سيوفهم وقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة، وأكثروا الجراح فيهم، فاضطر قادة الجيش الأموي إلى أن يستخدموا السهام فاستشهد سليمان بن صرد الخزاعي، فحمل الراية بعده المسيب بن نجبة، فارس مضر الحمراء(١) كلها، وحمل على القوم، ثم استشهد، فأخذ الراية بعده عبد الله بن سعد بن نفيل فاستشهد كذلك، وحملها بعده عبد الله بن والٍ فلما استشهد حمل الراية بعده رفاعة بن شداد الذي رأى هو ومن تبقى منهم أن ينسحبوا ليلاً من أرض المعركة بعد تلك الملحمة البطولية(٢)، وهكذا انسحبوا من عين الوردة ورجعوا إلى الكوفة فكان التوابون موضع عز وفخر عند الشيعة في نضالهم الطويل من أجل تحقيق العدالة وإرجاع الحقوق إلى أهلها.

---

١ - روي أن سبب تلك التسمية هو أنّه لما حضرت الوفاة نزار بن معد بن عدنان قسم ميراثه على بنيه وكانوا أربعة، فأعطى مضر ناقته الحمراء وما أشبهها من الحمرة فسمي مضر الحمراء، وأعطى ربيعة الفرس وما أشبهها فسمي ربيعة الفرس أو ربيعة الخيل، وأعطى أياد غنمه وعصاه، وكانت الغنم برقاء – ما اجتمع فيها سواد وبياض – فسمي أياد البرقاء ويقال أياد العصا، وأعطى انمار جارية له تسمى بجيله، فسمي بها، وفي رواية أخرى أنّه أعطى مضر الذهب فسمي مضر الحمراء وقيل غير ذلك، ينظر اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص ١٩٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص ١٧١؛ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت:٤٦٣هـ-١٠٧٠م، الإنباه على قبائل الرواة، تحقيق: إبراهيم الايباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٨٦.

٢ - للتفاصيل ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٦٣-٣٧٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥-٢٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦١٤-٦١٩.

المرحلة الأولى: موقف المختار من حركة التوابين أثناء شخوصهم إلى بلاد الشام

وردت عدة روايات تتحدث عن موقف المختار من التوابين، لكن أوفى هذه الروايات ما نقلته بعض المصادر عن أبي مخنف إذ ذكر ثلاث روايات في هذا الشأن:

الرواية الأولى[١] قال: «... وأقبل المختار يبعث إلى الشيعة وقد اجتمعت عند سليمان بن صرد فيقول لهم: إني قد جئتكم من قبل ولي الأمر، ومعدن الفضل، ووصي الوصي، والإمام المهدي، بأمر فيه الشفاء، وكشف الغطاء، وقتل الأعداء، وتمام النعماء، إن سليمان بن صرد يرحمنا الله وإياه، إنما هو عشمة من العشم، وحفش بالٍ، ليس بذي تجربة للأمور، ولا له علم بالحروب، إنما يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم، إني إنما أعمل على مثال قد مثل لي، وأمر قد بين لي، فيه عز وليكم، وقتل عدوكم، وشفاء صدوركم؛ فاسمعوا مني قولي، وأطيعوا أمري، ثم ابشروا وتباشروا، فإنّي لكم بكل ما تأملون خير زعيم».

ويتضح من رواية أبي مخنف هذه أن المختار قد بين الهدف الذي جاء به، وأنه مخول من محمد ابن الحنفية، ليعطي شرعيةً لثورته التي يرى أن التوابين يفتقدون إليها، وحاول أن يقلل من قدرات سليمان بن صرد العسكرية من

---

١ - مقتل الحسين، ص٢٨٠-٢٨١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٩١؛ ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٠٥.

أجل كسب المؤيدين له.

الرواية الثانية: استطرد أبو مخنف [١] في ذكر جهود المختار في استمالة الشيعة إلى صفه فقال: «فو الله مازال بهذا القول ونحوه – أي ما قاله المختار في روايته السابقة – حتى استمال طائفةً من الشيعة، وكانوا يختلفون إليه ويعظمونه وينظرون أمره، وعُظمُ الشيعة يومئذ ورؤساؤهم مع سليمان بن صُرد، وهو شيخ الشيعة وأسنهم، فليس يعدلون به أحداً؛ إلا أن المختار قد استمال منهم طائفةً ليسوا بالكثير، فسليمان بن صرد أثقل خلق الله على المختار»..

على الرغم من أن رواية أبي مخنف هذه قد أظهرت أن بعض الشيعة يعظمون المختار وينتظرون أمره إلا أن أبا مخنف ركز في روايته على أهمية ومكانة سليمان بن صرد، موضحاً أن المختار فشل في الحصول على تأييد الشيعة له بوجود منافس قوي له مثل سليمان بن صرد الذي وصفه أبو مخنف بأنه "شيخ الشيعة"، في حين وصف أصحاب المختار بأنهم "ليسوا بالكثير" فلم يستطع المختار استقطاب العدد الكافي للقيام بثورته من الشيعة وغيرهم بوجود سليمان بن صرد ولذلك كان أثقل الناس عليه.

الرواية الثالثة: روى أبو مخنف إن هناك حديثاً جرى بين سليمان بن صرد الخزاعي وحميد بن مسلم -أحد رواة معركة الطف- بشأن موقف المختار

---

١ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٢٨١؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٦٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٩١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٠٥.

من التوابين حين نظر سليمان بن صرد في ديوانه لينظر عدة من بايعه فوجدهم ستة عشر ألفاً، فقال: سبحان الله ما وافانا إلاّ أربعة الآف من ستة عشر ألفاً، فقال حميد بن مسلم لسليمان بن صرد: «إن المختار والله يثبط الناس عنك، إني كنت عنده أول ثلاث، فسمعتُ نفراً من أصحابه يقولون: قد كملنا ألفي رجلٍ فقال - سليمان بن صرد -: وهب أن ذلك كان، فأقام عنا عشرة الآف أمَا هؤلاء بمؤمنين ؟ أمَا يخافون الله أمَا يذكرون الله وما أعطونا من أنفسهم من العهود والمواثيق ليُجاهدنّ ولينصرن؟ فأقام بالنخيلة ثلاثاً.؟»..[1].

إن الملاحظ على هذه الرواية أن سليمان بن صرد الخزاعي لم يذكر المختار أو أصحابه الذين بايعوه بسوء، ولم يعط أي اهتمام لعددهم وكأنه استقلهم فهم لم يتجاوزوا الألفين، وصب جم غضبه على العشرة الاف الذين لم يلتحقوا به في معسكره الذي أنتظرهم فيه ثلاثة أيام[2].

أما خليفة بن خياط فإنه لم يتطرق إلى موقف المختار من التوابين، فعندما تطرق لحوادث سنة خمس وستين قال: «وفيها قتل سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبه، وعبد الله التيمي من تيم اللات ابن ثعلبة»[3]، وذكر في

١ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٢٨٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦؛ ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٠٨.

٢ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٢٨٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٠٨.

٣ - خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص٢٦٢.

طبقاته أثناء ترجمة سليمان بن صرد قال: «يكنى أبا مطرف، من ساكني الكوفة، قتل بعين الوردة، وهو أمير التوابين...».. [١]

ومن المسلم به أنّ منهج خليفة بن خياط يميل في أغلب الأحيان إلى اختصار الحوادث التاريخية، فهو لا يتطرق دائماً إلى التفاصيل، ومن الطبيعي أنه لم يذكر أي موقف للمختار من التوابين.

وذكر البلاذري [٢] موقف المختار من التوابين في هذه المرحلة فقال: «فكان المختار إذا دعا الشيعة إلى نفسه، وإلى الطلب بدم الحسين قالوا: هذا سليمان بن صرد شيخ الشيعة وقد أطاعته الشيعة وانقادت له وولته أمرها، فيقول إن سليمان رجل لا علم له بالحروب وسياسة الرجال، وقد جئتكم من المهدي محمد - يعني محمد ابن الحنفية – مؤتمناً منتجباً ووزيراً مناصحاً، فلم يزل حتى انشعبت إليه طائفة منهم، وعظمهم مع ابن صرد...»..

ويتضح من رواية البلاذري أن المختار ركز كذلك على عدم قدرة سليمان العسكرية، وسياسته في مدارات الرجال، وأن سليمان يفتقر إلى التخويل الذي منحه ابن الحنفية له، لكن البلاذري على الرغم من ذلك ذكر عدم قدرة المختار في استقطاب الشيعة وانضمامهم إليه فوصف عظم جمهور الشيعة مع سليمان بن صرد.

---

١ - خليفة بن خياط، طبقات خليفة، ص١٨١.

٢ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٦٧.

في حين اكتفى اليعقوبي [١] بذكر العلاقة بين المختار والتوابين بالقول: «....شخص – المختار- إلى العراق، فوافى وقد خرج سليمان بن صرد الخزاعي يطلب بدم الحسين، فلما صار إلى الكوفة اجتمعت إليه الشيعة.؟»..

وعلى الرغم من أن اليعقوبي يميل إلى الاختصار في تناوله بعض الحوادث التاريخية إلا أنه خصص حيزاً ليس قليلاً في تاريخه عن المختار، لكنه لم يشر سوى تلك الإشارة إلى موقفه من التوابين، ويبدو أنه يرى أن المختار لم يكن له تأثير كبير في قيام حركة التوابين بثورهم ضد الأمويين.

أما ابن أعثم الكوفي [٢] فقد تناول قضية التوابين بشكل مفصل، فتطرق إلى موقف المختار عند وصوله إلى الكوفة ودعوته الشيعة للالتفاف حوله لأخذ ثأر الإمام الحسين (عليه السلام) وأن محمد ابن الحنفية قد بعثه لذلك، فذكر أن الشيعة قالت له: «يا أبا إسحاق! أنت موضع ذلك، غير أن الناس اجتمعوا إلى سليمان بن صرد الخزاعي وأنت تعلم أنه شيخ الشيعة اليوم، فلا تعجل إلى أن تنظر وينظر ويؤول الأمر إلى ما تحب إن شاء الله ولا قوة إلا بالله. قال: فسكت المختار وأقام بالكوفة ينتظر ما يكون من أمر سليمان بن صرد». وهذه الرواية نقلها الخوارزمي [٣] باختلاف بسيط في بعض الكلمات

---

١ - تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٠.

٢ - مقتل الحسين، الطبعة الثانية، أنوار الهدى، قم، ١٤٢٤هـ، ص١٩٦؛ وكتاب الفتوح، ج٦، ص٢٠٨.

٣ - أبو مؤيد الموفق بن أحمد (ت: ٥٦٨هـ-١١٧٢م)، مقتل الحسين، علق عليه: محمد السماوي، مكتبة الزهراء، النجف، ١٩٤٨م، ج٢، ص١٨٨ -١٨٩.

التي لا تغير من المضمون شيئاً.

إن ما جاء في رواية ابن أعثم الكوفي وكأنه لم يتطرق إلى قول المختار بأنّ سليمان ليس له علم بالحرب وأنّه يريد أن يقتل نفسه ويقتلكم، على الرغم من أن روايته في وصول المختار إلى الكوفة ودعوته إلى بيعته تطابقت مع رواية أبي مخنف الأولى والتي ذكرها كل من الطبري وابن الأثير، وقد تكون هي كذلك مأخوذة من أبي مخنف، لكن عندما تطرق ابن أعثم إلى عدد التوابين في ديوان سليمان قال: «وكانوا في ديوانه قبل أن يقدم المختار إلى الكوفة ستة عشر ألفاً، فلما كان ذلك اليوم عرضهم إذا هم ألف رجل أو يزيدون قليلاً»..[١]

وهنا يشير ابن أعثم ضمنياً إلى أن المختار كان سبباً في عدم قدوم بعض الذين بايعوا سليمان بن صرد الخزاعي، ورواية ابن أعثم جعلت عدد التوابين ألف رجل أو يزيدون قليلاً في حين أن أبا مخنف ذكر أنهم أربعة آلاف وهي أقرب للواقع من رواية ابن أعثم الكوفي، فعددهم يتناسب مع الدور الذي قاموا به، فضلاً عن أنّ بعض المصادر التاريخية ذكرت أنّ عددهم أربعة الآف أو أقرب إلى ذلك[٢].

وأشار ابن أعثم الكوفي[٣] في رواية أخرى إلى أن تحركات المختار بدأت

---

١ - ابن أعثم الكوفي، مقتل الحسين، ص١٩٨؛ وكتاب الفتوح، ج٦، ص٢١٠.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٠٨.

٣ - مقتل الحسين، ص ٢٠٨؛ وكتاب الفتوح، ج٦، ص٢١٧.

قبل معرفة ما تؤول إليه حركة التوابين فذكر: «وعلم المختار أن سليمان بن صرد قد مضى في أصحابه وحدثته نفسه أنه ليس يرجع منهم أحد، فجعل يبعث إلى الشيعة ويشاورهم في الخروج..».، وهو يشير بذلك إلى تحركات المختار في مدة قصيرة جداً وهي بين خروج التوابين وقيام عبد الله بن يزيد والي آل الزبير بسجن المختار الذي أستمر حتى عودة التوابين من معركة عين الوردة.

وأورد المسعودي[١] موقف المختار من التوابين فذكر: «وفي سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة، وتلاقوا بالتلاوم والتندم حين قتل الحسين فلم يغيثوه... ففزعوا إلى خمسة نفر منهم: سليمان بن صرد الخزاعي... فعسكروا بالنخيلة، بعد أن كان لهم مع المختار بن أبي عبيد الثقفي خطب طويل بتثبيطه الناس عنهم ممن أراد الخروج معهم..».، وهكذا تتفق رواية المسعودي مع من يقول أن المختار يثبط الناس عن التوابين في حين يرى مسكويه[٢]: أن الشيعة رفضت دعوة المختار لبيعته لأنها انقادت إلى سليمان بن صرد وهو شيخ الشيعة يومها.

وأورد ابن الجوزي[٣] روايته بهذا الخصوص متطابقة بشكل واضح مع رواية أبي مخنف الأولى والثالثة التي سبق وأن أشرنا إليها.

---

١ - مروج الذهب، ج٣، ص١١٠.

٢ - تجارب الأمم، ج٢، ص٧٥.

٣ - المنتظم، ج٦، ص٢٩، ٣٥.

وذكر الذهبي [١] قدوم المختار للكوفة فقال: «فقدم المختار وقد هاجت الشيعة للطلب بالثأر، وعليهم سليمان بن صُرد، فأخذ المختار يفسدهم، ويقول إني جئت من قبل المهدي ابن الوصي، يريد ابن الحنفية، فتبعه خلق، وقال: إن سليمان لا يصنع شيئاً، إنما يلقي بالناس إلى التهلكة، ولا خبرة له بالحرب».

ولم تختلف رواية ابن كثير [٢] عن رواية أبي مخنف إلا أن ابن كثير ضمنها رأيه في أكثر من إشارة فقال: «وصارت الشيعة فرقتين؛ الجمهور منهم مع سليمان يريدون الخروج على الناس ليأخذوا بثأر الحسين، وفرقة أصحاب المختار يريدون الخروج للدعوة إلى إمامة محمد ابن الحنفية، وذلك من غير أمر ابن الحنفية ورضاه، وإنما يتقولون عليه ليروجوا على الناس به، وليتوصلوا إلى أغراضهم الفاسدة»..

ومن خلال وصف كل من الذهبي وابن كثير لأصحاب سليمان بن صرد يتضح عددهم الكبير مقارنة مع مَن بايع المختار، فقد وصف الذهبي ذلك فقال: وقد هاجت الشيعة للطلب بالثأر، وعليهم سليمان بن صرد، ولم يبتعد ابن كثير عن ذلك فقال: الجمهور منهم مع سليمان، مما يدل على أن المختار لم يكن له تأثيرٌ كبيرٌ على تعبئة الناس للتوابين، لكن ما يؤخذ على ما قاله كل من الذهبي وابن كثير هو رأيهم في موقف المختار من التوابين فقول

١ - سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٥٤٠.

٢ - البداية والنهاية، ج١١، ص٦٨٦.

الذهبي فأخذ المختار يفسدهم، بقوله إنّه مخول من محمد ابن الحنفية بذلك، وهو ما سار عليه وبشكل واضح ابن كثير، وهذان الرأيان لا يمكن الركون إليهما، فمواقف محمد ابن الحنفية من المختار لم تكن خافية وإنما كانت بشكل علني وواضح، وكان وفد أهل الكوفة قد قابل ابن الحنفية فرجعوا وهم يقولون قد أمرنا بنصرة المختار ومؤازرته [١]، وحين سجن ابن الزبير محمد ابن الحنفية لم يستطع الخروج من السجن إلا حين أرسل المختار له أكثر من أربعة آلاف مقاتل فأخرجوه من سجن ابن الزبير رغماً عنه، فضلاً عن الأموال التي يرسلها المختار لمحمد ابن الحنفية [٢]، ولما قتل المختار تضعضع موقف محمد ابن الحنفية في مكة ففرض عليه ابن الزبير أما أن يبايعه أو الخروج منها. [٣]

ويمكن أن يلاحظ بسهولة مدى تحامل الذهبي وابن كثير على المختار وأصحابه، وذلك بسبب ميولهم المذهبية وأهوائهم التي بدت واضحة على أغلب رواياتهم فخلت من كل موضوعية وافتقدت حياديتها.

ومن خلال ما تقدم يمكن أن نستنتج العديد من النقاط التي توضح مدى الصلة بين ثورة المختار وحركة التوابين، وأن المختار لم يكن له دور سلبي على التوابين وإنما كان هدفهما واحداً لكن الفرق بينهما كان في الأسلوب

---

١ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٨-٤٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٣٩-٦٤٠.

٢ - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٥١-٢٥٢؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٩٢-٩٣.

٣ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٨٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٧٠.

وآلية التنفيذ، ومن تلك النقاط هي:

أولاً: لم يعط سليمان بن صرد الخزاعي أهمية بالغة للذين لم يلتحقوا به بسبب مبايعتهم للمختار، وذلك لقلة عددهم من جهة، ولعلمه بأن المختار وأصحابه يحملون نفس الهدف إلا أنهم مختلفون في آلية تنفيذ ذلك، وهو ما أشار إليه عمر بن سعد وشبث بن ربعي فقالوا لوالي الكوفة عبد الله بن يزيد: «إن المختار بن أبي عبيد أشد عليكم من سليمان بن صرد. فبعث إليه الشرطة فأحاطوا بداره، فأخذ وذهب به إلى السجن مقيداً وقيل: بغير قيدٍ. فأقام به مدة ومرض فيه» (١)

ثانياً: لم تشر المصادر التاريخية إلى أن سليمان بن صرد قد تعرض بسوء للمختار أو حاول النيل منه، وعندما قال له حميد بن مسلم إن المختار يثبط الناس عنهم وإنه قد بايعه ألفان قال سليمان: «وهب أن ذلك كان، فأقام عنا عشرة الآف أمَا هؤلاء بمؤمنين ؟ أمَا يخافون الله أمَا يذكرون الله.».. (٢)، ويبدو أن العشرة الاف الذين تخلفوا عن التوابين لهم الأثر الأكبر بعدم نجاح حركتهم ضد الحكم الأموي وهؤلاء يبدو أنهم خذلوا سليمان وترددوا في نصرته كما فعل اولئك الذين نقضوا بيعتهم للإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء.

---

١ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٦٨٩.

٢ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٢٨٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٠٨.

ثالثاً: أورد ابن أعثم الكوفي [١] في روايته أن الشيعة قالت للمختار «...فلا تعجل إلى أن تنظر وينظر ويؤول الأمر إلى ما تحب إن شاء الله ولا قوة إلا بالله.قال: فسكت المختار وأقام بالكوفة ينتظر ما يكون من أمر سليمان بن صرد».وهذا يعني أن المختار أقام بالكوفة وآثر السكوت وانتظر ما تؤول إليه أمور التوابين ولم يقم بتثبيط الناس عنهم.

يقول أحد الباحثين [٢] إن المختار الثقفي نادى بالدعوة نفسها - الأخذ بثأر الأمام الحسين (عليه السلام) من قاتليه - لكنه خالف التوابين وفضل البقاء في الكوفة على الخروج معهم، كما يرى مؤرخ آخر [٣] من المحدثين أن حركة التوابين وثورة المختار على الرغم أنهما رفعتا نفس الشعار يا لثارات الحسين إلا أن ثورة المختار تختلف عنها بأنها أول حركة منظمة لها تأثير كبير على تطور الفكر الشيعي كفرقة دينية وسياسية.

ويمكن القول إن هدف المختار لا يختلف عن هدف التوابين إلا في كيفية القيام بذلك، ففي الوقت الذي قرر فيه التوابون التوجه إلى بلاد الشام عد المختار ذلك انتحاراً عسكرياً وإجهاضاً للجهود التي بذلها الشيعة في الأخذ بثأر الإمام الحسين (عليه السلام)، وما حدث للتوابين واستشهاد معظم قادتهم

١ - ابن أعثم الكوفي، مقتل الحسين، ص١٩٦؛ وكتاب الفتوح، ج٦، ص٢٠٨.

٢ - الراوي، ثابت إسماعيل، تاريخ الدولة العربية خلافة الراشدين والأمويين، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٦م، ج٢، ص١٦٧.

٣ - الأطرقجي، قصي برهان مصطفى، الاتجاهات السياسية للقبائل العربية في الكوفة، دار النايا للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٨م، ص١٧٩.

وفرسانهم دون قتل أيٍّ من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام)، يعضد رأي المختار في ذلك، في حين أن المختار استطاع قتل الغالبية العظمى ممن أشتركوا في قتل آل البيت (عليهم السلام).

ويستغرب أحد المؤرخين المحدثين أن يترك التوابون قتلة الحسين الحقيقين وراء ظهورهم ويتوجهون لمقاتلة أهل الشام، لكنه يستدرك كلامه هذا مباشرة فيقول: «لكن وجهة النظر التي أخذوا بها أنهم اعتبروا الدولة نفسها هي المسؤولة، فيجب محاربتها، وبخاصة مادام فيها عبيد الله بن زياد» [1]

والظاهر من الرأي السالف الذكر أن صاحبه يحاول أن يجعل يزيد وأهل الشام بمنأى عن وزر قتل الإمام الحسين (عليه السلام، فهو يقول حين تكلم عن معركة الخازر (٦٧هـ) التي وقعت بين أهل الشام زمن عبد الملك بن مروان وجيش المختار بقيادة إبراهيم بن الأشتر: «على انه في الحق لم يكن هو - أي عبد الملك - ولا أهل الشام يستحقون هذه الهزيمة، إذ لم تكن لهم علاقة بمقتل الحسين الذي قتله أهل العراق، ولكن وجود ابن زياد بينهم وقائداً لجيشهم كان هو سبب هذه الكارثة التي حلت بهم»[2]، وهذا الأمر لا يمكن قبوله فالسلطة الأموية هي التي أصدرت الأوامر بقتل الإمام الحسين (عليه السلام، ولم يكن ابن زياد إلا أحد صنائعها ويأتمر بأوامرها، ولم يقم أي خليفة بعزل ابن زياد ومعاقبته على ما فعله، ولما تولى آل مروان السلطة

---

١ - الريس، عبد الملك بن مروان، ص١٤٨.

٢ - الريس، عبد الملك بن مروان، ص١٦٢.

وجهوا عبيد الله بن زياد لقتال أهل العراق وأمروه أن ينهب الكوفة إذا هو ظفر بأهلها ثلاثة أيام [١]، وهو أمر طبيعي لدى الأمويين وأنصارهم فهم أحرقوا الكعبة مرتين ورموها بالمنجنيق، وقبل ذلك قتلوا سبط الرسول صلى الله عليه واله وسلم وأهل بيته، وأباحوا مدينة رسول صلى الله عليه واله وسلم ثلاثة أيام لجند الشام.

وهناك من يرى أن ثورة التوابين هي: «ثورة انتقامية استشهادية لم يفكر أصحابها بغير هدف الثأر أو الاستشهاد في سبيل ذلك» [٢]، وعلى الرغم من أنها ثورة جهادية استشهادية إلا أنها لا تخلو من الأهداف السامية العالية الهمة، ويؤيد هذا ما ذكره بعض المؤرخين[٣] من أن سليمان بن صرد الخزاعي كان يخاطب الجيش الأموي القادم الذي إلتقاه في عين الوردة ويدعوهم إلى أن«يسلموا إليهم عبيد الله بن زياد ويخلعوا عبد الملك، ويُخرج عمال عبد الله بن الزبير، ويُسلم الأمرُ إلى أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)..»، ولم يكن للمختار أي دور في ما حصل بالتوابين وعن هذا المعنى عبر هاشم معروف الحسني [٤] فقال: «ولا أحسب إن للمختار الثقفي صلة

١ - الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ، ص٥٦.

٢ - البيشوائي، مهدي، سيرة الأئمة الإثني عشر، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٢٠٠.

٣ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٧٠-٣٧١؛ وينظر: أبو مخنف ، مقتل الحسين: ص٣٠٠؛ الطبري ، تاريخ ، ج٦ ، ص ١٥؛ ابن أعثم ، كتاب الفتوح، ج٦، ص١٢٢؛ مسكويه، تجارب الأمم ، ج٢ ، ص٨١؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص٦١٤؛ ابن نما الحلي ، ذوب النضار، ص٨٨؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٤٥ ، ص ٣٦١؛ الخطيب، دولة المختار، ص١٥٨.

٤ - الانتفاضات الشيعية، ص٣٣٠.

فيما انتهى إليه مصير تلك الحركة ولا في بعث روح التخاذل بين أنصارها كما يرى بعض الباحثين»..

المرحلة الثانية: موقف المختار من التوابين بعد عودتهم من المعركة

ذكرت المصادر التاريخية أن المختار كان في السجن حين عودة التوابين من عين الوردة [١]، وسبق أن أشرنا إلى أن المختار فشل في استقطاب الشيعة إلى جانبه بوجود شخصية رفيعة ومرموقة لديهم مثل سليمان بن صرد الخزاعي، فمكث في بيته أول الأمر ينتظر ما تؤول إليه أمور التوابين، إلا أن عبد الله بن يزيد [٢] والي ابن الزبير في الكوفة أخذ بنصيحة عمر بن سعد فأودعه السجن [٣].

---

١ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣١٤-٣١٥؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٧٣-٣٧٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٥١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦١٧؛ ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص٩١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص٤٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٥-٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٦٢.

٢ - هو عبد الله بن يزيد بن حصن بن عمرو الخطمي الأوسي الأنصاري، شهد بيعة الرضوان، وشهد مع الإمام علي (عليه السلام، الجمل وصفين والنهروان، ولي الكوفة لعبد الله بن الزبير ثم عزله عنها وولى عليها عبد الله بن مطيع، قيل إنه توفي عام سبعين للهجرة. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، (تحقيق: علي البجاوي)، ج٣، ص١٠٠١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٩٧-١٩٨؛ والكاشف في معرفة من له رواية في كتب السنة، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، جدة، ١٩٩٢م، ج٦، ص٦٠٧؛ آل خليفة، محمد علي، أمراء الكوفة وحكامها، مراجعة: ياسين صلاواتي، مؤسسة الصادق، طهران، ١٤٢٥، ص٢٢٢-٢٢٦.

٣ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٢٨١-٢٨٢.

وكان التحامل واضحاً على المختار من قبل ولاة آل الزبير فقد قال إبراهيم بن محمد بن طلحة [١] صاحب خراج الكوفة لعبد الله بن يزيد والي الكوفة من قبل ابن الزبير: «شده كتافا ومشه حافياً فقال له عبد الله بن يزيد سبحان الله ما كنت لأمشيه ولا لأحفيه ولا كنت لأفعل هذا برجل لم يظهر لنا عداوة ولا حرباً وإنما أخذناه على الظن فقال له إبراهيم بن محمد "ليس بعشك فأدرجي" ما أنت وما يبلغنا عنك يابن أبي عبيد فقال له ما الذي بلغك عني إلا باطل وأعوذ بالله من غشك كغش أبيك وجدك... وأتي المختار ببغلة دهماء يركبها، فقال إبراهيم لعبد الله ابن يزيد ألا تشد عليه القيود فقال: كفى له بالسجن قيداً» [٢]، يتضح من الرواية مدى جرأة المختار وقوة شخصيته من خلال رده بعنف على إبراهيم بن محمد بن طلحة. فضلاً عن تحامل ولاة آل الزبير على المختار.

ونقل البلاذري قول عمر بن سعد ومن معه لعاملي الكوفة عبد الله بن

---

١ - هو إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي، عده خليفة بن خياط من الطبقة الثالثة، وأمه خولة بنت منظور بن زبان بن سيار بن عمرو، وهو أخو الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب لأمه، أستعمله عبد الله بن الزبير على خراج الكوفة، توفي سنة مئة وعشر للهجرة. ينظر: خليفة بن خياط، طبقات خليفة، ص٤٤٥؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧، ص١٤٠-١٥٥؛ المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت: ٧٤٢هـ-١٣١٤م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م، ج٢، ص١٧٢-١٧٣.

٢ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٢٨٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٩١-٣٩٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٠٥.

يزيد وإبراهيم بن محمد بشكل أكثر تفصيلاً فقال: «إن المختار بن أبي عبيد أشد عليكم من إبن صرد، وهو يقول إذا ذكر ابن صرد: أنه عشمه من العشم وحفش من الأحفاش بالٍ، ليس بذي تجربة للأمور، ولا علم بالحروب وأنا أعمل على مثال مُثلَ لي، وأمر تقدم فيه إليّ، ويدل بنفسه غير أدلال ابن صرد، وليس البلد والمختار فيه لكم ببلد، فأودعوه السجن حتى يجتمع الناس على رجل، فأخذاه فحبساه مقيداً» [1].

وهنا يوضح البلاذري مخاوف عمر بن سعد ومن معه من قتلة الإمام الحسين عليه السلام من خطورة المختار عليهم وعلى دولة آل الزبير، وكان قوله البلد ليس ببلدكم وفيه المختار غاية في الدقة فهو عَلمَ مسبقاً أنّه لا بقاء لقتلة ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم في الكوفة فهناك معرفة مسبقة للمختار من قبل هؤلاء، كذلك معرفتهم بقدراته ومواهبه فضلاً عن ميل الشيعة إليه، وأوضحت الرواية كذب وزيف إدعاء آل الزبير وعمالهم أنّهم يطلبون بثأر الأمام الحسين عليه السلام فكانت نصائح عمر بن سعد أقرب للأوامر منها إلى الطلب، ولذلك تم إيداع المختار السجن.

وأورد ابن أعثم هذه الرواية إلا أنه جعل إبراهيم بن محمد بن طلحة هو من يدافع عن المختار في حين يصر عبد الله بن يزيد على أن يشد المختار كتافاً ويمضي به إلى السجن حافياً، ولم يتطرق ابن أعثم إلى المشادة بين المختار وإبراهيم بن محمد بن طلحة.

---

١ - البلاذري، جمل من أنساب الاشراف، ج٦، ص٣٧٣.

ويبدو أن رواية أبي مخنف في أن صاحب القول المتشدد على المختار هو إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله أقرب للواقع منه من رواية ابن أعثم وذلك من خلال المشادة بينه وبين المختار وتعرضه بأبيه وجده فهو يشير إلى بيعة جده طلحة بن عبيد الله إلى الأمام علي عليه السلام الذي نقضها وخرج عليه يوم الجمل، ويظهر من خلال ما تقدم أن عمر بن سعد كان له نفوذ واسع لدى عمال آل الزبير فهو لا يبيت إلا في قصر الأمارة مخافة أن يأتيه المطالبون بثأر الأمام الحسين عليه السلام فيقتلونه في بيته [١]، وأن المختار سجن بمشورته على عمال ابن الزبير.

وأورد الطبري [٢] في تاريخه نقلاً عن أبي مخنف أن المختار كتب وهو في السجن إلى رفاعة بن شداد: «أما بعد، فمرحباً بالعصَبِ الذين عظم الله لهم الأجر حين انصرفوا، ورضي انصرافَهم حين قفلوا. أما ورب البنية التي بنا ما خطا خاطٍ منكم خطوةً، ولا رتا رتوةً، إلاّ كان ثواب الله له أعظم من ملك الدنيا، إن سليمان قد قضى ما عليه، وتوفاه الله، فجعل روحه مع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ولم يكن بصاحبكم الذي به تنصرون، إني أنا الأمير المأمور، والأمين المأمون، وأمير الجيش، وقاتل الجبارين، والمنتقم من أعداء الدين، والمقيد من الأوتار، فأعدوا واستعدوا، وابشروا واستبشروا؛ أدعوكم إلى كتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه واله

---

١ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣١٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧.

٢ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٢٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦١٧.

وسلم، وإلى الطلب بدماء أهل البيت، والدفع عن الضعفاء وجهاد المحلين، والسلام».

أظهر المختار في كتابه هذا مودته للتوابين وترحيبه بعودهم، وأن سليمان ابن صرد والشهداء الذين معه قد أدّوا ما عليهم وأنهم مع أرواح الأنبياء والشهداء والصديقين والصالحين، ووضح لهم المختار في كتابه أنه هو قائدهم الحقيقي الذي سوف يحققون فيه غايتهم وهدفهم وأنه سوف يأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام وبشرهم بقدوم الفرج.

ولم يكتف المختار بكتابه المتقدم الذكر إلى التوابين وإنما أرسل لهم كتاباً آخرَ جاء فيه: «أما بعد؛ فإن الله أعظم لكم الأجر، وحط عنكم الوزر، بمفارقة القاسطين، وجهاد المحلين؛ إنكم لم تنفقوا نفقة، ولم تقطعوا عقبة، ولم تخطوا خطوة إلا رفع الله لكم بها درجة، وكتب لكم بها حسنة، إلى ما لا يحصيه إلا الله من التضعيف؛ فابشروا فإني لو قد خرجت إليكم قد جردت فيما بين المشرق والمغرب في عدوكم السيف بإذن الله، فجعلتهم بإذن الله ركاماً؛ وقتلتهم فذاً وتوأماً؛ فرحب الله بمن قارب منكم واهتدى؛ ولا يبعد الله إلا من عصى وأبى؛ والسلام يا أهل الهدى».(١)

بشر المختار في كتابه هذا الشيعة بأنه سوف ينتصر على عدوهم حال خروجه من السجن، وأنّه على ثقة تامة سوف يجرد السيف فيهم بأذن الله

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٥١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٥.

فيقتلهم شر قتلة.

ويبدو أنه عند عودة التوابين كان المختار تحت أعين عمال آل الزبير في الكوفة، فلم يكن وصول كتبه إلى من يريد بالأمر السهل فعندما بعث سيحان بن عمرو من بني ليث من قبيلة عبد القيس بكتابه السالف الذكر إلى التوابين أدخله في قلنسوته فيما بين الظهارة والبطانة[١]، وتشير طريقة إخفاء كتاب المختار إلى مراقبة السلطة لتحركاته واتصالاته بأنصاره وشيعته، وعلى أية حال وصل كتاب المختار إلى قادة التوابين العائدين من معركة عين الوردة، وعلى رأسهم رفاعة بن شداد، فبعثوا إليه عبد الله بن كامل[٢] «فقالوا له: قل له: قد قرأنا الكتاب، ونحن حيث يسرك، فإن شئت أن نأتيك حتى نخرجك فعلنا.فأتاه، فدخل عليه السجن؛ فأخبره بما أرسل إليه به؛ فسر باجتماع الشيعة له، وقال لهم: لا تزيدوا هذا؛ فإني أخرج في أيامي هذه»[٣]

وموقف التوابين هذا من المختار ومبايعتهم إياه واقتراحهم عليه

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٥.

٢ - هو عبد الله بن كامل الشاكري أحد قادة المختار، عينه المختار على شرطة الكوفة، وكلفه ببعض المهام الخاصة بالقصاص من قتلة الإمام الحسين عليه السلام وإلقاء القبض عليهم. ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٤٥، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٣، ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٥٥؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ-١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمي، بيروت، ٢٠٠٤م، ج٢١، ص١١؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣١.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٥١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٣٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٦.

بإخراجه من السجن يوضح أن التوابين لا يحملون المختار مسؤولية تثبيط الناس عنهم أو أن له دوراً سلبياً في حركتهم، بل وجدوا في المختار ضالتهم التي يبحثون عنها فالتفوا حوله وبايعوه، وكذلك يستشف أن أصحاب المختار الذين بايعوه ولم يخرجوا مع التوابين كانوا أقل عدداً وقوةً من التوابين أثناء عودهم من عين الوردة إلى الكوفة، فلم يجرأ أصحاب المختار الذين معه على إخراجه من السجن في حين عرض التوابون عليه ذلك.

ويرى ابن كثير[١] أن المختار«كره أن يُخرجوه من مكانه على وجه القهر لنواب الكوفة» فضلاً عن ثقته بأنّ مبعوثه إلى صهره عبد الله بن عمر ابن الخطاب على وشك الوصول بكتاب يشفع له عند عمال آل الزبير، وربما أن المختار يعلم في حالة خروجه قهراً من السجن يكون قد أعلن الحرب على ولاة الكوفة وهو بحاجة إلى مزيد من الوقت لجمع الأنصار والمؤيدين له والاتفاق على خطة الثورة.

وأورد أبن أعثم الكوفي [٢] رواية مختلفة عن الروايات الأخرى عند عودة التوابين إلى الكوفة استقبلهم والي الكوفة عبد الله بن يزيد وعزاهم ثم ذكر:«وخرج إليهم أيضاً المختار بن أبي عبيد فعزاهم وقال: أبشروا فقد قضيتم ما عليكم وبقي ما علينا، ولن يفوتنا منهم من بقي إن شاء الله تعالى».

---

١ - البداية والنهاية، ج١٢، ص٦.

٢ - مقتل الحسين، ٢١٨-٢١٩.

ويبدو أن هذه الرواية تفتقر إلى الدقة فقد أشارت العديد من المصادر التاريخية إلى أنّ المختار كان أثناء عودة التوابين في السجن وقد لعب هؤلاء دوراً واضحاً وكبيراً في محاولة إخراجه من السجن. ولا يستبعد أن يكون كلامه الذي ذكره ابن أعثم للتوابين قد ورد في إحدى رسائله إليهم قبل خروجه من السجن، ولم يلبث أن بعث عبد الله بن عمر كتاباً إلى عبد الله بن يزيد والي الكوفة وإبراهيم بن محمد عامل خراجها، ياطالبهم فيه بإخراجه من السجن [١]، وما أن وصل كتاب ابن عمر إليهما فدعوا بكفلاء يضمنونه، وحلفاه بالله على أن لا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان [٢]، وقد التزم المختار بتلك الشروط وإن صرح بأنه يحق له نقضها والتكفير عن أيمانه إذا رأى ما هو خير من الالتزام بذلك [٣].

فكان هناك من يأخذ له البيعة سراً ولم يزل أمره يقوى ويشتد ويستفحل ويرتفع حتى أضطر ابن الزبير إلى عزل عبد الله بن يزيد وإبراهيم ابن محمد وبعث عبد الله بن مطيع [٤] وذلك في رمضان من سنة خمس وستين

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٦؛ ابن أعثم الكوفي، مقتل الحسين، ص٢١٠ - ٢١١؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ص١٩٤.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٦؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ص١٩٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٦.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٦.

٤ - هو عبد الله بن مطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب، ولد في حياة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، كان أحد قادة أهل المدينة يوم الحرة فلما أنتصر مسلم بن عقبة عليهم هرب إلى مكة، وبايع ابن الزبير وولاه الكوفة فوثب بها ←

للهجرة[١] وبذلك أستطاع المختار أن يتخلص دون عناء مما تعهد به، بعد عزل ابن الزبير لعامليه في الكوفة وتعيين ابن مطيع والياً عليها.

ويبدو أن المختار بدأ ثورته فعلياً من حيث انتهى التوابون، فقد مهدت حركة التوابين لظهور حركة المختار وانتشارها بشكل أسرع [٢]، ولم يكن فشلهم في تلك المعركة ليضعف من عزيمة المختار أو يقلل من نشاطه بل ضاعف ذلك من همته، وحوله إلى شعلة متأججة للقيام بثورته [٣] والوثوب بالكوفة، فيقول أحد الباحثين [٤]: «ولعل سياسيين آخرين دون المختار نفاذ بصيرة كانوا يظنون أن حيوية الحركة الشيعية قد تلاشت مع فشل حركة التوابين، ولكن المختار سرعان ما أدرك أن قوتها الأساسية هي في كونها نقطة التقاء للمتذمرين، وحيال ذلك تبنى القضية الشيعية وأنشأ ما عرف آنذاك باسم شرطة الخميس أي أولئك المتميزين الموالين في الجيش، كان هؤلاء

المختار وهزمه، قاتل الأمويين مع ابن الزبير في حصار الحجاج لها، وقتل مع ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين للهجرة. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص١٤٣ -١٤٨؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٣، ص٣٩٠-٣٩١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج٥، ص٤٦٩ - ٤٧٠؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٧، ص٣٣٢ - ٣٣٣.

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٧؛ ابن أعثم الكوفي، مقتل الحسين، ص٢١٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٣٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٧.

٢ - الأطرقجي، الاتجاهات السياسية للقبائل العربية، ص١٧٩.

٣ - الدجيلي، المختار الثقفي، ص٥٧.

٤ - شعبان، محمد عبد الحي محمد، صدر الإسلام والدولة الأموية، دار الأهلية، بيروت، ١٩٨٧م، ص١٠٦ -١٠٧.

يشكلون النواة الصلبة لأنصار علي في الكوفة وكان عددهم دون اثني عشر ألفاً من رجال القبائل»

ويوضح الباحث في رأيه هذا قوة ونفاذ بصيرة المختار الذي تميز بالعديد من صفات القيادة والحنكة السياسية، وكيف وظف حماس التوابين بعد عودهم من عين الوردة وتعاطف الناس معهم وسخطهم على بني أمية لصالح ثورته وتنفيذ أهدافها، وكذلك ربط الباحث بين شرطة الخميس التي أستخدمها المختار وبين شرطة الخميس في عهد الأمام علي عليه السلام وجعلها امتداداً طبيعياً لها، لكنه جانب الحقيقة حين جعل المختار هو من أنشأ شرطة الخميس، فشرطة الخميس زمن المختار لم تكن سوى امتداداً لشرطة الخميس التي أنشاها الإمام علي عليه السلام.

وهو ما يراه إبراهيم بيضون [١] كذلك فذكر: «لقد نجح المختار في استثمار المناخ الثوري في الكوفة، الذي تبلور مع قيام الحركة التوابية، فما كادت فلول التوابين تعود من عين الوردة، حتى تلقاها المختار واعداً ومشجعاً، وبالتالي مقرناً القول بالفعل، حين قام بانقلابه السريع في الكوفة وسيطر على قصر الأمارة فيها، معلناً السلطة الشيعية باسم البيت العلوي، والمختار منذ اليفاعة متحمس لهذا الاتجاه.»..

وذهب مؤرخ محدث آخر [٢] في علاقة المختار بالتوابين إلى أكثر من ذلك

١ - من دولة عمر إلى دولة عبد الملك، منشورات شهاب الدين، قم، ٢٠٠٦م، ص٢٠٠.

٢ - علي، سيد أمير، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ترجمة: رياض رأفت، دار الأفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٧٩.

فقال: «وارتحلت البقية منهم إلى الكوفة حيث ظلوا قابعين إلى أن ثاروا مرة أخرى بقيادة المختار بن أبي عبيد الثقفي»، فهذا المؤرخ يرى أن ثورة المختار هي ثورة التوابين بقيادة أخرى وهذا إن دل على شيءٍ فهو يدل على مدى تداخل هاتين الثورتين في المنبع والأهداف والمبادئ.

ومن خلال ما تقدم يمكن القول إن المختار والتوابين لهم هدف واحد، وجمهور واحد، وعدو مشترك، اختلفا في آلية التنفيذ والتوقيت،لكن في نهاية المطاف استطاع المختار أن يوظف جهوده مع جهود الشيعة وحماس التوابين - الذين عادوا وقد شهدوا مصرع إخوانهم وفرسانهم في عين الوردة تلك الملحمة البطولية التي كسرت حاجز الخوف الذي اصطنعه الأمويون وعمالهم بوجه تحركات الشيعة على أثر استشهاد الأمام الحسين عليه السلام، فضلاً عن تذمر المجتمع الكوفي من الأمويين والزبيريين. في القيام بثورته في الكوفة والسيطرة عليها، ومن ثم الاقتصاص من قتلة الإمام الحسين عليه السلام وأحداً تلو الآخر وما كان هذا الانتصار يتحقق لولا حركة التوابين.

المبحث الثالث: موقف المختار من حركة عبد الله بن الزبير

أولاً: بداية حركة ابن الزبير

تعد حركة عبد الله بن الزبير من الحركات الكبيرة المناوئة للحكم الأموي، والتي استطاعت أن تنتزع أغلب الأمصار التي كانت خاضعة لسلطة الأمويين، فقد بعث عبد الله بن الزبير ولاته إلى مصر وفلسطين ودمشق وحمص وقنسرين والكوفة والبصرة وخراسان، فضلاً عن مكة والمدينة، ولم تبق ناحية إلا ومالت إليه، بينما اقتصر حينها سلطان الأمويين على الأردن[1] وترجع حركة ابن الزبير إلى بداية خلافة يزيد بن معاوية (٦٠هـ-٦٤هـ)، والتي سبق وأن أشرنا إلى الكتاب الذي أرسله يزيد بن معاوية إلى واليه على المدينة الوليد بن عتبة بأخذ البيعة له من الإمام الحسين (عليه السلام) وعبد الله بن الزبير فرفضا ذلك، وقصدا مكة[2].

---

١ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٧٤؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٧٨.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٣١٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٢٧-٢٢٨؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٥، ص١٠.

ووجد عبد الله بن الزبير في مكة الملاذ الآمن الذي يبحث عنه للنأي بنفسه عن سلطة وعيون الأمويين، وأستطاع أن يكسب ود المسلمين فقال أول ما دخل مكة: «إنما أنا رجل مجاور لهذا البيت عائذ به» (١)، ولذلك «كان يدعى العائذ» (٢)، ويرى عبد الله بن الزبير نفسه أحق من يزيد بالخلافة، فقد استغرب من الناس كيف أنهم رضوا بإبعادهم عن الخلافة وقبلوا بخلافة يزيد، فقال للإمام الحسين (عليه السلام) في مكة: «ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم وكفنا عنهم ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم» (٣).

ولم يقف أمام طموح ابن الزبير للخلافة وزيادة سطوته في الحجاز سوى وجود الإمام الحسين (عليه السلام) في مكة، فكان حسب قول المسعودي(٤): «أثقل الناس عليه، وقد غمه مكانه بمكة، لأن الناس ما كانوا يعدلونه بالحسين، فلم يكن شيء يُؤْتاه أحب إليه من شخوص الحسين عن مكة»، ولذلك لم يدخر جهداً في حثه على التوجه إلى العراق فقال له: «أما لو كان لي بها - يقصد الكوفة - مثل شيعتك ما عدلت بها» (٥)، وكان الإمام الحسين (عليه السلام) عارفاً بمقاصد ابن الزبير في رغبته بخروجه من الحجاز فقال: «... وقد علم أنه ليس له من الأمر معي شيء، وأن الناس لم يعدلوه بي، فود

١ - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٥، ص١٥١؛ ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٢١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٧٢.

٢ - المبرد، الكامل في اللغة، ج٣، ص١٨٨.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٥٨.

٤ - مروج الذهب، ج٣، ص٦٩ -٧٠.

٥ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٥٨؛ ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٦٩

أني خرجت منها لتخلو له».[١]، وهو ما أشار إليه عبد الله بن العباس فقال للإمام الحسين (عليه السلام): «لقد أقررت عين ابن الزبير بتخليتك إياه والحجاز والخروج منها وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك»..[٢].

ولم يكن رأي وطموح عبد الله بن الزبير يعني شيئاً للإمام الحسين (عليه السلام) في خروجه أو بقائه في مكة، فقد كان هدفه أسمى وأعظم من أن يدركه عبد الله بن الزبير أو غيره، وقد أوضح ذلك منذ اليوم الأول من خروجه من المدينة إلى مكة حين كتب إلى أخيه محمد ابن الحنفية كتاباً جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب لأخيه محمد ابن الحنفية.... إن الحسين بن علي يشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله، جاء بالحق من عنده، وأن الجنة والنار حق. وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث مَن في القبور، وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أمة جدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وسيرة أبي علي بن أبي طالب..»..[٣]

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٥٨.

٢ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٦٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٥٩.

٣ - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٥، ص٢١؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج٢، ص١٨٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩-٣٣٠؛ المقرم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين، مؤسسة النور، بيروت، ٢٠٠٢م، ص١٣٨-١٣٩.

اتخذ عبد الله بن الزبير واقعة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) ذريعة لكسب ود المسلمين الذين اعتبروا تلك الجريمة النكراء انتهاكاً صارخاً لمبادئ الإسلام والمسلمين، فلما بلغه مقتل الحسين عليه السلام فقام في أهل مكة« وعظم مقتله، وعاب على أهل الكوفة خاصة، ولام أهل العراق عامة، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، إن أهل العراق غدر فجر إلا قليلاً؛ وإن أهل الكوفة شرار أهل العراق. وإنهم دعوا حسيناً لينصروه ويولوه عليهم، فلما قدم عليهم ثاروا إليه فقالوا له: إمّا أن تضع يدك في أيدينا فنبعث بك إلى ابن زياد ابن سمية سِلماً فيمضي فيك حكمه، وإمّا أن تحارب. فرأى والله أنّه هو وأصحابه قليل في كثير، وإن كان الله عز وجل لم يُطلع على الغيب أحداً أنّه مقتول؛ ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة؛ فرحم الله حسيناً، وأخزى قاتل حسين!....آما والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه، كثيراً في النهار صيامُه، أحق بما هم فيه منهم وأولى به في الدين والفضل، أما والله ما كان يبدّل بالقرآن الغناءَ، ولا بالبكاء من خشية الله الحُداءَ، ولا بالصيام شرب الحرام، ولا بالمجالس في حَلَقِ الذكر الركض في تطلاب الصيد - يعرض بيزيد - {فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً}[1]. فثار إليه أصحابه فقالوا له: أيها الرجل، أظهر بيعتك فإنه لم يبق أحد إذ هلك حُسين ينازعك هذا الأمر. وقد كان يبايع الناس سراً ويظهر أنّه عائذ بالبيت، فقال لهم لا تعجلوا.»[2]..

---

١ - مريم، الآية ٥٩.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٢١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٥٤٦ - ٥٤٧.

وقبل أن نعرج على موقف المختار من آل الزبير لابد لنا من معرفة ما آلت إليه أمور المختار في السجن الذي أُودع فيه منذ استشهاد مسلم بن عقيل، إذ تذكر الروايات التاريخية أنه استطاع أن يبعث رسولاً إلى صهره عبد الله بن عمر بن الخطاب بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء، فكتب على أثر ذلك عبد الله بن عمر إلى يزيد كتاباً يطلب فيه أن يأمر ابن زياد بإخراجه من السجن، وفعلاً كتب يزيد إلى ابن زياد على وجه السرعة يأمره فيه بإطلاق سراحه حال أن ينظر في كتابه، ونفذ ابن زياد ما أمر به يزيد على الفور، ولكنه أشترط على المختار أن يخرج من الكوفة خلال ثلاثة أيام وإلا يهدر دمه، فخرج المختار خلال تلك المدة إلى الحجاز. (١)

وعندما وصل المختار إلى مكة قادماً من الكوفة بعد خروجه من السجن، عرض البيعة عليه واعتبره رجل العرب، لكن ابن الزبير أعرض عن ذلك، ثم غاب عنه سنة ورجع إلى مكة فبايع ابن الزبير على شروط أشترطها عليه، فقبلها ابن الزبير بعد أن تردد في ذلك، وهي أن لا يقضي الأمور دونه، ويكون أول من يأذن له بالدخول عليه، وإذا ظهر على يزيد يستعين به على أفضل أعماله. (٢)

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٨٥؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٥، ص١٤٥-١٤٦؛ ومقتل الحسين، ص١٨٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٠٢-٦٠٣.

٢ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٢٧٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٨٨؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٥، ص١٤٨-١٤٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٠٣-٦٠٤.

يتضح من شروط المختار الآنفة الذكر مدى قوة شخصيته وسعة نفوذه وحاجة الآخرين إليه، وإن لم تكن مكانة المختار بهذا الشكل فكيف يتسنى له أن تكون بيعته على هذه الشروط، والتي وجد ابن الزبير نفسه مضطراً لقبولها، فقد ذكر أنّ المختار قال: «والله إنه إلي لأحوج مني إليه»[١] ثم أوضح قدرته على قيادة الناس فصرح «إن سمع مني وقبل عني كفيته أمر الناس»[٢].

ويبدو أنّ شجاعة المختار وقدراته لم تكن خافية على ابن الزبير الذي كان بحاجة ماسة له لمعرفته المسبقة بأن المواجهة بينه وبين الأمويين على وشك الوقوع، وهو ما يفسر قبول ابن الزبير بيعة المختار المشروطة التي لم تشر المصادر التاريخية أن ابن الزبير قد قبل مثلها.

ثانياً: قتال المختار مع عبد الله بن الزبير

لعب المختار دوراً مهماً ومحورياً في قتال الأمويين إلى جانب ابن الزبير دفاعاً عن البيت الحرام منذ بيعته له، فقد كان موقفه حازماً وجريئاً مع الوفد الذي أرسله يزيد بن معاوية إلى أخذ البيعة له من ابن الزبير، وكان من ضمن الوفد عبد الله بن عضاة الذي هدد وتوعد ابن الزبير وأهل مكة وقال: «وأقسم بالله صادقاً لتبايعن يزيد طائعاً أوكارهاً أو لتعرفني في هذه البطحاء وفي يدي راية الاشعريين»..[٣] ولم ينتهِ من قوله هذا حتى انبرى إليه المختار ابن

١ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٨.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص ٣٨؛ ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٨٦.

٣ - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٥، ص١٥٢.

أبي عبيد قائلاً: «أما والله يا بن عضاة! لئن أنت رمت ذلك وأردت بصاحب هذا البيت سوءاً ليدمرن الله عليك وعلى صاحبك يزيد كما دمر على أصحاب الفيل إذ راموه فجعل كيدهم في تضليل، فإن شئت فرم ذلك! فقال له عبد الله بن عضاة: يا بن أبي عبيد! أما! إن عبيد الله بن زياد قد كان حازم الرأي في حبسك بالكوفة، ولو ضرب عنقك لأصاب الرأي، ولكن لا جزى الله صهرك عبد الله بن عمر خيراً. قال ابن أبي عبيد: والله ما كان أبوه أمير المؤمنين، وقد قتل وسفك دماء المؤمنين، وقد قتل ابن بنت نبي رب العالمين. قال: وارتفعت الأصوات بين عبد الله بن عضاة وبين المختار، فأقسم عبد الله بن الزبير على المختار أن يسكت، فسكت».[1]، أوضح ابن أعثم الكوفي في روايته هذه العديد من الأمور منها:

(١) الشجاعة التي يتحلى بها المختار، فكان رده عنيفاً وجريئاً على ابن عضاة.

(٢) أثنى ابن عضاة على رأي ابن زياد بسجن المختار، وتمنى أن يكون قتله، مبيناً عدم رضاه عن شفاعة ابن عمر في المختار. وهو يبين مدى قناعة أنصار الأمويين بعداء المختار لهم.

(٣) أشارت الرواية إلى سبب عداء المختار الحقيقي للأمويين ألا وهو قتل الإمام الحسين عليه السلام، الذي كان لا يفتأ المختار في التذكير به، والطلب بأخذ الثأر من قتلته.

---

١ - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٥، ص١٥٢.

(٤) أوضحت الرواية أن المختار لم يتوقف عن الكلام إلا بعد أن أقسم عليه ابن الزبير بالسكوت، وفي هذا دليل كافٍ على أن انضمامه لابن الزبير كان مرحلياً لهدف أسمى وأعلى.

أما عن قتاله مع ابن الزبير فهناك من يشير إلى أنه كان قبل حصار الكعبة، فقد أرسل والي المدينة جيشاً بقيادة عمرو بن الزبير [١] إلى مكة، فخرج عبد الله بن الزبير على رأس جيشه وكان على ميمنته المختار بن أبي عبيد، وعلى ميسرته العباس بن سهل الأنصاري والتقى مع جيش الأمويين بين مكة والمدينة، فأنتصر عبد الله بن الزبير وهزم جيش الأمويين وأسر قائده عمرو بن الزبير فقام عبد الله بن الزبير بحبسه وقتله تحت ضرب السياط[٢]، وأوردت المصادر التاريخية الكثير من المواقف التي أظهرت شخصية المختار وشجاعته في الحرب أثناء حصار الحصين بن نمير للكعبة، فروى أبو مخنف بسنده عن عباس بن سهل بن سعد أحد قادة عبد الله بن الزبير أنه قال: «تولى قتال أهل الشام يوم تحريق الكعبة عبدُ الله بن مطيع، وأنا، والمختار. قال فما كان فينا يومئذ رجلٌ أحسن بلاءً من المختار»[٣].

---

١ - هو عمرو بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، وأمه أم خلد بنت خالد بن سعيد الأموية، تولى شرطة عمرو بن سعيد الأشدق فضرب أناساً من قريش والأنصار بالسياط وقال: هؤلاء شيعة عبد الله بن الزبير، وكان من أعدى الناس لعبد الله بن الزبير، وجهه والي المدينة عمرو بن سعيد بأمرٍ من يزيد لقتال عبد الله بن الزبير، فأسره عبد الله وأمر الناس بالاقتصاص منه فمات تحت السياط. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص١٨٤ -١٨٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج٥، ص١٩٨ -٢٠٠.

٢ - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٥، ص١٥٣ -١٥٤.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٨٨.

وذكر ابن سعد [١] أثناء ترجمته لمحمد ابن الحنفية: «كان المختار مع عبد الله بن الزبير في حصاره الأول أشد الناس معه ويريه أنه شيعة له، وأبن الزبير معجب به ويُحْمَل عليه فلا يسمع عليه كلاماً»..

وأورد ابن قتيبة [٢] في هذا الشأن فقال: «ومعه - أي عبد الله بن الزبير - من القرشيين عبد الله بن مطيع، والمختار بن أبي عبيد، والمسور بن مخرمة، والمنذر بن الزبير،...: فقال المختار بن أبي عبيد: وهبت رويحة: والله إني لأجد النصر في هذه الرويحة، فاحملوا عليهم، قال: فحملوا عليهم حتى أخرجوهم من مكة، وقتل المختار رجلاً، وقتل ابن مطيع رجلاً..»..

في حين أورد البلاذري [٣] روايته فأوضح فيها أن المختار كان يحث ابن الزبير على قتال الأمويين والدفاع عن البيت الحرام فقال: «...وكان المختار ابن أبي عبيد الثقفي قال لأبن الزبير: انهض إلى القوم، وكان قد مكث أياماً لا يقاتل، وقال له المختار أيضاً إن الله يقول {وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ} [٤]، فنهض ابن الزبير... وقال: ما أبالي إذا قاتل معي المختار مَن لقيت فإني لم أر أشجع منه قط.».. وفي رواية أخرى أنه قال ذلك بعد ما قتل العديد من قادته وأنصاره[٥].

---

١ - الطبقات، ج٧، ص٩٩.

٢ - الإمامة والسياسة، ص٢١٩؛ وينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٣٧٣.

٣ - جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٦٠.

٤ - البقرة، الآية ١٩١.

٥ - جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٦٢.

ويتضح من رواية البلاذري أن المختار كان سبباً مباشراً في قتال عبد الله ابن الزبير للأمويين فكان يحثه على ذلك، ويتقدم الصفوف في القتال.

وأورد بعض المؤرخين [١] أنّ المختار قاتل أهل الشام إلى آخر يوم من حصارهم للكعبة وأخذ يناديهم: «يا أهل الشام أنا المختار بن أبي عبيد، أنا الكرار غير الفرار، أنا المُقدم غير المُحجم، إليّ يا أهل الحفاظ وحماة الأديار.».، ووصف البغدادي [٢] قتال المختار مع ابن الزبير أثناء حصار مكة فقال: «وقد اشتدت نكاية المختار في تلك الحروب على أهل الشام..».، في حين ذكر ابن الأثير [٣] قتال المختار مع آل الزبير فقال: «وشهد معه قتال الحصين بن نمير، وأبلى أحسن البلاء، وقاتل أشد القتال، وكان أشد الناس على أهل الشام».

يتضح مما تقدم الدور الذي لعبه المختار مع ابن الزبير في الدفاع عن مكة، والذي تجلى فيها عند المختار مدى العداء الذي يكنه للأمويين وأنصارهم، فكان أشد من ابن الزبير عليهم، فقد كان يرى في قرارة نفسه أنّهم يتحملون الوزر الأعظم في قتل الإمام الحسين عليه السلام، وقد وضع نصب عينيه منذ الأيام الأولى لاستشهاد الأمام الحسين عليه السلام الأخذ بثأره والقصاص من قتلته.

---

١ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٧٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٨٨؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٥، ص١٦٤.

٢ - الفرق بين الفرق، ص٥٢.

٣ - الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٠٤.

ثالثاً: سيطرة المختار على الكوفة

أختلف المؤرخون في كيفية مفارقة المختار لعبد الله بن الزبير ووثوبه على الكوفة فيرى البعض منهم أن المختار فارق ابن الزبير بأذن منه وموافقته وأنه هو من ولاه على الكوفة، فروى ابن سعد[١] :«وجاء المختار إلى ابن الزبير فقال: اعلم أن مكاني من العراق أنفع لك من مقامي هاهنا، فأذن له عبد الله ابن الزبير فخرج هو وابن كامل، وابن الزبير لا يشك في مناصحته، وهو مصر على الغش لابن الزبير»، وذكر[٢] في موضع آخر فقال:«ألح المختار بن أبي عبيد على عبد الله بن الزبير في الخروج إلى العراق فأذن له، وكتب ابن الزبير إلى ابن مطيع وهو عامله على الكوفة يذكر له حال المختار عنده، فلما قدم المختار الكوفة أختلف إلى ابن مطيع وأظهر مناصحة ابن الزبير وعابه في السر..»، ولما ذكر ابن سعد[٣] وصول المختار إلى الكوفة قال:«لما قدم المختار العراق اختلف إلى عبد الله بن مطيع، وهو والي الكوفة يومئذ لعبد الله ابن الزبير»..

وذكر ابن قتيبة[٤] أن عبد الله بن الزبير«... أرسل عبد الله بن مطيع إلى الكوفة، ثم بعث المختار بن أبي عبيد على الكوفة وعزل عبد الله بن مطيع وسيره إلى المدينة» وأكد روايته هذه مرة أخرى فقال في موضع آخر:«...ثم

١ - الطبقات، ج٧، ص٩٩-١٠٠.
٢ - الطبقات، ج٧، ص١٤٧.
٣ - الطبقات، ج٧، ص١٠٠.
٤ - الإمامة والسياسة، ص٢٢٩.

بعث مصعب بن الزبير أخاه، وضم إليه العراقين الكوفة والبصرة، فلما ضمّ إليه الكوفة، وعزل المختار عنها خلع المختار عبد الله بن الزبير بالكوفة، ودعا إلى آل الرسول، وأراد أن يعقد البيعة لمحمد ابن الحنفية ويخلع عبد الله بن الزبير. فكتب عبد الله بن الزبير إلى أخيه مُصعب، أن سر إلى المختار بمن معك، ثم لا تبلعه ريقه، ولا تمهله حتى يموت الأعجل منكما».. (١)

وأورد المبرد (٢) روايته بشكل آخر فقال: «ويروى أن المختار بن أبي عبيد حيث كان والياً لأبن الزبير على الكوفة، أتهمه ابن الزبير، فولى رجلاً من قريش الكوفة، فلما أطل قال لجماعة من أهلها: أخرجوا إلى هذا المغرور فردوه، فخرجوا إليه، فقالوا: أين تريد ؟ والله لئن دخلت الكوفة ليقتلنك المختار، فرجع».

في حين أورد المسعودي(٣) روايته بصيغة أخرى، فذكر: «فقال المختار ابن أبي عبيد لابن الزبير: إنّي لأعرف قوماً لو أن لهم رجلاً له رفق وعلم بما يأتي لأستخرج لك منهم جنداً تغلب أهل الشام، فقال: من هم ؟ قال: شيعة بني هاشم بالكوفة قال: كن أنت ذلك الرجل؛ فبعثه إلى الكوفة، فنزل ناحية منها، وجعل يظهر البكاء على الطالبيين وشيعتهم، ويظهر الحنين والجزع لهم، ويحث على أخذ الثأر لهم والمطالبة بدمائهم، فمالت الشيعة إليه،

---

١ - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص٢٣٠.

٢ - الكامل في اللغة، ج٣، ص١٨٧.

٣ - مروج الذهب، ج٣، ص٨٩؛ وينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٩، ج٢٠، ص٣٣٠.

وانضافوا إلى جملته، وسار إلى قصر الإمارة فأخرج ابن مطيع منه، وغلب على الكوفة، وابتنى لنفسه داراً، وأتخذ بستاناً أنفق عليه أموالاً عظيمةً أخرجها من بيت المال، وفرق الأموال على الناس بها تفرقةً واسعة، وكتب إلى ابن الزبير يعلمه أنه إنما أخرج ابن مطيع عن الكوفة لعجزه عن القيام بها، ويسوم ابن الزبير أن يحسب له بما أنفقه من بيت المال، فأبى ابن الزبير وذلك عليه فخلع المختار طاعته، وجحد بيعته..».

وجاءت رواية الذهبي[1] بهذا الشأن مختصرة فقال: «فلما مات يزيد، استأذن ابن الزبير في الرواح إلى العراق، فركن إليه، وأذن له، وكتب إلى نائبه بالعراق عبد الله بن مطيع يوصيه به، فكان يختلف إلى ابن مطيع، ثم أخذ يعيب في الباطن ابن الزبير، ويثني على ابن الحنفية، ويدعوا إليه،.... والتفت عليه الشيعة، فخافه ابن مطيع، وفر من الكوفة وتمكن هو - أي المختار -.»..

ويمكن مناقشة تلك الروايات التي أشارت إلى قيام ابن الزبير بتولية المختار، أو على أقل تقدير موافقته على مغادرة المختار إلى الكوفة.

فرواية ابن سعد والتي جزم فيها أن ابن الزبير لا يشك في مناصحة المختار له لا يمكن الأخذ بها لأمرين:

الأمر الأول: لو كان ابن الزبير لا يشك بمناصحة المختار له، لكان الأحرى به أن يفي بعهده معه عندما بايعه المختار على تلك الشروط والتي كان أهم شروطها أن يستعمله على أفضل أعماله ودون شك كانت الكوفة

١ - سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٥٤٠.

أفضل ولايات الدولة أنذاك، فضلاً عن شجاعة وقدرة المختار السياسية التي يتمتع بها والتي اعترف بها ابن الزبير في أكثر من مناسبة.

الأمر الثاني: جعل ابن سعد وصول المختار في ولاية ابن مطيع في حين أن وصول المختار قبل ولاية عبد الله بن يزيد الخطمي بثمانية أيام وذلك في الخامس عشر من رمضان في سنة أربع وستين للهجرة[١] فمكث في ولايته إلى خمس بقين من رمضان سنة خمس وستين للهجرة حيث قدم عبد الله بن مطيع والياً من قبل ابن الزبير على الكوفة[٢]، ومن الجدير بالذكر أن عبد الله بن يزيد والي الكوفة قام بسجن المختار بعد خروج التوابين من الكوفة، وخرج المختار بعد عودهم إلى الكوفة، وبشفاعة ابن عمر[٣] أيضاً، فيتضح من خلال ذلك أن وصول المختار إلى الكوفة لم يكن أثناء ولاية ابن مطيع كما أشار ابن سعد.

أما رواية ابن قتيبة التي أشرنا إليها لا يمكن الأخذ بها بهذه البساطة فمن المسلم به أن المختار أخذ الكوفة عنوة وحاصر ابن مطيع في قصر الأمارة، الذي استسلم وأتجه نحو البصرة حيث كره أن يذهب إلى ابن الزبير في مكة[٤]،

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٧٨-٣٧٩.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٧.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٥-٣٦؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢١٩.

٤ - للتفاصيل ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٤٣ -٣٨٢؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٩٤-٣٩٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٤٤-٥٦؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٣٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٨-٦٧٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٠-١٤.

وكذلك نجد ابن قتيبة يجعل خلع المختار لعبد الله بن الزبير عند ولاية مصعب للبصرة في حين أشارت بعض المصادر التاريخية إلى العديد من الوقائع بين المختار وابن الزبير قبل ولاية مصعب للبصرة، ظهر فيها الخلاف جلياً بين المختار وابن الزبير منها إخراج محمد ابن الحنفية من السجن، وجيش المختار الذي أرسله للدفاع عن المدينة المنورة وغدر به ابن الزبير وقتل قائده.(١)

ورواية المبرد من اتهام ابن الزبير للمختار وتولية رجلٍ من قريش وإرسال المختار من يمنعه في الكوفة، هو أمر مسلم به، لكن الأمر الذي لا يمكن الأخذ به هو قول المبرد إنّ المختار كان والياً لأبن الزبير وهو ما أشرنا إليه عند مناقشة الروايات السالفة الذكر.

أما ما ذكره المسعودي وابن أبي الحديد: بأن المختار بعث برسالة يوضح فيها المبررات التي جعلته يثب بالكوفة ويطرد ابن مطيع منها فهو أمر طبيعي لما عرف عن المختار من حنكة سياسية وعسكرية فهو يخشى أن يقاتل الأمويين في وقت لم يكن بمأمن من غدر آل الزبير، فحاول كسب ودهم للتفرغ إلى هدفه الرئيسي وهو الأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام ومحاربة الأمويين. لكن ما ذكره المسعودي من أنّ سبب خلافه مع ابن الزبير هي قضية الأموال فهذه الرواية لا يمكن الأخذ بها لما عرف عن سخاء المختار وإنفاقه الأموال وهو ما أشار إليه المسعودي نفسه فقال: وفرق الأموال على الناس بها تفرقة

---

١ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤١٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٩-٨٤.

واسعة. فضلاً عن الأموال التي أعطاها لأبن مطيع عند مغادرته الكوفة، وسبعين ألفاً أعطاها إلى والي ابن الزبير الذي لم يسمح له المختار بالدخول إلى الكوفة، والأموال التي يبعث بها إلى عبد الله ابن عمر وغيره [1].

في حين جاءت رواية الذهبي مختصرة، وفيها تناقض واضح فهي توضح بأن ابن الزبير أوصى ابن مطيع بالمختار، في حين عند دخول المختار إلى الكوفة لم يكن يومها الوالي عليها ابن مطيع، لأن المختار دخل الكوفة قبل قدوم عبد الله بن مطيع بأكثر من عام. [2]

ويرى بعض المؤرخين أن المختار قصد الكوفة دون علم ابن الزبير وأنه أخذها عنوة، وأخرج منها عامل ابن الزبير، فذكر البلاذري روايتين في هذا الشأن:

الرواية الأولى: ذكرها البلاذري [3] بعد أن تطرق إلى حصار الحصين بن نمير السكوني وقتال المختار مع ابن الزبير فقال: «وأقام المختار مع ابن الزبير حتى انصرف عنه الحصين بن نمير وأهل الشام إلى الشام، فلما رأى أن ابن الزبير لا يوليه شيئاً أقبل يسأل الناس عن خبر الكوفة وأهلها،... ثم ركب

---

١ - مروج الذهب، ج٣، ص٨٩؛ وينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٩، ج٢٠، ص٣٣٠.

٢ - دخل المختار الكوفة في رمضان من عام أربع وستين للهجرة، في حين كان وصول عبد الله بن مطيع في رمضان من عام خمس وستين للهجرة ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٧؛ وج٥، ص٣٧٨.

٣ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٧٩.

رواحله وأتى الكوفة.»..

الرواية الثانية: جاء بها البلاذري[١] أثناء حديثه عن مواقف ابن الزبير السلبية مع بني هاشم وغيرهم ثم قال: «...وكان المختار معه فلما رأى تفننه وتخليطه تركه وأنصرف إلى الكوفة.»..

وأورد اليعقوبي كذلك روايتين في هذا الشأن تطرق في الأولى: إلى سبب مفارقة المختار لابن الزبير وفي الثانية تطرق إلى سبب وثوب المختار بالكوفة وطرده عامل ابن الزبير منها.

فجاء في **الرواية الأولى**: «كان - المختار - مع ابن الزبير، فلما لم يرَ ابن الزبير يستعمله شخص إلى العراق،»..[٢]

أما **الرواية الثانية** فأوردها اليعقوبي[٣] في سبب وثوب المختار بالكوفة فقال: «وكان ابن مطيع عامل ابن الزبير على الكوفة، فجعل يطلب الشيعة ويخيفهم، فواعد المختار أصحابه، ثم خرجوا بعد المغرب...، ونادى: يا لثارات الحسين بن علي».

وعلى الرغم من أنّ رواية اليعقوبي قد تطابقت مع العديد من الروايات الأخرى، إلا أنه انفرد في روايته الثانية بمضايقة ابن مطيع للشيعة وإخافتهم، وسياسة عمال آل الزبير تجاه الشيعة لم تكن مستغربة ولكنها في تلك الظروف

---

١ - جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٣٣.

٢ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٠.

٣ - تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٠.

لم تكن بشكل علني فابن مطيع نفسه حاول سجن المختار لمجرد أن السائب بن مالك الأشعري قال له: «لا يسار فينا إلا بسيرة علي بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك رحمة الله عليه».[١] فأشار على ابن مطيع صاحب شرطته بسجن المختار لكن تلك المحاولة المبكرة لإجهاض ثورته فشلت بفضل ابن عمه زائدة بن قدامة [٢] وذكاء المختار. [٣]

وذكر الطبري [٤] روايته حول مفارقة المختار لابن الزبير فذكر أنّ المختار أقام معه أكثر من خمسة أشهر بعد موت يزيد ثم ذكر بسنده عن أبي مخنف: «أن هانئ بن أبي حية الوادعي قدم مكة يريد عمرة رمضان، فسأله المختار عن حاله وحال الناس بالكوفة وهيئتهم، فأخبره عنهم بصلاحٍ واتساق على طاعة ابن الزبير، إلا أن طائفة من الناس إليهم عدد أهل المصر، لو كان لهم رجل يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض إلى يوم ما، فقال له المختار أنا أبو إسحاق، أنا والله لهم، أنا أجمعهم على مر الحق، وأنفي بهم ركبان الباطل،

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٣٨ - ٦٩٣.

٢ - هو زائدة بن قدامة بن مسعود الثقفي ابن عم المختار بعثه عمرو بن حريث صاحب شرطة ابن زياد يدعو المختار للوقوف تحت رايته عند مقتل مسلم بن عقيل، أرسله المختار وهو في سجن عبيد الله بن زياد بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) إلى عبد الله بن عمر ليشفع له عند يزيد فأدى مهمته على أتم وجه وأطلق سراح المختار، قتل في سنة ست وسبعين للهجرة. ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٨، ص٢٩٥ -٢٩٨.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٧؛ ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٣٨ -٦٩٣.

٤ - تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٨٩ -٣٩٠.

وأقتل بهم كل جبار عنيد،... ثم وثب فخرج وركب رواحله فأقبل نحو الكوفة.»..

وأورد ابن أعثم الكوفي [١] رواية تتفق مع رواية الطبري لكنه يشير بوضوح إلى خروجه بدون علم ابن الزبير وانه لما علم بذلك آثر السكوت عن المختار، فقال: «.... ثم انصرف - أي المختار - إلى منزله، فلما كان الليل وثب فاستوى على فرسه وخرج من مكة بغير علم عبد الله بن الزبير.»، وأستطرد ابن أعثم في ذلك فذكر موقف ابن الزبير بعد أن علم بوصول المختار إلى الكوفة فقال: «وعلم عبد الله بن الزبير أن المختار قد صار إلى الكوفة فأتقى أن يفسد عليه البلد، فأرسل إلى عامر بن مسعود الجحمي - والي الكوفة لأبن الزبير - فعزله عن الكوفة وولى عليها عبد الله بن يزيد الأنصاري».. [٢]

ويرى البغدادي [٣] سبب مفارقة المختار لأبن الزبير هو أنه لقي جفوة منه فكانت سبباً في مفارقته له.

وأورد ابن الأثير بهذا الشأن روايتين:

الرواية الأولى: جاءت متطابقة مع رواية الطبري مع الاختلاف في بعض الألفاظ التي لا تغير من المضمون شيئاً، والتي أشارت أن سبب مفارقة المختار

---

١ - كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٠٧؛ ومقتل الحسين ص١٩٤.

٢ - كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٠٨؛ ومقتل الحسين، ص١٩٦.

٣ - الفرق بين الفرق، ص٥٢.

لأبن الزبير هو أنه لم يستعمله[١].

الرواية الثانية: ذكرها ابن الأثير[٢] وهي تتطابق مع ما ذكره المسعودي، والتي أشارت إلى أن ابن الزبير أذن للمختار في خروجه إلى الكوفة، والتي تطرقنا إليها.

في حين يرى النويري[٣] في سبب مفارقة المختار لابن الزبير أنه «أقام المختار عنده خمسة أشهر - بعد وفاة يزيد -، فلما رآه لا يستعمله جعل يسأل من يقدم من الكوفة عن حال الناس....ثم ركب دابته وسار نحو الكوفة فوصل إليها واختلفت الشيعة إليه».

وجمع ابن كثير[٤] بين الرأي الذي يرى أنه خرج بدون علم ابن الزبير والرأي الذي يقول إنه خرج بعلمه، ثم أضاف أنه بعد أن اخرج عامل ابن الزبير من الكوفة كتب المختار «إلى ابن الزبير يعتذر إليه ويخبره أن ابن مطيع كان مداهناً لبني أمية، وقد خرج من الكوفة، وأنا ومن بها في طاعتك، فصدقه ابن الزبير؛ لأنه كان يدعو له على المنبر يوم الجمعة على رؤوس الناس، ويظهر طاعته».

ومن خلال ما تقدم، يمكن أن نوجز آراء المؤرخين في سبب مفارقة المختار لأبن الزبير: هو أنه لم يستعمله على أي من أعماله، أو بسبب الجفوة

---

١ - الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٠٤.

٢ - الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٠٦.

٣ - نهاية الأرب، ج٢١، ص٤.

٤ - البداية والنهاية، ج١٢، ص٦٦.

التي وجدها عند ابن الزبير، أو لأن المختار رأى الظروف أصبحت مهيأة له للوثوب بالكوفة، وهذه الآراء متداخلة فيما بينها، وأغلبها أكد على أن سبب مفارقة المختار لابن الزبير هو أنّه لم يستعمله.

ولم يكن قتال المختار مع آل الزبير سوى وسيلة آراد بها أن يعُد العدة ويهيء نفسه لتحقيق هدفه الأسمى وهو الأخذ بالثأر من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، ولذلك أهمله ابن الزبير ولم يوليه أياً من الولايات الإسلامية التابعة له، لعلمه مُسبقاً أن المختار لم يكن يقبل بغير ولاية الكوفة لأن أهدافه لا تتحقق إلا بها، فكان ذلك سبباً في مراوغته في تنفيذ شروط بيعته للمختار؛ تلك الشروط التي أراد أن يحقق من خلالها: قتال الأمويين أعدائه التقليديين من جهة، والظفر بولاية الكوفة لتحقيق هدفه في أخذ الثأر، ولم يكن ابن الزبير غافلاً عن ميول المختار الشيعية وخشيته في حال وصوله إلى الكوفة أن يلتف حوله الشيعة ويزداد نفوذه وأن يصبح نداً قوياً له.

أما وضع الكوفة فلم يكن مهيئاً للمختار حين توجه إليها، فهي أعلنت ولاءها لآل الزبير حين علمت بوفاة يزيد، بينما التفت الشيعة فيها حول سيدها وزعيمها سليمان بن صرد الخزاعي، الذي لا يمكن أن يجد المختار له في الكوفة مكاناً بوجوده، لذلك اضطر المختار أن ينتظر مدة من الزمن حتى تتضح له الأمور، وهو لم يكن متعجلاً لما عُرف عنه من حنكة في إدارة الأمور، وكان خروج سليمان بن صرد الخزاعي بجموع التوابين التي تبعته وخسارتهم المعركة سبباً في أن يعلن سيطرته على الكوفة، وهنا آثر ابن الزبير

السكوت والاعتراف بالأمر الواقع، فضلاً عن معرفته المسبقة بعداء المختار للأمويين العدو المشترك بينهما، للاستفادة من ذلك العداء قدر الإمكان، وقد يكون انتصار المختار على الأمويين في معركة الخازر (٦٧هـ) ومقتل عبيد الله ابن زياد، صور لابن الزبير أن خطر الأمويين تحجم نوعاً ما وأصبح خطر المختار أكثر منهما، فعجل بالتوجه إلى المختار لمحاربته والقضاء على دولته في نهاية المطاف.

رابعاً: أوجه الخلاف العلني بين المختار وابن الزبير بعد سيطرته على الكوفة

١- قيام المختار بطرد والي ابن الزبير على الكوفة

استطاع المختار أن يطرد والي ابن الزبير على الكوفة، لكنه في الوقت نفسه يعلم أن هذا الأمر سيثير غضب ابن الزبير عليه، وكان يخشى أن يضطر للقتال على جبهتين: جبهة الشام وجبهة الحجاز والبصرة، ونظراً لما يتمتع به المختار من حنكة سياسية وعسكرية فكان عليه الاطمئنان على إحدى الجبهتين، لكي يتفرغ لقتال الأخرى، ولا ريب أن المختار كان له موقف إيجابي مع ابن الزبير أثناء حصار الأمويين له، فضلاً عن عدائه المتجذر للأمويين، الذي وصل إلى أعلى مراحله بعد قتلهم الإمام الحسين (عليه السلام) والذي وضع المختار نصب عينيه الأخذ بثأره والاقتصاص من قتلته مهما كلفه ذلك، إذا ما أضفنا إليه ما أعلنه ابن الزبير بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) من ندم وحسرة على استشهاده،

وذم من أشترك في دمه، وإن كان ذلك من أجل الحصول على تأييد الناس التي هالها ما قام به الأمويون من قتل سبط الرسول (صلى الله عليه واله وسلم). تلك الأمور وغيرها دعت المختار إلى مهادنة ابن الزبير ومحاولة إرضائه في هذه الظروف على أقل تقدير، وقد ذكر المؤرخون العديد من الروايات بهذا الشأن التي توضح طبيعة العلاقة بين المختار وابن الزبير، التي يشوب أغلبها التداخل وعدم الوضوح إلا أنّها تبين أنّ هناك نوعاً من المكاتبات بينهما:

فقد روى ابن سعد [١]: «لما خرج ابن مطيع من الكوفة أتبعه المختار بكتاب إلى عبد الله بن الزبير يقع فيه بابن مطيع ويجبنه ويقول: قدمت مكة وأنا على طاعتك فرأيت عبد الله بن مطيع مداهناً لبني أمية فلم يسعني أن أقره على ذلك لما حملت في عنقي من بيعتك، فخرج من الكوفة وأنا ومن قبلي على طاعتك»..

وأورد البلاذري [٢] رواية قريبة من رواية ابن سعد فقال: «كتب المختار إلى ابن الزبير، أن ابن مطيع خالفك، وكاتب عبد الملك، وأنت أحب إلينا من عبد الملك،..».. وكتب كذلك إلى ابن الزبير يعلمه بأنه اضطر إلى إخراج ابن مطيع من الكوفة لعجزه عن القيام بمهامه التي كلف بها. [٣]

١ - الطبقات، ج٧، ص١٤٧ -١٤٨؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٥٤١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٦٦.

٢ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٤٧.

٣ - المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٨٩.

وذكر الذهبي [١] أن المختار كتب إلى ابن الزبير يقول: «رأيته - أي ابن مطيع - مداهناً لبني أمية، فلم يسعني أن أقره على ذلك وأنا على طاعتك، فصدقه ابن الزبير وكتب إليه بولاية الكوفة»..

ولم يكتف المختار بذلك بل كتب إلى ابن الزبير يقول: «إني اتخذت الكوفة داراً، فإن سوغتني ذلك وأمرت بألف ألف درهم سرت إلى الشام وكفيتك أمره».. [٢]، ثم كتب له أيضاً يقول: «أما بعد فقد عرفت مناصحتي كانت لك، واجتهادي في طاعتك ونصرتك، وما كنت أعطيتني من نفسك، فلما وفيت لك خِستَ لي بما عاهدتني فكان مني ما كان، فإن تراجعني أراجعك، وإن تُردْ مناصحتي أنصح لك» [٣]

ويمكن أن يلاحظ على كتب المختار المتقدمة الذكر لابن الزبير مدى الحنكة السياسية التي يتمتع بها المختار فقد حاول جهد الإمكان أن يتجنب غضب ابن الزبير لكي لا يكون بين جبهتين، الأمويين من جانب وابن الزبير من جانب آخر، ويرى بعض المؤرخين [٤] أن تلك الرسائل كانت من القوة والرصانة إلى درجة صدقها ابن الزبير وأقره على ولاية الكوفة.

١ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج٥، ص٥٠.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٤٧.

٣ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤١٥؛ ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٩؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٦، ص٥٨ - ٥٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٢.

٤ - ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص١٤٧ -١٤٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٥٤١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٦٦.

ويلاحظ على تلك الكتب أنها ركزت على مسألة في غاية الأهمية ألا وهي العدو المشترك بين المختار وآل الزبير وهم بنو أمية وحشد الجهود لقتالهم بل أوضح له أنه على استعداد لمقاتلتهم نيابة عن ابن الزبير، لأنه يعلم إنما يقاتلهم للأهداف التي رسمها مسبقاً للأخذ بثأر الإمام الحسين (عليه السلام)، وكذلك ذكّر ابن الزبير بالعهود التي قطعها على نفسه أثناء بيعته له، وبين له أنّها كانت سبباً مباشراً له في الخلاف معه والتي أدت في نهاية المطاف إلى استيلائه على الكوفة، والتي أخذها عنوة وطرد عمال ابن الزبير منها وأوضح بعض المؤرخين القدامى سبب تلك الكتب: فذكر البلاذري[1] سبب قيام المختار بإرسال هذه الرسائل إلى ابن الزبير فقال: «وكان المختار خائفاً من أن يوجه إليه ابن الزبير جيشاً لِما فعل بابن مطيع ولإخراجه إياه»، وأتفق الطبري[2] مع ما يراه البلاذري بشكل واضح في هذا الشأن فقال: «وهو يريد بذلك كفه عنه، حتى يستجمع له الأمر..»، في حين قال ابن الجوزي[3]: «...وأخذ يخادع ابن الزبير فكتب إليه، أما بعد، فإنك قد عرفت مناصحتي وما كنت أعطيتني.»، بينما يرى ابن كثير[4] سبب كتب المختار لابن الزبير: «ولما علم المختار أن ابن الزبير لا ينام عنهم، وأن جيش الشام من قبل عبد الملك بن مروان (٦٥هـ-٨٦هـ) يقصدونه مع عبيد الله بن زياد في جمع كثير لا

١ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤١٥.

٢ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٩.

٣ - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٦، ص٥٨-٥٩.

٤ - البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٢.

يرام، شرع يصانع ابن الزبير، يريد خداعه والمكر به.؟»..

ومن خلال ما تقدم يظهر أن ما يراه البلاذري والطبري في سبب رسائل المختار إلى ابن الزبير هي أقرب للواقع والمنطق في ظل تلك الظروف المحيطة بالمختار، فالمختار حاول قدر الإمكان فتح صفحة جديدة مع آل الزبير وعدم إثارة غضبهم لكي لا يفتح عليه جبهة أخرى هو في غنى عنها، وأما ما يراه ابن الجوزي وابن كثير فيبدو أن رأيهم تأثر بما آلت إليه الأمور من قيام المختار بطرد والي ابن الزبير حيث كان المختار مضطراً لفعل ذلك وإلا خسر كل ما خطط له من القيام بالقصاص من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام).

ولما أراد ابن الزبير أن يعلم أسلم هو أم حرب؟ قرر أن يرسل والياً جديداً إلى الكوفة« فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام [١] فقال له: قد وليتك الكوفة فسر إليها، فقال: كيف وبها المختار ؟ قال: قد كتب إلي أنه سامع مطيع لي» [٢]، وما أن اقترب الوالي الجديد من الكوفة حتى أرسل المختار إليه ابن عمه زائدة بن قدامة على رأس خمسمائة فارس، وأوصاه أن يعطيه ضعف الأموال التي أعطاها له ابن الزبير، فإن رفض أظهر

---

١ - هو عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي الوالي الذي بعثه ابن الزبير إلى الكوفة بعد أن سيطر المختار على الكوفة فأرسل إليه المختار أبن عمه زائدة بن قدامة وأعترضه في الطريق وبعد كلام دار بينهما دفع له سبعين الف درهم فذهب إلى البصرة فأقام بها. ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤١٥ -٤١٧.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤١٥؛ ينظر الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٩؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٦، ص٥٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٢.

له الجيش الذي أمره المختار بأن يخبئهم ولا يخرجهم إلا بعد رفضه أخذ الأموال، فلما فعل ذلك، وافق عمر بن الحارث على أخذ الأموال وعدم الدخول إلى الكوفة، ولكنه آثر الذهاب إلى البصرة بدلاً من الرجوع إلى ابن الزبير.[1]

٢- إرسال المثنى بن مخرمة العبدي إلى البصرة

قام المختار في بداية ثورته في الكوفة بخطوة، تنم عن جرأته وحنكته السياسية والعسكرية، وذلك بإرسال المثنى بن مخرمة العبدي لأخذ بيعة أهل البصرة له. وذلك لأهمية البصرة استراتيجياً واقتصادياً وسياسياً، ولم يكن المثنى شخصاً اعتيادياً، فتاريخه حافل بالولاء والحب لآل البيت وأنصارهم وشيعتهم، فكان أحد أصحاب الإمام علي (عليه السلام)[2]، ففي معركة الجمل استقبل الإمام علياً (عليه السلام) قبل وصوله البصرة، وأخبره بأمر طلحة والزبير في البصرة وبما لقيه أنصار الإمام علي (عليه السلام) منهم، وفيمن قتل من ربيعة وعبد القيس وغيرهم.[3]

وكان له موقف يتضح منه قوة ولائه وإخلاصه للإمام علي (عليه

---

١ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤١٦-٤١٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٠؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٥٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٢.

٢ - سيف بن عمر (ت: ٢٠٠هـ-٨١٥م)، الفتنة ووقعة الجمل، تحقيق: أحمد راتب عرموش، الطبعة السابعة، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٣م، ص١٧٠.

٣ - البلاذري، أنساب الأشراف، ص٢٣٣-٢٣٤.

السلام) أثناء محاولة معاوية بن أبي سفيان السيطرة على البصرة، حين أرسل ابن الحضرمي لشق عصا المسلمين إبان ولاية زياد بن أبيه عليها في خلافة الإمام علي (عليه السلام)، فوقف المثنى بوجه ابن الحضرمي موقفاً مشهوداً له فقال أمام رؤوس الأشهاد: «والله لئن لم ترجع إلى مكانك الذي جئتنا منه لنجاهدنك بأسيافنا ورماحنا.».. [1]، وفي رواية أخرى أنه قال: «نحن ندع ابن عم نبينا وسيد المسلمين، وندخل في طاعة حزب من الأحزاب طاغٍ، والله لا يكون ذلك أبداً حتى تسير كتيبة إلى كتيبة وتفلق الهام بالسيوف» [2]

فكانت له المواقف المشهودة في حروب الإمام علي (عليه السلام)، وما أن قرر التوابون التهيؤ للأخذ بثأر الإمام الحسين (عليه السلام) حتى بعث زعيمهم سليمان بن صرد الخزاعي رسائل يدعو فيها الخلص من الشيعة إلى الانضمام لحركته التي ضرب لها أجلاً، فكانت إحدى رسائله للمثنى بن مخرمة العبدي الذي أجاب على رسالة سليمان بن صرد الخزاعي فقال: «إننا معشر الشيعة حمدنا الله على ما عزمتم عليه، ونحن موافوك إن شاء الله للأجل الذي ضربت. وكتب في أسفل الكتاب:

تبصر كأني قد أتيتك معلماً ... على أتلع الهادي أجش هزيم
طويل القرى نهد الشواء مقلص ... ملح على فأس اللجام أزوم
بكل فتى لا يملأ الروع قلبه ... محش لنار الحرب غير سؤوم

---

١ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣١١.

٢ - الثقفي، الغارات، ج٢، ص٣٦٧.

أخـــي ثقـــة ينـــوي الإلـــه بـــسعيه ضـروب بنـصل الـسيف غـير أثـيم»[١]

وسار لنصرة التوابين في ثلاثمائة من أهل البصرة، ووصل خبر مقدمهم إلى التوابين وهم في أرض المعركة يخبروهم بأن سعد بـن حذيفـة جـاءهم بمئـة وسبعين من أهل المدائن، وأنّ المثنى قدم عليهم بثلاثمائة مـن أهـل البـصرة[٢]، وقبل أن يصلوا إليهم انتهت المعركة بخسارة التوابين ورجـوع مـن بقـي منـهم فالتقوا في الطريق معهم وعاد المثنى بن مخرمة إلى الكوفة مـع بقيـة التـوابين[٣]. وهناك من يرى أنه شهد المعركة مع سليمان بـن صـرد فـذكر: «أن المثنى بـن مخرمة العبدي كان ممن شهد عين الوردة مع سليمان بن صرد» [٤].

وعند عودة المثنى مع التوابين إلى الكوفة، أقام فيها حتى خـروج المختـار من السجن، وبايعه سراً، فطلب منه المختار أن يلتحق ببلـده البـصرة ويـدعو الناس سراً لبيعته فيها فأجابه رجال من قومه ومن غيرهم [٥]، ثم خـرج المـثنى بأصحابه بعد أن وثب المختار بالكوفة، واستتبت له أمور الكوفة، وكان علـى البصرة القباع [٦] والياً من قبل ابن الزبير، فوقع القتال بينه وبين أصحاب المثنى

١ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٥٩٦.

٢ - ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٠٣؛ الطبري، تاريخ الأمـم والملـوك، ج٦، ص١٦؛ ابـن الأثـير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦١٥.

٣ - الطـبري، تـاريخ الأمـم والملـوك، ج٦، ص١٦-١٧؛ ابـن الأثـير، الكامـل في التـاريخ، ج٣، ص٦١٦-٦١٧.

٤ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٦؛ ابن الأثير،الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٥.

٥ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٦؛ ابن الأثير،الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٥.

٦ - هو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، أمه نصرانية، وكان خطيباً بليغاً ديناً، عينـه ابـن ←

انتهى في نهاية المطاف بعقد الصلح بين الطرفين الذي تضمن خروج المثنى ومن على رأيه إلى الكوفة والتحاقهم بالمختار [١]، وعلى الرغم من أن حركة المثنى بن مخرمة انتهت بالفشل عسكرياً إلا أنها أفرزت العديد من النتائج منها :

١. كان موقف المثنى هذا سبباً في اتصال المختار ببعض زعماء قبائل البصرة فقد ذكر الطبري [٢] :« وأخبر المثنى المختار حين قدم عليه بما كان من أمر مالك بن مسمع وزياد بن عمرو، ومسيرهما إليه، وذهما عنه حتى شخص عن البصرة. فطمع المختار فيهما، فكتب إليهما..». ويبدو أن تلك الرسالة التي دعاهم المختار فيها لنصرته لم تلق التأييد الكامل من أولئك الزعماء فكان جواب أحدهم :«أما أنا فلا أقاتل نسيئةً؛ من أعطانا الدراهم قاتلنا معه» [٣]

٢. وفي الوقت نفسه كان لدعوة المثنى أثرٌ سلبيٌّ على المختار بسبب أنه كتب كتاباً للأحنف بن قيس [٤] الذي كان له موقف غير ايجابي من تلك

الزبير والياً على البصرة سنة واحدة، ثم أستعمل أخاه مصعب عليها، لقبه أهل البصرة بالقباع باسم مكيال وضعه لهم، ينظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص٣٢-٣٣؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤١٦-٤١٧؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ج١، ص٦١٩-٦٢٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص١٨١-١٨٢.

١ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤١٥-٤١٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٦-٧٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٥.

٢ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٧.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٧؛ ينظر :البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤١٨.

٤ - هو صخر بن معاوية بن حصن بن عباد بن مرة بن عبيد، وقيل : اسمه الضحاك بن قيس وكان

الدعوة فجاء في كتاب المختار: «أما بعد فويل أم ربيعة من مضر،... ولعمري لئن قاتلتموني وكذبتموني لقد كذب من كان قبلي وما أنا بخيرهم».[1]، فتم تأويل هذا الكتاب من قبل الأحنف بن قيس حسب رواية الشعبي [2] إلى أنّ المختار قد ادعى النبوة، وهذا الكتاب سوف نتطرق إليه في الفصل الرابع بشيء من التفصيل.

٣- القتال بين جيش المختار وجيش ابن الزبير في المدينة

على الرغم من الحذر الذي اتبعه كل من المختار وآل الزبير بعدم تصعيد الموقف فيما بينهما أكثر مما هو عليه خشيةً من استغلال الأمويين ذلك، لكن الأمور تطورت إلى أبعد من ذلك حتى وصل إلى القتال المباشر والعلني، وذلك عندما أرسل المختار جيشاً بقيادة شرحبيل بن ورس الهمداني في ثلاثة آلاف مقاتل جلهم من الموالي للدفاع عن المدينة من الأمويين الذين توجهوا لها

الأحنف يكنى: أبا بحر، أسلم الأحنف ولم يفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما كان زمن عمر وفد إليه، وشهد مع الإمام علي عليه السلام صفين فكان من قادته ثقة، مأموناً، ولم يشهد الجمل، وهو سيد بني تميم، عاش الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير فخرج معه إلى الكوفة، فمات بها. ينظر ابن قتيبة، المعارف، ص٤٢٣، ٤٢٤؛ ابن الجوزي، أبو الفرج، صفوة الصفوة، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٩م، ج٢، ص١١٧-١١٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٨٦-٩٧.

١- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤١٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٧.

٢- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤١٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٧.

بقيادة عبد الملك بن الحارث الذي أرسله عبد الملك بن مروان [١]، إلا أن ابن الزبير رأى أن المختار يكايده ويتحين الفرص للنيل منه، فأرسل قائده عباس ابن سهل بن سعد الساعدي على رأس جيش قوامه ألفي مقاتل وأوصاه أن يستنفر الأعراب معه وقال له: «إن رأيت القوم - أي جيش المختار - في طاعتي فاقبل منهم، وإلا فكايدهم حتى تهلكهم» [٢].

وما أن التقى بهم قائد جيش ابن الزبير وتكلم معهم حتى عزم على الغدر بهم بعد أن بعث لهم بالمؤن التي كانوا بحاجة إليها، حيث كان ابن ورس وأصحابه قد هلكوا جوعاً، فأستغل اطمئنانهم له، فهجم عليهم وقتل قائدهم ابن ورس وأغلب الجيش، بل إنّه رفع راية أمان فمن انحاز إليها قتله أيضاً[٣].

ويرى المؤرخون أن هناك أكثر من سبب أدى إلى إرسال جيش المختار ونشوب القتال بينه وبين جيش آل الزبير، فيرى أبو مخنف [٤]: «أن المختار أُخبر أن أهل الشام قد أقبلوا نحو العراق، فعرف أنّه به يُبْدأ، فخشي أن يأتيه أهل الشام من قبل المغرب، ويأتيه مصعب بن الزبير من قبل البصرة؛ فوادع ابن الزبير وداراه وكايده».

---

١ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص ٤١٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٠.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨١.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨١.

٤ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٠.

وذكر البلاذري [١] رواية أبي مخنف ثم قال: «فأظهر الميل إلى عبد الله بن الزبير ومداراته وكتب إليه: بلغني أن مروان قد بعث إلى الحجاز جنداً فإن أحببت أن أمدك أمددتك»، في حين ذكر ابن الجوزي [٢]: «وفي هذه السنة (ست وستين للهجرة) بعث المختار جيشاً إلى المدينة للمكر بابن الزبير وهو مظهر له أنه وجههم معونة له لحرب الجيش الذي كان بعثه عبد الملك لحربه».

ويرى بعض المؤرخين [٣] أن المختار أوصى قائده شرحبيل بن ورس إذا وصل المدينة أن ينتظر أوامره، وهو يريد بذلك إذا وصل المدينة أن يبعث أميراً عليها من قبله، ويأمر قائده أن يحاصر ابن الزبير ويقاتله بمكة، وخشي ابن الزبير أن يكون المختار إنما يكيده، فبعث إليه جيشاً بقيادة عباس بن سهل فقتلهم، فوصف فلهاوزن [٤] العمل الذي قام به قائد ابن الزبير بأنه تخلص من حلفائه«عن طريق قتلهم غدراً واغتيالاً جباناً، ولاشك أنه فعل ذلك بأمر صريح من سيده ابن الزبير.»..

ومن خلال ما تقدم يبدو أن ابن الزبير بسبب شكوكه وعدم ثقته بالمختار قدم على الغدر بجيش المختار، وإن ما ذكره المؤرخون بأنّ المختار كان

---

١ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤١٩.

٢ - المنتظم، ج٦، ص٥٨.

٣ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤١٩ -٤٢٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٢- ٣٣؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣٥-٣٦.

٤ - حركات المعارضة السياسية، ص٢١٥.

في نيته أخذ المدينة ومحاصرة ابن الزبير وقتاله في مكة لا يمكن الأخذ به وذلك للأسباب التالية:

(١) إن الظروف لم تكن مهيأة لذلك فجيوش الأمويين تتقدم في ذلك الوقت باتجاهين العراق من جهة وبلاد الحجاز من جهة أخرى، لاسيما وأن الأمر في الشام أصبح أكثر استقراراً بعد أن آلت أمور الخلافة إلى عبد الملك ابن مروان (٦٥هـ-٨٦هـ) الذي يُعد أكثر حزماً وقوةً من غيره من الأمويين.

(٢) الجيش الذي أرسله المختار كان جيشاً لا يتجاوز عدده ثلاثة آلاف جلهم من الموالي، ويفتقر للمؤن فقد وصف الطبري[١] ذلك بقوله: «وبعث إلى ابن ورس بجزائر كانت معه فأهداها له، وبعث إليه بدقيق وغنم مسلخة، وكان ابن ورس وأصحابه قد هلكوا جوعاً»، وقال ابن الأثير[٢]: «وكانوا قد ماتوا جوعاً»، وقال ابن كثير[٣]: «وبعث إليهم الجزر والغنم والدقيق، وقد كان عندهم حاجة أكيدة إلى ذلك، وجوع كثير فجعلوا يذبحون ويطبخون..». وهذا العدد القليل من الجيش فضلاً عن انعدام المؤن لديه لا يستطيع القيام بالحصار والقضاء على دولة مثل دولة آل الزبير بهذه السهولة.

(٣) يتضح من قول قائد المختار عندما نادى أصحابه يحثهم للقتال: «يا شرطة الله إلي قاتلوا الملحدين، أولياء الشياطين، فإنكم على الحق المبين،

---

١ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨١.

٢ - الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٨.

٣ - البداية والنهاية، ج ١٢، ص٣٣-٣٤.

وقد غدر القوم وفجروا».. [١]، وهو يشير بذلك إلى غدر آل الزبير بأولئك الذين قدموا لنصرهم.

ويبدو أن العمل الذي قام به ابن الزبير وغدره بالجيش قد أثار غضب المختار دون شك، وعلى أثر ذلك«قام خطيباً فقال: ألا إن الفجار الأشرار قتلوا الأبرار الأخيار؛ ألا إنه كان أمراً مأتياً وقضاء قضيّاً» [٢]، وجعل المختار يفصح علناً عن علاقته مع ابن الحنفية الذي يتعرض للعديد من المضايقات من ابن الزبير.

٤- موقف المختار من ابن الزبير عند حبسه محمد ابن الحنفية

بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء ووفاة يزيد بن معاوية (٦٠هـ-٦٤هـ) لم يبق من ينافس عبد الله بن الزبير في الخلافة وأصبحت الأمور مهيأة له، فدعا الناس إلى بيعته بالخلافة [٣]، وأطلق على نفسه أمير المؤمنين [٤] فدانت له أغلب مدن وأمصار الدولة وأعلنت بيعتها له ولم تبق خارج سلطته ونفوذه إلا الأردن [٥].

١ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٢٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨١.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٢.

٣ - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٨، ص٢٠٩؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٦.

٤ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٧٨؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٨، ص٢٠٩.

٥ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٧٤؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٧٨؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٨.

وفي ظل تلك الظروف التي تهيأت لابن الزبير، علا نجمه، وتوسع نفوذه، فدعا كبار أبناء الصحابة لبيعته، وكان على رأس هؤلاء محمد ابن الحنفية لكنه رفض وأبى بيعته [١]، وحاول احد أصحاب ابن الحنفية أن يبدد مخاوف ابن الزبير من منافسة محمد ابن الحنفية له فقال: «وإن صاحبنا يقول: لو بايعتني الأمة كلها غير سعد مولى معاوية ما قبلتها» [٢]، ولم يتغير موقف ابن الحنفية من ابن الزبير، واستمر يرفض بيعته، فازداد غضب ابن الزبير «وتحامل.... على بني هاشم تحاملاً شديداً، وأظهر لهم العداوة والبغضاء، حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمد في خطبته، فقيل له: لم تركت الصلاة على النبي؟ فقال: إن له أهل سوء يشرئبون لذكره، ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به» [٣].

واستمرت الضغوط على محمد ابن الحنفية من قبل ابن الزبير ليبايعه، فلما رفض وأصر على عدم البيعة، قرر ابن الزبير حبسه هو وأصحابه، فحبسهم في زمزم، وتوعدهم بالقتل والإحراق إن لم يبايعوا وضرب لذلك أجلاً. [٤]

---

١ - ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص١٠٢؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٧٢؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣٦.

٢ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٩.

٣ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٢؛ وفي رواية أخرى: ((وأظهر سوء الرأي في بني هاشم، وترك ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أجلهم، وقال: إن له أهيل سوء فإن ذُكر مدوا أعناقهم لذكره.)) ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٣٣.

٤ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٠٣؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٢-٨٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٩؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٧٢.

ويبدو أن هناك علاقة مباشرة بين سجن محمد ابن الحنفية ومن معه من قبل ابن الزبير وبين موقف الأخير من المختار فيرى ابن أعثم الكوفي[١]: «ونظر عبد الله بن الزبير إلى المختار وغلبته على البلاد فعلم أنه إنما يفعل ذلك بظهر محمد ابن الحنفية، فأرسل إليه أن هلم فبايع فإن الناس قد بايعوا..».، ويتفق البلخي[٢] مع ابن أعثم الكوفي في ذلك فيقول: «أخذ محمد ابن الحنفية بالبيعة والانقياد، فقال محمد ابن الحنفية: أنا أولى بهذا الأمر منك إن كانت خلافة، فجمع أصحاب ابن الحنفية، وحبسهم.»..

يتضح مما تقدم مدى قناعة ابن الزبير بالعلاقة بين المختار ومحمد ابن الحنفية، وإن قوة المختار تكمن في تأييد محمد ابن الحنفية له ولذلك بادر إلى سجنه والتضييق عليه من أجل أخذ بيعته قبل استفحال قوته في حال ازدياد نفوذ المختار وتوسع دولته.

ويرى بعض المؤرخين [٣] أن ابن الزبير حبس ابن الحنفية وأهل بيته لأنه خشي من نفوذ المختار ودعوته لأبن الحنفية فقالوا: «فلما استولى المختار على الكوفة، وصارت الشيعة تدعو لابن الحنفية، خاف ابن الزبير أن يتداعى الناس إلى الرضا به، فألح عليه وعلى أصحابه في البيعة له، فحبسهم..»..

ويظهر أن ابن الزبير لم يبتعد عن الحقيقة في علاقة المختار مع محمد ابن

---

١ - كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٤٧.

٢ - أبو زيد أحمد بن سهل (ت: ٣٢٢هـ-٩٣٣م)، كتاب البدء والتاريخ، تحقيق: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج١، ص٢٤٧.

٣ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٩؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣٦.

الحنفية فقد أشارت المصادر التاريخية إلى تلك العلاقة بشكل واضح، فالبلاذري[١] يرجع العلاقة بين محمد ابن الحنفية والمختار إلى قبل وثوبه بالكوفة، وأن المختار استشاره قبل خروجه من مكة وقال له: «إني علي الشخوص للطلب بدمائكم، والانتصار لكم، فسكت ابن الحنفية فلم يأمره ولم ينهه، فقال - المختار - إن سكوته عني أذن لي وودعه..».، فضلاً عن الوفد الذي أرسله الكوفيون إلى محمد ابن الحنفية ليسألوه عن موقفه من دعوة المختار للأخذ بثأر الحسين (عليه السلام) وهل أن ذلك بأمر منه أم لا، فأمرهم محمد ابن الحنفية بمؤازرة المختار وإجابته لما دعا إليه. فوصف الطبري[٢] ذلك بقوله: «فاستجمعت له الشيعة وحدبت عليه»، ويوضح هنا الطبري مدى التأييد الواسع الذي حصل عليه المختار بعد رجوع وفد أهل الكوفة بسبب التخويل الذي حصلوا عليه من محمد ابن الحنفية، وقول الطبري المتقدم يوضح كذلك مدى الشعبية الكبيرة التي يتمتع بها محمد ابن الحنفية بين المسلمين عامة والشيعة خاصة، وان الأوضاع انتظمت للمختار بسبب انتسابه لمحمد ابن الحنفية علماً ودعوة [٣].

ولما غدر ابن الزبير بالجيش الذي أرسله المختار إلى المدينة المنورة، كتب المختار إلى محمد ابن الحنفية كتاباً جاء فيه: «إني كنت بعثت جنداً ليحووا لك البلاد، ويدوخوا الأعداء، فلما صاروا بطيبة لقيهم جند الملحد فخدعوهم

١ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٨٠.

٢ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٤٠.

٣ - الشهرستاني، الملل والنحل، ص١٤٥.

وغروهم فإن رأيت أن أبعث إلى المدينة خيلاً وجنداً كثيفاً وتبعث من قبلك رسلاً يعلموهم أني في طاعتك..».. [1]، فأجابه محمد ابن الحنفية قائلاً: «أما بعد، فإن كتابك لما بلغني قرأته، وفهمت تعظيمك لحقي، وما تنوي به من سروري، وإن أحب الأمور إلي كلها ما أطيع الله فيه..».. [2]

وحين حُبس ابن الحنفية كتب كتاباً إلى المختار: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن علي ومن قبله من آل رسول الله إلى المختار بن أبي عبيد ومن قبله من المسلمين، أما بعد فإن عبد الله بن الزبير أخذنا، فحبسنا في حجرة زمزم، وحلف بالله الذي لا اله إلا هو لنبايعنه، أو ليضرمنها علينا بالنار، فيا غوثاه».. [3]، فما أن وصل الكتاب إلى المختار، حتى خنقته العبرة واستعبر باكياً، ثم نادى الصلاة جامعة، فصعد المنبر وقال: «أيها الناس: هذا كتاب مهديكم وصريح أهل آل نبيكم، يستغيث بكم مما نزل به من ابن الزبير، فأغيثوه وأعينوه، فلست بأبي إسحاق إن لم أنصره نصر مؤازر، وإن لم أحزب الخيل في آثار الخيل كالسيل يتلوه السيل، حتى يحل من عاداه الويل.».. [4].

١ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٢٠-٤٢١؛ ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٨.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٨.

٣ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٣؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٥٠-٢٥١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٩.

٤ - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٥١؛ وينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٧، ←

يتضح من كتاب ابن الحنفية وجواب المختار له قوة العلاقة بينهما، وإيمان محمد ابن الحنفية بقدرة المختار على إنقاذه من هذا الموقف الحرج، فقد ذُكر أنّ محمد ابن الحنفية قال قبيل وصول جيش المختار: «سيمنعه عني حجاب قوي» [١]، ولم يكن من السهل الوصول إلى مقر الدولة الذي يتحصن فيه ابن الزبير من جهة، ومن جهة ثانية حرمة حمل السلاح في مكة المكرمة فاضطر المختار إلى أن يكون سلاح ذلك الجيش الخشب [٢]، ثم دعا أبو عبد الله الجدلي وكان من خيار أهل الكوفة وأكابرهم، وضم إليه الجيش الذي جهزه لإنقاذ محمد ابن الحنفية من حبس ابن الزبير، وكتب إليه كتاباً جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، للمهدي محمد بن علي، من المختار بن أبي عبيد، أما بعد: فقد قرأت كتابك وأقرأته شيعتك وإخوانك من أهل الكوفة، وقد سيرت إليك الشيعة إرسالاً يتبع أولاهم أخراهم، وبالله أقسم قسماً صادقاً لئن لم يكف عنك من تخاف غائلته على نفسك وأهل بيتك لأبعثن إليك الخيل والرجال ما يضيق به مكة على ما عاداك وناوأك، حتى يعلم ابن الزبير أنك أعز منه نفراً ودعوة وأكثر نفيراً، فأبشر فقد أتاك الغوث وجاءك المغيث، وقد وجهت إليك بأربعمائة ألف درهم لتجعلها فيمن أحببت من أهل بيتك

ص١٠٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٦٦٩؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص٢٩٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص٢١-٢٢.

١ - المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٩٣.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٣، ص٤٦٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٢؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص١١٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٧٠.

وشيعتك، وقد سرحت إليك رجالاً ينصرونك ويحفظون المال حتى يؤدوه إليك..»..[١].

يتضح من كتاب المختار لمحمد ابن الحنفية حماس المختار وتصميمه على الدفاع عن آل البيت بكل ما أوتي من قوة فالمختار الذي حاول تجنب إثارة آل الزبير عليه وجد في الدفاع عن محمد ابن الحنفية وبني هاشم أمام غطرسة آل الزبير واجباً حتمياً لا يمكن السكوت عنه موضحاً هدفه من ذلك وهو أن يكون محمد ابن الحنفية أعز وأعلى شأناً من ابن الزبير.

واستطاع جيش المختار إنقاذ محمد ابن الحنفية وأن يحقق غايته وهدفه، على الرغم من خطورة الوضع في حال علم ابن الزبير بمجيء تلك القوات خوفاً أن يعجل على محمد ابن الحنفية وأصحابه بالقتل فقد أورد المسعودي[٢] قول أبي عبد الله الجدلي الذي أرسله المختار على رأس جيش قوامه أربعة آلاف فارس«هذه خيل عظيمة، وأخاف أن يبلغ ابن الزبير الخبر فيعجل على بني هاشم، فيأتي عليهم، فانتدبوا معي، فانتدبنا معه في ثمانمائة فارس جريدة خيل، فما شعر ابن الزبير إلا والرايات تخفق على رأسه.....فلما رأى ابن الزبير تنمرنا له وإقدامنا عليه لاذ بأستار الكعبة، وقال: أنا عائذ الله»، ووصف ابن الأثير[٣] ذلك المشهد فقال:«وقال ابن الزبير: أتحسبون أني مخلي

---

١ - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٥١-٢٥٢؛ وينظر: مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص١٠٣.

٢ - مروج الذهب، ج٣، ص٩٢-٩٣.

٣ - الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٧٠؛ ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٣.

سبيلهم دون أن يبايع ويبايعون ؟ فقال الجدلي : أي ورب الركن والمقام، لتخلين سبيله، أو لنجالدنك بأسيافنا....، فكف ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة، ثم قدم باقي الجند ومعهم المال حتى دخلوا المسجد الحرام، فكبروا وقالوا : يا لثارات الحسين! فخافهم ابن الزبير، وخرج محمد ابن الحنفية ومن معه إلى شعب علي، وهم يسبون ابن الزبير، ويستأذنون محمداً فيه فأبى عليهم فاجتمع مع محمد في الشعب أربعة آلاف رجل، فقسم بينهم المال وعزوا وأمتنعو».

ويظهر أن المختار أبقى مع محمد ابن الحنفية أغلب تلك القوات التي أرسلها لإنقاذه من السجن، وبلغ من القوة والمنعة محمد ابن الحنفية فلما وقف أربعة ألوية للحج بعرفات، كان لمحمد ابن الحنفية لواء يحج في ظله أصحابه وأنصاره، مثله مثل ابن الزبير وبني أمية ونجدة الحروري [1]، فكان أصحاب ابن الحنفية الذين حج بهم في ذلك العام هم جند المختار الذين أرسلهم لإنقاذه، وقد ذكر ابن سعد [2] ذلك فقال : «أقام الحج تلك السنة ابن الزبير وحج عامئذٍ محمد ابن الحنفية في الخشبية معه، وهم أربعة آلاف نزلوا في الشعب الأيسر من منى»، فأقاموا على خدمته ثمانية أشهر، فأثار ذلك غضب ابن الزبير وأرسل جيشاً لحربه بقيادة مصعب وولاه جميع العراق. [3]

١ - ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص١٠٤ ؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٤ ؛ الذهبي، دول الإسلام، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٥م، ص٤٢.

٢ - الطبقات، ج٧، ص١٠٥.

٣ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج٥، ص٥٧.

ويتفق ابن تغري بردى [١] مع الذهبي في ذلك فيقول: «وأما ابن الزبير فإنه غضب من المختار لكونه انتصر لمحمد ابن الحنفية وندب لقتاله أخاه مصعب بن الزبير وولاه جميع العراق، فتوجه مصعب وحصر المختار في قصر الأمارة بالكوفة.».، ولم يستطع ابن الزبير بعد تلك الحادثة طلب البيعة من ابن الحنفية وبقي عزيزاً قوياً، مادام المختار حياً، فما أن قتل حتى تغير الأمر على ابن الحنفية وأخذت ضغوط ابن الزبير تأخذ طابعاً أشد من قبل في حال رفضه بيعة ابن الزبير[٢].

فأورد ابن سعد[٣] أن ابن الزبير أرسل أخاه برسالة واضحة إلى ابن الحنفية بعد مقتل المختار جاء فيها: «إن أمير المؤمنين يقول لك إني غير تاركك أبداً حتى تبايعني أو أعيدك في الحبس وقد قتل الله الكذاب الذي كنت تدعي نصرته، وأجمع علي أهل العراقين، فبايع وإلا فهي الحرب بيني وبينك إن امتنعت..».

وذكر الدينوري [٤]: «ولما قتل المختار، وأستتب الأمر لعبد الله بن الزبير، أرسل إلى عبد الله بن العباس ومحمد ابن الحنفية: إما أن تبايعاني أو

---

١ - جمال الدين يوسف (ت: ٨٧٤هـ-١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج١، ص٢٣٢.

٢ - ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص١٠٧؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٨٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٧٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص٢٢.

٣ - ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص١٠٧.

٤ - الأخبار الطوال، ص٢٨٢.

تخرجا من جواري، فخرجا من مكة، فنزلا الطائف، وأقاما هناك»، وقال أبن الأثير[١] :«فلما قتل المختار تضعضعوا واحتاجوا - أي أصحاب ابن الحنفية، ثم إنّ البلاد استوثقت لابن الزبير بعد قتل المختار، فأرسل إلى ابن الحنفية: ادخل في بيعتي وإلا نابذتك.»..

وكون موقف المختار من محمد ابن الحنفية من المواقف النبيلة في الدفاع عن آل محمد أستكثر بعض المؤرخين ذلك، فنجد ابن خلكان[٢] في ترجمته لمحمد ابن الحنفية التي قاربت خمس صفحات يقول:«ولما دعا ابن الزبير إلى نفسه وبايعه أهل الحجاز بالخلافة دعا عبد الله بن العباس ومحمد ابن الحنفية رضي الله عنهما إلى البيعة، فأبيا ذلك وقالا: لا نبايع حتى تجتمع لك البلاد، ويتفق الناس، فأساء جوارهم وحصرهم وآذاهم، وقال لهم: لئن لم تبايعا أحرقتكما بالنار، والشرح في ذلك يطول»، فعلى الرغم من إسهاب ابن خلكان في ذلك إلا أنه لم يشر إلى كيفية خلاصهم مما هددهم به ابن الزبير، فأغفل ذكر دور المختار المشرف في إنقاذهم، وكان موت المختار سبباً مباشراً في خروج محمد ابن الحنفية من مكة نحو الطائف، فأقام هناك[٣]، ثم توجه إلى بلاد الشام.[٤]

---

١ - الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٧٠؛ ينظر: النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص٢٢.

٢ - وفيات الأعيان، ج٣، ص١٧٢.

٣ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٨٢.

٤ - ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص١٠٧؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٨٢؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٧٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج٥، ص٥٧.

خامساً: رؤية المؤرخين لدولة المختار ونهايته على يد آل الزبير

تجمع المصادر التاريخية [1] على أن قتل المختار وإنهاء دولته على أيدي الزبيريين، وذلك عندما قاد مصعب بن الزبير حملة كبيرة على المختار، وأورد المؤرخون العديد من العوامل التي ساعدت مصعب بن الزبير في الانتصار على المختار يمكن أن نوجزها بالآتي:

١- موقف إبراهيم بن الأشتر من المختار

تحدثت بعض المصادر عن العلاقة بين المختار وإبراهيم بن مالك الأشتر عندما توجه مصعب لقتال المختار لذلك سنحاول عرض النصوص التاريخية والآراء الواردة فيها فذُكر أن المختار لما علم بخروج مصعب لقتاله بعث أحمر ابن شميط على رأس جيش وأمره بالخروج إلى المذار [2] لقتالهم«ودعا المختار رؤوس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر، فبعثهم مع أحمر بن شميط كما كانوا مع ابن الأشتر، فإنهم إنما فارقوا ابن الأشتر، لأنهم رأوه كالمتهاون بأمر

١ - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص٢٢٩-٢٣٠؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٣٣-٤٤٤؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٧٨-٢٨١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٩٦-١١٠؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٨٤-٢٩٤؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٣٠-١٤١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٦٤-٦٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٨٣-٦٩١؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص٢٥-٣٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٥٤٣-٥٤٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٥٨-٦٤.

٢ - المذار: بلدة تقع في ميسان، بين واسط والبصرة، بينها وبين مدينة البصرة أربعة أيام. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٨٨.

المختار؛ فانصرفوا عنه».. [١]، وهنا يشير الطبري إلى أن رؤوس الأرباع في الكوفة قد فارقوا إبراهيم واختلفوا معه لأنه لم يكن على وئام مع المختار، وأنه تهاون في الدفاع عنه وعن دولته.

وأورد ابن أعثم الكوفي عدة روايات بشأن موقف إبراهيم بن مالك الأشتر فجاءت أكثر تفصيلاً من الطبري، ذاكراً ثلاث روايات بهذا الشأن:

الرواية الأولى: جاء فيها ابن أعثم الكوفي [٢] عند حديثه عن استعداد مصعب للخروج لقتال المختار: «ونظر مصعب بن الزبير إلى إبراهيم بن الأشتر وقد احتوى على البلاد من الجزيرة وبقي المختار بالكوفة، فعزم على المسير إليه»..

ويمكن أن يستنتج من هذه الرواية أنّ الزبيريين على دراية وعلم بوجود خلاف بين المختار وإبراهيم، مما شجعهم على المسير لقتال المختار، مستغلين ذلك الخلاف في القضاء على المختار الذي أصبح في نظرهم خطراً يهددهم ويقلق مصيرهم أكثر من الأمويين، لأن بغضهم لأهل البيت وشيعتهم كان أكثر وأهم من القضاء على بني أمية، لكن ذلك إنما جاء في صالح الأمويين بالدرجة الأولى والذي جعل الطريق سالكاً لهم للسيطرة على كل الأمصار الخارجة عن سلطتهم، وهو ما حصل بالفعل، فما إن قُتل المختار حتى هوى آل الزبير الواحد تلو الآخر وخضعت مدنهم واحدة تلوى الأخرى بيد بني

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٩٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٦٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٥٩.

٢ - مقتل الحسين، ص٢٩٩.

أمية، فكان القضاء على المختار من أخطاء آل الزبير التي تدل على حقدهم الدفين وجهلهم بالسياسة [١].

الرواية الثانية: ذكرها ابن أعثم الكوفي [٢] في موضع آخر عند حديثه عن موقف المختار عندما علم بتحرك مصعب من البصرة إلى الكوفة فقال: «وبلغ ذلك المختار فعلم أنه قد أوتي من قبل إبراهيم بن الأشتر، لأنه قد خذله وقعد عنه، فقام في الناس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد يا أهل الكوفة! فإن أهل مصركم الذين بغوا عليكم، وقتلوا ابن بنت نبيكم الحسين بن علي (عليه السلام)، قد كانوا لجأوا إلى أمثالهم من الفاسقين، فاستعانوا بهم عليكم، لما علموا أنّ ابن الأشتر خذلني وقعد عن نصرتي، وقد بلغني أنهم خرجوا من البصرة في جيش لجب.»..

ويبدو أن رواية ابن أعثم أكثر وضوحاً هذه المرة، فذكرت قول المختار بأنّ إبراهيم خذله وقعد عن نصرته، فكان ذلك سبباً في قدوم مصعب عليه، ويظهر أن المختار قد يئس من تغيير موقف إبراهيم، فقرر الاعتماد على إمكانياته الذاتية والتي يظهر أنها لا تقارن من حيث العدة والعدد مع جيش الزبيريين.

---

١ - أشار الحصين بن نمير قائد جيش الشام في حصار مكة الأول لما توفي يزيد بن معاوية على عبد الله بن الزبير ببيعته والتوجه معه لبلاد الشام وتنصيبه خليفة فرفض ابن الزبير ذلك فقال له الحصين: ((مَن زعم يابن الزبير أنّك داهية فهو أحمق» ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٩٨.

٢ - كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٨٥ -٢٨٦؛ ومقتل الحسين، ص٣٠١.

الرواية الثالثة: جاء بها ابن أعثم الكوفي [١] أثناء قتال المختار لجيش مصعب في حروراء فقال: «ودعى المختار برجل من أصحابه فاستخلفه على الكوفة، وقد أعد في القصر جميع ما احتاج إليه من آلة الحصار، ثم أقبل حتى نزل بحروراء ودنا القوم بعضهم من بعض. فقال المختار: يا له من يوم لو حضرني فيه ابن الأشتر! ولكنه قعد عني وخذلني، ووالله ما من الموت بدا». وهذه الرواية تبين أن الوقت والظروف حالتا دون وصول ابن الأشتر لنصرة المختار وأنّ المراسلات بينهما مستمرة حتى بعد هزيمة جيش المختار في معركة المذار ويعزز ما ذكرناه ما نقله الخوارزمي [٢] بقوله: «فنزل بالمختار أمر عظيم الخلاف من مقتل أصحابه فكتب إلى إبراهيم بن الأشتر أيضاً فلم يجبه..»، ولو كان خلاف المختار وابن الأشتر لدرجة القطيعة ليأس منه المختار ولم يعاود الكتابة له.

ويرى البغدادي [٣] في سبب عدم نصرة إبراهيم الأشتر للمختار فقال: «لما بلغه أن المختار تكهن وادعى نزول الوحي إليه قعد عن نصرته، واستولى لنفسه على بلاد الجزيرة، وعلم مصعب بن الزبير أن إبراهيم بن الأشتر لا ينصر المختار، فطمع عند ذلك في قهر المختار»

والنص المتقدم الذي أورده البغدادي لم يكن رواية بل هو رأي ذكره دون أن يدعمه بالأدلة، فقد ذكر في رأيه أنّ سبب مفارقة ابن الأشتر الذي

---

١ - كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٨٧؛ ومقتل الحسين، ص٣٠٣.

٢ - مقتل الحسين، ص٢٤٤.

٣ - الفرق بين الفرق، ص٥٦.

يظهر أنه ذو شقين، فالأول هو تكهن المختار وقوله بنزول الوحي عليه. وهو الذي لا يمكن الأخذ فيه فاتهام المختار بهذه التهم جاء في وقت مبكر فقد ذكر بعض المؤرخين [١] قول ابن الزبير بعد خروج المختار من سجن ابن زياد بعام واحد: «لقد انبعث كذاباً متكهناً» أي قبل حصار جيش يزيد بن معاوية لابن الزبير في حين أن ابن الأشتر كان قائد جيش المختار في معركة الخازر عام سبعة وستين للهجرة [٢] وهو ما يعني أن إبراهيم بقي على وئام مع المختار إلى مطلع عام (٦٧هـ)، أما الشق الثاني في رأي البغدادي هو أن إبراهيم استولى لنفسه على بلاد الجزيرة، وربما هذا السبب لم يبتعد كثيراً عن الصواب أمام مكانة وطموح إبراهيم بن الأشتر في السلطة والزعامة، فقد قال إبراهيم بن الأشتر لأهل الكوفة حين دعوه للأخذ بثأر الحسين عليه السلام: «قد أجبتكم إلى ما دعوتموني إليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته على أن تولوني الأمر». [٣]

في حين يرى الخوارزمي [٤]: أنّ ابن الأشتر فارق المختار لأنه عندما قُتل ابن زياد استولى على أرض الجزيرة وأقام هناك«وأعرض عن المختار، فكان المختار يكاتبه فلا يجيبه، فلما نظر مصعب بن الزبير إلى أنّ المختار قد بقي في

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٨٧؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص١٤٧؛ ومقتل الحسين، ص١٨٥.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٩٠.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٤١.

٤ - مقتل الحسين، ج٢، ص٢٤٢-٢٤٣؛ وينظر: ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٧٨.

شرذمة قليلة من أهل الكوفة وأن إبراهيم بن الأشتر معرض عنه لا يجيب كلامه ولا يسمع له، اغتنم الفرصة في ذلك.».، ثم تحدث الخوارزمي[١] عن قتال المختار لمصعب وأورد رأياً مطابقاً لما جاء في رواية ابن أعثم الثالثة فقال: «وخرج المختار من الكوفة حتى نزل بإزائهم، وقال يا له من يوم لو حضرني فيه ابن الأشتر»..

ويبدو مما تقدم أن الخوارزمي يرى أن موقف إبراهيم بن الأشتر من المختار كان سبباً رئيساً في قيام آل الزبير بالقضاء على المختار ودولته، ولو كان موقف إبراهيم إيجابياً معه في هذه المرحلة لربما لم يستطع آل الزبير المجازفة والتقدم نحو الكوفة.

ويستغرب أحد الباحثين[٢] موقف إبراهيم من المختار فيقول: «...لا نعطي الحق مطلقاً لإبراهيم في تهاونه بأمر المختار، فهو ليس تهاوناً بأمر شخص، بل بسبب هذا التهاون تم سحق آمال كبيرة وعريضة كانت قد استيقظت في نفوس الضعفاء والمسحوقين من الطبقات المغموطة حقها، بعد طول المدة وشدة المحنة، والدماء النقية التي أريقت في سبيل إقامة هذه الدولة العادلة».

ويكتنف الغموض العلاقة بين المختار وإبراهيم الأشتر قبيل مصرع المختار وتشح المصادر التاريخية في ذكر ملابسات تلك العلاقة، وربما قد تكون

١ - مقتل الحسين، ج٢، ص٢٤٤.

٢ - الخطيب، دولة المختار الثقفي، ص٤٦٣.

متعمدة من المصنفين بسبب انتقائهم في تدوين الروايات فيطمسون أخباراً مهمة لغاية في نفوسهم، أو لمحاباة السلطة التي يعرفون مزاجها [١].

ويبدو أن أمور الحرب بين المختار وآل الزبير سارت بشكل أسرع مما يتوقع لها ولم تسعف الظروف إبراهيم بن الأشتر بترك ولاية الموصل نتيجة ما تتعرض له تلك الولاية من تهديدات من قبل الأمويين خاصة بعد ما آلت إليه أمور السلطة لعبد الملك بن مروان (٦٥هـ -٨٦هـ) الذي يُعد من أقوى خلفاء بني أمية والذي تهيأت له الكثير من الأمور فتصور ابن الأشتر أن خطر الأمويين أشد خطورة من آل الزبير وربما هو ما يفسر انضمامه إليهم بعد مصرع المختار لقتال بني أمية، وعلى الرغم من الأهداف السامية لإبراهيم بن الأشتر لكن الطموح الشخصي والتنافس للوصول إلى السلطة قد تركا أثرهما الواضح في طبيعة موقفه من المختار.

٢- هزيمة جيش المختار بسبب سوء إدارة ابن شميط في معركة المذار

أشار الطبري [٢] إلى سبب هزيمة أحمر بن شميط وقتل الموالي في معركة المذار وكانت هزيمة منكرة قتل فيها أصحاب المختار وقادته والموالي وجعلت الطريق مفتوحاً إلى الكوفة، فعزاها إلى خيانة في جيش المختار فقال: «جاء عبد الله بن وهب بن أنس الجشمي إلى ابن شميط، وقد جعله على ميسرته،

---

١ - بيضون، ثورة الحسين، ص١٢٧ -١٢٨.

٢ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٩٨؛ ينظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٣٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٨٤ -٦٨٥.

فقال له: إن الموالي والعبيد آلُ خَوَر عند المصدوقة، وإنّ معهم رجالاً كثيراً على الخيل، وأنت تمشي، فمرهم فلينزلوا معك، فإن لهم بك أسوةً فإني أتخوف إن طوردوا ساعة وطُوعنوا وضُربوا، أن يطيروا على متونها ويسلموك؛ وإنك إن أرجلتهم لم يجدوا من الصبر بداً. وإنما كان هذا منه غشاً للموالي والعبيد. لما كان لقوا منهم بالكوفة، فأحب إن كانت عليهم الدبرة أن يكونوا رجالاً لا ينجو منهم أحد. ولم يتهمه ابن شميط، وظن أنه إنما أراد بذلك نصحه ليصبروا ويقاتلوا؛ فقال: يا معشر الموالي، انزلوا معي فقاتلوا؛ فنزلوا معه، ثم مشوا بين يديه وبين يدي رايته».

فكانت تلك المشورة سبباً في هزيمة الجيش وقتل يومها الموالي قتلاً ذريعاً، وتألم المختار تألماً شديداً لذلك، وعلى الرغم من أن مسكويه[1] ذكر تلك المشورة إلا أنه وصف صمود جيش المختار في عدة مواضع ومنها صمود ابن شميط فقال: «وحمل الناس جميعاً على ابن شميط فقاتل حتى قُتل، وتنادى أصحابه: يا معشر بجيلة وخثعم، الصبر الصبر».

وتحدث البلاذري[2] عن معركة المذار بنوع من التفصيل فذكر قدوم جيش مصعب نحو المعركة وقيام المختار بتهيأة الجيش وضمه إلى ابن شميط الذي سار به نحو المذار، وقبل المعركة عبأ كل من ابن شميط ومصعب جيشهما ووقعت معركة صمد أصحاب المختار فيها لكن أصحاب مصعب

١ - تجارب الأمم، ج٢، ص١٣٢ -١٣٣.

٢ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص ٤٢٩ -٤٣١.

حملوا جميعاً على ابن شميط فقاتل حتى قُتل، وأشار كذلك إلى قسوة جيش مصعب ومعهم الهاربين من الكوفة على من انهزم أو أسر من جيش المختار.

وأسهب ابن أعثم الكوفي[1] في تفصيل المعركة لكنه لم يشر إلى تلك المشورة ويستشف من روايته للمعركة أن عدد جيش مصعب في معركة المذار ضعف جيش المختار، وأنّ جيش المختار صمد في المعركة حتى أثار صمودهم غضب محمد بن الأشعث الذي حث متمردي الكوفة الهاربين من المختار على القتال فوقعت الهزيمة وقتل قادة المختار وأضطرب جيشه.

لكن كلاً من البلاذري وابن أعثم الكوفي لم يشيرا إلى تلك المشورة التي يرى البعض أنّها كانت سبباً في تلك الهزيمة، لكن معركة المذار فتحت الطريق على مصراعيه للوصول إلى الكوفة مقر دولة المختار على الرغم من الإجراءات العسكرية والإدارية التي اتخذها المختار، بعد مقتل أغلب قادته في تلك المعركة فضلاً عن كثرة القتلى في جيشه فأصبح جيش مصعب متفوقاً في العدة والعدد. والظاهر على الرغم من وجود تلك المشورة التي تبيّن الهوة بين الأشراف والموالي؛ إلا أنّها وكما يبدو من عدم تطرق بعض المؤرخين إليها ذات تأثير محدود على نتيجة المعركة.

٣- دور قتلة الأمام الحسين (عليه السلام) وأعوانهم من أهل الكوفة

لعب قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) وأعوانهم الذين هربوا من المختار دوراً محورياً ومهماً في إذكاء نار الحرب بين المختار وآل الزبير، وهزيمة

١ - كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٨٦ -٢٨٧.

جيش المختار في المعارك التي جرت بينه وبين مصعب بن الزبير.

فقد وصف الدينوري[(١)] عدد الهاربين من المختار إلى مصعب فقال: «ولما تتبع المختار أهل الكوفة جعل عظماؤهم يتسللون هُرّاباً إلى البصرة حتى وافاها منهم مقدار عشرة آلاف رجل، وفيهم محمد بن الأشعث، فاجتمعوا، ودخلوا على مصعب بن الزبير».

أما الطبري[(٢)] فذكر أن شبث بن ربعي وقف بباب مصعب وهو ينادي يا غوثاه، ثم دخل على مصعب ودخل معه أشراف الناس من أهل الكوفة «فاخبروه بما اجتمعوا له، وبما أصيبوا به، ووثوب عبيدهم ومواليهم عليهم، وشكوا إليه، وسألوه النصر لهم والمسير إلى المختار معهم».

وعندما رفض مصعب وقال: «لا أسير - إلى الكوفة - حتى يأتيني المهلب بن أبي صفرة... فذهب محمد بن الأشعث بكتاب المصعب إلى المهلب، فلما قرأه قال له: مثلك يا محمد يأتي بريداً أما وجد المصعب بريداً غيرك قال محمد: إني والله ما انا ببريد أحد، غير أن نساءنا وأبناءنا وحرمنا غلبنا عليهم عبداننا ومو الينا، فخرج المهلب وأقبل بجموع كثيرة، وأموال عظيمة معه، في جموع وهيئة ليس بها أحد من أهل البصرة.»..[(٣)]

---

١ - الأخبار الطوال، ص٢٧٨.

٢ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٩٦ — ٩٧؛ ينظر: مسكوية، تجارب الأمم، ج٢، ص١٣٠؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٦٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص٢٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٥٤٣.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٩٧؛ ينظر: مسكوية، تجارب الأمم، ج٢، ص١٣٠ - ←

وذكر الطبري[1] أثناء حديثه عن القتال في المذار فقال:«وسرح محمد ابن الأشعث في خيل عظيمة من أهل الكوفة، ممن كان المختار طردهم، فقال لهم: - مصعب - دونكم ثأركم! فكانوا حيث انهزموا أشد عليهم من أهل البصرة، لا يدركون منهزماً إلا قتلوه، ولا يأخذون أسيراً فيعفون عنه.قال: فلم ينج من ذلك الجيش إلا طائفة من أصحاب الخيل، وأما رجالتهم فأبيدوا إلا قليلاً.؟».، واستمر دور هؤلاء الهاربين من المختار حتى بعد قتله فقد أصروا على قتل الأسرى الذين أعطوهم أماناً وكان قتلهم بسبب إصرارهم على ذلك فقد ذكر المؤرخون[2] :«ورّق لهم مصعب وأراد أن يخلي سبيلهم. فقام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال: تخلي سبيلهم اخترنا يا بن الزبير أو اخترهم!... ووثب كل قوم وأهل بيت كان أصيب منهم رجل فقالوا نحواً من هذا القول، فلما رأى مصعب بن الزبير ذلك، أمر بقتلهم.؟»..

وليس غريباً على من أشترك في قتل الأمام الحسين (عليه السلام) أن يشير على مصعب وغيره بقتل الأسرى، لكن يستشف من هذه الرواية أنّها تظهر مصعب بأنه صاحب رقة وإنسانية وأخذته الرأفة بالأسرى، وهو مَن

١٣١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٦٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٦٥.

١ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٩٨-٩٩؛ ينظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٣٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص٢٦.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٠٨؛ وينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٢٢؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٣٩-١٤٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٨٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص٢٨.

سمى نفسه منذ اليوم الأول لوصوله البصرة بالجزار [١] وهو من قتل زوجة المختار عمرة بنت النعمان صبراً بعد قتله هؤلاء الأسرى [٢] دون أي جريرة تذكر سوى أنّها قالت كان المختار عبداً من عباد الله الصالحين [٣].

٤- المرض الذي كان يعاني منه المختار أثناء قتال آل الزبير

ذكر اليعقوبي[٤] سبباً آخر أدى إلى انتصار آل الزبير وهو مرض المختار أثناء القتال فذكر عند قدوم مصعب لقتال المختار«... كانت بينهم وقعات مذكورة، وكان المختار شديد العلة من بَطن به.»، وربما يكون هذا المرض أقعده عن قيادة الجيش فكانت الهزيمة لأن الآخرين ليسوا بكفاءة المختار، فضلاً عن العوامل الأخرى التي ذكرناها وغيرها والتي جاءت كلها لصالح آل الزبير وحققت لهم الانتصار على المختار وقتله والقضاء على دولته.

وقد اختلف المؤرخون في تناولهم لقضية مقتل المختار وإنهاء دولته وقتل الأسرى وذلك حسب منهجية كلٍّ منهم في سرده لتلك الحوادث التاريخية المهمة، لكن تلك المنهجية في أحيانٍ كثيرة تخرج عن الحيادية والموضوعية وذلك لأن الميول المذهبية والعقائدية تتحكم في آرائهم كذلك فإن الوضع السياسي

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٩٦.

٢ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٨٢ -٢٨٣.

٣ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٤؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٩٣؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٤٢.

٤ - تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٤.

يؤثر على تلك الآراء، وسنحاول أن نعرض هذه الروايات والآراء وناقشها:

ذكر خليفة بن خياط [١] مقتل المختار، وكعادته تطرق إلى ذلك باختصار شديد فقال في أحداث سبع وستين: «وفيها وقعة المذار..... وقتل المختار بن أبي عبيد دخل عليه القصر طريف وطراف أخوان من بني حنيفة فقتلاه، وأتيا مصعباً برأسه فأعطاهما ثلاثين ألفاً.».، ورواية خليفة تشير إلى دور آل الزبير في مقتل المختار، ولكنها ذكرت أن مقتل المختار كان داخل القصر وهذا ما انفرد به خليفة بن خياط عن المصادر التاريخية والتي أشارت إلى أن المختار قاتل وقتل خارج القصر.

أما ابن قتيبة [٢] فذكر أن ابن الزبير قد وجه أخاه مصعب إلى المختار وكتب له: «أن سر إلى المختار بمن معك، ثم لا تبلعه ريقه، ولا تمهله حتى يموت الأعجل منكما، فأتاه مصعب بمن معه فقاتله ثلاثة أيام حتى هزمه وقتله».

ورواية ابن قتيبة هذه تصور قتل المختار والقضاء على دولته بشكل سهل دون أي عقبات تذكر في حين أن القضاء على المختار ودولته تتطلب من آل الزبير القيام بالكثير من الأمور منها استدعاء المهلب بن أبي صفرة وعقد هدنة مع الخوارج، وقد مرت بعدة مراحل فوقعت معركة المذار ومعركة حروراء ومن ثم حصار القصر لأكثر من أربعة أشهر.

١ - تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٦٤.

٢ - الإمامة والسياسة، ص٢٣٠.

في حين تناول البلاذري[١] والدينوري[٢] واليعقوبي[٣] والطبري[٤] وابن أعثم الكوفي[٥] والمسعودي[٦] وابن الأثير[٧] الحرب بين آل الزبير والمختار وإنهاء دولته وقضية الأسرى ومقتل زوجة المختار على يد مصعب بن الزبير، بشكل مفصل يتسم بنوع من الموضوعية والحيادية مع اختلافهم في بعض التفاصيل، وكذلك أشاروا لتأنيب عبد الله بن عمر بن الخطاب لمصعب ابن الزبير على أثر قتله الأسرى بعد أن منحهم الآمان.

وقد أوضح اليعقوبي[٨] أمان مصعب للأسرى وقتل زوجة المختار فقال: «ثم خرج المختار يوماً، فلم يزل يقاتلهم أشد قتال يكون، حتى قُتل، ودخل أصحابه إلى القصر فتحصنوا، وهم سبعة آلاف رجل، فأعطاهم مصعب الأمان، وكتب لهم كتاباً بأغلظ العهود، وأشد المواثيق، فخرجوا على ذلك، فقدمهم رجلاً رجلاً فضرب أعناقهم، فكانت إحدى الغدرات المذكورة المشهورة في الإسلام، وأخذ أسماء بنت النعمان بن بشير أمراة المختار، فقال لها: ما تقولين في المختار بن أبي عبيد ؟ قالت: أقول إنه كان تقياً، نقياً،

١ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٢٩ -٤٥٥.

٢ - الأخبار الطوال، ص٢٧٨ - ٢٨٣.

٣ - تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٠ -١٨٥.

٤ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٩٦ -١١٢.

٥ - كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٨٤ -٢٩٤.

٦ - مروج الذهب، ج٣، ص١١٦ -١١٧.

٧ - الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٨٣ -٦٩١.

٨ - تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٤

صواماً. قال: ياعدوة الله أنت ممن يزكيه! فأمر بها فضرب عنقها، وكانت أول أمرأة ضرب عنقها صبراً..».، وعندما تناول البغدادي[١] ذلك قال: «ثم وقعت الهزيمة على المختار وأصحابه، فانهزموا إلى دار الامارة[٢] بالكوفة، وتحصن فيها مع أربعمائة من أتباعه، وحاصرهم مصعب فيها ثلاثة أيام، حتى فني طعامهم، ثم خرجوا إليه في اليوم الرابع مستقتلين، فقتلوا وقتل المختار معهم»..

وهنا يجعل البغدادي حصار المختار في القصر لا يتجاوز ثلاثة أيام وعدد أصحابه لا يتعدون الأربعمائة، في حين تكاد تجمع المصادر التاريخية على أن المختار بقي محاصر مدة ليست بالقصيرة داخل القصر، ولم يشر البغدادي هنا إلى قضية الأسرى وكيف قتلهم مصعب بعد أن أعطاهم الأمان.

وذكر الذهبي[٣] ذلك فأشار إلى قيام مصعب بقتل الأسرى بعد أن أعطاهم الأمان وذكر كذلك تأنيب ابن عمر لمصعب على ذلك، وكذلك ذكر قتل زوجة المختار، إلا أنه في موضع آخر قال: «ثم ساق عسكر مصعب فدخلوا الكوفة وحصروا المختار بقصر الامارة أياماً إلى أن قتله الله في رمضان»[٤]، وقال في موضع آخر: «ولما بعث ابن الزبير أخاه مصعباً على

---

١ - الفرق بين الفرق، ص٥٨.

٢ - وردت في متن الكتاب «دار الإمامة» والظاهر أنّه خطأ مطبعي. ينظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٥٨.

٣ - سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٥٤٣-٥٤٤.

٤ - العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ج١ ص٥٥.

العراق انضم إليه جيش البصرة فجاء وضايق المختار الكذاب حتى ظفر به وقتله وقتل بينهما سبعمائة أو أكثر».[١]

وحين ذكر اليافعي[٢] حصار الكوفة ومقتل المختار كرر ما قاله الذهبي وأضاف عليه«وحصروا المختار بقصر الأمارة أياماً إلى أن قتله الله...، وصفت العراق لمصعب رحمة الله عليه».

وهنا يخرج الذهبي واليافعي عن الموضوعية والحيادية فقالا إنّ الله قتل المختار، ثم يذكرا اسم المختار ويذكرا الكذاب بعده مباشرة وكأنه لقب له أو كنية، في حين تغافلا عن قيام مصعب الذي قتل أكثر من خمسة آلاف أسير وحسب قول الذهبي نفسه الذي يراها مجرد إساءة ليس أكثر، في حين لم يكتف اليافعي بالتغافل عن قتل هؤلاء بل دعا بالرحمة لمصعب بن الزبير والذي سبق وأن أشرنا إلى تذمر المسلمين من غدره بالأسرى بعد أن أعطاهم الأمان.

ووصف ابن كثير[٣] المعركة بين آل الزبير والمختار فقال:«فلما انتهى مصعب إلى قريب الكوفة لقيتهم الكتائب المختارية فحملت عليهم الفرسان الزبيرية، فما لبثت المختارية إلا يسيراً حتى هربوا على حميةٍ، وقد قتل منهم جماعة من الأمراء، وخلق من القراء، وطائفة من الشيعة الأغبياء، ثم انتهت

---

١ - الذهبي، دول الإسلام، ص٤٢.

٢ - أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي (ت: ٧٦٨هـ - ١٣٦٧م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج١، ص١١٤ -١١٥.

٣ - البداية والنهاية، ج١٢، ص٦٠.

الهزيمة إلى المختار»، وقال في موضعٍ آخر: «فدخله - أي القصر - وهو ملوم مذموم، وعن قريب ينفذ فيه القدر المحتوم، فحاصره مصعب فيه وجميع أصحابه، حتى أصابه من جهد العطش ما الله به عليم، وضيق عليهم المسالك والمقاصد، وانسدت عليهم أبواب الحيل، وليس فيهم رجل رشيد ولا حليم، ثم جعل المختار يجيل فكرته ويكرر رؤيته في الأمر الذي قد حل به، واستشار من عنده من الموالي والعبيد، ولسان القدر والشرع، يناديه {قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ}[1].... وليس معه من أصحابه سوى تسعة عشر، ولعله إن كان قد استمر على ما عاش عليه أن لا يفارقه التسعة عشر الموكلون بسقر.»..[2]

وقال السيوطي[3] عن مقتل المختار: «وفي أيام ابن الزبير كان خروج المختار الكذاب الذي ادعى النبوة، فجهز ابن الزبير لقتاله، إلى أن ظفر به في سنة سبع وستين، وقتله، لعنه الله».

يتضح مما قاله أو نقله كل من ابن كثير والسيوطي مدى تحامل بعض المؤرخين على المختار، ولا يحتاج من يقرأ كتابات بعضهم أمثال ابن كثير والسيوطي وغيرهم إلى عناء يذكر في معرفة الغاية والهدف التي تروم إليهما، فابن كثير هو تلميذ ابن تيمية ومن الذين شغفوا بحبه حتى أوصى أن يدفن بجنب تربته، والأخير يرى أن عمر بن سعد قاتل الإمام الحسين أفضل من المختار

١ - سبأ، الآية (٤٩).

٢ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٦٢.

٣ - تاريخ الخلفاء، ص٢١٠.

فقال: «من المعلوم أن عمر بن سعد أمير السرية التي قتلت الحسين مع ظلمه تقديمه الدنيا على الدين لم يصل في المعصية إلى فعل المختار»[١]، فأي حيادية وموضوعية يتوخاها المرء من هؤلاء الذين يجتهدون في الدفاع بشتى الوسائل عن قتلة آل البيت في الوقت ذاته يطعنون وبإصرار منقطع النظير بكل مَن يتصدى للدفاع عن مظلومية آل بيت النبوة. أما عن سنة وفاته فقد أختلف المؤرخون في ذلك ففي الوقت الذي ذهب أغلبهم[٢] إلى أنه قتل في سنة (٦٧هـ)، يرى ابن

١ - ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ-١٣٢٧م)، منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٩٨٦م، ج٢، ص٦٩.

٢ - خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٦٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٠٦، ١١٢؛ الأزدي، يزيد بن محمد بن إياس (ت: ٣٣٤هـ ٩٤٥م)، تاريخ الموصل، تحقيق: أحمد عبد الله محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م، ج١، ص١١٥؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص١١٦؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، (علي البجاوي)، ج٤، ص١٤٦٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٦٨؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٥، ص١١٧؛ والكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٩١؛ ابن أبي الدم الحموي، شهاب الدين إبراهيم (ت: ٦٤٢هـ-١٢٤٤م)، التاريخ الإسلامي المعروف باسم التاريخ المظفري، تحقيق: حامد زيان غانم زيان، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٢٣٤؛ ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص١٤٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٧١؛ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي، (ت: ٧٣٢هـ-١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، تحقيق: محمد ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج١، ص٢٧١؛ النويري، نهاية الارب، ج٢١، ص٢٥-٢٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص٢٢٧؛ ودول الإسلام، ص٤٢؛ سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٥٤٣؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج٤، ص١٢٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٧٢؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج٦، ص٧؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج١، ص٢٣٢؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢١٠.

قتيبه[١] والبلاذري[٢] أن مقتله كان في سنة (٦٩هـ)، في حين ذكر اليعقوبي[٣] أنه قتل في سنة (٦٨هـ)، ويبدو أن أرجح الروايات في ذلك هي التي ذكرت أن مقتله كان في سبع وستين للهجرة لكثرة المصادر التاريخية التي أشارت لذلك، وأنهم استندوا في معرفة ولادته على سنة مقتله وأنّ عمره سبع وستون سنة، أما عن موضع قبره فقد وصفه ابن نما الحلي[٤] بالقول: «وإن قبته لكل من خرج من باب مسلم بن عقيل كالنجم اللامع»، وذكر ابن بطوطة[٥] في رحلته أنه شاهد قرب غربي جبّانة الكوفة «قبة رفعت على قبر المختار».

وقُدر للمختار الذي وقف مع مسلم بن عقيل وآواه منذ دخوله الكوفة لكنه لم يسعفه القدر لنصرته أن يكون موضع قبره اليوم داخل ضريح سفير الإمام الحسين مسلم بن عقيل (عليه السلام) لا تفصله عنه سوى خطوات معدودة وهو قطعاً شرفٌ له أن يكون بجوار آل محمد[٦].

---

١ - المعارف، ص٣٥٦.

٢ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٤٤؛ وج٧، ص٨.

٣ - تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٤.

٤ - ذوب النضار، ص٥١.

٥ - ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد (ت: ٧٧٩هـ-١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ص٢٢٠.

٦ - وعُمّر قبره في العصر الحديث على يد العلامة الأكبر شيخ العراقيين الشيخ عبد الحسين الطهراني لّما تشرف بالعتبات المقدسة بالعراق ونهض بعمارتها وساعده في ذلك العلامة الرضا ابن آية الله بحر العلوم الطباطبائي وذلك في حدود سنة (١٢٨٥هـ-١٨٦٨م)، ينظر: البراقي، حسين السيد أحمد، تاريخ الكوفة، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، الطبعة الرابعة، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٧م، ص٨٥-٨٦؛ المقرم، تنزيه المختار، ص ١٥-١٦؛ الخطيب، دولة المختار، ص٥٧٣-٥٧٥.

الفصل الثالث

المبحث الأول: نشوء الدولة ونظامها الإداري

أولاً: نشوء الدولة

عاد التوابون إلى الكوفة بعد معركة عين الوردة التي قتل فيها أغلب قادهم وعلى رأسهم سليمان بن صرد وحال عودهم اتصلوا بالمختار فبايعوه قائداً لهم، لكن المختار كان في السجن في ذلك الوقت، فتولى أصحابه البيعة له سراً[1].

وعندما خرج المختار من السجن قوي أمره وأصبح زعيماً للشيعة دون أي منازع بعد مقتل سليمان، ووصف البلاذري[2] ذلك بالقول: «ثم إنّه صار إلى داره فتداكّت عليه الشيعُ يبايعونه فلم يزل أصحابه يكثرون وأمره يقوى..»، كما ذكر بعض المؤرخين[3] أنه: «لما نزل المختار داره عند

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٦-٣٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٦-٧.

٢ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٨٢.

٣ - ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٣١٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٥٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٣٨؛ ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص٩٤.

خروجه من السجن، اختلف إليه الشيعة واجتمعت عليه، واتفق رأيها على الرضى به» فلا يوجد من ينافسه في الكوفة على زعامة الشيعة بعد مقتل سليمان بن صرد الخزاعي.

أما ابن الزبير فإنه بدأ يشعر بأن موقفه في الكوفة أصبح مضطرباً، لاسيما أن عبد الله بن يزيد والي الكوفة وإبراهيم بن محمد بن طلحة صاحب خراجها أضعف من أن يواجهوا المختار لذلك عزلهم عن الكوفة وولى عليها عبد الله بن مطيع، وذلك في رمضان سنة خمس وستين للهجرة [١].

ويبدو أن ابن مطيع كان عارفاً بأوضاع الكوفة قبل توجهه إليها، فقد ذكر الطبري[٢] نقلاً عن أبي مخنف أنّ بعض المقربين منه قالوا له: لا تسر الليلة فإن القمر بالناطح [٣]، فأجابهم« وهل نطلب إلا النطح؟ قال: فلقي والله نطحاً وبطحاً،.... والبلاء موكلٌ بالقول».

فلما وصل ابن مطيع الكوفة ألقى فيها خطبته التي وضح فيها سياسته وجدد البيعة لعبد الله بن الزبير وقال: «أما بعد، فإن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثني على مصركم وثغوركم، وأمرني بجباية فيئكم؛ وأن لا أحمل فضل

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٧؛ ابن أعثم الكوفي، مقتل الحسين، ص٢١٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٥٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٣٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٧.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٦-٣٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٣٨.

٣ - هو نجم أو كوكب من منازل القمر يتشاءم ويتطير العرب به. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٣٩٤٦؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٤، ص٢٣٦.

فيئكم عنكم إلا برضا منكم، ووصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته، وبسيرة عثمان بن عفان التي سار بها في المسلمين؛ فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا، وخذوا على أيدي سفهائكم، وإلا تفعلوا فلوموا أنفسكم ولا تلوموني؛ فو الله لأوقعن بالسقيم العاصي، ولأُقيمنّ درء[1] الأَصْعر[2] المرتاب»[3]، ويظهر من هذه الخطبة أنّ ابن مطيع ركز على الجانب الاقتصادي لمعرفته بأهمية ذلك عند الكوفيين لاسيما بعد أن مروا بسنين قطع عن الكثير منهم العطاء بعد تولي معاوية ويزيد الحكم كما أن أهل الكوفة كانوا من

١ - الدرء: العوج في العصا والقناة وكل شيءٍ تصعب إقامته، وأقام درء فلان أي اعوجاجه وشغبه، وأقمت من درئه إذ قومته. ينظر: الفراهيدي، عبد الرحمن بن أحمد (ت: ١٧٠هـ - ٧٨٧م)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، الطبعة الثانية، مؤسسة دار الهجرة، د. م، ١٤٠٤هـ، ج٨، ص٥٩؛ الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ - ١٠٠٢م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، ج١، ص٤٩؛ زكريا، أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ - ١٠٠٤م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، د. م، ١٤٠٤هـ، ج٢، ص٢٧٤.

٢ - الأصعر: هو الشخص المعرض بوجهه. ينظر: ابن قتيبة، غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ، ج٢، ص١٤؛ ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت٦٠٦هـ-١٢٠٩م)، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، الطبعة الرابعة، مؤسسة الاسماعليين، قم، د. ت، ج٣، ص٩١؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٧، ص٩١.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٧؛ ابن أعثم الكوفي، مقتل الحسين، ص٢١٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٣٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص٦؛ فلهاوزن، الخوارج والشيعة، ص٢٠٢-٢٠٣.

أوائل المعترضين على سياسة عثمان المالية؛ إذ تذكر الروايات التاريخية أنهم اعترضوا على قول سعيد بن العاص والي الكوفة أنّها بستان قريش[١]، كما أستخدم ابن مطيع في هذه الخطبة التهديد والوعيد وتشابهت كلمات خطبته مع خطبة زياد بن أبيه المعروفة بالبتراء[٢] حين ولي البصرة من قِبل معاوية بن أبي سفيان فقال: «وإني أقسم بالله، لأخذن الولي بالمولى، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصي، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول أنجُ سعدُ فقد هلك سُعَيْدٌ، أو تستقيم لي قناتُكم» [٣].

ويبدو مما تقدم أنّ سياسة آل الزبير لم تكن مختلفة عن سياسة الامويين ومن سبقهم مع أهل الكوفة، عدا أنه وعدهم بالعدالة التي يرى أنها كانت سائدة في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وحتى هذا الأمر قد أعترض عليه الكوفيون لأنهم كانوا يريدون سياسة تشبه ما كان سائداً في عهد الإمام علي (عليه السلام) وهذا ما بينته الروايات التي تقول إن السائب ابن مالك الأشعري وهو من رؤوس أصحاب المختار قال له وبتأييد من

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٢٢٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٢٤ - ١٢٥؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج١، ج٢، ص٣١٧؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٥٨٩؛ الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص٣١.

٢ - يسمي العرب الخطبة التي لم تبدأ بالتحميد، وتستفتح بالتمجيد بالبتراء ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة السابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م، ج٢، ص٦.

٣ - الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢، ص٦٣.

المختار وأهل الكوفة أن لا يسير بهم إلا بسيرة الامام علي (عليه السلام) التي سار بها في الكوفة، وأن لا يحمل فضل فيئهم إلى خارج بلدهم، بل يقسم بينهم[١].

ويظهر من كلام السائب هذا مدى تأثر أهل الكوفة بسياسة الإمام علي (عليه السلام) التي سار بها أيام دولته فكانت الكوفة حاضرتها ومقرها شهدت خلال تلك الفترة أوج عظمتها وازدهارها، ولذلك فإنّ أهلها يمنون أنفسهم بعودة تلك السيرة إلى مصرهم مرة أخرى، وقد علق فلهاوزن[٢] على هذا الأمر بالقول: «واستغل هذا الشيعي الفرصة ليذكر الناس بعظمة الكوفة في عهد علي».

بعد ذلك قال صاحب الشرطة لابن مطيع بأن هذه الأمور هي بأمر من المختار مقترحاً عليه أن يودعه السجن حتى يستقيم أمر المصر، لكن تلك المحاولة باءت بالفشل بسبب إشارة ضمنية من أحد مبعوثي ابن مطيع للمختار بأنّ هناك مؤامرة تحاك ضده، ففهمها المختار على وجه السرعة وتظاهر بإصابته بوعكة مفاجئة وأنه سوف يأتي للأمير في وقت آخر[٣]، فأخذ المختار يعد العدة لإعلان الثورة والوثوب بالكوفة بمهارة وتخطيط محكمين لما عرف

١ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣١٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٧؛ ابن أعثم الكوفي، مقتل الحسين، ص٢١٩ -٢٢٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٣٨ -٦٣٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص٦ -٧؛ فلهوزن، الخوارج والشيعة، ص٢٠٣.

٢ - الخوارج والشيعة، ص٢٠٣.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٥٢.

عنه من حنكة سياسية وحسن التدبير، وسارت الأمور لصالحه بعد أن تحقق له أمران في غاية الأهمية هما:

أولهما: قيام أهل الكوفة بإرسال وفدٍ إلى محمد ابن الحنفية بزعامة عبد الرحمن بن شريح الذي وصف بأنه عظيم الشرف [١]، ليسأله عن أمر المختار، فلما رجع الوفد تكلم زعيم الوفد قائلاً: «أما بعد يا معشر الشيعة، فإنا قد كنا أحببنا أن نستثبت لأنفسنا خاصة ولجميع إخواننا عامة، فقدمنا على المهدي بن علي، فسألناه عن حربنا هذه، وعن ما دعانا إليه المختار منها، فأمرنا بمظاهرته ومؤازرته وإجابته إلى ما دعانا إليه، فأقبلنا طيبة أنفسنا، منشرحة صدورنا، قد أذهب الله منها الشك والغل والريب، واستقامت لنا بصيرتنا في قتال عدونا؛ فليبلغ ذلك شاهدكم، غائبكم، واستعدوا وتأهبوا...؛ فاستجمعت له الشيعة وحدبت عليه» [٢].

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٨؛ ابن نما، ذوب النضار، ص٩٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٦٤؛ الشاهرودي، علي النمازي، مستدركات علم رجال الحديث، مؤسسة آل البيت، طهران، ١٤١٥هـ، ج٦، ص٤٠١.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٤٠؛ ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٨٤-٣٨٥؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٢٧-٢٢٩؛ ومقتل الحسين، ص٢٢٢-٢٢٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٥٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٣٩-٦٤٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٨؛ الغروي، محمد هادي اليوسفي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مجمع الفكر الإسلامي، قم، ١٤٢٨هـ، ج٦، ص٣٤١-٣٤٣؛ الأردكاني، أبو فاضل الرضوي، ثورة المختار، ترجمة علي الهاشمي، شركة الطباعة للنشر الدولي، د. ت، ٢٠١١م، ص٢٦٥-٢٦٩؛ الخطيب، دولة المختار، ص١٨٧-١٩٠.

والآخر: هو أن المختار استطاع أن يضم إليه إبراهيم بن مالك الأشتر، من أكبر زعماء العراق آنذاك ورئيس قبيلة معروفة بالولاء والمحبة لآل البيت، وصاحب المكانة المتميزة بين الناس، وقد وصف بأنه كان شجاعاً شهماً مقداماً وغير ذلك من الصفات الحسنة زيادة على كونه من الموالين لأهل البيت فهو ابن مالك الأشتر صاحب المواقف المشهودة مع الإمام علي (عليه السلام)[١]، وما أن تحقق له هذان الأمران حتى بدأ المختار يضع خطته في إعلان الثورة والوثوب في الكوفة موضع التنفيذ، فضرب لذلك موعداً مع أصحابه وأنصاره، ثم سارت الأمور لصالحه، فقد تصادف أن قام إياس بن مضارب صاحب شرطة ابن مطيع باعتراض طريق إبراهيم الأشتر الذي كان يأتي كل ليلة إلى منزل المختار، فقام الأخير بقتله واحتز رأسه وحمله إلى المختار الذي أعتبر ذلك فالاً حسناً وعلى أثر ذلك تم إعلان الثورة، ووقعت معارك شديدة بين ابن مطيع وقواته من جهة وبين المختار وأنصاره من جهة أخرى[٢]، انتهت بسيطرة المختار على الكوفة واستسلام ابن مطيع ومغادرته بعد ذلك إلى البصرة [٣].

١ - الأمين، أعيان الشيعة، ج٢، ص٢٠٠.

٢ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٠.

٣ - للتفاصيل ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٨٩-٣٩٥؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٦٤-٢٦٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٥-٥٢؛ ابن أعثم الكوفي، مقتل الحسين، ص٢٢٢-٢٣٩؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص٩٤-١٠٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٥١-٥٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص٦٣٧-٦٥٠؛ ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص١٠١-١٠٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص٥-١٠؛ ابن كثير، ←

بيعة المختار

بعد أن سيطر المختار على الكوفة، صعد المنبر في صبيحة الليلة التي تلت دخوله دار الأمارة، فخطب الناس في المسجد فقال: «الحمد لله الذي وعد وليه النصر، وعدوه الخسر، وجعله فيه إلى آخر الدهر، وعداً مفعولاً، وقضاءً مقضياً، وقد خاب من افترى، أيها الناس: إنّه رُفعت لنا راية، ومُدت لنا غاية، فقيل لنا في الراية: أن أرفعوها ولا تضعوها، وفي الغاية: أن أجروا إليها ولا تعدُوها، فسمعنا دعوة الداعي، ومقالة الواعي؛ فكم من ناعٍ وناعية، لقتلي في الواعية! وبُعداً لمن طغى وأدبر، وعصى وكذب وتولى، ألا فأدخلوا أيها الناس فبايعوا بيعة هدى، فلا والذي جعل السماء سقفاً مكفوفاً، والأرض فجاجاً سبلاً، ما بايعتم بعد بيعة علي بن أبي طالب وآل علي أهدى منها»[1]، ثم دعا الناس لبيعته قائلاً: «ألا فهلموا عباد الله إلى بيعة الهدى، ومجاهدة الأعداء، والذب عن الضعفاء من آل محمد المصطفى، وأنا

البداية والنهاية، ج١٢، ص٥-١٤؛ الخطيب، دولة المختار، ص٢٠٤؛ محمد، رغداء حسين، حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي وأبعادها السياسية والفكرية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ٢٠٠٧م، ص٧٥-٧٨.

١ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٤٣؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٩٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥١-٥٢؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٠٥؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج٢، ص٢١٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٤٩؛ ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص ١٠٧-١٠٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ٣٦٩؛ البراقي، تاريخ الكوفة، ص٣٢٥؛ الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٦، ص٣٦١.

المسلط على المحلين، المطالب بدم ابن بنت رسول رب العالمين»[١]، فبايعه الناس، وبسط يده، وهو يقول: «تبايعوني على كتاب الله وسنة نبيه، والطلب بدماء أهل البيت، وجهاد المحلين، والدفع عن الضعفاء، وقتال من قاتلنا، وسلم من سالمنا، والوفاء ببيعتنا، لا نقيلكم ولا نستقيلكم»[٢]، ويتبين لنا من خلال قراءة هذه الخطبة عدة أمور:

الأمر الأول: أوضح المختار في خطبته بأن المسلمين لم يبايعوا بيعة هدى بعد عصر الرسالة إلا بيعة الإمام علي (عليه السلام) وبيعة آل علي وهو يشير بشكل واضح إلى أحقية أهل البيت المطلقة بالخلافة وبوجوب الإقرار بذلك، وهذا إقرار مبكر من المسلمين بمظلومية آل البيت ودحض الرأي القائل أن مذهب الشيعة في آل البيت جاء متأخراً.

الأمر الثاني: كان من شروط بيعته الطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحلين والدفع عن الضعفاء فكانت تلك الشروط دقيقة وواضحة ومحددة، فهو بذلك قد وضح ومنذ اليوم الأول لأمارته أن دماء آل البيت من أولويات

---

١ - ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص١٠٨؛ وينظر: الخوارزمي، مقتل الحسين، ج٢، ص٢١٦؛؛ الخطيب، دولة المختار، ص٢٤١؛ محمد، حركة المختار، ص٧٩.

٢ - ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٤٣؛ وينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٩٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٢؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٠٥؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج٢، ص٢١٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٣؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣١؛ الخطيب، دولة المختار، ص٢٤١؛ الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٦، ص٣٦٢؛ محمد، حركة المختار، ص٧٩.

دولته وأهدافه، وبقي ينتظر اللحظة المناسبة للقيام بذلك.

الأمر الثالث: يتضح من خطبته المتقدمة الذكر أنه كان على ثقة تامة بما يؤول إليه مصير قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) وأنّ ذلك سيحصل بتوفيق من الله وأنّه قضاءٌ مقضيٌّ، ويبدو أن معرفة المختار جاءت على أساس الاستقراء للأمور فهو يعرف أن أهل الكوفة من محبي آل البيت تربوا على ذلك الحب، وقد ذاقوا مرارة الظلم من آل أبي سفيان لمدة خمسة وعشرين عاماً ثم ظلم آل الزبير فكانوا مهيئين للثورة، كما أنّ طبيعة الأوضاع في الدولة الإسلامية كانت تسير في صالح المختار فآل الزبير لم تكن لهم سيطرة تامة على البلاد، وكان الأمويون في أضعف حالاتهم، فضلاً عن أن المختار يمتلك قوتين الأولى: أهل الكوفة المهيئين لدعم الثورة، والثانية؛ الأجازة التي منحها إياه محمد ابن الحنفية بتتبع قتلة الحسين (عليه السلام)، ويمكننا أن نضيف إلى ما تقدم بأنّ المختار كان يعرف مصير قتلة الحسين (عليه السلام) عن طريق ما علمه من الإخبار عن مجريات الملاحم والفتن عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام)[١].

وبعد أن تمت له البيعة، بدأ بتشكيل حكومته التي اتخذ من الكوفة عاصمة لها، فكان هو على رأس تلك الحكومة، وجعل عبد الله بن كامل الشاكري على شرطة الكوفة[٢]، وعين كيسان أبا عمرة على حرسه

---

١ - ينظر: من خلال البحث، ص١٨٠-١٨١.

٢ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٤٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٢؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١١؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣١.

الخاص[١]، ويبدو أنّه كان يعتمد عليه بشكل كبير جداً في تتبع قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) فذكر الدينوري [٢]: «وأمره أن يجمع ألف رجل من الفعلة بالمعاول، وتتبع دور من خرج إلى قتال الحسين بن علي، فيهدمها، وكان أبو عمرة بذلك عارفاً، فجعل يدور بالكوفة على دورهم، فيهدم الدار في لحظة، فمن خرج إليه منهم قتله، حتى هدم دوراً كثيرة، وقتل أناساً كثيراً، وجعل يطلب ويستقصي، فمن ظفر به قتله، وجعل ماله وعطاءه لرجل من أبناء العجم الذين كانوا معه»؛ وهذه الرواية تعني أن أبا عمرة كان يمتلك صلاحيات استثنائية، وجعل على بيت مال الكوفة عبد الرحمن بن شريح[٣].

واختلف المؤرخون في وصفهم دولة المختار وسيرته في الرعية فذكر البلاذري[٤]: «وكان المختار قد وجد في بيت مال الكوفة تسعة آلاف ألف درهم، فأعطى أصحابه ومن بايعه، وأحسن المختار مجاورة أهل الكوفة والسيرة فيهم، وأكرم الأشراف».،

وهنا يشير البلاذري إلى سيرة المختار مع الأشراف في بداية حكمه فتجنب إثارة الأشراف حتى وطد حكمه ودولته لأن الكثير من الأشراف

---

١ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٤٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٢؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١١؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣١.

٢ - الأخبار الطوال، ص٢٦٨.

٣ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٣٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٠٠؛ العلي، صالح أحمد، الكوفة وأهلها في صدر الإسلام، شركة المطبوعات، بيروت، ٢٠٠٣م، ص٢٥٢.

٤ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٩٥.

شركاء في قتل الإمام الحسين (عليه السلام) فخشي أن يؤلبوا الناس عليه ويناصروا بني أمية وآل الزبير.

ووصفها الدينوري [١] بالقول: «ثم إنّ المختار غلب على الكوفة ودانت له العراق وسائر البلاد إلا الجزيرة والشام ومصر، فإن عبد الملك كان قد حماها، ووجه عماله في الأفاق»، وعلى الرغم من مبالغة الدينوري في سعة دولة المختار - حين ضم العراق كله لها في حين أنّ البصرة وما يتبعها كان خارج سيطرة المختار - إلا أن روايته أشارت إلى سعة تلك الدولة وقوة نفوذ المختار حيث وصفه بأنه وجه عماله في الآفاق.

وتطرق البلخي[٢] لدولة المختار فقال: «وغلب المختار على الكوفة، ووجه عماله على كور الجبل[٣]، وأرمينية[٤]».

وذكر ابن أعثم الكوفي[٥] دولة المختار فقال: «واحتوى المختار على الكوفة فعقد لأصحابه وولاهم البلاد من أرمينية وأذربيجان[٦] وأرّان[٧]

١ - الأخبار الطوال، ص٢٦٨.

٢ - البدء والتاريخ، ج١، ص٢٤٧.

٣ - وهي المناطق الجبلية الواقعة في شمال العراق، والمناطق الجبلية المقابلة لها من إيران. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٩٩؛ الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص٢٩٥.

٤ - ينظر: ولاية أرمينية من خلال البحث، ص١٦٤ -١٦٥.

٥ - كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٤١؛ ومقتل الحسين، ص٢٤١؛ وينظر: الخوارزمي، مقتل الحسين، ص٢١٧.

٦ - ينظر: ولاية أذربيجان من خلال البحث، ص١٦٩ -١٧٠.

٧ - أرّان: وهو اسم أعجمي لولاية واسعة وبلاد كثيرة، بينها وبين أذربيجان نهر يقال له الرس، فما ←

وحوران[١] والماهين[٢] إلى الري وأصفهان، فجعل يجبي خراج البلاد».

وأضاف ابن أعثم الكوفي[٣] حين تحدث عن سيرة المختار في دولته: «وأحبه الناس حباً شديداً، ودر له جلب البلاد، وحمل إليه الخراج من جميع عماله».

ووصف ابن عساكر[٤] سيرة المختار بالقول: «وكان المختار أول ما ظهر أحسن شيء سيرة وتألفاً للناس»، في حين وصفها ابن الجوزي[٥] بالقول: «وأخذ المختار في السيرة الجميلة».

وعلى الرغم من تعصب الذهبي ضد المختار ودولته في مواضع كثيرة بسبب تعصبه المذهبي وعدم موضوعيته والتي سبق وأن أشرنا إليها؛ إلا أنه قال: «وأخذ المختار في العدل وحسن السيرة»[٦]، وذكر ابن كثير[٧] دولة المختار فقال: «ثم إن المختار بعث الأمراء إلى النواحي والبلدان والأقاليم

جاوره من ناحية المغرب والشمال، فهو من أران، وما كان من جهة المشرق فهو من أذربيجان، وأران من أصقاع أرمينية. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٣٦.

١ - حوران: كوره واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرى ومزارع كثيرة، وقصبتها بصرى. ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣١٧-٣١٨.

٢ - الماهين: وهي الدينور ونهاوند، وماهان مدينة بكرمان. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٤٨-٥٠.

٣ - كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٤٣؛ ومقتل الحسين، ص٢٤٤.

٤ - تاريخ دمشق، ج٤٥، ص٥٦.

٥ - المنتظم، ج٦، ص٥٥.

٦ - سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٥٤١.

٧ - البداية والنهاية، ج١٢، ص١٤.

والرساتيق، من أرض العراق وخراسان، وعقد الألوية والرايات، وقرر الإمارة والولايات»، وفي موضع آخر قال ابن كثير[١]: «ثم زالت دولة المختار، وكذلك سائر الدول، وفرح المسلمون بزوالها..؟»..

ويظهر تعصب ابن كثير على المختار ودولته في أوضح صوره حين نصب نفسه متكلماً عن المسلمين زمن المختار الذي يفصله بينهم وبينه أكثر من ستمائة عام في أقل تقدير؛ غافلاً ومتغافلاً عن ستة آلاف قتلهم مصعب ابن الزبير بعد سيطرته على الكوفة، وابن كثير نفسه أشار لقول عبد الله بن عمر بن الخطاب لمصعب حين أنبهُ على قتله هؤلاء الأسرى: «أصب من الماء البارد ما استطعت في دنياك»[٢]، وعبد الله بن عمر يشير في قوله هذا لمصعب بأن ليس له نصيب في الآخرة.

ووصف بيضون[٣] دولة المختار فقال: «أعتلى المختار المسجد ليعلن برنامجه السياسي والإصلاحي، وكان محوره إقامة حكم علوي يشيع العدل بين الناس ويبعث الطمأنينة في النفوس ويتعايش مع مختلف الأحزاب»، وفي موضع آخر عد بيضون[٤] قول المختار بأن بيعته ببيعة هدى «بأنه استرداد للشرعية» التي يراها فقدت منذ خلافة آل علي، وهو ما أشار إليه مؤرخ محدث آخر[٥] فقال:

---

١ - البداية والنهاية، ج١٢، ص٦٨.

٢ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٤٦.

٣ - بيضون، إبراهيم، التوابون، بيروت، ١٩٧٤م، ص١٧٦.

٤ - ثورة الحسين، ص١١٨.

٥ - عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي، ج٢، ص١٢٤.

«وأخمدت أكبر الحركات الثورية، التي رمت إلى نصرة عصبة بني هاشم، فبعد مقتل المختار أصبح هؤلاء لا حول لهم ولا طول..»، وعَدَّ هذا المؤرخ كذلك انتصار مصعب بن الزبير انتصاراً على الشيعة[1].

يتضح من خلال ما تقدم صلة المختار بالشيعة بشكل عام والعلويين بشكل خاص فضلاً عن برنامجه السياسي والإصلاحي لإرجاع الأمور إلى نصابها الصحيح في تحقيق العدالة الاجتماعية. ويتبين كذلك من آراء المؤرخين في سيرته أنه كان على محبة ووئام مع الناس لكن تجرده للقصاص من قتلة آل البيت أثار غضب وحفيظة كل من له صلة ببني أمية وآل الزبير وأعوانهم.

ثانياً: النظام الإداري للدولة

ما إن خضعت الكوفة لسيطرة المختار بن أبي عبيد الثقفي حتى عقد الرايات لولاته وعماله على الولايات والمدن التابعة لدولته حيث أصبح ما كان تابعاً للكوفة إدارياً في الشرق والجزيرة الفراتية تحت سيطرته وبالشكل التالي:

١- أرمينية وهمدان

أرمينية أسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال الشرقي للعراق، وهي أرمينيتان الكبرى وتضم خلاط[2] ونواحيها، والصغرى وتضم تفليس[3]

١- عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي، ج٢، ص١٢٥.

٢- وهي مدينة عامرة ذات خيرات واسعة وثمار يانعة، وهي قصبة أرمينية الوسطى، توجد فيها بحيرة تعد من عجائب الدنيا. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٨٠-٣٨١.

٣- وهي قصبة ناحية جرزان من بلاد الأرمن، وهي مدينة قديمة أزلية في وسطها نهر يقال له الكر يصب في البحر وعليها سور عظيم أفتتحها المسلمون في خلافة عثمان بن عفان. ينظر: ياقوت ←

ونواحيها[١]، في حين تعد همدان أكبر مدينة في الجبال، ومن أحسن البلاد وأنزهها وأرطبها وأرفهها، لكن شتاءها مفرط البرد، وهي أربعة فراسخ في مثلها، تتكون من أربعة وعشرين رستاقا[٢]، فتحها المسلمون في خلافة عثمان بن عفان (٢٣هـ-٣٥هـ) أثناء ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة[٣]، وتقع في الشمال الغربي من إيران، وتلاصق الحدود الشمالية للعراق الحالي.[٤]

كانت أول راية عقدها المختار لعبد الله بن الحارث أخو مالك الأشتر على أرمينية[٥] وهمدان والماهين[٦]، وفي رواية أخرى أنه عقد له على أذربيجان[٧]

الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٥-٣٧.

١ - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٥٩-١٦١؛ العيساوي، النظم الإدارية والمالية، ص٧٩.

٢ - الرستاق فارسي معرب والجمع رساتيق وتعني السواد. ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص١٣٩؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص١٥٠٣.

٣ - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٤١٠-٤١٧؛ العيساوي، النظم الإدارية والمالية، ص٧٠.

٤ - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٤١٠-٤١٧؛ الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص٢٩١.

٥ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٤٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٣؛ الأزدي، تاريخ الموصل، ج١، ص١٠٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٥٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥١؛ ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص١٠٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١١؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣١؛ الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٦، ص٣٦٣.

٦ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٤٥.

٧ - مسكوية، تجارب الأمم، ج٢، ص١٠٦.

ويعد عبد الله بن الحارث من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)[١]، فهو من تلك الأسرة المتفانية في ولائها له وصاحبة المواقف والتاريخ المشهود في حب آل أبي طالب، وعُد العديد من أفرادها من أقطاب الشيعة دون منازع أمثال مالك الأشتر وأبنه إبراهيم.

٢- ولاية الموصل

تعاقب ثلاثة ولاة على الموصل بعثهم المختار واحداً تلو الآخر، وذلك لأهمية ولاية الموصل كونها محاذية ومتداخلة مع بلاد الشام الخاضعة لسيطرة الأمويين أعداء المختار الألداء الذين ما برحوا يبعثون الجيوش تلو الجيوش للسيطرة على الموصل والتوجه إلى الكوفة، فضلاً عن أن ولاية الموصل تضم العديد من المدن والقصبات والثغور والحصون المهمة[٢]، وأول والٍ أرسله المختار إلى تلك الولاية هو عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني[٣]، الذي كان والده من أصحاب الإمام علي (عليه السلام)، وزعيم همدان في صفين،

١ - ينظر: النقرشي، نقد الرجال، ج٣، ص٩٥؛ الأردبيلي، محمد علي (ت: ١١٠١هـ-١٦٨٩م)، جامع الرواة وإزاحة الأشتباهات عن الطرق والإسناد، مكتبة المرعشي، قم، ١٤٠٣هـ، ج١، ص٤٨٠؛ الشاهرودي، مستدركات علم رجال الحديث، ج٦، ص٣٣١.

٢ - ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٩٥؛ ابن أعثم الكوفي، مقتل الحسين، ص٢٤١-٢٤٢.

٣ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٤٥؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٩٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٥٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١١؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣١؛ الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٦، ص٣٦٣.

فتذكر الروايات التاريخية أنه كان صاحب راية همدان في صفين وهو الذي أجاب الإمام علياً (عليه السلام) عندما قال لهمدان: «والله أنتم درعي ورمحي وسيفي وجنتي، والله لو كانت الجنة في يدي لأدخلتكم إياها يا معشر همدان، فقال سعيد بن قيس: والله يا سيدي يا أمير المؤمنين ما نصرنا إلا الله ورسوله، ولا اطعنا إلا الله ورسوله، وإن طاعتك مقرونة بطاعة الله ورسوله فارم بنا حيث شئت وأين ما أحببت، فإنا لك سامعون ولأمرك مطيعون»..[١]، ثم تحولت زعامة همدان إلى عبد الرحمن بعد وفاة أبيه، ووفاءً لتلك القبيلة صاحبة التاريخ والمناقب مع الإمام علي (عليه السلام) جعل المختار سيدها وزعيمها على أهم ولاية من ولايات دولته آنذاك وهي الموصل والتي كانت خاضعة لأبن الزبير، وواليها من قِبلهِ محمد بن الأشعث ولمعرفة ابن الزبير بأهمية ولاية الموصل جعلها تابعة له مباشرة، فكان محمد بن الأشعث يكتب إلى ابن الزبير دون الرجوع إلى والي الكوفة [٢]، وهي خطوة تنم عن أهمية ولاية الموصل لدى آل الزبير، فلما قدم عامل المختار عليها هرب عاملهم منها إلى تكريت وكتب إلى ابن الزبير يخبره بذلك فأنبه ووبخه على ترك ولايته خوفاً من عامل المختار دون قتال يذكر، وقد أشار ابن الزبير في كتابه لأبن الأشعث إلى أهمية خراج وحصون ومزارع ولاية الموصل على الرغم من أن ابن الأشعث يبعث القليل منها إليه[٣]، وشهدت ولاية عبد

١ - المنقري، وقعة صفين، ص١٢١.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٣.

٣ - ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٩٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ←

الرحمن للموصل بعض المناوشات فقد تقدم عبيد الله بن زياد بجيوشه نحو الموصل، فكتب عبد الرحمن بن سعيد إلى المختار يخبره بأنه انحاز إلى تكريت وأن عبيد الله بن زياد دخل الموصل وليس له طاقة في مواجهته، فكتب إليه المختار: «أما بعد فقد بلغني كتابك، وفهمت كل ما ذكرت فيه، فقد أصبت بانحيازك إلى تكريت، فلا تبرحن مكانك الذي أنت به، حتى يأتيك أمري إن شاء الله، والسلام عليك».[١]

استدعى المختار يزيد بن أنس بن كلاب الأسدي وولاه الموصل[٢] وكتب إلى عبد الرحمن بن سعيد: «أما بعد، فخل بين يزيد وبين البلاد إن شاء الله، والسلام عليك».[٣] وانتخب يزيد ثلاثة ألاف فارس وتوجه إلى الموصل فوقعت بينه وبين ابن زياد معركة كانت الغلبة فيها لجيش أهل الكوفة بقيادة يزيد بن أنس وذلك في ذي الحجة سنة ست وستين للهجرة[٤]، وبعد الانتصار الذي تحقق لجيش المختار توفي يزيد بن انس حتف انفه، وكان قد أوصى بقيادة الجيش لورقاء بن عازب الأسدي، الذي فضل الانسحاب

← ج٦، ص٥٣؛ ابن أعثم الكوفي، مقتل الحسين، ص٢٤١-٢٤٢.

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١٢.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٩٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٧.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٧؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٠٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥٢.

٤ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٨.

ومكاتبة المختار في الكوفة بعد أن علم بأنّ عبيد الله بن زياد قد قدم بجيش قوامه أكثر من ثمانين ألفاً من أهل الشام، فصوب رأيه المختار وأمره أن لا يبرح مكانه حتى يأتيه أمره[١]، بعد ذلك ولى المختار ولاية الموصل إبراهيم ابن الأشتر وعقد له على سبعة الآف رجل وأوصاه بأن يضم إليه جيش يزيد ابن أنس[٢]، وإذا لقي عدوه ناجزه، ولا يؤخر ذلك[٣]، لكن إبراهيم ابن الأشتر لم يستطع مواصلة مسيره إلى الموصل فقد وصله رسول المختار يأمره بالرجوع على وجه السرعة وهو في الطريق، وذلك أن بعض أشراف الكوفة أرجفوا بالمختار ولم يصدقوا بأنّ يزيد بن أنس مات حتف انفه، فحاول أعداء المختار استغلال تلك الظروف والقضاء عليه وكان على رأس هؤلاء قتلة الحسين (عليه السلام) أمثال شمر بن ذي الجوشن، وشبث بن ربعي، ومحمد بن الأشعث، وغيرهم، لكن رجوع ابن الأشتر إلى الكوفة على وجه السرعة حال دون نجاح تلك المؤامرة وتم القضاء عليها وهو ما عرف بوقعة جبانة السبيع[٤]، التي تجرد بعدها المختار للقصاص من قتلة الإمام الحسين (عليه

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٨؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٥٨ - ٢٥٩.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٩٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٩.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٩.

٤ - والجبانة تعني في الأصل الصحراء، وأهل الكوفة يسمون المقابر جبانة، وبالكوفة محال تسمى بهذا الاسم وتضاف إلى القبائل مثل جبانة كندة، وجبانة السبيع. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٩٩؛ وهي الموضع الذي وقعت فيه المعركة بين المختار من جهة وبين المتمردين ←

السلام)[١]، بعد أن قضى المختار على تلك المؤامرة التي حيكت للقضاء عليه، أمر إبراهيم الأشتر بالتوجه إلى مهمته التي كلفه بها قبل ذلك، فغادر الكوفة متوجها إلى الموصل لثمان بقين من ذي الحجة سنة ست وستين للهجرة[٢]، واستطاع إبراهيم الأشتر بعد وصوله الموصل أن يقتل عبيد الله ابن زياد في معركة فاصلة مع جيش الشام قتل فيها كبار قادة جيشهم، وبعث البشارة والرؤوس إلى المختار وذلك في معركة الخازر سنة سبع وستين للهجرة[٣]، بعد تلك المعركة الفاصلة وهزيمة جيش الشام أصبح إبراهيم والياً على الموصل وأرمينية وأذربيجان [٤].

من أهل الكوفة وكان أغلبهم ممن أشترك بقتال الحسين فأرجفوا بالمختار بعد خروج إبراهيم بن الأشتر لقتال عبيد الله بن زياد، لكن المختار استطاع أن يقضي على تمردهم وقتل بعضهم وأسر الكثير، وبعد أن أمر ابن الأشتر بالتوجه لمهمته التي كلفه بها قبل ذلك التمرد، تجرد هو للقصاص من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) فتتبعهم حتى قتل الغالبية العظمى منهم. للتفاصيل ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٩٨-٤٠٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٠-٦٩؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٦٢-٢٦٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٥٧-٥٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥٤-٦٥٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧-١٩؛ محمد، حركة المختار، ص٨٧-٩٠.

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٠.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٧٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص٢٣.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٩٠-٩٥؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٢٦-١٣٠؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٧، ص٤٥٩-٤٦٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٧٨-٦٨٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص٢٣-٢٤.

٤ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨١.

يبدو من خلال ما تقدم أن عبد الرحمن بن سعيد ويزيد بن أنس لم يكونا ولاة بالمعنى المعروف بل كانا أميري حرب يحافظان على هذه الولاية من هجمات الأمويين، ويديران شؤونها في الوقت نفسه، لكن الوالي الحقيقي لها كان إبراهيم، ويدل على ذلك أنه أستقر فيها وأخذ يبعث العمال إلى المدن التابعة لها، وهذه المدن وحسب الروايات هي كالآتي:

أ. نصيبين[١] أستعمل عليها عبد الرحمن بن عبد الله -أخوه لأمه-[٢].

ب. قرقيسيا أستعمل عليها زفر بن الحارث[٣]، وقيل إنّه استعمل عليها إسماعيل بن زفر[٤].

ت. حران[٥] والرها[٦]، وسيمساط[٧] وناحيتها استعمل عليهما حاتم

---

١ - نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام، وفي قراها أكثر من أربعين ألف بستان، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ وبين الموصل وبينها ستة أيام. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٨٨-٢٨٩.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٩٥؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٢٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٨١.

٣ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٨١.

٤ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٧١.

٥ - حران: وهي قصبة ديار مضر، بالقرب من الرها والرقة، وهي على طريق الموصل والشام والروم، وقيل هي أول مدينة بنيت بعد الطوفان. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٣٥-٢٣٦.

٦ - الرها: مدينة في الجزيرة بين الموصل والشام. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٠٦-١٠٧.

٧ - سُميساط: مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات، لها قلعة في شقٍ منها يسكنها الأرمن. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٥٨.

بن النعمان الباهلي[١][٢].

ث.كفرتوثا[٣]، وطور عبدين[٤]، أستعمل عليهما عمير بن الحباب السلمي[٥].

ج. سنجار[٦] ولي عليها السفاح بن كردوس[٧].

ح. ميافارقين[٨] أستعمل عليها عبد الله بن مسلم[٩].

---

١ - هو حاتم بن النعمان بن عمر الباهلي، شهد صفين مع معاوية، وهو سيد بني بآهلة في زمانه. ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١١، ص٣٧٩-٣٨١.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٢٧؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٧١ - ٢٧٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٨١.

٣ - كفرتوثا: قرية كبيرة من أعمال الجزيرة الفراتية، تقع بين دارا ورأس عين. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٦٨.

٤ - طور عبدين: بليدة من أعمال نصيبين في بطن الجبل المتصل بجبل الجودي. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٨.

٥ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٢٧؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٧٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٨١.

٦ - سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام، وهي مدينة طيبة في وسطها نهر جاري، فيها الكثير من البساتين، وبينها وبين نصيبين ثلاثة أيام. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٦٢-٢٦٣.

٧ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٧٢

٨ - ميافارقين: أشهر مدينة بديار ربيعة، فتحها المسلمون بقيادة مالك الأشتر النخعي، أثناء خلافة عمر بن الخطاب. ينظر ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج١، ص٢٥٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٣٥-٢٣٧.

٩ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٧٢.

خ. آمد[١] وأستعمل عليها مسلم بن ربيعة العُقيلي[٢].

٣- ولاية أذربيجان

تقع أذربيجان في شمال إيران الحالية في المنطقة القريبة من شمال العراق، وتعني بالفارسية بيت النار أو خازن النار، فهي موضع أعجمي معرب، يغلب على أراضيها الجبال، وفيها قلاع كثيرة، ومياه غزيرة، وفواكه جمة، فتحها المسلمون أيام عمر بن الخطاب (١٣هـ-٢٣هـ) وولاها الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان الذي صالح أهلها على ثمان مائة ألف درهم على أن لا يقتل منهم أحداً ولا يسبيه، ولا يهدم لهم بيت نار[٣]، وكون أذربيجان تابعة إدارياً لولاية الكوفة بعث المختار محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي[٤] والياً على أذربيجان[٥]، ومحمد هذا سيد أهل الكوفة،

---

١ - آمد: وهي من أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدراً وأشهرها ذكراً، وهي بلد قديم حصين مبني بالحجارة السود، في وسطه عيون وآبار يتناول ماؤها باليد، فتحها المسلمون سنة عشرون للهجرة في خلافة عمر بن الخطاب بقيادة مالك الأشتر النخعي. ينظر: ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج١، ص٢٥٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥٦-٥٧.

٢ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٧٢.

٣ - البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧م، ص٤٥٥-٤٥٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٢٨-١٢٩؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٦٨؛ العيساوي، النظم الإدارية والمالية، ص٧٩؛ الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص٢٨٨-٢٨٩.

٤ - ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٥، ص٣٨-٤٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٦، ص١٩٤-١٩٥.

٥ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٤٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٣؛ ابن الجوزي، ←

وصاحب ربع تميم وهمدان، ومن أجواد مضر والإسلام[١]، ويعد من الصحابة[٢]، ومن صحابة الإمام علي (عليه السلام) وأحد أمرائه في صفين[٣]، وفي رواية أخرى ذكرها الدينوري[٤] أن المختار بعث إلى ولاية أذربيجان محمد بن عثمان التميمي.

٤- مدينة حلوان

وهي مدينة كبيرة، قريبة من الجبال، تكثر فيها الفواكه وخاصة التين، فيها الكثير من العيون الكبريتية التي ينتفع منها كدواء، فتحها المسلمون بعد جلولاء وخانقين حيث سار إليها سعد بن أبي وقاص، فدخلها المسلمون دون قتال، وأحتوى سعد على جميع ما كان للفرس بأرض حلوان[٥]، فلما أصبحت تابعة لدولة المختار بعث عليها سعد بن حذيفة بن اليمان[٦]، الذي

المنتظم، ج٦، ص٥٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥١؛ ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص١٠٩-١١٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١١؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣١؛ الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٦، ص٣٦٣.

١ - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٦، ص١٩٤.

٢ - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٥، ص٤٠.

٣ - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٥، ص٣٨-٤٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٦، ص١٩٥.

٤ - الأخبار الطوال، ص٢٦٨.

٥ - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج١، ص٢١٥-٢١٧؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٩١.

٦ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٤٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥١؛ ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص١١٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١١؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣١.

كان والده من نجباء أصحاب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وصاحب سره [١]، أعلمه الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بما يقع من الفتن والملاحم على أمته [٢]، وصفه الذهبي [٣] فقال: «وضبط عنه الفتن الكائنة في الأمة»، ولما بايع الناس الإمام (عليه السلام) وتوجه لقتال أهل الجمل في البصرة كان لحذيفة موقف في إستنفار الناس للقتال مع الإمام علي (عليه السلام) فقد ذكر أبو مخنف: «لما بلغ حذيفة بن اليمان أن علياً قد قدم ذا قار، وأستنفر الناس، دعا أصحابه فوعظهم وذكرهم الله وزهدهم في الدنيا، ورغبهم في الآخرة، وقال لهم: الحقوا بأمير المؤمنين ووصي سيد المرسلين، فإن من الحقّ أن تنصروه، وهذا الحسن أبنه وعمّار قد قدما الكوفة يستنفران الناس، فانفروا، قال: فنفر أصحاب حذيفة، إلى أمير المؤمنين، ومكث حذيفة بعد ذلك خمس عشرة ليلة وتوفي رحمه الله تعالى».

أما سعد بن حذيفة فهو من الثقات ومن أصحاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، تولى قضاء المدائن، وروى الحديث عن أبيه [٤]، ويُعد سعد من

---

١ - ابن سعد، الطبقات، ج٤، ص٢٥١ -٢٥٨؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص٥٠٥ -٥٠٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٣٦١ -٣٦٩؛ والكاشف في معرفة من له رواية، ج١، ص٣١٥.

٢ - المروزي، أبو عبد الله نعيم بن حماد (ت:٢٨٨هـ-٩٠٠م)، الفتن، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، ص١٤؛ نصار، عمار عبودي، الملاحم في الفكر العربي والإسلامي حتى نهاية العصر الأموي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٦م، ص١٣٧ -١٤١.

٣ - سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٣٦٤.

٤ - ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٣٣٥؛ الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد (٣٢٧هـ ←

أوائل الذين تحمسوا للأخذ بثأر الأمام الحسين (عليه السلام) فقد كتب إليه سليمان بن صرد الخزاعي يدعوه للانضمام لحركتهم والاستعداد للمعركة مع الأمويين في وقت كان التوابون يدعون سراً ثقات الشيعة ومخلصيهم، فأجابه سعد بن حذيفة بن اليمان: «بسم الله الرحمن الرحيم إلى سليمان بن صرد، من سعد بن حذيفة ومن قبله من المؤمنين؛ سلام عليكم، أما بعد، فقد قرأنا كتابك، وفهمنا الذي دعوتنا إليه من الأمر الذي عليه رأي الملأ من إخوانك، فقد هديت لحظك، ويسرت لرشدك، ونحن جادون مجدون معدون مسرجون ملجمون، ننتظر الأمر ونستمع الداعي، فإذا جاء الصريخ أقبلنا ولن نعرج إن شاء الله، والسلام» (١)

ولما علم سعد بن حذيفة بخروج سليمان خرج من المدائن ومعه مئة وسبعون من أهلها، يجدون السير للّحوق بهم، وأرسل ثلاثة من فرسانه وأوصاهم بأن يسبقوهم ويطووا المنازل ليبشروهم بخروج أهل المدائن، وأهل البصرة بقيادة المثنى بن مخرمة العبدي في أثرهم، فوصل رسل سعد بن حذيفة ومعركة عين الوردة (عام ٦٥هـ) محتدمة فقاتلوا مع التوابين وأعلموهم بقدوم أهل المدائن وأهل البصرة في أثرهم لكن استشهاد قادة التوابين وانسحاب من

-٩٣٨م)، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٢م، ج٤، ص٨١؛ ابن حبان، الثقات، ج٤، ص٢٩٣؛ الطوسي، رجال الطوسي، ج٢، ص٣٠٥؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٠، ص١٧٨؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج٧، ص ٢٢١ الشاهرودي، مستدركات علم الرجال، ج٤، ص٢٧.

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٧٦.

تبقى منهم باتجاه العراق فوت عليهم المشاركة في معركة عين الوردة فالتقوا معهم في الطريق في قرية تسمى صندوداء[١]، فاستقبل سعد بن حذيفة والمثنى ابن مخرمة من تبقى من التوابين وعزوهم على شهدائهم وبقوا في تلك القرية يوماً وليلة ثم واصلوا مسيرهم إلى العراق[٢]، وبعد عودهم اتصلوا بالمختار وبايعوه فكان سعد بن حذيفة أحد قادهم، ومن أوائل الذين بايعوه على الثورة والأخذ بثأر الإمام الحسين (عليه السلام)، ويبدو أن المختار قد أوكل بعض المهام إلى سعد بن حذيفة إضافة إلى ولاية حلوان فقد جاء في بعض الروايات أن سعداً كان معه ألفا فارس بحلوان فخصص له المختار ألف درهم في كل شهر، وأمره بقتال الأكراد، وإقامة الطرق، وإصلاح السابلة، وكتب إلى عماله على الجبال أن يحملوا أموال كورهم إلى سعد بن حذيفة بن اليمان بحلوان[٣].

وجاء في رواية أخرى أنه جعل ابن مالك البكراوي والياً على ماسبذان[٤]،

---

١ - صندوداء: وهي قرية في طريق الشام فيها قوم من كندة وأياد. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٢٥.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٦ -٢٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦١٥ -٦١٧.

٣ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٤٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٣؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٠٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١١؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣١؛ الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٦، ص٣٦٣.

٤ - ما سبذان: ناحية أجتمع فيها الفرس بعد أن فتح المسلمون حلوان فأرسل إليهم سعد بن أبي وقاص جيشاً فأنتصر عليهم وملكها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٤١.

وحلوان[1]، والظاهر أن حلوان ضمت بعد ولاية سعد عليها إلى ماسبذان لأن المختار ربما يستدعي بعض ولاته وثقاته لتكليفهم ببعض المهام الأخرى في دولته أو الاستعانة بهم في الحروب التي تميزت بها تلك الفترة، وذكر ابن أعثم الكوفي أن المختار بن أبي عبيد أمر لعبد الرحمن بن أبي عبيد أبو الكنود الذي قتل شمر بن ذي الجوشن بعشرة آلاف درهم وولاه أرض حلوان[2]، ويظهر أن هذا الشخص كُرم من قبل المختار بولاية حلوان بعد قيامه بقتل شمر الذي يُعد من عتاة قتلة الإمام (عليه السلام).

٥- ولاية المدائن وأرض جوخى

تقع المدائن في وسط العراق بالقرب من بغداد الحالية، وقد كانت عاصمة للدولة الساسانية، وفي عهد الإمام علي (عليه السلام) أصبحت المدائن ولاية مستقلة نتيجة لأهميتها من الناحيتين الاقتصادية والسياسية، فضلاً عن إنها خط متقدم في مواجهة هجمات الأمويون في بلاد الشام آنذاك، وكان من بين ولاتها الأقوياء سعد بن مسعود الثقفي عم المختار الثقفي الذي استمر في ولايته طوال خلافة الإمامين علي والحسن (عليهم السلام)[3].

ومن المناطق التي انضوت تحت ولاية المدائن هي أرض جوخى، وهي

---

١ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٦٨.

٢ - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٦٧.

٣ - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٧٤-٧٥؛ الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص٢٩٥.

من المدن الخراجية المهمة لدى الفرس قبل الإسلام، فهي كوره واسعة من سواد بغداد بالجانب الشرقي تقع على نهر جوخى [١]، ولما خضعت المدائن والمناطق التابعة لها لدولة المختار بعث المختار على المدائن وعلى أرض جوخى إسحاق بن مسعود [٢]، بينما ذكر الدينوري [٣] بأنه جعل زحر بن قيس على جوخى، وزحر هذا من أصحاب الإمام علي (عليه السلام) وله مواقف مشهودة يوم الجمل وصفين وكان مبعوثاً له للخوارج وغيرهم، وحين أستشهد الإمام علي (عليه السلام) كان قائداً لأربعمائة من أهل العراق بعثهم الإمام علي (عليه السلام) إلى المدائن رابطة، ولما أستشهد الإمام (عليه السلام) أمرهُ الإمام الحسن (عليه السلام) بأخذ البيعة له من قبله [٤]، لكن هناك بعض الروايات أشارت إلى أن زحر بن قيس هذا بعثه عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية برأس الإمام الحسين (عليه السلام)، وله كلام قبيح ينال من الإمام (عليه السلام) وأصحابه بحضرة يزيد بن معاوية[٥].

---

١ - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٧٩؛ العيساوي، النظم الإدارية والمالية، ص٧٣؛ الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص٢٩٥ -٢٩٦.

٢ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٤٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١١؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣١.

٣ - الأخبار الطوال، ص٢٦٨.

٤ - الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٩، ص ٥١٦ -٥١٧؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٨، ص٤٤٣ -٤٤٦.

٥ - المفيد، الإرشاد، ص٢٣٣ -٢٣٤؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٨، ص٢٤٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٢٥؛ الشاهرودي، مستدركات علم رجال الحديث، ص٤٢١.

وعقب ابن العديم[1] على رواية ابن عساكر فقال: «والذي يقع لي أن الذي قدم برأس الحسين على يزيد هو غير زحر بن قيس الجعفي، فإن الجعفي شهد صفين مع علي رضي الله عنه، وقدمه على أربعمئة من أهل العراق، وبقي بعده مؤمراً، وأمره الحسن رضي الله عنه بأخذ البيعة له، وكان شريفاً في قومه، فيُبعدْ عندي أن يقاتل الحسين ويخرج برأسه ويحضر بين يدي يزيد، ويقول ما قال؛ قول متشف، وقد وافق الجعفي في اسمه وأسم أبيه وفي كونه من الكوفة، فظن أبو القاسم الحافظ أنّه الجعفي وليس به، والله اعلم»[2]

ومن خلال ما تقدم يمكن القول إنّ رواية الدينوري التي ذكرت أن المختار ولى زحر بن قيس أرض جوخى التابعة للمدائن غير دقيقة لأن المصادر الأخرى لم تشر إليها، ولا نرى أن المختار يقدم على ذلك، فمن غير المنطقي أنه يقوم بتولية شخص حمل رأس الحسين (عليه السلام) إلى يزيد بن معاوية وقال ما قاله في مجلس يزيد، وكل من له علاقة بقتل الحسين (عليه السلام) أما قُتل أو هرب إلى البصرة أو اختفى عن الأنظار خوفاً من المختار وأنصاره، ويبدو أن اسم زحر بن قيس تداخل مع اسم آخر يحمل الاسم نفسه أو قريباً منه فوقع خلط بين الأسماء، وربما صحف هذا الاسم كغيره من الأسماء التي

---

١ - هو عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد المعروف بابن العديم، أديب وكاتب وشاعر ومؤرخ وفقيه ومحدث ولد بحلب عام (٥٨٦هـ) وتوفي عام (٦٦٠هـ). ينظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت:١٠٦٧هـ-١٦٥٦م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ج١، ص٣٠؛ وج٢، ص١٠٩٠؛ كحاله، معجم المؤلفين، ج٧، ص٢٧٥-٢٧٦.

٢ - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٨، ص٤٤٥، (هامش المحقق).

صحفت في النقل أو الكتابة.

وأما البهقباذات التي تقع إلى الجنوب الغربي من بغداد وهي تابعة إدارياً لولاية المدائن، وتتكون من ثلاث مناطق زراعية تسمى البهقباذ الأسفل والأعلى والأوسط، ولها العديد من النواحي الزراعية[١]، فأستعمل المختار قدامة بن أبي عيسى بن ربيعة النصري حليف ثقيف على بهقباذ الأعلى، ومحمد بن قرظة بن كعب على بهقباذ الأوسط وهو ابن قرظة بن كعب الأنصاري الذي أستعمله الإمام علي (عليه السلام) على الكوفة في بداية خلافته[٢]، وعندما ذكر بعض أهل الذمة للإمام علي (عليه السلام) أن نهراً في أرضهم قد عفا وادّفن كتب له كتاباً يوصيه بإصلاحه قائلاً: «فلعمري لأن يعمروا أحب إلينا من أن يخرجوا، وأن يعجزوا أو يقصروا في واجب من صلاح البلاد»[٣]، وكتاب الإمام علي (عليه السلام) ينم عن بديهيات عدالته في جباية الخراج «لأنه كان يرى أن أموال الخراج، لا يمكن الحفاظ عليها بدون العناية بالفلاح والأرض»[٤]، وأستعمل المختار على بهقباذ الأسفل حبيب بن منقذ الثوري[٥].

١ - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص٥١٦؛ العيساوي، النظم الإدارية والمالية، ص٧٣-٧٤؛ الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص٢٩٨.

٢ - خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٠٢.

٣ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٤١.

٤ - الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص١١٤.

٥ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٤٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٣؛ الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٦، ص٣٦٣.

٦- ولاية أصبهان وقم وإعمالها

يطلق اسم أصبهان على إقليم كامل كما يطلق على مدينة عامرة مشهورة تقع في نواحي الجبل، وتعني بالفارسية بلاد الفرسان، وهي صحيحة الهواء نفيسة الجو، ذات مساحة شاسعة، تكون من ثمانين فرسخاً في مثلها،وفيها ستة عشر رستاقاً كل رستاق يتكون من ثلاثمائة وستين قرية، فتحها المسلمون صلحاً عامي ثلاثة وعشرين وأربعة وعشرين للهجرة[١].

أما قم فهي كلمة فارسية، وأسم لمدينة قريبة من أصبهان، وقيل إنها مدينة مستحدثة لا أثر للأعاجم فيها، تشتهر بعذوبة مياه آبارها وكثرة الأشجار والفواكه فيها، فتحها المسلمون في سنة (٢٣هـ) بقيادة أبي موسى الأشعري[٢]، وأسهب ياقوت الحموي[٣] في ذكر تشيع أهلها، وأنّ سكانها كلهم شيعة إمامية لا يوجد غيرهم فيها، أما ولاية أصبهان تابعة إدارياً لولاية الكوفة فاستعمل المختار عليها وعلى قم وأعمالها يزيد بن معاوية البجلي[٤].

٧- مدينتا الري ودستبي

تقع الري إلى الغرب من مدينة همدان وشمال مدينة خراسان وهي تابعة إدارياً لمدينة الكوفة، فهي مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن،كثيرة

---

١ - البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٣٦ -٤٣٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٠٦ - ٢١٠.

٢ - البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٣٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٧-٣٩٨.

٣ - معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٧-٣٩٨.

٤ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٦٨.

الفواكه والخيرات، فتحها المسلمون أثناء خلافة عمر بن الخطاب وذلك بعد فتح نهاوند بشهرين في سنة عشرين للهجرة وقيل في سنة اثنتين وعشرين للهجرة[١]، بينما دستبي كورة كبيرة مقسومة بين الري وهمدان، يسمى قسم منها دستبي الري وتضم أكثر من تسعين قرية، وتتكون دستبي همدان من عدة قرى[٢]، أستعمل المختار على الري ودستبي يزيد بن أبي نجبة الفزاري[٣]، وفي رواية ابن نما الحلي أنه استعمل عليهما عمر بن السائب[٤]، ويبدو أنّ المختار على الرغم من قصر فترة حكمه يعزل بعض الولاة أو يستدعيهم لمهام أخرى ويعين مكانهم آخرين، وربما هذا يفسر لنا ذكر بعض المؤرخين لأكثر من والي على بعض المدن.

أما القضاة في عهد المختار فذكرت الروايات التاريخية أنه تصدى للقضاء في الأيام الأولى لدولته، وأقبل يجلس للناس غدوة وعشية، ثم إنّه قال: «والله إن لي فيما أزاول وأحاول لشغلاً عن القضاء بين الناس»[٥]، وهذا يعني أنه قام بالقضاء عندما لم تكن لديه مسؤوليات كبيرة لكن عندما تعارضت أعمال

---

١ - خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص١٥١؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٤٣-٤٤٥؛ البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت: ٤٨٧هـ -١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م، ج٢، ص٦٩٠.

٢ - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٥٤.

٣ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٦٨.

٤ - ذوب النضار، ص١١٠.

٥ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٤٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١٢.

إدارة الدولة وشكلت عليه عبئاً أثقل كاهله عن إدارتها وقيادة الحروب التي إتسمت بها تلك الفترة، فوصف ذلك ابن نما الحلي[١] بالقول: «وكان - المختار - يحكم بين الخصوم حتى أشغلته أموره». فاعتزل مهمة القضاء وأسندها للقاضي شريح بن الحارث الكندي[٢].

ويتضح أن المختار كان على درجة كبيرة من العلم في القضاء فعلى الرغم من أن أعداءَه تتبعوا كل شاردة وواردة للنيل منه واجتهدوا في خلق الأباطيل إلا أننا لم نجد من يطعن في فترة توليه القضاء في الكوفة، وشريح بن الحارث الكندي، يُعد من كبار التابعين، تولى القضاء في الكوفة في زمن عمر وعثمان والإمام علي (عليه السلام)، وقيل إنّ الإمام علي (عليه السلام) عزله ثم أعاده[٣]، ويبدو أنه نفاه فيما بعد إلى بانقيا[٤] يقضي بين اليهود لمدة شهرين، لكن استشهاد الإمام (عليه السلام) حال دون تنفيذ نفي شريح لتلك القرية، فلما جاء المختار وعلم بذلك قال له: «فلا والله لا تقعد، حتى تخرج إلى بانقيا تقضي بين اليهود، فسيره إليها فقضى بين اليهود شهرين»[٥]، ويظهر أن المختار

---

١ - ذوب النضار، ص١١٠.

٢ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٤٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١٢.

٣ - بن خياط، تارخ خليفة بن خياط، ص٢٠٠.

٤ - وهي من نواحي الكوفة، تنقل اليهود موتاها إليها، ويسكنها بعض اليهود، وفتحت صلحاً وكتب المسلمون لهم عهداً بذلك. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٣١-٣٣٢.

٥ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٢، ج٤، ص٢٩٨؛ الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٦، ص٣٦٥.

حين علم بموقف أهل الكوفة الرافض لتنصيبه، وحكم الإمام علي (عليه السلام) عليه بالنفي، نفاه إلى بانقيا بعد أن استعمله مدة قصيرة على القضاء. ثم تولى شريح القضاء زمن الأمويين على الكوفة، وتوفي سنة ثمان وسبعين، وولي القضاء سبعاً وخمسين سنة[١].

وهناك من المؤرخين من يرى غير ذلك في إسناد القضاء إلى شريح فيرى الخوارزمي[٢] أن المختار كان يقضي بين الخصوم«فإذا أعاقه عائق أمر شريحاً أن يجلس فيقضي»، يتضح من هذه الرواية أن شريح القاضي كان يساعد المختار في القضاء في حالة خروج المختار من الكوفة للقتال أو في مهمة معينة، في حين ذكر وكيع[٣] ذلك فقال: «إنّ شريحاً كان قاضياً زمن عبد الله بن مطيع فلما جاء المختار أقره»، ويبدو أن شريحاً لم يتسن له التصدي للقضاء في الكوفة في ظل دولة المختار إلا لفترة محدودة، فقد اعترض عليه أهل الكوفة، وطلبوا من المختار أن يعزله وذكروا أربعة أسباب دعتهم إلى ذلك؛ أولها: أنه عثماني، وثانيها: أنه شهد على حجر بن عدي، وثالثها: أنه لم يبلغ عن هانئ بن عروة ما أرسله به، ورابعها: أن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) عزله عن القضاء[٤]

١ - وكيع، أخبار القضاة، ص٤٧١ -٤٧٢؛ وينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٢٥٢ -٢٦٥.

٢ - مقتل الحسين، ج٢، ص٢١٨.

٣ - أخبار القضاة، ص٤٧١.

٤ - وكيع، أخبار القضاة، ص٤٧١؛ وينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٤٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٤ -١٥؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣١ -٣٢؛ العاصمي، عبد الملك بن حسين (ت:١١١١هـ - ١٦٩٩م)، سمط النجوم ←

ويتبين من اعتراض أهل الكوفة على تولي شريح للقضاء التوجه العام للناس زمن دولة المختار في ذلك الوقت، فقد تمحور جل اعتراضهم على شريح بموقفه من الأمام علي (عليه السلام) خاصة ومن أنصار آل البيت بشكل عام. وما أن علم شريح بموقف أهل الكوفة منه فأستبق الأمور وتمارض وأعتزل القضاء لمعرفته المسبقة بان المختار سوف يقوم بعزله.

تولى القضاء بعد شريح عبد الله بن عتبة الهذلي [١]، ويكنى أبو عبد الرحمن[٢] وهو ابن أخي الصحابي عبد الله بن مسعود[٣]، ومن كبار التابعين في المدينة [٤]، كان ثقة رفيعاً كثير الحديث والفتيا، ويُعد من الفقهاء[٥]، استعمله عمر بن الخطاب على سوق المدينة[٦] ثم سكن الكوفة[٧] فكان يؤم الناس فيها[٨]، ويبدو أنّه لم يستمر طويلاً في قضاء الكوفة سوى أياماً، ثم

العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ج٣، ص٢٣٢؛ الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٦، ص٣٦٥.

١ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٤٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١٢.

٢ - ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٦٢.

٣ - ابن حبان، الثقات، ج٥، ص١٧ -١٨.

٤ - العجلي، أحمد بن عبد الله بن صالح (ت: ٢٦١هـ - ٨٧٢م)، معرفة الثقات، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ، ج٢، ص٤٦.

٥ - ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٦٢؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، اعتنى به: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥م، ج٢، ص٣٨١.

٦ - ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج٢، ص٣٨١.

٧ - ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٦٢.

٨ - ابن حبان، الثقات، ج٥، ص١٧ -١٨.

تمارض[١]، فعزله المختار عن قضاء الكوفة، توفي عبد الله بـن عتبـة في خلافـة عبد الملك بن مروان (٦٥هـ-٨٦هـ) سنة أربع وسبعين للهجرة.[٢]

ثم تولى القضاء للمختار في الكوفة عبـد الله بـن مالـك الطـائي[٣]، وهـو أحـد رجـال التـوابين عنـد بـدء حركتـهم للأخـذ بثأر الإمـام الحسين (عليـه السلام)، فقد بعثه سليمان بن صرد الخزاعي إلى سعد بـن حذيفـة بـن اليمـان بكتاب دعاه فيه إلى مؤازرة التوابين ونصرهم فأجابه سـعد إلى ذلـك، فرجـع عبد الله بن مالك إلى سليمان بكتاب سعد وأهل المدائن يؤيدوهم ويبلغـوهم بأهم رهن إشارهم متى أرادوا النهوض لأخذ الثأر[٤].

ويبدو أن عبد الله بن مالك الطائي كـان مـن رجـال الـشيعة المتحمـسين لأخذ الثأر، وموضع ثقة قادة التـوابين، فقـد كانـت تلـك الكتـب الـتي بعثهـا التوابـون حينـها وهـم يحيطـون دعـوهم الـسرية الكاملـة وينتظـرون الفرصـة المناسبة لإعلان ثورهم، حيث إن السلطة الأموية كانت تتمتع بقوة مـا زالـت فيها تفرض سيطرها على أغلب ولايات ومدن الدولة، والظـاهر أن عبـد الله استمر في منصب القضاء حتى هاية دولة المختار فلم تشر المصادر التاريخيـة إلى أن المختار قد عزل عبد الله بن مالك الطائي عن القضاء وولى غيره.

١ - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢١، ص٣١٦.

٢ - ابن حبان، الثقات، ج٥، ص١٧ -١٨.

٣ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٤٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٣؛ ابن عـساكر، تاريخ دمشق، ج٢١، ص٣١٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥١؛ النـويري، هاية الأرب، ج٢١، ص١٢

٤ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٢٥٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص٣٧٦.

المبحث الثاني: القصاص من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) واحقاق الحق

يُعد القصاص من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) من أهم المواضيع التي تتعلق بسيرة المختار الثقفي، وذلك لأنه أعلن دولته بناءً على المفهوم المتقدم، ويبدو أن فكرة القصاص من الذين شاركوا في قتل الإمام الحسين (عليه السلام) قد راودت المختار منذ فترة مبكرة، والدليل على أنّها مبكرة هو محاربة قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) له ومحاولتهم عدم بقائه في الساحة لذلك عملوا على سجنه وما شابه ذلك، وفي السجن وجد المختار ميثم التمار[1] مسجوناً قبله، وكان ميثم من أصحاب الإمام (عليه السلام)

١ - هو ميثم بن يحيى التمار من أسرى فارس، كان عبداً لامرأة من بني أسد اشتراه الإمام علي (عليه السلام) منها وأعتقه، فقال له الإمام (عليه السلام) ما أسمك فقال :أسمي سالم فقال له : أخبرني رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أن اسمك ميثم في بلاد العجم، فقال صدق الله ورسوله وصدقت يا أمير المؤمنين، فقال له الإمام (عليه السلام) : فارجع إلى اسمك، سجنه عبيد الله بن زياد قبل مقدم الإمام الحسين (عليه السلام) مع كثير من أنصار آل محمد، وهو أول من اُلجم في الإسلام، وكان مقتله قبل وصول الإمام الحسين (عليه السلام) بعشرة أيام. ينظر : المفيد، الإرشاد، ص١٦٢ -١٦٣ ؛الطبرسي، أعلام الورى، ←

الذين يحملون عنه العلم (١)، حيث أطلعَهُ على علم كثير وأسرار خفية (٢)، وكان ميثم يحدث أهل الكوفة بذلك، فمما قاله لهم: «والله لتقتل هذه الأمة ابن نبيها في محرم لعشر يمضين منه وليتخذن أعداؤه ذلك اليوم بركة وأن ذلك لكائن قد سبق في علم الله تعالى ذكره، أعلم ذلك بعهدٍ عهده إليَّ مولاي أمير المؤمنين» (٣)، ويرى أحد الباحثين (٤) أن الإمام علياً (عليه السلام) نَفثَ إليه بالعديد من الروايات التي تحدثت عن الملاحم والفتن النازلة على أهل بيته والمسلمين عامة وما سيلاقونه من الجور والعنت.

وذكرت الروايات التاريخية أنّ ميثم أخبر المختار وهو في السجن أنه سيخرج من السجن ويطأ بقدمه على رأس عبيد الله بن زياد، وأنه سيقتل

ص١٨٢-١٨٣؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج١، ج٢، ص٤٢٣-٤٢٥؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ص٢٤٩-٢٥٠؛ البراقي، تاريخ الكوفة، ص٣٠٤-٣٠٧؛ الخوئي، معجم رجال الحديث، ج٢٠، ص١٠٣-١١٢؛ الشاكري، حسين، الأعلام من الصحابة والتابعين، الطبعة الثانية، قم، ١٤١٨ هـ، ج٦، ص٧٨-١٠٦، الزركلي، الأعلام، ج٧، ص٣٣٦.

١ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٤٩.

٢ - ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج١، ج٢، ص٤٢٣.

٣ - الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص٢٢٨؛ المجلسي، بحار النوار، ج٤٥، ص ٢٠٢؛ البحراني، علوم العوالم، ص٤٥٦؛ الطبسي، نجم الدين، صوم عاشوراء بين السنة النبوية، والبدعة الأموية، منشورات العهد، قم، ١٤٢٢هـ، ص١٢٦؛ الشاهرودي، علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، تحقيق: حسن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٩هـ، ج٧، ص٢٣٧؛ الشاكري، الأعلام من الصحابة والتابعين، ج٦، ص١٠٣.

٤ - نصار، الملاحم في الفكر العربي والإسلامي، ص٢٤٣-٢٤٤.

قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) وسيشفي غليل محبي آل محمد [١]، وذكر بعض المؤرخين [٢] أنّ المختار خرج من سجن ابن زياد في طريقه للحجاز وهو يقول: والله لأقطعن أنامل ابن زياد ولأقتلن بالحسين بن علي عدد من قتل بدم يحيى بن زكريا، ممنياً نفسه بأن يكون هو من قصده الإمام الحسين (عليه السلام) في دعائه على أعدائه يوم عاشوراء«أما إنّه لا تلبثون بعدها إلا كريث ما يُركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرحى، عهد عهده إليّ أبي عن جدي (صلى الله عليه واله وسلم)... اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة، فلا يدع فيهم أحداً قتلةً بقتلة، وضربة بضربة، ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم.».. [٣].

١ - المفيد، الإرشاد، ص١٦٢ -١٦٣؛ الطبرسي، أعلام الورى، ص١٨٣؛ ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص٦٩؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج١، ج٢، ص٤٢٤؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٢٥٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٥٣؛ البراقي، تاريخ الكوفة، ص٣٠٧؛ البحراني، علوم العوالم، ص٦٧٢؛ الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، ج٣، ص٢٤١؛ ومستدركات علم رجال الحديث، ج٧، ص٣٨٤؛ الشاكري، الأعلام من الصحابة والتابعين، ج٦، ص٦١ -٧٨.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٨٦ -٣٨٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٠٣؛ ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص٦٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٥٤؛ الأمين، محسن، أصدق الأخبار في قصة أخذ الثأر، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٣١هـ، ص٣٣؛ البحراني، العوالم، ص٦٧٣؛ التستري، قاموس الرجال، ج١٠، ص١٢؛ فلهاوزن، الخوارج والشيعة، ص١٩٨ -١٩٩؛ الحسني، الانتفاضات الشيعية، ص٣٤٠.

٣ - الخوارزمي، مقتل الحسين، ج٢، ص٧ -٨؛ ابن طاووس،اللهوف في قتلى الطفوف، ص٦٣.

يتضح من كلام الإمام (عليه السلام) أنّ مَن يقوم بالقصاص من قتلته من ثقيف وأنه يقتلهم انتقاماً له ولأوليائه وأشياعه، وهو ما يدحض قول البعض بأن المقصود بغلام ثقيف هو الحجاج الذي سُلط على أهل العراق لأن الأخير صبٍّ جم غضبه على الموالين لآل محمد فضلاً عن أن الإمام (عليه السلام) أشار إلى قُصر فترة بقاء هؤلاء فقال: (لا تلبثون بعدها إلا كريث ما يُركب الفرس) وهو ما حصل لهم فلم يطل بهم المقام حتى قتلهم المختار شر قتلة.

وهناك شواهد كثيرة تدل على أن المختار كان يريد الأخذ بثأر الإمام الحسين (عليه السلام)، فقد صرح بهذا الأمر مرات عدة حتى قبل خروج التوابين إلى عين الوردة، لذلك عندما عاد هؤلاء من المعركة وبايعوه اشترط في بيعته أن يبايعوه على الطلب بدماء أهل البيت [1].

وما قدمناه يجعلنا نتساءل لماذا تريث المختار في مسألة أخذ الثأر؟ وللإجابة على هذا التساؤل نحتاج أن نتعرف على طبيعة المجتمع الكوفي في تلك الحقبة فضلاً عن الظروف المحيطة بدولة المختار، فقد كان محاطاً بالأعداء

---

١ - ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٤٣؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٩٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٢؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٠٥؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج٢، ص٢١٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١١؛ ابن كثير، البداية والنهاية؛ ج١٢، ص١٣؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣١؛ الخطيب، دولة المختار، ص٢٤١، الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٦، ص٣٦٢؛ محمد، حركة المختار، ص٧٩.

من كل الجهات، فالأمويين أعداؤه الألداء يتربصون به من جهة الشام، وآل الزبير يجاورونه من جهة البصرة، وجهة ثالثة لا تقل خطراً عن هؤلاء وهم أشراف الكوفة وقتلة الحسين وشيعة آل أمية وآل الزبير الذين يهددون دولته من الداخل، فضلاً عن كون الدولة في بداية نشأتها؛ فحاول المختار أن يتريث قليلاً في القصاص من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) ويقرب الأشراف في انتظار الفرصة المناسبة، ولما رأى أن ذلك الأمر لم يرق لشيعة آل محمد وأنصاره لمح لهم أن المسألة مسألة وقت ليس إلا [١]، فطبيعة المجتمع الكوفي في تلك الحقبة كانت تحتم عليه التأني بعض الوقت، فالأشراف الذين شاركوا في قتل الإمام الحسين (عليه السلام) من العناصر البارزة في المجتمع بل إن بعضهم كان زعيماً لقومه فحين خرج بعض أهل الكوفة على المختار قالوا نجتمع في منزل شيخنا يقصدون شبث بن ربعي [٢]، وهو أحد قادة الجيش الذي قاتل الإمام الحسين (عليه السلام)، وسبق أن تطرقنا إلى قول المهلب بن أبي صفرة - قائد جيش مصعب بن الزبير لقتال المختار يوم المذار وحروراء - إلى محمد بن الأشعث: «أمثلك يا محمد يأتي بريداً» [٣]، فاستصغر على محمد هذا وهو من قتلة آل محمد أن يكون بريداً لمصعب.

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٢؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٥٧ - ٢٦٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٤.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٠.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٩٧؛ وينظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٣١؛ الأردكاني، ثورة المختار، ص٥٠٣.

فضلاً عن أنّ المجتمع الكوفي آنذاك كان منقسماً بين مؤيد لثورة المختار ومعارض لها ومحايد لا يميل لأحد الطرفين، وهذا التقسيم انعكس بدوره على أفراد القبيلة في موقفهم من ثورة المختار، ويمكننا أن نضرب عدة أمثلة على ذلك، فنجد المختار حذراً في مواضع كثيرة مراعياً خصوصية مجتمع الكوفة، فلما أبلغه أحد الموالي أن شِبث بن ربعي يوم السبيع قتل أسيراً لأنه مولى وأطلق سراح الآخر كونه عربي، كان ردّ المختار حاسماً«أسكت فليس هذا بمكان الحديث»[١]، وكذلك تعمد المختار في المعركة ذاتها إرسال إبراهيم بن الأشتر إلى قبائل مضر ولم يبعثه إلى قومه من أهل اليمن فأستحسن ذلك أبو مخنف فقال: «فنظر المختار، وكان ذا رأي، فكره أن يسير إلى قومه فلا يبالغ في قتالهم، فقال: سر إلى مُضر»[٢]، وكانت العصبية القبلية لها أثر واسع في مجتمع الكوفة، ويدل على ذلك قول عبد الله بن قراد الخثعمي أحد قادة المختار في واقعة جبانة السبيع: «والله إني لأحب أن يظهر المختار، ووالله إني لكاره أن يهلك أشراف عشيرتي اليوم، والله لأن أموت أحب إلي من أن يحل بهم الهلاك على يدي، ولكن قفوا قليلاً»..[٣]، فانتظر عسى أن يقوم غيره بقتالهم، وعلى الرغم من أن موقف شبام مع المختار لكنهم قالوا لبعضهم البعض يوم السبيع لو جعلتم جدكم على ربيعة ومضر وليس على أبناء جلدتكم، ولم يغير

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٤٧.

٢ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٦٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٢.

٣ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٦٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥٦.

موقفهم هذا إلا بعد أن استشهد قائدهم بقول الله تعالى: {قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً}[١][٢]، وحين جيء بأسرى السبيع أخذ أحد أصحاب المختار بإخلاء سبيل العرب منهم، فأثار ذلك حفيظة الموالي فتلافى المختار الموقف وأطلق من تبقى من الأسرى[٣].

ولا نريد الإسهاب في هذا الأمر كي لا نخرج من صلب الموضوع فالشواهد كثيرة على تداخل المواقف وتناقضها في بعض الأحيان في المجتمع الكوفي، فأغلب الكوفيين كان هواهم مع أهل البيت ومتعاطفون بشكل كبير مع مظلوميتهم، وعانوا بسبب ذلك الويلات على مر العصور فكانت الكوفة مؤهلة لمساندة ثورة المختار وغيرها على الرغم من تلك المواقف المتناقضة، ولو لم تكن كذلك لما ترك الإمام علي (عليه السلام) كافة أمصار الدولة ومدينة رسول الله وحاضرة الدولة في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان فجعل الكوفة عاصمة لدولته المترامية الأطراف، وكان جل جيشه يوم الجمل وصفين والنهروان من أهل الكوفة، فقد خاطبهم يوم الجمل قائلاً: «مرحباً بأهل الكوفة، بيوتات العرب ووجوهها، وأهل الفضل وفرسانها، وأشد العرب مودة لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ولأهل بيته»[٤] وصالح الإمام الحسن (عليه السلام) معاوية بن أبي سفيان وزهد في الخلافة من أجل الحفاظ

---

١ - التوبة: الآية ١٢٣.

٢ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٦٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥٧.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٥.

٤ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج١، ج٢، ص٣٥٦.

على دماء شيعته في الكوفة خاصة وفي غيرها من البلدان عامة، ورفض الإمام الحسين (عليه السلام) التوجه للقيام بنهضته إلى غير الكوفة، وحارب سليمان ابن صرد الخزاعي جيش الشام بالتوابين ولم يكن معه غير أهل الكوفة، ونهض المختار بهم، وحين أعلن زيد بن علي ثورته توجه للكوفة ولم يكن خلافه مع الأمويين فيها ولم يكن هو من ساكنيها [(١)].

وجاءت الأمور أسرع مما أراده المختار وكأن هناك أرادة إلهية أرادت التعجيل بتنفيذ القصاص من أولئك القتلة، فقد بعث المختار جيشه لقتال عبيد الله بن زياد وأهل الشام الذين تقدمت جيوشهم إلى الموصل وهي تنوي التوجه إلى الكوفة، فاستغل أشراف الكوفة وقتلة الحسين والمرتبطون ببني أمية وآل الزبير الموقف وأعلنوا تمردهم بهدف القضاء نهائياً على تلك الدولة الفتية، ولا يحتاج الأمر للكثير من التدقيق والتمحيص في معرفة نوايا المتمردين وهدف جيش الشام، ويمكن أن نكتفي بمعرفة قائد جيش الشام وقادة المتمردين في الكوفة ففي جبهة الشام كان قائد الجيش عبيد الله بن زياد والي الكوفة السابق الذي ولغ بدماء آل محمد، وقادة التمرد في الكوفة شمر بن ذي الجوشن وشبث ابن ربعي ومحمد بن الأشعث وغيرهم ممن كانوا أشد الناس على الإمام الحسين وأهل بيته (عليهم السلام)، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا عمر بن سعد قائد

---

١ - للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٧، ص١٠٩ -١١٧، ١٢٢ -١٢٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٤٢٢ -٤٣٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٩٩؛ المقرم، عبد الرزاق الموسوي، زيد الشهيد ابن الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، المكتبة الحيدرية، قم، ١٤٢٧هـ، ص١٤٢ -١٥٣.

جيش بن زياد يوم الطف فهو لم يشترك معهم والذي سنتطرق إلى موقفه فيما بعد، لكن المختار استطاع أن يقضي على ذلك التمرد وبوقت محدود، من خلال ما عرف عنه من حنكة سياسية وتجارب في الحروب ففي الوقت الذي فاوض المتمردين لكسب الوقت، أصدر أمره على وجه السرعة بعودة ابن الأشتر وجيشه للكوفة، فنفذ الأخير أمره وعاد للكوفة، وتغيرت موازين القوى على المتمردين وحلت بهم هزيمة منكرة قتل فيها من قتل وأسر الكثير منهم وهرب الآخرون وعلى الرغم من أن الكوفة كلها كانت مسرحاً للمعارك إلا أنّ تلك الوقعة سميت بجبانة السبيع لوقوع أشد المعارك فيها وأشرسها فكانت تلك الوقعة في ذي الحجة من سنة ست وستين للهجرة[١].

تنفيذ القصاص بقتلة الإمام الحسين (عليه السلام)

ذكرت بعض المصادر التاريخية أن وقعة جبانة السبيع سنة ست وستين للهجرة[٢] كانت السبب المباشر لبداية قيام المختار بتنفيذ القصاص من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) وذلك لقول المختار حين جيء له بخمسمائة من

١ - للتفاصيل ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٩٨-٤٠٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٠-٦٩؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٦٢-٢٦٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٥٧-٥٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥٤-٦٥٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١٢-١٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧-١٩؛ محمد، حركة المختار، ص٨٧-٩٠.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٩؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١١٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٩.

أسرى تلك المعركة: «أعرضوهم علي وانظروا كل من شهد منهم قتل الحسين فاعلموني به، فأخذوا لا يمرون عليه برجل قد شهد قتل الحسين إلا قيل له، هذا ممن شهد قتله، فيقدمه فيضرب عنقه، حتى قتل منهم قبل أن يخرج مائتين وثمانية وأربعين قتيلاً»[١]، ثم نادى منادي المختار «من أغلق بابه فهو آمن إلا رجلاً من شرك في دماء آل محمد (صلى الله عليه واله وسلم)»[٢].

وذكر الطبري[٣] في تاريخه بسنده عن أبي مخنف قول المختار بعد وقعة السبيع: «ما من ديننا ترك قوم قتلوا الحسين يمشون أحياءً في الدنيا آمنين! بئس ناصر آل محمد أنا إذا في الدنيا، أنا إذاً الكذاب كما سموني، فإني بالله أستعين عليهم، الحمد لله الذي جعلني سيفاً ضربهم به، ورمحاً طعنهم به، وطالب وترهم، والقائم بحقهم، أنه كان حقاً على الله أن يقتل من قتلهم، وأن يذل من جهل حقهم، فسموهم لي، ثم اتبعوهم حتى تفنوهم»، وفي رواية أخرى أنه قال «أطلبوا لي قتلة الحسين، فإنه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض منهم، وأُنقي المصر منهم»[٤]، وجاء في كتاب الفتوح[٥] أن أصحاب المختار أخذوا يفتشون الدور بعد وقعة السبيع ويخرجون «القوم إلى

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٥؛ ابن كثير البداية والنهاية، ج١٢، ص١٩.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥٧ - ٦٥٨.

٣ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٩؛ وينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٠٥؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١١٦ -١١٧.

٤ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٩.

٥ - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٦٣.

المختار مكتفين، فكان المختار كلما قدم إليه رجل يسأل عنه، فإذا كان ممن قاتل الحسين بن علي رضي الله عنه وشهد عليه بذلك أمر به فضربت عنقه صبراً، وإن كان من قتلة الحسين أمر به فقطعت يده، ومنهم من يقطع يده ورجله، ومنهم من يأمر به فيكبل بالحديد ويلقى في السجن».

ويبدو من خلال الروايات المتقدمة أن وقعة جبانة السبيع كانت البداية الحقيقية لتثبيت أركان دولة المختار، فبعد مرور عدة أشهر على قيام ثورته حاول المختار من خلالها وكما أسلفنا تثبيت أركان دولته وإرسال ولاته إلى الأمصار والمدن فضلاً عن موقفه المتذبذب مع آل الزبير الذي حاول المختار فيه جاهداً محاباتهم وتجنب الاصطدام معهم مؤقتاً على أقل تقدير، فهو منذ وثوبه بالكوفة يوجس خيفة من أن يهاجمه أهل البصرة والشام في وقت واحد، فتظاهر بموادعة ابن الزبير(١).

لقد عرف المختار هذه المخاطر التي تواجهه في الكوفة أو خارجها، كذلك فقد كان أعداء المختار من أشراف الكوفة يعرفون أن المختار كان حذراً جداً في تعامله الخارجي أو الداخلي، لذلك عولوا على هذه الظروف في القضاء على المختار ودولته دون الحاجة للتمرد عليه لكن المتمردين أمثال شبث بن ربعي ومحمد بن الأشعث وشمر بن ذي الجوشن رفضوا ذلك وقرروا أن يهاجموه في ما عرف بوقعة جبانة السبيع التي سبقت الإشارة إليها(٢).

---

١ - عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي، ج٢، ص١٢٣.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥٨ - ٦٥٩؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣٣.

ويبدو أن المختار بعد تلك المعركة وجد نفسه من القوة ما يمكنه من القيام بالقصاص من هؤلاء القتلة، وأصبح المجتمع الكوفي أكثر تهيوءاً في ظل تلك الظروف للقيام بذلك، وانتصار المختار في تلك الوقعة عزز ثقة الكوفيين به وبقدراته العسكرية لاسيما حين عاد إبراهيم بهذه السرعة للكوفة وربما وصل الأمر ببعضهم أن يعتقد أن المختار هو من أوهم المتمردين بأنه بقي وحيداً في الكوفة من أجل أن يغريهم بالكشف عن نواياهم الحقيقية لكي يكون ذلك مسوغاً له لقتالهم وأن الأمر لا يعدو كونه فخاً نصبه المختار لقتلة الإمام الحسين (عليه السلام) فوقعوا فيه.

وأشارت المصادر التاريخية إلى قيام المختار بالقصاص من قتلة الإمام الحسين فمنهم من أسهب في تفصيله في حين أوجز البعض الآخر ذلك، لكن أغلب المؤرخين ركزوا على قيام المختار بقتل الأشخاص الذين لعبوا دوراً بارزاً في قتال الإمام (عليه السلام) أمثال عبيد الله بن زياد والي الكوفة السابق، وعمر بن سعد بن أبي وقاص قائد الجيش الذي قاتل الإمام الحسين (عليه السلام) وشمر بن ذي الجوشن الذي حز رأسه الشريف، وغيرهم من أمثال هؤلاء المجرمين، ويمكن أنْ نوجز قيام المختار بتلك الخطوة بالآتي:

كان أول إجراء أتخذه المختار في تنفيذ القصاص بقتلة الإمام الحسين (عليه السلام) هو حين جيء له بأسرى وقعة جبانة السبيع فقتل منهم كل من شهد منهم قتل الإمام الحسين (عليه السلام) فكانوا مائتين وثمانية وأربعين قتيلاً من خمسمائة أسير[1]، في حين أطلق سراح الباقين بعد أن اخذ المواثيق

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٥؛ ابن كثير البداية والنهاية، ج١٢، ص١٩؛ ابن ←

عليهم أن لا ينصروا عليه عدواً، ولا يبغوه ولا أصحابه غائلة[1].

لكن هذا العدد الذي قتل من الأسرى لم يكن العدد الوحيد، فقد سبق وأن قتل في تلك المعركة أكثر من سبع مائة وثمانيين قتيلاً من قبائل اليمن وأصيب بضعة عشر من قبائل مضر[2]، ومن البديهي أن يكون اغلب هؤلاء القتلى ممن أشتركوا بدم الإمام الحسين (عليه السلام) فهم كانوا بإمرة وقيادة شمر بن ذي الجوشن وشبث بن ربعي ومحمد بن الأشعث وغيرهم من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام).

قتل قادة الجيش الذي قاتل الإمام الحسين (عليه السلام)

يُعد شمر بن ذي الجوشن من أهم الشخصيات في الجيش الذي أرسله عبيد الله بن زياد لقتال الإمام الحسين (عليه السلام)، لعب دوراً قبيحاً في واقعة الطف وكان من أشد المحرضين على قتال الإمام (عليه السلام) وأهل بيته، فتذكر الروايات التاريخية أن شمراً كان من بين الذين هربوا بعد معركة جبانة السبيع فبعث المختار غلاماً له في أثره لكنه أستطاع أن يقتله، ثم استقر في قرية يقال لها الكلتانية[3] على شاطئ نهر وإلى جنب أحد التلول، ومنها

خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣٣.

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥٧؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣٣.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٨ -٦٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٩.

٣ - وهي قرية بين السوس والصيمرة، ويظهر أنها في الطريق بين الكوفة والبصرة، قتل فيها الشمر بن ذي الجوشن ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٧٦.

بعث بكتاب عنونه للأمير مصعب بن الزبير من شمر بن ذي الجوشن، بيد أحد علوج القرية، فوقع الكتاب في يد أصحاب كيسان أبي عمرة الذي كان بعثه المختار في مسلحة بين الكوفة والبصرة، فلم يبعد مكان شمر عنهم سوى ثلاثة فراسخ، فساروا إليه ليلاً حتى ظفروا به وتمكنوا من قتله، فكان الذي قتله عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود [١].

وأورد الدينوري مقتل شمر بصيغة أخرى فذكر: أن المختار بعث أكثر من مائة فارس على الخيل العتاق بقيادة أحد الموالي إلا أنهم أخفقوا في قتله[٢]، لكن أحمر بن شميط أحد قادة المختار أرسل إليه خمسين فارساً إلى مخبئه في المذار بين واسط والبصرة فقتلوه هو ومن معه [٣].

ويبدو أن رواية أبي مخنف أقرب للواقع من رواية الدينوري التي صورت الشمر بطلاً استطاع أن يتغلب على مئة فارس على الخيل العتاق، وكذلك جعلت منه ذا أنفة من أن يأتي البصرة فيشمتوا به، فضلاً عن أن روايات أبي مخنف في هذا الشأن مستقاة في أغلب الأحيان من أهل الكوفة التي هي مسرح تلك الأحداث.

---

١ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٦٦-٣٦٨؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٠٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٦-٦٧؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٦٥-٢٦٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥٨-٦٥٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١٤-١٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٢٠-٢١؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣٣؛ ماجد، التاريخ السياسي، ج٢، ص١٢٢.

٢ - الأخبار الطوال، ص٢٧٦.

٣ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٧٩.

وروى النويري[١] مقتل شمر بن ذي الجوشن قال: «والذي قتله عبد الرحمن بن أبي الكنود، وألقى جيفته للكلاب»، بينما قال ابن خلدون[٢]: «فقتله وألقى شلوه[٣] للكلاب».

واستطاع المختار أن يقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص قائد جيش عبيد الله بن زياد الذي رمى أول سهم تجاه معسكر الحسين وقال: «أشهدوا لي عند الأمير عبيد الله بن زياد أني أول من رمى بسهم إلى عسكر الحسين بن علي»[٤]، ومن الملاحظ أن عمر بن سعد لم يشترك في وقعة جبانة السبيع مع متمردي الكوفة، وأنه أستطاع أن يحصل على أمان من المختار في بداية نشوء دولته والذي أخذ الأمان له هو عبد الله بن جعده بن هبيرة[٥] الذي وصفه أبو مخنف[٦] بأنه «أكرم خلق الله على المختار لقرابته بعلي».

---

١ - نهاية الأرب، ج٢١، ص١٥.

٢ - تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣٣.

٣ - الشلو: بقية الشي، والشلو من الحيوان جلده وجسده. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٢٠٨٢.

٤ - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٥، ص١٠٠-١٠١؛ المفيد، الإرشاد، ص٢٢٥؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٦٣.

٥ - هو عبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومي، أمه أم الحسن أخت الإمام علي (عليه السلام)، فتح العديد من مدن خراسان، كان له مكانة خاصة عند المختار لقرابته من الإمام علي (عليه السلام) وهو من أخذ الأمان لعمر بن سعد. ينظر: الشاهرودي، مستدركات علم الرجال، ج٤، ص٤٩٩.

٦ - مقتل الحسين، ص٣٧٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧١؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١١٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٢.

وأورد بعض المؤرخين [١] نص الأمان الذي كتبه المختار وهو: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا آمان من المختار بن أبي عبيد، لعمر بن سعد بن أبي وقاص. إنك آمن بأمان الله على نفسك ومالك، وأهلك وأهل بيتك وولدك، لا تُؤاخَذ بحدث كان منك قديماً، ما سمعت وأطعت ولزمت رحلك وأهلك ومصرك. فمن لقي عمر بن سعد من شرطة الله وشيعة آل محمد ومن غيرهم من الناس، فلا يعرض له إلا بخير. شهد السائب بن مالك، وأحمر بن شميط، وعبد الله بن شداد، وعبد الله بن كامل، وجعل المختار على نفسه عهد الله وميثاقه ليفين لعمر بن سعد بما أعطاه من الآمان إلا أن يحدث حدثاً، وأشهد الله على نفسه وكفى بالله شهيداً».

لكن الأمور الواردة في هذا النص فيها مبالغات كثيرة، ومن الملاحظ عليه أن تلك المبالغة في صياغته لصالح عمر بن سعد وكأنه في موقف من القوة فرضت أن تكون صياغة الكتاب بهذا الشكل، وربما تفسير ذلك أنّ المختار وكما أشرنا سابقاً حاول في بداية تأسيس دولته وتثبيت أركانها مهادنة أشراف الكوفة وزعمائها حتى يتسنى الوقت الملائم له.

أما كيفية قتل عمر بن سعد فقد اختلف المؤرخون فيه فنقل بعضهم [٢] عن أبي مخنف أن الذي «هيج المختار على قتل عمر بن سعد، أنّ يزيد بن

١ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٧٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧١-٧٢؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١١٨ -١١٩؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣٤.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٢-٧٣؛ الازدي، تاريخ الموصل، ج١، ص١١١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٢ -٦٦٣؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣٤.

شراحيل الأنصاري[1] أتى محمد ابن الحنفية فسلم عليه، فجرى الحديث، إلى أن تذاكروا المختار وخروجه وما يدعو إليه من الطلب بدماء أهل البيت، فقال محمد ابن الحنفية: على أهون رسله، يزعم أنه لنا شيعة وقتلة الحسين جلساؤه على الكراسي يحدثونه. قال: فوعاها الآخر منه، فلما قدم الكوفة أتاه فسلم عليه؛ فسأله المختار: هل لقيت المهدي؟ فقال له: نعم. فقال: ما قال لك وما ذاكرك؟ قال: فخبره الخبر. قال: فما لبث المختار عمر بن سعد وأبنه أن قتلهما، ثم بعث برأسيهما إلى ابن الحنفية».

ويتبين مما تقدم أن المختار كان على اتصال مع محمد ابن الحنفية سواء بشكل مباشر أم غير مباشر، وأن المختار كان حريصاً على معرفة ما يجول بخاطر ابن الحنفية وعما يرغب به، وربما هناك اتصالات بالطريقة نفسها مع الإمام زين العابدين (عليه السلام) لكن الوضع السياسي الموجود آنذاك لا يسمح بالتصريح بتلك الأمور لما يتبع ذلك من مخاطر في ظل دولة بني أمية وآل الزبير.

أما في كيفية قيام المختار بنقض الأمان الذي أعطاه لعمر بن سعد فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية أن المختار أستخدم ذكاءه وحنكته السياسية في

---

١ - هو يزيد بن شراحيل الأنصاري أحد شهود الإمام علي (عليه السلام) حين قدم الكوفة فنشد الناس من سمع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، فانتدب له بضعة عشر رجلاً منهم يزيد بن شرا حيل الأنصاري فشهدوا بذلك. ينظر: ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٢، ص٢٦٦؛ ابن حجرالعسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٥٠٤؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج٧، ص١٠١.

ذلك، فذكر الطبري[١] في تاريخه بسنده عن أبي مخنف أن المختار قال وهو يحدث جلساءه يوماً: «لأقتلن غداً رجلاً عظيم القدمين، غائر العينين، مُشرف الحاجبين، يسرّ مقتله المؤمنين والملائكة المقربين»، وكان المختار يعلم أن هناك من يوصل ذلك لعمر بن سعد، فكان الهيثم بن الأسود النخعي عند المختار فسمع هذه المقالة، وما أن عاد إلى بيته حتى بعث أبنه إلى عمر بن سعد يخبره بما سمع وأنه هو المعني في تهديد المختار، وعلى أثر ذلك خرج عمر بن سعد من بيته إلى حمام له في الكوفة، وبعد ذلك أخبر أحد مواليه بذلك فأجابه المولى: «وأي حدث أعظم مما صنعت! أنك تركت رحلك وأهلك وأقبلت إلى ها هنا، ارجع إلى رحلك، ولا تجعلن للرجل عليك سبيلاً، فرجع إلى منزله»[٢]، وبعد أن تحرر المختار من ذلك الأمان بعث أبو عمرة إليه فقتله، وجاء برأسه في أسفل خبائه، حتى وضعه بين يدي المختار، وكان ابنه حفص عند المختار فقال له: «أتعرف هذا الرأس؟ فاسترجع وقال: نعم، ولا خير في العيش بعده، قال له المختار: صدقت، فإنّك لا تعيش بعده. فأمر به فقتل»[٣]، ثم قال المختار: «هذا بحسين، وهذا بعلي بن حسين، ولا سواء، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملةً من أنامله»[٤]، ويبدو أن

---

١ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٢.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٢.

٣ - ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٧٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٢ -٦٦٣.

٤ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٢؛ الأزدي، تاريخ الموصل، ج١، ص١١١؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٢٠؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٥٣؛ ابن الأثير، ←

حفص بن عمر بن سعد من الذين شاركوا في قتال الإمام الحسين (عليه السلام) مع والده[١]، فضلاً عن أن بعض المصادر أشارت إلى وجود عقب له بالكوفة أخذ البعض الحديث عنه [٢]، وعَدّ ابن حجر العسقلاني [٣] أبا بكر بن حفص بن عمر بن سعد من وسط التابعين، مما يدل على أنه لم يكن صغير السن في واقعة الطف، فمن الطبيعي أنّه شارك والده في قتال الإمام (عليه السلام)، وأما قول المختار لو قتلت ثلاثة أرباع قريش....، يوضح تحامله عليها بسبب موقفها من آل محمد منذ وفاة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) حتى يومه فقد عاصر تلك المواقف وشهدها بنفسه وأنّ ما آل إليه مصير بيت النبوة كانت قريش سبباً مباشراً به وعاملاً مهماً في انتصار بني أمية وغصبهم لحق آل محمد.

وذكر بعض المؤرخين [٤] رواية أخرى تختلف عما ذكر في مقتل عمر بن

الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٢.

١ - روي أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) التقى بعمر بن سعد في إحدى الليالي التي سبقت يوم عاشوراء بين المعسكرين فخرج كل منهما في عشرين فارساً، وأمر الإمام من معه أن يتأخر إلا الإمام العباس وعلي بن الحسين (عليهما السلام)، وفعل عمر بن سعد ذلك فلم يبق معه إلا أبنه حفص وغلامه. ينظر: المقرم، مقتل الحسين، ص٢١١.

٢ - الزيعلي، جمال الدين (ت: ٧٦٢هـ-١٣٦٠م)، نصب الراية تخريج أحاديث الهداية، اعتنى به: أيمن صالح شعبان، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٥م، ج٦، ص٦٣-٦٤؛ وينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٣، ص٧؛ المزي، تهذيب الكمال، ج٢، ص١٥.

٣ - الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص٤٣-٤٤.

٤ - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص٢٢٨-٢٢٩؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٣٨٣-٣٨٤.

سعد جاء فيها: «أن المختار بن أبي عبيد كتب إلى عبد الله بن الزبير من الكوفة، وقال لرسوله: إذا جئت مكة فدفعت كتابي إلى عبد الله بن الزبير، فأتِ المهدي محمد بن علي، وهو ابن الحنفية، فأقرأ عليه مني السلام، وقل له: يقول لك أخوك أبو إسحاق: إني أحبك، وأحب أهل بيتك، قال: فأتاه الرسول فقال له ذلك. قال: كذبت، وكذب أبو إسحاق معك، كيف يحبني ويحب أهل بيتي، وهو يجلس عمر بن سعد بن أبي وقاص على وسائده وقد قتل الحسين بن علي أخي قال: فلما قدم عليه رسوله أخبره بما قال محمد بن علي. فقال المختار لأبي عمرو صاحب حرسه: استأجر لي نوائح يبكين الحسين على باب عمر بن سعد بن أبي وقاص. قال: ففعل، فلما جئن يبكين الحسين، قال عمر لابنه حفص: يا بني أئت الأمير، فقل له: ما شأن النوائح يبكين الحسين على بابي؟ قال: فأتاه فقال له ذلك، فقال له: إنه أهل أن يبكى عليه، فقال: أصلحك الله، انههن عن ذلك. قال: نعم. ثم دعا أبا عمرو، فقال: أذهب إلى عمر بن سعد فأتني برأسه، قال: فأتاه، فقال: قم إلي أبا حفص، فقام إليه وهو ملتحف، فجلله بالسيف، ثم جاء برأسه إلى المختار، وحفص جالس عنده على الكرسي، فقال: هل تعرف هذا الرأس؟ قال: نعم، رحمة الله عليه، قال: أتحب أن ألحقك به؟ قال: وما خير الحياة بعده.قال: فضرب رأسه وقتله».

وهذه الرواية عليها الكثير من المآخذ منها مخاطبة المختار لمحمد ابن الحنفية بالمهدي تارة وأخرى يقول لك أخوك - حسب ما أوردها ابن قتيبة - في حين

لم نجد المختار في أي من كتبه ومراسلاته يخاطب محمد ابن الحنفية بهذا الأسلوب، ففضلاً عن كلمة أخوك كنى نفسه أبو إسحاق وهو بذلك جعل نفسه مساوياً له في أقل تقدير، وجعلت رسول المختار في الأصل متوجهاً إلى عبد الله بن الزبير ومن بعد ذلك يتوجه إلى محمد ابن الحنفية بينما حرص المختار دائماً على توثيق صلاته بمحمد ابن الحنفية لا بعبد الله بن الزبير، كذلك لا نجد هناك مبرراً لكلام المختار على لسان رسوله إني أحبك، وأحب أهل بيتك، وزيادة على ذلك لا نجد مبرراً لقول محمد ابن الحنفية لرسول المختار كذبت وكذب أبو إسحاق معك، فإذا كان المختار كاذباً فما ذنب رسوله الذي لم يقم سوى إبلاغ ما كلف به من قبل المختار، ورواية ابن قتيبة لم تتطرق إلى آمان المختار الذي أعطاه لعمر بن سعد والذي أشارت إليه أغلب المصادر التاريخية، لكن الرواية ذكرت أن المختار بعث بنساء يبكين على باب عمر بن سعد فربما يكون قد قام بذلك العمل أو شجع عليه بعد أن وصله عدم رضا محمد ابن الحنفية عن سكوت المختار على عمر بن سعد وابنه من أجل استفزاز عمر بن سعد لكي يخرق الأمان الذي أعطي له، وقد يكون تزامن ذلك مع ما ذكرناه من قول المختار سأقتل غداً رجلاً.... مما أدى إلى خروج عمر بن سعد من بيته وخرقه الأمان الذي أعطي له.

أما الدينوري[1] فإنه ذكر رواية ثالثة جاء فيها: «وبلغ المختار أن شبث ابن ربعي، وعمرو بن الحجاج، ومحمد بن الأشعث مع عمر بن سعد قد

---

١ - الأخبار الطوال، ص٢٧٥.

أخذوا طريق البصرة في أناس معهم من أشراف أهل الكوفة، فأرسل في طلبهم رجلاً من خاصته يسمى "أبا القلوص الشبامي" في جريدة خيل، فلحقهم بناحية المذار، فواقعوه، وقاتلوه ساعة، ثم انهزموا ووقع في يده عمر ابن سعد ونجا الباقون، فأتي به المختار، فقال: الحمد لله الذي أمكن منك، والله لأشفين قلوب آل محمد بسفك دمك، يا كيسان أضرب عنقه، فضرب عنقه، وأخذ رأسه فبعث به إلى المدينة، إلى محمد ابن الحنفية».

ويتبين من رواية الدينوري أن هروب من ذكرهم جاء بعد وقعة جبانة السبيع ولم تشر المصادر التاريخية إلى أشتراك عمر بن سعد في تلك الوقعة، وأغفلت الرواية أمان عمر بن سعد في حين ذكرته أغلب المصادر التاريخية، وفضلاً عن انفراد الدينوري بروايته هذه وعدم تطرقه إلى حفص بن عمر بن سعد الذي قتل مع أبيه، فيبدو أن الرواية تفتقر إلى الدقة وأنّ أدق الروايات في مقتل عمر بن سعد هي الرواية الأولى التي ذكرها أبو مخنف وغيره من المؤرخين.

وروى ابن طاووس[١] أن عمر بن سعد سلب درع الإمام الحسين (عليه السلام) المسمى البتراء فلما قُتل وهب المختار ذلك الدرع لأبي عمرة قاتل عمر بن سعد بن أبي وقاص.

ثم بعث برأسيهما إلى محمد ابن الحنفية ووجه أيضاً مع الرأسين ثلاثين الف دينار وكتب إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم. للمهدي محمد بن علي،

---

١ - اللهوف في قتلى الطفوف، ص ٨٣.

من المختار بن أبي عبيد سلام عليك يا أيها المهدي؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد؛ فإن الله بعثني نقمة على أعدائكم، فهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد، فالحمد لله الذي قتل قاتليكم ونصر مؤازريكم، وقد بعثت إليك برأس عمر بن سعد وابنه، وقد قتلنا من شرك في دم الحسين وأهل بيته، رحمة الله عليهم، كل من قدرنا عليه ولن يعجز الله من بقي؛ ولست بُمنْجم عنهم، حتى لا يبلغني أن على أديم الأرض منهم أرمياً. فاكتب إلي أيها المهدي برأيك أتّبعه وأكون عليه والسلام عليك أيها المهدي ورحمة الله وبركاته»[(١)].

بين المختار في كتابه هذا كيف أن قتل عمر بن سعد وابنه جاء تنفيذاً لكلام محمد ابن الحنفية حين بلغه قوله إنّ قتلة الحسين يجلسون عنده على الوسائد، وأظهر الكتاب وبشكل جلي سياسة المختار مع قتلة الحسين (عليه السلام) فوصفهم له بأنهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد، وأنه لم يهدأ له بال ولا يغمض له جفن حتى يأتي على آخرهم.

وذكر ابن أعثم الكوفي[(٢)] موقف محمد ابن الحنفية حين وصل رأس عمر بن سعد وابنه حفص فقال: «فلما وُضعَ الرأسان بين يديه وقرأ الكتاب حول وجهه إلى القبلة وخر ساجداً، ثم رفع رأسه وبسط كفيه وقال: اللهم لا تنس هذا اليوم للمختار!، اللهم واجز به عن أهل بيت نبيك محمد (صلى الله عليه

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٣؛ ابن أعثم الكوفي، مقتل الحسين، ص٢٤٨؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٢٠.

٢ - مقتل الحسين، ص٢٤٩.

واله وسلم) خير الجزاء! فو الله ما على المختار بعد هذا من عتب! قال: ثم أخذ ذلك المال ففرق منه في مكة ما فرق، ووجه بالباقي إلى المدينة ففرق في أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وغيرهم من أولاد المهاجرين والأنصار».

ومن أعمال المختار الجليلة في قضية الثأر هي قيامه بإرسال جيش عرمرم بقيادة إبراهيم بن الأشتر لقتال جيش الشام الذي كان على رأسه عبيد الله بن زياد والأخير تنافس مع يزيد بن معاوية أبي سفيان على أيهما المسؤول الأول في قتل الإمام وأهل بيته (عليهم السلام)، ولخص إبراهيم الأشتر جرائم عبيد الله بن زياد عندما حث جيشه على قتال أهل الشام فقال: «يا أنصار الدين، وشيعة الحق، وشرطة الله؛ هذا عبيد الله ابن مرجانه قاتل الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله، حال بينه وبين بناته ونسائه وشيعته، وبين ماء الفرات، أن يشربوا منه، وهم ينظرون إليه، ومنعه أن يأتي ابن عمه فيصالحه[1]، ومنعه أن ينصرف إلى رحله وأهله، ومنعه الذهاب في الأرض العريضة حتى قتله وقتل أهل بيته! فو الله ما عمل فرعون بنجباء بني

١ - وقد نقل الطبري بسنده عن أبي مخنف زيف وبطلان هذا القول فذكر: ((عن عقبة بن سمعان - مولى الرباب - صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى العراق، ولم أفارقه حتى قُتل، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق بالعراق ولا في عسكرٍ إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها، ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس ويزعمون؛ من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية، ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنه قال: دعوني فلأذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس». ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٧٩.

إسرائيل ما عمل ابن مرجانة بأهل بيت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الذين أذهب الله عنه الرجس وطهرهم تطهيراً قد جاءكم الله به، وجاءه بكم، فو الله إني لأرجوا أن لا يكون الله جمع بينكم في هذا الموطن وبينه إلا ليشفي صدوركم بسفك دمه على أيديكم، فقد علم الله أنكم خرجتم غضباً لأهل بيت نبيكم».[١]

ولا خلاف أنّ عبيد الله بن زياد يتحمل الوزر الأعظم في قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته، وجرت عدة محاولات لقتله بعد موت يزيد حيث أضطره أهل البصرة على أن يترك داره ويخرج متخفياً لبلاد الشام[٢]، وحاول التوابون قتله في معركة عين الوردة (سنة ٦٥هـ) إلا أنهم لم يفلحوا في ذلك، وأرسل المختار يزيد بن أنس في جيش قوامه أكثر من ثلاثة آلاف فارس إلا أنه كذلك لم يوفق في قتله. فاستدعى المختار إبراهيم بن الأشتر وكان على ثقة تامة بأنه سيقتل عبيد الله بن زياد فقد قال له حين بعثه إليه: «أيها الرجل، إنّما هو أنا وأنت، فسر إليهم، فو الله لتقتلن الفاسق عبيد الله بن زياد، أو لتقتلن الحُصين بن نمير، وليهزمن الله بك ذلك الجيش، أخبرني بذلك من قرأ الكتاب، وعرف الملاحم»[٣]

وجهز المختار إبراهيم بما يحتاجه، وانتخب له عشرين ألف رجل جلهم

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٩١-٩٢.

٢ - ينظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٥٨-٢٦١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٤١-٢٥٣.

٣ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٦٨.

من أبناء فارس، وضم إليه جيش يزيد بن أنس[١]، وأخرج المختار معه من وجوه أصحابه وفرسانهم وذوي البصائر منهم، ممن شهد الحرب وجربها، وشيعه وأوصاه فقال له خذ عني ثلاثاً: خف الله في سر أمرك وعلانيته، وعجل السير، وإذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم، وإن لقيتهم نهاراً فلا تنتظر بهم الليل حتى تحاكمهم إلى الله. ثم قال: هل حفظت ما أوصيتك به؟ قال: صحبك الله انصرف[٢]، ووصية المختار تلك زيادة على أنها تشير إلى حنكة المختار العسكرية توضح أن إبراهيم كان على قناعة بصحتها، وهو ما بينه قول إبراهيم لعمير بن الحباب قبيل الشروع في المعركة بما تشير عليّ أقاتلهم أم أخندق علي وأتلوّم يومين أو ثلاثة؟، قال عمير بن الحباب: لا تفعل إنا لله! هل يريد القوم إلا هذه؟... قال إبراهيم: الآن علمت إنك لي مناصح؛ صدقت، الرأي ما رأيت. أما إن صاحبي بهذا أوصاني، وبهذا الرأي أمرني. قال عمير: فلا تعدون رأيه، فإن الشيخ - يقصد المختار - قد ضرسته الحروب، وقاسى منها ما لم نُقاس، اصبح فناهض الرجل»[٣].

ووقعت معركة الخازر بين جيش الشام بقيادة عبيد الله بن زياد ومن معه من قادة الشام كالحصين بن نمير وشرحبيل بن ذي الكلاع وغيرهم من قادتهم وفرسانهم، وجيش المختار بقيادة إبراهيم بن الأشتر، فدارت الدائرة على جيش الشام وقتل قادتهم شر قتلة وغرق من جيشهم أكثر مما قتل، وقال ابن

١ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٦٨-٢٦٩.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٧.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٩٠؛ الازدي، تاريخ الموصل، ج١، ص١١٢.

الأشتر قتلت رجلاً وجدت منه رائحة المسك، شرقت يداه وغربت رجلاه، تحت راية منفردة على شاطئ نهر الخازر، فالتمسوه، فإذا هو عبيد الله بن زياد قتيلاً، وأرسل البشارة والرؤوس إلى المختار وهو بالمدائن ينتظر ذلك، وكانت معركة الخازر يوم العاشر من المحرم سنة سبع وستين للهجرة [١].

ولما وصل رأس عبيد الله بن زياد ومعه العديد من رؤوس عتاة قادة جيش الشام بعث بها المختار لبني هاشم في المدينة المنورة فوصف ذلك ابن سعد[٢] بالقول: «...لم يبق من بني هاشم أحد إلا قام بخطبةٍ في الثناء على المختار والدعاء له وجميل القول فيه».

وذكر اليعقوبي [٣] خبر مصرع عبيد الله بن زياد عند آل محمد فقال: «ووجه - أي المختار - برأس عبيد الله بن زياد إلى علي بن الحسين إلى المدينة مع رجل من قومه، وقال له: قف بباب علي بن الحسين، فإذا رأيت أبوابه قد فتحت ودخل الناس، فذاك الوقت الذي يوضع في طعامه، فأدخل إليه، فجاء الرسول إلى باب علي بن الحسين، فلما فتحت أبوابه، ودخل الناس للطعام، نادى بأعلى صوته: يا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الملائكة، ومنزل الوحي! أنا رسول المختار بن أبي عبيد معي رأس عبيد الله بن زياد، فلم تبق في شيء من دور بني هاشم امرأة إلا صرخت، ودخل الرسول،

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٦-٩٥؛ الأزدي، تاريخ الموصل، ج١، ص١١٢-١١٥؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج١، ص٢٧١.

٢ - الطبقات، ج٧، ص١٠١.

٣ - تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨١.

فأخرج الرأس، فلما رآه علي بن الحسين قال: أبعده الله إلى النار».، وفي رواية أخرى لليعقوبي[١]: «وروى بعضهم أن علي بن الحسين لم يُر ضاحكاً يوماً قط، منذ قُتل أبوه، إلا في ذلك اليوم، وأنه كان له إبل تحمل الفاكهة من الشام، فلما أتي برأس عبيد الله بن زياد أمر بتلك الفاكهة، ففرقت في أهل المدينة، وأمتشطت نساء آل الرسول الله، وأختضبن، وما امتشطت امرأة ولا اختضبت منذ قتل الحسين بن علي».

يتضح مما تقدم مدى السعادة التي غمرت آل البيت بمقتل هؤلاء القتلة، أما قيام الإمام زين العابدين (عليه السلام) بتوزيع الفاكهة على أهل المدينة فمن المؤكد هو أمر دأب عليه آل البيت لاسيما الإمام زين العابدين (عليه السلام) لكن يبدو أن هذا الأمر كان علنياً في حين اعتاد الإمام (عليه السلام) على ذلك في السر.

وذكر ابن عبد ربه الأندلسي[٢] مقتل عبيد الله بن زياد فقال: «ولما قُتل ابن زياد بَعث المختارُ برأسه إلى علي بن الحسين بالمدينة. قال الرسول: -أي رسول المختار- فقدمت به عليه انتصاف النهار وهو يتغدى قال: فلما رآه قال: سبحان الله! ما اغتر بالدنيا إلا مَن ليس لله في عنقه نِعمة! لقد أدخل رأس أبي عبد الله على ابن زياد وهو يتغدى»، وروت بعض المصادر أنّه قال: «لما أتي برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد قال: فخر ساجداً وقال:

١ - تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨١.

٢ - العقد الفريد، ج٤، ص٣٨٣.

الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي وجزى الله المختار خيراً»[١]، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت. ولا رئي في دار هاشمي دخان خمس حجج حتى قتل عبيد الله بن زياد لعنه الله»[٢].

ومن خلال ما تقدم يمكن القول إن هناك أكثر من إشارة تبين أن هناك صلة بين الإمام زين العابدين (عليه السلام) والمختار على الرغم من عدم التصريح علناً بسبب وضع الإمام وخوف الشيعة عليه من عيون الأمويين من جهة وآل الزبير من جهة أخرى، لكن أمام هذا الحدث العظيم بقتل ابن زياد وما يعني للإمام (عليه السلام) وبني هاشم نجد أن المختار يبعث برأس ابن زياد إلى الإمام السجاد (عليه السلام) دون غيره من بني هاشم على اعتبار أنه ولي الدم.

وذكر البغدادي[٣] أن المختار بعث إبراهيم بن الأشتر مع ستة آلاف إلى حرب عبيد الله بن زياد« فلما التقى الجيشان على باب الموصل انهزم جند

---

١ - الكشي، رجال الكشي، ص٩٨؛ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج١، ص٣٤١؛ ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص١٤٤؛ الأمين، محسن، أصدق الأخبار، ص٩١؛ وأعيان الشيعة، ج١، ص٦٣٦؛ البحراني، العوالم، ص٧٠٦؛ البروجردي، علي الأصغر، طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال، تحقيق: مهدي الرجائي، مكتبة المرعشي، قم، ١٤١٠هـ، ص٥٨٩؛ مغنيه، محمد جواد، الشيعة في الميزان، الطبعة الرابعة، دار المعارف، بيروت، ١٩٧٩م، ص١٠٥.

٢) ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص١٤٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٥، ص٣٦٨؛ الأمين، أصدق الأخبار، ص٩١؛ وأعيان الشيعة، ج١، ص٥٨٧؛ البحراني، العوالم، ص٧٠٧.

٣ - الفرق بين الفرق، ص٥٣.

الشام، وقتل منهم سبعين ألفاً في المعركة، وقتل عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير وأنفذ إبراهيم بن الأشتر برؤوسهم إلى المختار».

وعندما ذكر أبو الفداء [١] مصرع عبيد الله بن زياد قال: «وبعث إبراهيم برأس ابن زياد، وبعدة رؤوس معه إلى المختار، وانتقم الله للحسين بالمختار.»..

وقال أحد المؤرخين المحدثين [٢]: «وكان من أثر انتصار المختار على ابن زياد أن ازداد تعلق الشيعة به وألتف حوله الكثير منهم»، ولما كان مقتل عبيد الله بن زياد في العاشر من المحرم سنة سبع وستين فهذا يعني أن الشيعة استمر ولاؤهم للمختار إلى نهاية دولته، وعدّ مؤرخ آخر [٣] مقتل عبيد الله بن زياد انتصارا لأتباع الإمام الحسين عليه السلام وأنّ الشيعة ثأرت لنفسها من قتلته، ونتيجة القيام بالقصاص من هؤلاء القتلة أصبح المختار سيد الكوفة دون منازع[٤].

وبعث المختار معاذ بن هاني بن عدي الكندي وهو ابن أخ حجر بن عدي، وبعث معه أبا عمرة صاحب حرسه لخولي بن يزيد الأصبحي وهو

---

١ - مختصر تاريخ البشر، ج١، ص٢٧١.

٢ - حسن، تاريخ الأسلام السياسي، ج١، ص٣٢٨.

٣ - الهاشمي، عبد المنعم، موسوعة تاريخ العرب العصر الأموي، دار الهلال، بيروت، ٢٠٠٦م، ص٢٥.

٤ - العش، يوسف، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها إبتداءً من فتنة عثمان، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م، ص١٩٧.

صاحب رأس الحسين، وكان اختبأ في بيته فأشارت امرأته - العيوف بنت مالك بن نهار بن عقرب، من حضرموت وكانت تعاديه منذ أن جاءها برأس الحسين - إلى مكانه، فألقي القبض عليه، فقتله، وحرقه بالنار لأهانته الرأس الشريف[١]. وموقف هذه المرأة التي دلت على زوجها يشير إلى المواقف المشرفة للنساء في النهضة الحسينية وما بعدها.

كذلك استطاع المختار أن يقتل حرملة بن كاهل الأسدي المتهم بقتل رضيع الحسين (عليه السلام)، وقتل عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب في حجر عمه الحسين (عليه السلام) [٢]، ولعب دوراً بارزاً في قتال الإمام الحسين وآل بيته (عليهم السلام) يوم الطف.

وروى بعض المؤرخين [٣] أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) سأل المنهال[٤] ما فعل حرملة بن كاهل فقال: «تركته حياً بالكوفة، قال: فرفع

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧١؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١١٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١٧؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣٤.

٢ - الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٩٣-٩٤؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٧٤، ٧٧-٧٨.

٣ - الطوسي، الأمالي، ص١٧٩؛ وينظر: ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص١٢١-١٢٢؛ ابن شهر أشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٧٦؛ الأربلي، كشف الغمة، ج٢، ص٣٢٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٦، ص٥٢؛ الأمين، أصدق الأخبار، ص٧٠؛ الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، ج٢، ص٢٧٥.

٤ - هو المنهال بن عمرو الأسدي، من أصحاب الأئمة الحسين وعلي بن الحسين والباقر عليهم السلام، حدث عن الإمام السجاد عليه السلام. ينظر: الطوسي، رجال الطوسي، ص١٠٥؛ ←

يديه جميعاً، فقال: اللهم أذقه حر الحديد، اللهم أذقه حر الحديد، اللهم أذقه حر النار. قال المنهال: فقدمت الكوفة، وقد ظهر المختار بن أبي عبيد، وكان لي صديقاً، قال: فكنت في منزلي أياماً حتى انقطع الناس عني، وركبت إليه فلقيته خارجاً من داره، فقال: يا منهال، لم تأتنا في ولايتنا هذه، ولم تهنئنا بها، ولم تشركنا فيها فأعلمته أني كنت بمكة، وأنّي قد جئتك الآن، وسايرته ونحن نتحدث حتى أتى الكناس، فوقف وقوفاً كأنه ينتظر شيئاً، وقد كان أُخبر بمكان حرملة بن كاهلة، فوجه في طلبه، فلم نلبث أن جاء قوم يركضون وقوم يشتدون حتى قالوا أيها الأمير، البشارة، قد أخذ حرملة بن كاهلة، فما لبث أن جيء به، فلما نظر إليه المختار قال لحرملة: الحمد لله الذي أمكنني منك، ثم قال: الجزار، الجزار، فأتي بجزار، فقال له: اقطع يديه فقطعتا، ثم قال له: اقطع رجليه فقطعتا، ثم قال: النار النار. فأُتي بنار وقصب فأُلقي عليه واشتعلت فيه النار. فقلت سبحان الله! فقال لي: يا منهال، إن التسبيح لحسن، ففيم سبحت فقلت: أيها الأمير، دخلت في سفرتي هذه منصرفي من مكة على علي بن الحسين عليه السلام فقال لي: يا منهال، ما فعل حرملة بن كاهلة الأسدي؟ فقلت تركته حياً بالكوفة، فرفع يديه جميعاً فقال: اللهم أذقه حر الحديد، اللهم أذقه حر النار. فقال لي المختار: أسمعت علي بن الحسين (عليه السلام) يقول هذا؟ فقلت: والله لقد سمعته قال: فنزل عن

الأردبيلي، جامع الرواة، ج٢، ص٢٦٩؛ الشاهرودي، مستدركات علم رجال الحديث، ج٧، ص٥٤١.

دابته وصلى ركعتين فأطال السجود، ثم قام فركب....فحاذيت داري، فقلت أيها الأمير، إن رأيت أن تشرفني وتكرمني وتنزل عندي وتحرم بطعامي. فقال: يا منهال، تعلمني أن علي بن الحسين دعا بأربع دعوات فأجابه الله على يدي ثم تأمرني أن آكل؟ هذا يوم صوم شكراً لله عز وجل على ما فعلته بتوفيقه».

وتعد جريمة حرملة بن كاهل يوم الطف بقتل رضيع الحسين (عليه السلام) من أفضع الجرائم التي اُرتكبت وأخذت مأخذها من آل محمد في ذلك اليوم وما بعده. فَعدّ المختار استجابة دعاء الأمام السجاد (عليه السلام) على يديه من النعم التي استوجبت صيامه شكراً لله عليها.

وأرسل المختار عبد الله بن كامل صاحب شرطته إلى حكيم بن الطفيل الطائي، وكان رمى الحسين (عليه السلام) بسهم وأصاب سلب الأمام العباس (عليه السلام) فأحضره للقصر، فهرع أهله إلى عدي بن حاتم الطائي وكان شفع المختار له في بعض قومه يوم جبانة السبيع لم يكونوا نطقوا بشيءٍ من أمر الحسين ولا أهل بيته؛ فخاف أصحاب المختار أن يشفع له فيه فقتلوه رمياً بالسهام حتى صار كالقنفذ، فلما دخل على المختار أجلسه إلى جنبه وكلمه في ذلك، فقال المختار له: أو شفاعة في قتلة الحسين يا أبا طريف ؟ فقال له: إنه مكذوب عليه، فقال: إذاً ندعه لك، فدخل ابن كامل على المختار فقال له: غلبتني والله الشيعة فقتلته [1]..

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١٧؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣٤.

وروى أبو مخنف أن هناك مشادة حدثت بين عدي بن حاتم الطائي وعبد الله بن كامل على أثر قول ابن كامل غلبتني والله الشيعة، فقال له عدي: كذبت« ولكن ظننت أن من هو خير منك سيشفعني فيه، فبادرتني فقتلته، ولم يكن خطر يدفعك مما صنعت» [١].

ويبدو أن عدي بن حاتم الطائي صاحب المواقف المشهودة مع الإمام علي (عليه السلام) قد اضطر - إن صحت الرواية - إلى التدخل لسببين: الأول؛ هو اعتقاده بصدق مقولة حكيم بن الطفيل بأنه مكذوب عليه، والسبب الثاني: هو كونه زعيم بني طي فهرع أهل حكيم بن الطفيل له فاضطروه إلى ذلك. أما كون المختار شفَعهُ في ذلك لمكانته من الإمام علي (عليه السلام) وآل بيت النبوة وربما يعود السبب إلى أن المختار كان يعلم أنه سيتمكن منه في وقت آخر، ويبدو أن الأمور سارت لصالح المختار فقد ذكر أبو مخنف أنه سَره مقتله وأنّ عدي بن حاتم الطائي قام راضياً عن المختار ساخطاً على ابن كامل [٢]، وبلا ريب أن الله وفق المختار في قيامه بالقبض عليه وقتله وعدم سخط عدي بن حاتم الطائي وخروجه راضياً عنه، ولا يستبعد أن هناك إتفاقاً بين المختار وأتباعه على قتل من يُشفع به قبل وصوله لمرحلة الشفاعة لعظم جرم هؤلاء القتلة.

---

١ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٧٨-٣٧٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٣.

٢ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٧٨-٣٧٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٣.

واستطاع المختار أن يقتل قيس بن الأشعث الكندي وكان يسمى قيس قطيفة لأنه سلب قطيفة الحسين (عليه السلام) بعد مقتله[١]، كذلك فإنه كان زعيماً لكندة التي حملت ثلاثة عشر رأساً من رؤوس أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام)[٢]، فروي أنه أنف من الهروب إلى البصرة فاستجار بعبد الله بن كامل صاحب شرطة الكوفة فأبلغ الأخير المختار بذلك، فسكت المختار ملياً ثم قال لابن كامل أرني خاتمك، فوضعه المختار في أصبعه وشغل أبن كامل في الكلام، ثم دعا أبا عمرة كيسان وناوله الخاتم وقال له سراً أنطلق إلى زوجة ابن كامل وقل لها هذا الخاتم علامة زوجك في الدخول عليه لأحدثه بأمرٍ ينجيه من المختار، فدخل عليه وضرب عنقه وجاء به للمختار فوضع الرأس بين يديه، فقال المختار هذا بقطيفة الحسين [٣].

وأشارت المصادر التاريخية إلى العديد من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) الذين قام المختار بقتلهم ومن بين هؤلاء أنّه دُل على ثلاثة من هؤلاء القتلة وهم عبد الله بن أُسيد الجُهني ومالك بن النُّسير البدي وحمل بن مالك المحاربي فأحضرهم من القادسية فقال لهم: «يا أعداء الله، وأعداء كتابه، وأعداء رسول الله وآل رسوله، أين الحسين بن علي ؟ أدوا إلي الحسين! قتلتم ابن من أمرتم بالصلاة عليه في الصلاة؟ فقالوا: رحمك الله بعثنا ونحن كارهون، فأمنن علينا واستبقنا، قال المختار: فهلا مننتم على الحسين ابن

---

١ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٧٦؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٨٣.

٢ - اللهوف في قتلى الطفوف، ص٩٢.

٣ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٧٦؛ الخطيب، دولة المختار، ص٣٤٤-٣٤٥.

بنت نبيكم واستبقيتموه وسقيتموه؟ ثم قال للبدي: أنت صاحب برنسه؟ فقال له عبد الله بن كامل: نعم، هو هو؛ فقال المختار: اقطعوا يدي هذا ورجليه، ودعوه فليضطرب حتى يموت، ففعل ذلك به وترك، فلم يزل ينزف الدم حتى مات، وأمر بالآخرين فقدما، فقتل عبد الله بن كامل عبد الله الجهني، وقتل سعر بن أبي سعر حمل بن مالك المحاربي» [١]، ويظهر مما تقدم أن المختار قتل البدي قتلة تختلف عن صاحبيه ففضلاً عن مشاركته في قتال الإمام الحسين (عليه السلام) فقد وجهت تهمة أخرى له وهو سلب برنس الإمام (عليه السلام) بعد استشهاده.

أما العشرة [٢] الذين ندبهم عمر بن سعد فداسوا الجسد الشريف بحوافر خيولهم حتى رضوا صدره وظهره، ووقفوا بباب ابن زياد فقال أسيد بن مالك وهو أحدهم:

نحن رضضنا الصدر بعد الظهر ... بكل يعبوب شديد الأسر

فقال ابن زياد: من أنتم؟ قالوا: نحن الذين وطأنا بخيولنا ظهر الحسين حتى طحنا حناجر صدره [٣].

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٩؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١١٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١٦؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣٣.

٢ - وهم إسحاق بن حوية، وأخنس بن مرثد، وحكيم بن الطفيل السنبسي، وعمر بن صبيح الصيداوي، ورجاء بن منقذ العبدي، وسالم بن خثيمة الجعفي، وواحظ بن ناعم، وصالح بن وهب الجعفي، وهاني بن شبث الحضرمي، وأسيد بن مالك. ينظر: ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٨٦.

٣ - ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٨٦ -٨٧.

قتل المختار هؤلاء قتلة تختلف عن غيرهم لفظاعة الجرم الذي ارتكبوه بحق الإمام (عليه السلام) فشد أيديهم وأرجلهم بالحديد وأوطأ الخيل ظهورهم حتى هلكوا [١].

وبعث المختار رجالاً كانوا معه يُقال لهم الدبابة إلى دارٍ فيها عبد الرحمن ابن أبي خشكارة، وعبد الرحمن بن قيس الخولاني وزياد بن مالك الضبعي وعمران بن خالد العشري؛ فجيء بهم فقال لهم: يا قتلة الصالحين، يا قتلة سيد شباب أهل الجنة، ألا ترون الله قد أقاد منكم اليوم؟ لقد جاءكم الورس [٢] بيوم نحس، وكانوا أصابوا من الورس الذي كان مع الحسين، أخرجوهم إلى السوق، فضربوا رقابهم [٣].

ومن بين الذين قتلهم المختار هو عثمان بن خالد بن أسير الدهماني من جهينه وأبو أسماء بشر بن سوط القابضي وكانا أشتركا في قتل عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب، فقتلهما عبد الله بن كامل وأخبر المختار بذلك فأمره بالرجوع إلى جثتهما وحرقها، ويبدو أن عثمان بن خالد من فرسان همدان، رثاه أعشى همدان فقال:

---

١ - ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٨٦-٨٧.

٢ - الورس: هو نبات من الفصيلة القرنية ينبت في بلاد العرب والحبشة والهند، وثمرتها قرن مغطى عند نضجه بغدد حمراء، كما يوجد عليه زغب قليل؛ يستعمل لتلوين الملابس الحريرية لاحتوائه على مادة حمراء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٤٢٦٢؛ هامش النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١٦.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٠؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١١٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١٦؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣٣-٣٤.

يا عين ابكي فتى الفتيان عثمانا | لا يبعدن الفتى من آل دهمانا
وأذكر فتى ماجداً حلواً شمائله | ما مثله فارس في آل همدانا [1]

وأبيات أعشى همدان هذه تدل على قبح عقيدته وسوء فعله فهو أطنب في رثاء قتلة آل بيت النبوة وأعلن عداوته للمختار وأنصاره ووقف بجنب أعدائهم من الأمويين والزبيريين.

واستطاع المختار قتل زيد بن رقاد الجنبي، وهو قاتل عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب، فقاتلهم بسيفه فقال ابن كامل لا تطعنوه برمح، ولا تضربوه بسيف، ولكن ارموه بالنبل والحجارة ففعلوا ذلك به، حتى سقط، وأحرقوه حياً، وبعث إلى عمرو بن صبيح الصدائي، وكان يقول طعنت فيهم وجرحت وما قتلت، فأحضر إلى المختار، فأمر به فطعن بالرماح حتى مات[2].

هدم دور بعض القتلة ورؤية المؤرخين في القصاص

عَهد المختار لكيسان أبي عمرة صاحب حرسه الخاص في الكوفة مهمة القبض على بعض قتلة الإمام الحسين (عليه السلام)، وكان معه ألف رجل من الفعلة بالمعاول يقومون بهدم دور من خرج لقتال الإمام الحسين (عليه السلام)[3].

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٠-٧١؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١١٨.
٢ - النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١٧.
٣ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٦٨.

ووصف الدينوري[١] ذلك فقال: «وكان أبو عمرة بذلك عارفاً، فجعل يدور بالكوفة على دورهم، فيهدم الدار في لحظة، فمن خرج إليه منهم قتله، حتى هدم دوراً كثيرة، وقتل أناساً كثيراً، وجعل يطلب ويستقصي، فمن ظفر به قتله، وجعل ماله وعطاءَهُ لرجل من أبناء العجم الذين كانوا معه».

يتضح مما تقدم أن هناك دوراً مميزاً لصاحب حرس المختار في الأخذ بثأر الإمام الحسين فوصفه الدينوري بأنه كان عارفاً بهؤلاء القتلة وبكيفية هدم دورهم وعلى الرغم من ذلك فإنّه لم يقم بذلك اعتباطياً وإنما يستقصي عن ذلك، لكن تلك الرواية لا تخلوا من تحامل بعض المؤرخين على أنّ العجم والفرس هم مَن تحالفوا مع المختار للقضاء على العرب.

وذكر بعض المؤرخين[٢] أنّ المختار أرسل في طلب سنان بن أنس الذي كان يدعي قتل الحسين (عليه السلام)، فهرب إلى البصرة، فهدم داره، وطلب رجلاً من قبيلة خثعم اسمه عبد الله بن عروة الخثعمي فهرب إلى البصرة ولحق بمصعب، فهدم داره، وهرب عبد الله بن عقبة الغنوي فهدم المختار داره، وأرسل إلى محمد بن الأشعث وهو في قرية له في القادسية، فهرب كذلك إلى مصعب بن الزبير، فهدم داره وبنى بلبنها وطينها دار حجر ابن عدي الكندي وكان زياد ابن سمية قد هدمها.

---

١ - الأخبار الطوال، ص٢٦٨.

٢ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٧٩-٣٨١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٤، ٧٥، ٩٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١٧-١٨؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣٤.

وذكر الطبري [١] في تاريخه أنه خرج بعد وقعة جبانة السبيع عمرو بن الحجاج الزبيدي، وكان ممن شهد قتل الحسين، فركب راحلته وذهب عليها، «ولا يدرى أرض بخسته أم سماء حصبته»

وروى البغدادي [٢] أن المختار قال: «أما ورب السماء لتنزلن نار من السماء، فلتحرقن دار أسماء، فأنهي هذا القول إلى أسماء بن خارجة فقال: قد سجع بي أبو إسحاق وأنه سيحرق داري، وهرب من داره، وبعث المختار إلى داره من أحرقها بالليل.»..

ولما كان من الصعب على بعض المغرضين من المؤرخين الذين تحكمت بهم أهواؤهم ومذاهبهم وابتعدوا عن الموضوعية والحيادية؛ الدفاع عن أولئك القتلة بشكل علني اضطر هؤلاء إلى اتهام المختار بعدم صدق نواياه وحين لم يجدوا هوادة في تتبعه لقتلة الحسين (عليه السلام) عولوا على الإسراف في القتل والمبالغة فيه عسى أن يحقق لهم ما أخفقوا في تحقيقه، لكن ذلك لا يعني أنه لا يوجد من أنصف المختار في قيامه بهذا العمل الذي لم يُوفق للقيام به إلا من كان ذا حظ عظيم، فالبلاذري[٣] يرى في قيام المختار بتنفيذ القصاص سبباً رئيساً ودافعاً حقيقياً في تعظيم أهل الكوفة وازدياد محبتهم وطاعتهم له. وهذا الرأي يعني أن المجتمع الكوفي استمر في تأييده للمختار طيلة مدة حكمه.

---

١ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٥.

٢ - الفرق بين الفرق، ص٥٥.

٣ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٥٤.

وذكر اليعقوبي[١] قيام المختار بالقصاص من قتلة الحسين (عليه السلام) فقال: «وتتبع المختار قتلة الحسين، فقتل منهم خلقاً عظيماً، حتى لم يبق منهم كثير أحد، وقتل عمر بن سعد وغيره وحرق بالنار، وعذب بأصناف العذاب».

ووصف الأزدي[٢] أخذ الثأر من قبل المختار فقال: «وما زال يتبع القوم ويقتلهم بفنون القتل، فإذا لم يجد الرجل هدم داره»

وقال ابن عبد ربه [٣]: «ثم إنّ المختار لما قتل ابن مرجانة، وعمر بن سعد، جعل يتبع قتلة الحسين بن علي ومن خذله، فقتلهم أجمعين، وأمر الحسينية وهم الشيعة أن يطوفوا في أزقة المدينة بالليل ويقولوا يا لثارات الحسين!»..

في حين وصف ابن حزم[٤] قيام المختار بأخذ الثأر فقال: «ومن جيد ما وقع منه أنه تتبع الذين شاركوا في أمر ابن الزهراء الحسين، فقتل منهم ما أقدره الله عليه، وفعل أفعالاً يُعفى فيها على هذه الحسنة، وقتل بالكوفة ممن توهم منه ما يوجب مباينة ما هو عليه، فهذا كان الغالب عليه»، وقول ابن حزم المتقدم الذكر في المختار غاية في الأهمية كونه من المتشددين في آرائهم

---

١ - تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨١.

٢ - تاريخ الموصل، ج١، ص١١١.

٣ - العقد الفريد، ج٤، ص٣٨٤.

٤ - رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٣م، ج٢، ص١٤١.

الدينية وقوله وفعل أفاعيل يعفى فيها على هذه الحسنة فهي إن دلت على شيءٍ فهي تدل على أنه يرى أن المختار له الحق فيما فعل في قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) من أنواع القتل ولم يكن مسرفاً في ذلك.

ويرى ابن الأثير [١] أن سبب محبة المسلمين للمختار هو قصاصه من قتلة الأمام الحسين (عليه السلام) فقال: «فلذلك أحبه كثير من المسلمين، وأبلى في ذلك البلاء بلاءً حسناً».

ولما لم يجد الذهبي [٢] مبرراً للنيل من المختار في قيامه بالقصاص من قتلة الحسين (عليه السلام) قال: «وأقتص الله من الظلمة بالفجرة، ثم سلط على المختار مصعباً، ثم سلط على مصعب عبد الملك.».، وقرن الذهبي القصاص بالظلمة بقوله: بالفجرة للنيل من المختار لأنه لا يستطيع الدفاع عن قتلة الحسين (عليه السلام).

وذكر ابن حجر الهيتمي [٣] قيام المختار بقتل قتلة الحسين فقال: «وقد انتقم الله من ابن زياد هذا،... وفاعل ذلك به هو المختار بن أبي عبيد، تبعه طائفة من الشيعة...، فملكوا الكوفة وقتلوا الستة آلاف الذين قاتلوا الحسين أقبح القتلات وقتل رئيسهم عمر بن سعد، وخص شمر قاتل الحسين على قولٍ؛ بمزيد من نكال وأوطؤا الخيل صدره وظهره، لأنه فعل ذلك بالحسين،

---

١ - أُسد الغابة، ج٥، ص١١٧.

٢ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج٥، ص٦٢.

٣ - الصواعق المحرقة، ص٢٤٥.

وشكر الناس للمختار ذلك..»، ويتضح من قوله هذا أنّ هؤلاء القتلة عوقبوا بما يستحقونه لما فعلوا بالإمام وأهل بيته (عليهم السلام)، وأن ذلك حاز رضا الناس واستحساهم فشكروا ذلك للمختار.

وروى الحاكم النيسابوري [١] في مستدركه الحديث القدسي بسنده عن عبد الله بن العباس أنه قال: «أوحى الله إلى نبيكم صلى الله عليه وآله إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين الفاً وأني قاتل بابن ابنتك سبعين الفاً وسبعين الفاً» وعقب ابن الوردي [٢] على ذلك بقوله: «قلت: في الحديث عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم): إنّ الله قتل بيحيى بن زكريا سبعين الفا ووعدني أن يقتل بابني هذا - يعني الحسين عليه السلام - سبعين الفا، وكان كما قال،

١ - أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ الحاكم (ت: ٤٠٥هـ - ١٠١٤م)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: يوسف عبد الرحمن، دار المعرفة، بيروت، د. ت، ج٢، ص٢٩٠-٢٩١؛ وينظر: ابن حبان، أحمد بن أبي حاتم (ت: ٣٥٤هـ -٩٦٥م)، كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الباز للطباعة، مكة المكرمة، د. ت، ج٢، ص٢١٥؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص٢٢٥؛ ابن الجوزي، الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٩٦٦م، ج١، ص٤٠٨؛ ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص١٩؛ المزي، تهذيب الكمال، ج٦، ص٤٣٠؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ج١، ص٧٧؛ وسير أعلام النبلاء، ج٤، ص٣٤٢-٣٤٣؛ ابن الوردي، عمر بن مظفر (ت: ٧٤٩هـ -١٣٤٨م)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، ج١، ص١٦٧؛ الزرندي، جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن (ت: ٧٥٠هـ-١٣٤٩م)، نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين، مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة، د. م، ١٩٨٥م، ص٢١٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣١٤.

٢ - تاريخ ابن الوردي، ج١، ص١٦٧.

والله أعلم»، وهنا يرى ابن الوردي أن هذا العدد من القتلى لا يوجد فيه مبالغة وأنه كما قال الله تعالى في الحديث القدسي.

وحين عَدَّ ابن الجوزي الحديث القدسي الآنف الذكر من الأحاديث الموضوعة [١] على النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) عقب ابن حجر الهيثمي [٢] على ذلك فقال: «وأخرج الحاكم من طرق متعددة أنّه (صلى الله عليه واله وسلم) قال: قال جبريل، قال الله تعالى: إني قتلت بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وأني قاتل بدم الحسين بن علي سبعين ألفاً، فقال: ولم يصب ابن الجوزي في ذكره لهذا الحديث في الموضوعات وقتل هذه العدة بسببه لا يستلزم أنها كعدد عدة المقاتلين له، فإن فتنته أفضت إلى تعصبات ومقاتلات تفي بذلك»، وهو بذلك يرى أن هذا العدد لم يكن بالضرورة قتلهم المختار وإنما عُد معهم مَن قُتل بعد ذلك في الفتن والثورات التي حصلت بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام).

وذكر بعض المؤرخين [٣] قول الأمام الباقر (عليه السلام) بحق المختار

---

١ - ينظر: ابن الجوزي، الموضوعات، ج١، ص٤٠٨.

٢ - ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص٢٤٧.

٣ - الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج١، ص٣٤٠؛ ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص٦٢؛ ابن داوود الحلي، الحسن بن علي (ت:٧٠٧هـ -١٣٠٦م)، رجال بن داوود، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٧٢م، ص٢٧٧؛ الحلي، أبو منصور الحسن بن يوسف (ت:٧٢٦هـ - ١٣٢٥م)، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، تحقيق: محمد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، د. م، ١٤١٧هـ، ص٢٧٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٤٣؛ الأردبيلي، جامع الرواة، ج٢، ص٢٢٠؛ البحراني، علوم العوالم، ص٦٥٢؛ البروجردي، ←

أنه قال: «لا تسبوا المختار، فأنه قتل قتلتنا، وطلب بثأرنا، وزوج أراملنا، وقسم فينا المال على العسرة».

ووصف أحد الباحثين [١] قيام المختار بالقصاص من القتلة بالقول: «أخذ المختار يتعقب بلا هوادة من خرج لقتال الحسين وشرك في دمه واحداً واحداً، فكان يحرقهم ويقطع أيديهم وأرجلهم ويطعنهم بالرماح، ويتبعه الفعلة بالمعاول لهدم دورهم، حتى بلغ من عذب منهم عشرون الفاً».

ويبدو مما تقدم أن العديد من المؤرخين يرون أن المختار تعامل مع قتلة الحسين (عليه السلام) حسب الجرم الذي ارتكبوه بحق الإمام وآل بيته (عليهم السلام) وشكر المسلمون ذلك للمختار لمكانة الإمام الحسين (عليه السلام) في قلوبهم، فضلاً عن مظلومية آل محمد (عليهم السلام) التي أفجعت قلوبهم، ومعرفتهم بدور هؤلاء القتله وتأليب الناس على الإمام الحسين وآل بيته (عليهم السلام) ومدى ارتباط هؤلاء ببني أمية الذين يتحملون الوزر الأعظم في قتل ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وما وقع عليهم يوم الطف.

← طرائف المقال، ج٢، ص ٥٨٧؛ الخوئي، معجم رجال الحديث، ج١٩، ص١٠٢.

١ - عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي، ج٢، ص١٢٢.

المبحث الثالث: موقف الأشراف والموالي والقبائل من دولة المختار

تكونّ المجتمع الكوفي من مجموعة من الطبقات منها الأشراف [1] والعامة والموالي [2]، لكن المصادر التاريخية أسهبت في دور الأشراف والموالي في دولة المختار قبل نشوئها وحتى زوالها والقضاء عليها، ففي حين يُعد الشرف: صفة لمن تميزوا بسلوك يقدره المجتمع ويرفع مكانتهم فيه فهو قائم على السلوك الاجتماعي، وأساس الشرف سمات خلقية يقدرها الناس ويولونها احتراماً،

---

١ - الشرف في اللغة علو المكان وإطلاله على ما حوله من دونه، والشرف مصدر الشريف، ويعني الشرف كذلك الحسب بالآباء، والأشراف جمع شريف. ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص١٨٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ٢٠١٦-٢٠١٧.

٢ - وردت كلمة مولى في بعض المعاجم اللغوية بعدة معاني من خلال مادة ولي، والولي والمولى بمعنى واحد في لغة العرب، وتعني الصديق والنصير والتابع والمتبوع والمحب وابن العم، والصهر والجار والحليف والشريك، وجمع مولى موالٍ، والموالاة ضد المعاداة، وكلمة مولى تدل على معنيين متضادين معاً، فهي تطلق على المالك والعبد، والمُعْتِقُ والمُعتَقْ، والمُنعِمْ والمُنْعَمَ عليه. ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص٣٩٤-٣٩٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٤٣٥٨-٤٣٦٣؛ الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ-١٤١٤م)، القاموس المحيط، مراجعة وإشراف محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١١ م، ص١٤٥٠.

وقد تكون سمة فردية وليست وراثية [١].

تطلق تسمية المولى بوجه عام على كل من دخل الإسلام من غير العرب وأُلحق بالقبائل العربية [٢]، بل قسَمَ أحد المؤرخين المحدثين أبناء القبيلة فجعلهم طبقتين: الصرحاء وهم أبناء القبيلة الذين ينتمون إلى جدٍ واحد في النسب، والموالي والتي تشمل الأحرار من الحلفاء والمحاربين والعتقاء وطبقة الأرقاء بعد ارتباطها بالقبيلة ارتباطاً مؤقتاً يدوم مادامت صلة الولاء قائمة[٣].

وذهبت العديد من المصادر التاريخية إلى أن موقف الموالي كان سبباً في وقوف الكثير من الأشراف بالضد من ثورة المختار ودولته، ولذلك فإن دور الأشراف والموالي مرتبطان فيما بينهما على الرغم من تناقض موقفهما، لكن هذا الأمر لا يمكن الأخذ به بهذه العمومية فإن هناك سبباً آخر جعل الأشراف يقفون هذا الموقف السلبي من تلك الثورة لأن الكثير منهم كان على علاقة مباشرة بمقتل الإمام الحسين (عليه السلام) ووقفوا جنباً إلى جنب مع الأمويين في قتاله، فقبل خروج التوابين لقتال أهل الشام قال عبد الله بن سعد ابن نفيل أحد قادهم لسليمان بن صرد الخزاعي: «...إنما خرجنا نطلب بدم

---

١ - العلي، الكوفة وأهلها في صدر الإسلام، ص٤٤٠.

٢ - فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة العربية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، الطبعة الثانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٤٧٠-٤٧١.

٣ - علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثانية، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٩٣ م، ج٤، ص٣٥٦-٣٦٠.

الحسين، وقتلة الحسين كلهم بالكوفة منهم عمر بن سعد بن أبي وقاص ورؤوس الأرباع وأشراف القبائل فأنى نذهب ههنا وندع الأقتال والأوتار»[١]، وهذه الرواية تشير بوضوح إلى دور أشراف الكوفة في قتال الإمام الحسين (عليه السلام).

ويبدو أن المختار وأصحابه كانوا يتوجسون خيفة من موقف الأشراف المعادي لثورتهم فكان ذلك سبباً في توجههم لضم إبراهيم بن مالك الأشتر لصفوف الثورة، فقد ذكر الطبري[٢] في تاريخه بسنده عن أبي مخنف قول أصحاب المختار له: «إنّ أشراف الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع؛ فإن جامعنا على أمرنا إبراهيم بن الأشتر، رجونا بإذن الله القوة على عدونا وأن لا يضرنا خلاف من خالفنا».

وفي رواية أخرى ذكرها البلاذري[٣] يستشف منها عدد الأشراف الذين وقفوا ضد المختار: «ومكث أبن مطيع - في قصر الإمارة بالكوفة – ثلاثاً يرزق أصحابه الدقيق، ومعه أشراف الناس إلا عمرو بن حريث، فإنه دخل

١ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٢٨٥-٢٨٦، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦-٧؛ وينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٦٩؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢١٣-٢١٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٠٩.

٢ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٤٠؛ وينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٨٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٤٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٨-٩.

٣- جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٩٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص ٥٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٦٤٩.

القصر معه، ثم كره الحصار فخرج من الكوفة»، ثم استطرد البلاذري [١] في ذكر موقف الأشراف من ابن مطيع وكيف أنه استشارهم في طلب الأمان من المختار وشكرهم على طاعتهم له ولابن الزبير.

ويظهر مما تقدم أن الكثير من أشراف الكوفة موالون لآل الزبير فقاتلوا مع ابن مطيع وهم مَن أشاروا عليه بطلب الأمان بعد أن وجدوا أن كفة المختار هي الراجحة في تحقيق النصر.

لكن الطبري [٢] ذكر بسنده عن أبي مخنف رواية أوفى وأكثر تفصيلاً عن موقف الأشراف عند وثوب المختار بالكوفة، فروى قول ابن مطيع لهم قُبيل خروجه من قصر الكوفة وتسليم الأمر للمختار: «أما بعد، فقد علمت الذين صنعوا هذا منكم مَن هم؛ وقد علمت إنما هم أراذلكم وسفهاؤكم وطغامكم وأخساؤكم، ماعدا الرجل أو الرجلين، وأن أشرافكم وأهل الفضل منكم لم يزالوا سامعين مطيعين مناصحين، وأنا مبلغ ذلك صاحبي – يعني عبد الله بن الزبير- ومُعْلمه طاعتكم وجهادكم عدوَّه، حتى كان الله الغالب على أمره، وقد كان من أمركم ما أشرتم به عليّ ما قد علمتم - أي طلب الأمان من المختار لنفسه ولأصحابه – وقد رأيت أنْ أخرج الساعة. فقال له شبث: جزاك الله من أمير خيراً! فقد والله عففت عن أموالنا، وأكرمت أشرافنا، ونصحت لصاحبك، وقضيت الذي عليك، والله ما كنا لنفارقك أبداً إلاّ

٤ - جمل من أنساب الأشراف، ج ٦، ص٣٩٤.

٥ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥١؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٣٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٤٩.

ونحن منك في إذن».

ومن الملاحظ على هذه الرواية أن ابن مطيع كان في غاية الرضا عن أشراف الكوفة على الرغم من الهزيمة التي حلت به وضياع ولاية الكوفة منه وحرجه من ابن الزبير حتى وصل به الأمر أن يغير رأيه في الذهاب للحجاز والتوجه إلى البصرة حياءً منه، وكذلك أشار ابن مطيع بكل وضوح لمن كان مع المختار منهم فهم لا يتعدون الرجل والرجلين من علية القوم وأشرافهم أما الآخرون فهم سفهاء القوم وأراذلهم وهي إشارة واضحة للموالي وعامة الناس، ويتضح كذلك من الرواية نفسها طاعة الأشراف لابن مطيع من قول شبث بن ربعي إنّ أشراف الكوفة لا يمكن لهم مفارقة ابن مطيع إلا بإذنه.

وسبق وأن أشرنا إلى تداخل موقف الأشراف والموالي من ثورة المختار بسبب الوضع الاجتماعي لكل منهما واتخاذ الأشراف من تلك الحجة سبباً ظاهرياً على الأقل في حين أن واقع الأمر يشير إلى عدة أسباب أهمها أشتراك أشراف الكوفة في قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وقبل التطرق إلى تلك المواقف، لابد لنا أن نعرج قليلاً على الموالي ووضعهم الذي كانوا يعانون منه في ظل دولة بني أمية.

شكل الموالي إحدى مكونات المجتمع الكوفي منذ تمصيرها فقد كانوا جنباً إلى جنب مع قبائلهم وأسيادهم، فكان مع كل قبيلة من العرب عدد كبير منهم فإذا خرجت تلك القبيلة للحرب خرجوا معها وحاربوا في سبيل

نصرها[١]، وأزداد عدد الموالي بعد فتح العراق، ثم تضاعف عددهم في عصر الأمويين [٢]، حتى وصل عددهم في الكوفة إلى أكثر من نصف سكانها [٣]، أما عن أصولهم وأماكن تواجدهم في العراق فيرى فلهاوزن [٤] أنه: «كان في البصرة والكوفة عدد كبير من المسلمين الجدد أو الموالي، وكانوا أول أمرهم أسرى حرب قد أُطلقوا وكان معظمهم من أصل فارسي»، في حين أرجع بروكلمان [٥] أصول الموالي في العراق إلى الآراميين والفرس الذين اعتنقوا الإسلام.

وبذلك شكل الموالي جزءاً رئيساً من التركيبة السكانية لمدينة الكوفة وباقي مدن العراق، وكان لبعضهم دورٌ مهمٌ ومؤثرٌ في الأحداث لاسيما الثورات التي قامت ضد الحكم الأموي، ومن هؤلاء المجموعة التي أطلق عليها حمراء الديلم، الذين كان عددهم أربعة الآف شخص يعملون في خدمة القائد الفارسي رستم فشهد هؤلاء معه القادسية ولما قُتل أسلموا وشهدوا مع

---

١ - زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، تحقيق: حسين مؤنس، دار الهلال، القاهرة، د. ت، ج٤، ص٩٨.

٢ - زيدان، التمدن الإسلامي، ج٤، ص٩٨.

٣ - فلهاوزن، الخوارج والشيعة، ص٢١١؛ أمين، أحمد، فجر الإسلام، الطبعة العاشرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩م، ص٩٢.

٤ - تاريخ الدولة العربية، ص٢٦٩؛ وينظر عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ج٢، ص١١٧.

٥ - كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨ م، ص١٣٢.

المسلمين فتح المدائن وجلولاء، ثم سكنوا الكوفة مع المسلمين[١]، وتسمية حمراء الديلم لا تدل على المكان الذي جاؤوا منه ولا الحرفة التي امتهنوها[٢] بل تدل على لون بشرهم[٣]، فالعرب عندما تقول جئت من الحمراء كقولهم جئت من جهينة أو غيرها من القبائل لأنهم يسمون العجم الحمراء[٤].

وأشار البلاذري إلى أصولهم فذكر روايتين: الأولى، أنهم مقاتلون أساورة[٥] من فارس يدفعون خطر الديلم عن بلادهم، فلما فتح المسلمون قزوين أسلموا على أن يكونوا مع من شاؤوا فنزلوا الكوفة[٦]. والأخرى، أنهم من الديلم استنجد بهم أهل قزوين، فوعدوهم بمساعدتهم ولم ينصروهم، فلما أنتصر المسلمون أسلموا ونزلوا الكوفة، فسموا حمراء الديلم[٧].

ويستبعد أحد المؤرخين المحدثين[٨] أنهم أسلموا بُعيد القادسية وأنهم

---

١ - البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٩٤-٣٩٥؛ العلي، الكوفة وأهلها، ص٤٠٤.

٢ - العلي، الكوفة وأهلها في صدر الإسلام، ص٤٠٧.

٣ - علي جواد، المفصل، ج٤، ص٣٠٩.

٤ - البلاذري، فتوح البلاذري، ص٣٩٤.

٥ - الأساورة: مفردها: الإسْوارُ وهو قائد الفرس، وقيل الجيد الرمي بالسهام، الجيد الثبات على ظهر الفرس؛ وهم قوم من العجم نزلوا البصرة كانوا على مقدمة يزدجرد فلما ظهر الإسلام على الفرس في زمن عمر بن الخطاب دخلوا فيه على شروط، وفرض لهم العطاء، فنزلوا البصرة وحالفوا بني تميم. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣١٧؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص١٩٣٧.

٦ - البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٩٤؛ العلي، الكوفة وأهلها في صدر الإسلام، ص٤٠٦.

٧ - البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٤٩.

٨ - العلي، الكوفة وأهلها، ص٤٠٥-٤٠٩.

أشتركوا في فتوح المدائن وجلولاء ويستدل بقوة دولة الفرس آنذاك وإن انهزمت في القادسية فإن مُلك فارس لم ينهار إلا بعد معركة نهاوند فيرى أنهم أسلموا بعد فتح قزوين، أما عن أصولهم فيقول: «ولعلهم كانوا في الأصل من الديلم ثم انضموا إلى الإسلام وأُسكنوا في الكوفة» [١].

وعلى الرغم من الاختلاف في أصول الحمراء لكن نستطيع القول إنّهم من الأساورة ويؤيد هذا قول إبراهيم بن الأشتر عندما سُئل عن جيشه يوم الخازر قال: «هم أولاد الأساورة من فارس، والمرازبة [٢]» [٣]، كما أن هذه الرواية تعضد رواية البلاذري التي ذكر فيها أن أصل حمراء الديلم هم من الأساورة.

أما موقف الموالي من ثورة المختار ومن قيام دولته فقد أوردت المصادر التاريخية معلومات مهمة عنه، فقد كانوا مؤيدين للثورة وذلك لمجموعة من الأسباب منها أنّهم كانوا يشعرون بالاضطهاد والتمييز الطبقي في المجتمع، فتعرضوا لأنواع متعددة من الظلم، ولم ينصفهم سوى تولي الإمام علي (عليه السلام) خلافة المسلمين، وذلك بعد أن بثوا شكواهم له من الظلم

---

١ - العلي، الكوفة وأهلها، ص٤٠٥-٤٠٩.

٢ -المرازبة: من الفرس معرب، ومفردها مرزبان، وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك، ويطلق على صاحب الثغر، لأن المرز في لغة فارس الثغر، وبان القيم. ينظر: المسعودي، التنبيه والأشراف، دار صعب، بيروت، د. ت، ص٩٠؛ الجوهري، الصحاح، ج١، ص١٣٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص١٤٩٧.

٣ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٧٠.

الذي تعرضوا له لاسيما في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (١٣هـ-٢٣هـ) الذي شدد على التمييز بين العرب والموالي من غير العرب [١]، فكان جواب الإمام علي (عليه السلام) لهم: «يا معشر الموالي، إن هؤلاء صيروكم بمنزلة اليهود والنصارى، يتزوجون إليكم ولا يزوجونكم، ولا يعطونكم مثل ما يأخذون فاتّجروا بارك الله فيكم» [٢]، وهذا دفعهم إلى تأييد المختار الذي عُرف عنه ولاؤه لآل البيت والطلب بثأرهم، فكانوا يأملون بنجاح الثورة من أجل تأسيس دولة تشبه دولة الإمام علي (عليه السلام)، ويؤيد ما ذهبوا إليه من أن الإمام علياً (عليه السلام) كان يحب الموالي ويسعى إلى رفع المعاناة عنهم أنه كان يخصص نصيبه المالي من الأنفال لافتداء الأسرى الفرس وكثيراً ما أقنع الخليفة الثاني بمشورته بتخفيف عبء الرعية في فارس [٣].

فما أن تقلد الإمام علي (عليه السلام) الخلافة حتى اتبع سياسة مغايرة تماماً لمن كان قبله، «...وأعطى الناس بالسوية لم يفضل أحداً على احد،

---

١ - الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص١٠٢.

٢ - الكليني، أصول الكافي، ج٥، ص٣١٨-٣١٩؛ وينظر: الثقفي، الغارات، ج٢، ص٨٢٣؛ الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت: ١١٠٤هـ -١٧٦٢م)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: محمد الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١٤، ص٤٦؛ البحراني، الشيخ هاشم (ت: ١١٠٧هـ-١٦٩٥م)، حلية الأبرار، تحقيق: غلام رضا، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١٤هـ، ج١، ص٣٧٧؛ السبحاني، أضواء على الشيعة الأمامية، ص٣٢٦؛ الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص١٠٢؛ جعفريان رسول، الشيعة في إيران، ترجمة: علي هاشم ألأسدي، الطبعة الثانية، المؤسسة الرضوية المقدسة، مشهد، ١٤٣٠هـ، ص٦٩.

٣ - المرتضى، حياة الإمام الرضا، ص١٧٣؛ جعفريان، الشيعة في إيران، ص٧٠.

وأعطى الموالي كما أعطى الصليبة، وقيل له في ذلك، فقال: قرأت ما بين الدفتين، فلم أجد لولد إسماعيل على ولد إسحاق فضل هذا، وأخذ عوداً من الأرض، فوضعه بين إصبعيه».[١]، وحين جاءته امرأتان أحداهما من العرب والأخرى من الموالي فساوى بينهن في العطاء، فقالت له الأولى كيف ساويت بيننا وهذه من العجم، فقال لها: «إني والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق» [٢]

وكان رده حاسماً وقاسياً على الأشعث بن قيس حين قال له: «غلبتنا هذه الحمراء على قربك يعني العجم فركض المنبر برجله حتى قال صعصعة بن صوحان[٣]: مالنا وللأشعث! ليقولن أمير المؤمنين عليه السلام اليوم في العرب قولاً لا يزال يذكر، فقال عليه السلام: من يعذرني من هؤلاء الضياطرة[٤]! يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار، ويهجر قوماً للذكر، أفتأمرونني أن أطردهم!، ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين! أما والذي

١ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٢٧، الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص١٠٣.

٢ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج١، ج٢، ص٣٦٥.

٣ - هو صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث بن الهجرس بن عبد القيس من ربيعة، يكنى أبا طلحة، من كبار صحابة الإمام علي (عليه السلام)، كان شريفاً، خطيباً، مطاعاً، أميراً، مفوهاً، شهد حرب الجمل مع الإمام علي (عليه السلام)، وحمل راية قومه بعد استشهاد أخويه زيد وسيحان في تلك المعركة. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٣٤٠-٣٤١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٥٢٨-٥٢٩.

٤ -الضياطرة: مفردها ضيطر الرجل الضخم الذي لا غَناءَ عنده ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٢٣١٢.

فلق الحبة، وبرأ النسمة، ليضربنكم على الدين عَوْداً كما ضربتموهم عليه بَدْءاً»[١]، ورفض قبول هداياهم رأفةً بهم وقال لهم: نحن أغنى منكم وأحق بأنْ نفيض عليكم، وأوصى عماله بحسن معاملتهم[٢].

وكان الموالي أوفياء للإمام علي (عليه السلام) منذ الأيام الأولى لخلافته فقد رفضوا تسليم بيت المال في البصرة لأصحاب الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله حين قدموا البصرة، حتى يقدم الإمام علي (عليه السلام) عليهم، فدفعوا حياتهم ثمناً لذلك إذ عدى عليهم الزبير وطلحة ومن تابعهم وقتلوهم، وكانوا موكلين بحماية بيت المال أكثر من أربعين رجلاً كلهم من الموالي[٣]، وعن مشاركة الموالي في صفين يقول أحد المؤرخين المحدثين[٤]: «ويبدو أن الموالي المقاتلة أخلصوا في الالتفاف حول علي بن أبي طالب - عليه السلام - وفي عدم معارضتهم له»، وهذا لأنهم كانوا يرفلون بالخير والمساواة والعدالة في ظل دولة الإمام علي (عليه السلام) فأخلصوا في ولائهم له والتفوا حوله.

ولما استولى معاوية بن أبي سفيان على الحكم بالسيف والمال ساءت أحوال الشيعة بشكل عام والموالي بشكل خاص، إذ لم يكن حالهم بأفضل

---

١ -ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج ١٠، ج٢٠، ص٤١٩.

٢ -اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٣٠، ١٤١.

٣ - البلاذري، فتوح البلدان، ص٥٢٣ -٥٣٣؛ وينظر ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص٧٤؛ المفيد، الجمل والنصرة لسيد العتره في حرب البصرة، تحقيق: علي شيري، الطبعة الثانية، كتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٦هـ، ص٢٨١؛ حسين، الفتنة الكبرى، ج٢، ص٣٦-٣٧.

٤ -العلي، الكوفة وأهلها في صدر الإسلام، ص٤١٩.

حالٍ من الشيعة الذين سلط عليهم معاوية زياد بن أبيه «وكان أشد الناس بليةً أهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة،....فقتلهم تحت كل كوكب وحجر ومدر وأجلاهم وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل منهم وصلبهم على جذوع النخل.».[1] وقال يزيد بن أنس - أحد قادة المختار - يحث أصحابه على قتال ابن مطيع: «يا معشر الشيعة، قد كنتم تُقتلون وتُقطع أيديكم وأرجلكم، وتسمل عيونكم، وترفعون على جذوع النخل في حب أهل بيت نبيكم؛ وأنتم مقيمون في بيوتكم، وطاعة عدوكم، فما ظنكم بهؤلاء القوم إن ظهروا عليكم اليوم، إذاً والله لا يدعون منكم عيناً تطرف، وليقتلنكم صبراً، ولترون منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خير منه.»..[2]، كذلك فإن كتاب معاوية (٤١هـ -٦٠هـ) إلى زياد بن أبيه في كيفية التعامل مع الموالي يبين الظلم والتمييز الذي تعرضوا إليه أن «انظر إلى الموالي ومن أسلم من الأعاجم فخذهم بسنة عمر بن الخطاب فإن في ذلك خزيهم وذلهم، أن تنكح العرب فيهم ولا ينكحوهم، وأن ترثهم العرب ولا يرثوهم، وأن تقصر بهم في عطائهم وأرزاقهم، وأن يقدموا في المغازي يصلحون الطريق ويقطعون الشجر، ولا يؤم أحد منهم العرب في صلاة، ولا يتقدم أحد منهم في الصف الأول إذا حضرت العرب إلا أن يتموا الصف، ولا تول أحداً منهم

---

١ - سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس، ص٢٣٦.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٤٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٤٦؛ وفي رواية ابن أعثم جعل هذا القول للسائب بن مالك الأشعري أحد قادة المختار ينظر: ابن أعثم، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٣٧.

ثغراً من ثغور المسلمين، ولا مصراً من أمصارهم، ولا يلي أحدٌ منهم قضاء المسلمين ولا أحكامهم فإن هذه سنة عمر فيهم وسيرته،... ولعمري يا أخي، لو أن عمر سن دية المولى نصف دية العربي لكان أقرب إلى التقوى، ولو وجدت السبيل إلى ذلك ورجوت أن تقبله العامة لفعلت! ولكني قريب عهد بحرب فأتخوف فرقة الناس واختلافهم علي.».. (١)

كما وصل الأمر بمعاوية أنه أراد قتل الموالي فاستشار في ذلك الأحنف ابن قيس فقال: «إني رأيت هذه الحمراء قد كثرت.... فقد رأيت أن أقتل شطراً وأدع شطراً لإقامة السوق وعمارة الطريق».. (٢)، ولم ينقذهم من ذلك سوى أن معاوية أخذ بمشورة الأحنف بن قيس الذي لم يوافقه على رأيه وعَظمَ عليه قتل الموالي (٣).

وأشار أحد الباحثين (٤) في خضم دفاعه عن سياسة الأمويين تجاه الموالي - إلى ما يتعرض له محبو آل البيت وشيعتهم دون أن يقصد ذلك - فيرى أن هناك مبالغة في وصف التمايز والاضطهاد الذي تعرض له الموالي زمن الأمويين ومن بين الأدلة التي يستدل بها على ذلك أن الأمويين اضطهدوا الموالي والعرب على حد سواء، وهو لم يبتعد عن الصواب كثيراً لأن الأمويين

---

١ - سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس، ص١٩٢ -١٩٣؛ ينظر: الثقفي، الغارات، ج٢، ص٨٢٤؛ الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص١٠٤.

٢ - ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٣، ص٤٠٠؛ أمين، فجر الإسلام، ص٩٠.

٣ - ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٣، ص٤٠٠؛ أمين، فجر الإسلام، ص٩٠.

٤ - فوزي، فاروق عمر، حركة المختار الثقفي، مجلة آفاق، بغداد، العدد ١، ١٩٧٧م، ص٨٠.

ظلموا عامة المسلمين، لكن الضرر الأكبر لحكمهم وقع على محبي آل البيت من العرب والموالي إلا أن هذا الباحث حاول من خلال آرائه المتقدمة أن يدافع عن الأمويين ويبرر سياستهم في ظلم الموالي وغيرهم من طبقات المجتمع والتي أعترف الأمويون أنفسهم بها فمن أجل أن يحصل الحجاج بن يوسف الثقفي على الأموال فرض الجزية على من أسلم من الموالي وهي مخالفة صريحة لتعاليم الإسلام السمحاء، فلما جاء عمر بن عبد العزيز «٩٩هـ - ١٠١هـ» رفض ذلك وقال إن الله بعث محمداً (صلى الله عليه واله وسلم) داعياً ولم يبعثه جابياً [١].

ويبدو أن مصير الموالي والشيعة في دولة بني أمية متشابه إلى حد كبير بل إنّ أسباب عداء الأمويين لهم لحبهم لآل البيت وموالاتهم للإمام علي (عليه السلام)، فضلاً عن أنّهم ليسوا من العرب، وهو ما يفسر أن هناك تقارباً بين الموالي والشيعة، وعلل المستشرق الهولندي فان فولتن نقمة الخرسانيين وغيرهم من الإيرانيين على الأمويين بسبب حكمهم الجائر ونيرهم الذي لا يحتمل، وتوقاً إلى عدالة أهل البيت (عليهم السلام) التي عاشوا في ظلها ردحاً من الزمن [٢].

لم يكن انضمام الموالي والعبيد للمختار وليد الصدفة، فقد تنبه المختار إلى قضية الموالي والعبيد في وقت مبكر كما ورد في بعض المصادر، فذكر

---

١ - ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٢٧٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص١٤٧.

٢ - السيطرة العربية، ص٩٤.

البلاذري روايتين بهذا الشأن جاء في الأولى [١]:

«ركب المختار يوماً مع المغيرة بن شعبة، فمّر بالسوق فقال المغيرة: أما والله لأعرف كلمة لو دعا بها أريب لأستمال بها أقواماً فصاروا له أنصاراً، ثم لاسيما العجم الذين يقبلون ما يلقى إليهم، قال المختار: وما هي يا عم؟ قال يدعوهم إلى نصرة آل محمد والطلب بدمائهم، فكانت في نفس المختار حتى دعا»، أما الثانية ذكر فيها قول المختار: «من جاءنا من عبد فهو حُرّ، فبلغ ذلك ابن الزبير فقال: قد كان يقول إني لأعرف كلمة لو قلتها كثر تَبَعي، وهي هذه لَيكثرنّ تبَعُه» [٢].

ومن المسلم به أن المغيرة من دهاة العرب، وقد لا يخونه حدسه في أغلب الأحيان، لكن أغلب نصائحه طغى عليها طابع الغش والخداع ولا يهدف من ورائها إلا تحقيق مآربه الشخصية وحبه المتفاني للسلطة، وربما كان صادقاً في مقولته هذه، للقرابة التي بينه وبين المختار، وإن اختلفا في التوجه والولاء؛ فالمغيرة أنهى حياته في خدمة السلطة الأموية، والمختار أفناها في الولاء لآل محمد، لكن يؤخذ على رواية البلاذري الأولى قول المغيرة الطلب بدماء آل محمد إن كان المقصود منها دماء الامام الحسين وأهل بيته (عليهم السلام) فلا يمكن الأخذ بذلك فالمغيرة بن شعبة توفي سنة إحدى وخمسين للهجرة [٣]، أي

١ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٨٧؛ المقرم، تنزيه المختار، ص٧؛ فوزي، حركة المختار الثقفي، ص٨٠.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٤٨.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٧٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤١٤.

قبل استشهاد الأمام الحسين بعشر سنين على الأقل.

لكن المختار لم يغب عنه ما يعانيه الموالي والعبيد من الظلم والحرمان فالكثير منهم كان يسكن الكوفة والمختار ليس بعيداً عن ذلك، والموالي الذين أسلموا إبان فتح العراق تعرضوا للكثير من الظلم والحرمان منذ ذلك الوقت؛ إذا ما استثنينا خلافة الإمامين علي والحسن (عليهما السلام). وكان الموالي والعبيد وغيرهم من طبقات المجتمع التي تمني نفسها بعودة تلك العدالة وحسن المعاملة في ظل سلطة تسير على نهج وخطى الأمام علي (عليه السلام).

ويبدو أن معالم دولة المختار توحي منذ بدايتها أنّها سوف تسير على ذلك النهج وتلك العدالة فقبل وثوب المختار بالكوفة، خطب ابن مطيع في الكوفة لما وليها لابن الزبير، فقام إليه السائب بن مالك الأشعري من رؤوس أصحاب المختار فقال له: «أما أمر ابن الزبير إياك أن لا تحمل فضل فيئنا [(١)] عنا إلا برضانا فإنا نشهدك أنا لا نرضى أن تحمل فضل فيئنا عنا؛ وأن لا يقسم إلا فينا؛ وأن لا يسار فينا إلا بسيرة علي بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك رحمة الله عليه، ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فيئنا؛ فإنها إنما كانت أثرةً وهوىً، ولا في سيرة عمر بن الخطاب في فيئنا.... فقال يزيد بن أنس - وهو من قادة المختار كذلك -: صدق السائب بن مالك

---

١ -الفيء: هي الأموال التي حصل عليها المسلمون دون قتال. ينظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت: ٤٥٠هـ - ١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨ م، ص١٩٩؛ الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص١٥٧.

وبَرَّ، رأينا مثل رأيه، وقولنا مثل قوله» [١]

ويعزز ما ذكرناه ما جاء في كتاب الفَرق بين الفُرق من أن المختار وعد عبيد أهل الكوفة بأنه يعطيهم أموال أسيادهم [٢]، ولا يخفى في هذه الرواية تحامل البغدادي على المختار فهذا الأمر لا يعدو كونه أن الموالي وغيرهم من طبقات المجتمع تعرضت للكثير من الظلم والحيف الذي وقع عليهم فحاول المختار القيام بإصلاح أوضاعهم وإرجاع الأمور إلى ما كانت عليه زمن الإمام علي (عليه السلام) وهو ما أشار إليه السائب في رده على خطبة ابن مطيع.

كما ذكر أحد الباحثين [٣] أن المختار فضلاً عن أنّه نادى بأخذ الثأر من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام)«وعد الأعاجم بالمساواة في العطاء مع العرب».

ومن خلال ما تقدم يمكن القول إنّ المختار صرح بأهداف ثورته ورؤيته المستقبلية في التعامل مع الموالي قبل انتصاره وإنشاء دولته، لذلك نجد الموالي شاركوا في ثورة المختار منذ بدايتها يمّنون أنفسهم بعودة عدالة الإمام علي (عليه السلام) للتخلص مما يعانونه، فذكر الدينوري [٤]:«... أنّ المختار بن

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٣٨ - ٦٣٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص٦ -٧.

٢ -الفَرق بين الفُرق، ص٥٦.

٣ -الراوي، تاريخ الدولة العربية، ج٢، ص١٥٩.

٤ - الأخبار الطوال، ص٢٦٤.

أبي عبيد الثقفي جعل يختلف إلى شيعة بني هاشم، ويختلفون إليه، فيدعوهم إلى الخروج معه والطلب بدم الحسين؛ فاستجاب له بشر كثير، وكان أكثر من استجاب له همدان، وقوم من أبناء العجم الذين كانوا بالكوفة، ففرض لهم معاوية وكانوا يسمون الحمراء وكان منهم بالكوفة زُهاء عشرين ألف رجل»، ويبدو أن هؤلاء الحمراء وغيرهم كانوا يترددون عليه، فلما سُئل المختار عن هذه الجماعات التي تغدو وتروح إليه، قال: «مريض يعاد». [١]

ويرى بروكلمان [٢] أنّ اجتذاب المختار للموالي إلى جانبه كان موفقاً وذلك لأن العرب ينظرون إليهم كمواطنين من الدرجة الثانية، ولذلك نرى الموالي يقاتلون مع المختار والتزموا جانبه، كما ذكر الطبري [٣] بسنده عن أبي مخنف أن شبث بن ربعي نادى أصحابه قائلاً: «يا حماة السوء! بئس فرسان الحقائق أنتم! أمن عبيدكم هربون؟.؟»، في إشارة واضحة إلى عدد الموالي والعبيد الذين يقاتلون إلى جنب المختار والذي يظهر أنّهم يشكلون أغلبية الجيش، وأورد الطبري [٤] رواية أخرى تتحدث عن قول ابن مطيع لأشراف الكوفة وهي لا تختلف كثيراً عن الرواية السابقة إلا من حيث الألفاظ فقال: «أيها الناس، إن من أعجب العجب عجزكم عن عصبة منكم قليل عددها،

---

١ -الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٦٤.

٢ - تاريخ الشعوب الإسلامية، ص١٣٢ -١٣٣.

٣ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٤٧.

٤ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٤٧؛ وينظر: ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٣٧ - ٢٣٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٤٨.

خبيث دينها، ضالة مضلة، أخرجوا إليهم فامنعوا منهم حريمكم وقاتلوهم عن مصركم، وامنعوا منهم فيئكم، وإلا والله ليشاركنكم في فيئكم من لا حق له فيه؛ والله لقد بلغني أن فيهم خمسمائة رجل من محرريكم عليهم أمير منهم، وإنما ذهاب عزكم وسلطانكم وتغير دينكم حين يكثرون. ثم نزل».

يتضح من قول ابن مطيع مدى تحامل السلطة الزبيرية في الكوفة على الموالي، وتناغمها مع أشراف الكوفة الذين ينظرون للموالي على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية، لا يمتهنون سوى الحرف اليدوية والمهن التجارية[١]، وكذلك يظهر من كلام ابن مطيع أن هؤلاء سيشاركون العرب في الفيء، ويحذرهم من ذلك، على الرغم من أن المختار لم يثب بالكوفة بعد ولم يعطِ فيئاً، لكن يظهر أنّ منهجه ومعالم دولته اتضحت حين أشترط أصحابه على ابن مطيع منذ اليوم الأول لولايته على الكوفة أن يسير فيهم بسيرة علي بن أي طالب (عليه السلام) [٢]، لكن هذه الرواية تشير إلى عدد الموالي فتجعلهم خمسمائة رجل. ويبدو أن العدد الذي أشار إليه ابن مطيع هم الذين تحت إمرة أحد الموالي وهو كيسان أبو عمرة، دون الإشارة لغيرهم، في

---

١ - ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٣، ص٣٩٩-٤٠١؛ أمين، فجر الإسلام، ص٩٠؛ بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص١٣٢ -١٣٣؛ زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج٤، ص٩٨؛ فلهاوزن، الخوارج والشيعة، ص٢١١.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٣٨ - ٦٣٩؛ خريسات، محمد عبد القادر، الدولة الأموية من النهوض إلى السقوط، دار اليازوري، أربد، ٢٠١١م، ص١٩٥.

حين هناك العديد منهم قاتلوا في المعركة نفسها تحت قادة آخرين[١]، والظاهر أن ابن مطيع يسير على نهج آل الزبير في تعامله مع الموالي والعبيد ولم يكن ذلك يمثل رأيه الشخصي فحسب؛ فروي عن مصعب بن الزبير قوله عندما أعطى الأمان لأصحاب المختار في القصر: «أقتلوا الموالي وأعفوا عمن كان صليبة مع المختار»..[٢]، فاعترض بعض أصحابه فقالوا: «ما هذا بحُكم الإسلام، فقتل الجميع»[٣].

وعندما طرد المختار ابن مطيع وسيطر على الكوفة وأسس حكومته جعل كيسان أبا عمرة وهو أحد الموالي على حرسه الخاص[٤]، ومنحه بعض الصلاحيات الاستثنائية[٥]، كما أن المختار سعى لضمان حقوقهم الاجتماعية فعمل على مساواتهم مع الآخرين سواء في العطاء أو المكانة الاجتماعية، أي أنه ألغى الطبقية التي كانت سائدة قبله[٦]، لكن سياسته التي تتصف بالحنكة ومعرفته بأمور الحرب، أوجبت عليه أن يتريث قليلاً في إثارة غضب الأشراف لحين استقرار دولته، فأثارت تلك السياسة مخاوف وحفيظة

---

١ -الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٤٧.

٢ -البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٤٣.

٣ -البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٤٣.

٤ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٤٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٥٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١١؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣١.

٥ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٦٨.

٦ -البيشوائي، سيرة الأئمة الإثني عشر، ص٢٠٣.

الموالي، ولما أخبره كيسان بتلك المخاوف قال المختار له: «قل لهم لا يشقن ذلك عليكم، فانتم مني وأنا منكم. ثم سكت طويلاً، ثم قرأ {إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ}[1]... فقال - الموالي - بعضهم لبعض أبشروا، كأنكم والله به قد قتلهم»[2].

ولابد من الوقوف أمام كلمات المختار هذه فهي تشير إلى العديد من الأمور: منها؛ قوله "أنتم مني وأنا منكم" فهو يعني أن المختار ساوى بينه وبين الموالي وهذا الأمر لا يروق للعرب بشكل عام والأشراف بشكل خاص، وسبق وأن أشرنا إلى العديد من الشواهد أعترض فيها العرب والأشراف على سياسة الإمام علي (عليه السلام) لأنه قسم بالسوية وأرجع الأمور إلى نصابها الصحيح، ومن يعترض على سياسة الإمام علي (عليه السلام) من الطبيعي أن يناهض المختار على ذلك إذا ما علمنا أن الفترة التي أعقبت استشهاد الإمام علي (عليه السلام) وقيام دولة المختار، كرس فيها الأمويون العصبية العربية وغذوها من أجل البقاء على نفوذهم وحكمهم.

والأمر الآخر هو أن المختار أوضح من خلال كلامه مع أبي عمرة وقراءته للآية {إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ}[3] شبه أشراف الكوفة بالمجرمين الذين قصدهم الله تعالى في الآية الكريمة الذين اكتسبوا الآثام واقترفوا

---

١ -السجدة، الآية ٢٢.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٢؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٥٧-٢٦٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٤.

٣ -السجدة، الآية ٢٢.

السيئات لتكذيبهم وإعراضهم[١]، وقول أبي عمرة "أبشروا" يوضح إخلاص هؤلاء الموالي في الانتقام من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام)، فضلاً عن مدى الظلم الذي كانوا يعانونه من الأشراف.

ولما جهز المختار جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل للتوجه إلى الموصل لقتال عبيد الله بن زياد، كان على رأس ذلك الجيش يزيد بن أنس، فلما التقى الجمعان بالقرب من الموصل نادى أحد قادة عبيد الله بن زياد أصحابه يحثهم على القتال فقال: «يا أهل الشام، إنكم إنما تقاتلون العبيد الآباق وقوماً قد تركوا الإسلام وخرجوا منه، ليست لهم بَقِيّة ولا ينطقون بالعربية»[٢]، وهذه الرواية تبين دور الموالي المهم في جيش المختار، في الوقت نفسه الذي حاول فيه ذلك القائد أن يثير العنصرية لدى قواته فيقول لهم إنّهم لا ينطقون بالعربية.

وعلى الرغم من انتصار جيش يزيد بن أنس إلا أن وفاته أدت إلى انسحاب خليفته على الجيش ورقاء بن عازب الأسدي بعد أن علم بقدوم أهل الشام بأكثر من ثمانين ألف مقاتل إلى الموصل، فبعث المختار إبراهيم بن الأشتر على رأس جيش كبير لقتالهم، ولم يبق في الكوفة إلا القليل من المقاتلين مع المختار، فحاول أعداء المختار استغلال تلك الظروف وأشاعوا

---

١ - الطبري، جامع البيان، ج٢١، ص١٣٤؛ القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (ت: ٦٧١هـ-١٢٧٢م)، الجامع لأحكام القرآن (المعروف بتفسير القرطبي)، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج١٤، ص١٠٨.

٢ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٥٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٨.

بين الناس أن جيش يزيد بن أنس هُزم وأنّ يزيد لم يمت وإنما قتل على أيدي أهل الشام، فخرج الأشراف من أتباع بني أمية في الكوفة وحاصروا المختار في القصر، لكن المختار استطاع أن يبعث إلى إبراهيم ويأمره بالرجوع إلى الكوفة على الفور، فاستطاع المختار القضاء على تلك المؤامرة بعد وصول ابن الأشتر للكوفة [١].

كذلك فإن بعض المصادر التاريخية عزت أسباب نقض الأشراف الموالين لبني أمية وآل الزبير بيعة المختار وتمردهم عليه فكان أهمها موقفه من الموالي: «لما مات يزيد بن أنس التقى أشراف الناس بالكوفة فأرجفوا بالمختار وقالوا: قتل يزيد بن أنس ولم يصدقوا أنه مات، وأخذوا يقولون: والله لقد تأمر علينا هذا الرجل بغير رضا منا، ولقد أدنى موالينا، فحملهم على الدواب، وأعطاهم المال، وأطعمهم فيئنا، ولقد عصتنا عبيدُنا»[٢]، وحين ذكر ابن خلدون[٣] نقض متمردي الكوفة لبيعتهم للمختار قال: «وشكوا - أشراف الكوفة - من سيرة المختار وإيثاره الموالي عليهم»، فكان أعظم شيء أحدثه المختار على الأشراف هو أن جعل للموالي نصيباً من الفيء كبقية المسلمين[٤].

إن رواية أبي مخنف المتقدمة تبين تأثير الطبقية في مجتمع الكوفة، فهؤلاء

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٠.

٢ -الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص ٦٠؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٦٠؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٠٩.

٣ - تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣٢.

٤ -الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٠؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١١٠.

كانوا معترضين على مساواتهم بالموالي ووصل بهم الأمر إلى أنهم كانوا لا يسمحون للموالي بالركوب على الدواب ويرى فلهاوزن[١] :«وجرت العادة ألا يحملوا سيوفاً، بل كان سلاحهم هراوات خشبية»، لذلك كان حجم المعارضة التي واجهها المختار كبيراً وذلك لأنه أعطى الموالي الأموال والسلاح وساواهم بغيرهم فأشارت الروايات التاريخية إلى أن المختار وزع أصحابه الذين حاصروا القصر حين أخرج ابن مطيع منه وكانوا ثلاثة آلاف وثمان مائة رجل خمس مائة خمسمائة درهم، وأعطى من جاء بعد ذلك وهم ستة الآف مائتين مائتين[٢]، ومن المسلم به أن جل هؤلاء من الموالي الذين لا يحق لهم ذلك، فكان ذلك أثقل شيء فعله المختار على أشراف الكوفة، وهكذا برز المختار كمصلح اجتماعي يصبو لتحسين الوضع السيئ للطبقات المسحوقة من الموالي والعبيد.

ويبدو أن هناك عصياناً آخر جاء من طبقة أخرى من المجتمع وهي طبقة العبيد الذين هم تحت إمرة أسيادهم ومملوكون لهم، وهؤلاء نظروا إلى المختار نظرة المنقذ والمحرر لهم من هذه العبودية التي تجثم على صدورهم، وأنهم التحقوا بالمختار دون أخذ موافقة أسيادهم فطالب أشراف الكوفة المختار بأنْ يردهم عليهم لكنه رفض ذلك [٣].

---

١ -الخوارج والشيعة، ص٢١٢ -٢١٣.

٢ -الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٥٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥٠؛ النويري، نهاية الارب، ج٢١، ص١١.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥٤.

وفي المعركة التي استولى فيها المختار على الكوفة قرأ شبث بن ربعي في صلاته سورة الزلزلة والعاديات قبل بدء تلك المعركة فقالوا له أصحابه: «لو كنت قرأت سورتين هما أطول من هاتين شيئاً! فقال شبث: ترون الديلم قد نزلت بساحتكم، وأنتم تقولون: لو قرأت سورة البقرة وآل عمران»[١] وهنا يشير شبث بن ربعي لدور الموالي في جيش المختار بقوله ترون الديلم.

وأورد الدينوري روايتين أشارت لحجم الموالي في جيش ابن الأشتر المتوجه لقتال أهل الشام فذكر في الأولى: «فانتخب له المختار عشرين ألف رجل، وكان جلهم أبناء الفرس الذين كانوا بالكوفة ويسمون الحمراء»[٢] بينما ذكر في الرواية الثانية قول عمير بن الحباب[٣] لإبراهيم الأشتر: «لقد اشتد غمي مذ دخلت عسكرك، وذلك أنّي لم أسمع كلاماً عربياً حتى انتهيت إليك، وإنما معك هؤلاء الأعاجم، وقد جاءك صناديد أهل الشام وأبطالهم، وهم زهاء أربعين ألف رجل، فكيف تلقاهم بمن معك؟ فقال إبراهيم: والله

---

١ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٣٣-٣٣٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص ٤٦؛ وفي رواية ابن أعثم الكوفي: أترون الترك والديلم قد نزلوا بساحتكم!. ينظر: ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٣٦.

٢ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٦٩.

٣ - اتفق عمير بن الحباب وهو زعيم القيسية في جيش عبيد الله بن زياد مع إبراهيم ابن الأشتر أن ينهزم في المعركة وكان على ميسرة أهل الشام، وذلك بغضاً لعبد الملك بن مروان ولما تعرضت له القيسية في مرج راهط، فلما وقعت المعركة صاح عمير في قيس يالثارات مرج راهط، فنكسوا أعلامهم وانهزموا، فانكسر أهل الشام، وقيل غير ذلك. ينظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٦٩-٢٧٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص ٩٠، ٩٣.

لو لم أجد إلا النمل لقاتلتهم بها، فكيف وما قوم أشد بصيرة في قتال أهل الشام من هؤلاء الناس الذين تراهم معي؟ وإنما هم أولاد الأساورة من أهل فارس، والمرازبة، وأنا ضاربُ الخيلَ بالخيل، والرجالَ بالرجالِ ، والنصر من عند الله». [١]

وروايتا الدينوري لا تخلوان من مبالغة فالأولى جعلت من الموالي أغلب الجيش الذي يبلغ عدده أكثر من عشرين ألفاً، والرواية الثانية جعلت من معسكر ابن الأشتر كله يتكلم بغير العربية وهو لا يمكن الأخذ به فبقاء الموالي لمدة طويلة في الكوفة كذلك اعتناقهم الإسلام جعلهم يتعلمون العربية ويتكلمونها زيادة على أن الكثير منهم ولد في الكوفة، فضلاً عن تمجيدها بأبطال وفرسان الشام لكن إحداهما أشارت إلى أصول الموالي فجعلتهم من أولاد الأساورة والمرازبة والتي سبق وأن تطرقنا إلى ذلك عند الحديث عن أصولهم.

كذلك الملاحظ على جيش المختار الذي أرسل إلى المدينة المنورة أن نسبة الموالي فيه مرتفعة فقد ذكر المؤرخون [٢] أن جيش شرحبيل بن ورس

---

١ -الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٧٠.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤١٩ -٤٢٠ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٠؛ الازدي، تاريخ الموصل، ج١، ص١١٢ ؛ مسكويه، نهاية الأرب، ج٢، ص١٢١ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٥٩ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٦٧ ؛ النويري، نهاية الارب، ج٢١، ص٢٠ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٢-٣٣؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣٥-٣٦؛ الحسني، الانتفاضات الشيعية، ص٣٦٠-٣٥١؛ الخطيب، دولة المختار، ص٣٩٣.

الذي أرسله للمدينة المنورة للدفاع عنها - سبق وأن أشرنا لذلك - كان قوامه ثلاثة آلاف ليس فيهم من العرب سوى سبعمائة مقاتل، وهو يعني أن أكثر من ثلثي الجيش كان من الموالي.

ويمكن القول أنّ تقريب المختار للموالي لعب دوراً رئيساً في رأي بعض المؤرخين بتحريض مصعب بن الزبير على الهجوم على المختار والقضاء على دولته، فذكر الدينوري [١] أنّ أهل الكوفة لما تتبع المختار قتلة الحسين تسللوا منها هاربين إلى البصرة حتى بلغ عددهم عشرة آلاف رجل فدخلوا على مصعب فتكلم محمد بن الأشعث فقال من بين ما قال: «... وحمل – أي المختار - أبناء العجم على رقابنا، وأباحهم أموالنا؟، سر إليه، فإنا جميعاً معك، وكذلك من خلفنا بالكوفة من العرب، وهم أعوانك»، كذلك روى الطبري [٢] بسنده عن هشام بن محمد «لما قدم شَبَث بن ربعي على مصعب بن الزبير البصرة،.....وهو ينادي يا غوثاه يا غوثاه!....فأدخل عليه، وجاءه أشراف الناس من أهل الكوفة، فدخلوا عليه فأخبروه بما اجتمعوا له، وبما أصيبوا به، ووثوب عبيدهم ومواليهم عليهم، وشكوا إليه، وسألوه النصر لهم والمسير إلى المختار معهم».

ولما بعث مصعب بن الزبير محمد بن الأشعث إلى المهلب بن أبي صفره

---

١ - الأخبار الطوال، ص٢٧٨.

٢ -تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٩٦؛ وينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٦٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٨٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص٢٥-٢٦؛ الأردكاني، ثورة المختار، ص٥٠٢.

يأمره بعقد هدنة مع الخوارج والرجوع إلى البصرة للمسير إلى قتال المختار، استغرب المهلب ذلك ورأى فيه منقصةً على ابن الأشعث فقال له: «مثلك يا محمد يأتي بريداً! أما وجد المصعب بريداً غيرك قال محمد: إني والله ما أنا ببريد أحد، غيرَ أنّ نساءنا وأبناءنا وحرمنا غلبنا عليهم عبداننا وموالينا».[1]، وسبق وأن أشرنا إلى مشورة أحد الأشراف على قائد المختار في معركة المذار بنزول الموالي عن خيولهم، تلك المشورة التي وصفها أبو مخنف[2] بالقول: «وإنما كان هذا منه غشاً للموالي والعبيد».

وعدَّ أحد الباحثين[3] أسباب نجاح المختار في إقامة دولته إلى المبادئ التي أعلنها فعملت على كسب ود الموالي عن طريق إغداق الأموال عليهم ووعدهم بأنّه يساوي بينهم وبين أسيادهم، في الوقت ذاته عد باحث آخر[4] تقريب المختار للموالي وإعطاءَهم الفيء وانحراف أشراف الكوفة عنه من أسباب سقوط دولته.

وأكد الدينوري[5] سبب تمرد هؤلاء الأشراف من أتباع الأمويين وآل

---

١ -الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٩٧؛ وينظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٣١؛ الأردكاني، ثورة المختار، ص٥٠٣.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٩٨؛وينظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٣٢.

٣ - المشهداني، عدنان شعبان، آل الزبير ودورهم السياسي والإداري والاجتماعي في عصر صدر الإسلام والدولة الأموية، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، ٢٠٠٦م، ص٢٣٠.

٤ - خريسات، الدولة الأموية، ص١٩٨.

٥ -الأخبار الطوال، ص٢٧٤.

الزبير على المختار هو تقريبه لأبناء العجم فقال: «وقرب - أي المختار - أبناء العجم، وفرض لهم ولأولادهم الأعطيات، وقرب مجالسهم، وباعد العرب وأقصاهم، وحرمهم، فغضبوا من ذلك، واجتمع أشرافهم فدخلوا عليه، فعاتبوه، فقال: لا يبعد الله غيركم، أكرمتكم فشمختم بآنافكم، ووليتكم فكسرتم الخراج، وهؤلاء العجم أطوع لي منكم، وأوفى وأسرع إلى ما أريد...فاجتمعت القبائل على محاربته.... وأرسل المختار إلى همدان وكانوا خاصته واجتمع إليه أبناء العجم. فقال لهم: ألا ترون ما يصنع هؤلاء؟ قالوا: بلى، قال: فإنهم لم يفعلوا ذلك إلا لتقديمي إياكم، فكونوا أحراراً كراماً، فحرضهم بذلك، وأخرجهم إلى ظهر الكوفة، فأحصاهم، فبلغوا أربعين ألف رجل»..

ويبدو أن رواية الدينوري بالغت في عدد الموالي ولم تجعل معهم سوى همدان من العرب في حين نقل الطبري [١] عن أبي مخنف قول عبد الرحمن بن مخنف أحد أشراف الكوفة لأهل الكوفة حين دعوه لنصرهم: «إنكم إن أبيتم إلا أن تخرجوا لم أخذلكم، وإن انتم أطعتموني لم تخرجوا، فقالوا: لم؟ قال: لأني أخاف أن تتفرقوا وتختلفوا وتتخاذلوا، ومع الرجل والله شجعاؤكم وفرسانكم من أنفسكم؛ أليس معه فلان وفلان؟ ثم معه عبيدكم ومواليكم وكلمة هؤلاء واحدة؟ وعبيدكم ومواليكم أشد حنقاً عليكم من عدوكم، فهو مقاتلكم بشجاعة العرب، وعداوة العجم»..

١ -تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص ٦٠؛ وينظر مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١١١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١٣.

ويتضح من هذه الرواية أن هناك الكثير من شجعان العرب وفرسانهم مع المختار، وهم على درجة من الشهرة لأهل الكوفة فأخذ يعدد أسماء عدد منهم، وهو ما يتناقض مع رواية الدينوري في أن جيش المختار كان أغلبيته من الموالي، لكن هذا لا ينفي أن الموالي كانوا يشكلون نسبة كبيرة من جيش المختار، ويرى أحد المؤرخين المحدثين [١] : أن الدينوري أجاب في كتابه الأخبار الطوال على «حاجة ثقافية معينة في عصره هي تقديم تاريخ متصل ذي صبغة إسلامية لتاريخ فارس والعراق قبل الإسلام وبعده».

وهناك شواهد كثيرة على مشاركة العديد من الشخصيات المهمة في الكوفة في ثورة المختار، فمن بين هؤلاء أبو الطفيل عامر بن وائلة الكناني، أدرك حياة النبي وروى عنه، ونزل الكوفة فصحب الإمام علياً (عليه السلام)[٢] وشهد مشاهده كلها، وكان أحد قادته في صفين [٣] ويُعد من خيار أصحابه [٤]، وخلص أتباعه [٥]، ومن حملة علمه [٦]، ووصفه معاوية بن أبي

١ - مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م، ص٢٤٩.

٢ - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٦، ص١١٣ -١٣٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٦٧ -٤٧٠.

٣ -المنقري، وقعة صفين، ص١١٤، ١٣٤ -١٣٧؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٢٤١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٦٨

٤ - قيس، كتاب قيس بن سليم، ص١١.

٥ - المنقري، وقعة صفين، ص١٨٣.

٦ -اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٤٩.

سفيان بأنه فارس صفين وشاعرها[١]، فلما قام المختار بثورته كان أبو الطفيل أحد قادته في محاربة قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) وحامل رايته[٢]، وكونه متشيعاً وموالياً للإمام علي (عليه السلام) وأهل بيته وأنصاره، فضلاً عن وقوفه مع المختار، ولم تشفع له صحبته ووثاقته بالحديث من الطعن به فقد نقل ابن سعد[٣] عن بعض الرواة أن أبا الطفيل كان فيمن طلب النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ليلة الغار، لكن ولادة أبي الطفيل يوم معركة أحد جعلت ابن سعد يحكم ببطلان تلك الرواية، وعدّه ابن قتيبة[٤] من غلاة الشيعة وأنه يؤمن بالرجعة حتى استغرب ابن العماد الحنبلي[٥] ذلك فقال: «والعجب أن ابن قتيبة عدَّه من غالية الشيعة وممن يؤمن بالرجعة»، ويرى الخطيب التبريزي[٦] أن قول أبي الطفيل بفضل الإمام علي (عليه السلام) ولكونه متشيعاً «ضعفه ابن حزم الظاهري لذلك، وهذا خطأ فاحش من ابن حزم»، ويتضح من هذا

---

١ -البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت:١٠٩٣هـ-١٧٣٨م)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م، ج٤، ص٤٢.

٢ -ابن قتيبة، المعارف، ص٢٤١؛ الشافعي، أبي إسحاق الشيرازي (ت:٤٧٦هـ-١٠٨٤م)، طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٠ م، ص٥٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٦٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٦٧٢.

٣ - الطبقات، ج٦، ص٥٥١؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ح٢٦، ص١٢٤.

٤ - المعارف، ص٢٤١.

٥ - شذرات الذهب، ج١، ص٤٠٣.

٦ -محمد بن عبد الله الخطيب (ت:٧٤١هـ -١٣١٠م)، الإكمال في أسماء الرجال، تحقيق: أبي أسد الله بن الحافظ محمد عبد الله، مؤسسة أهل البيت، قم، ص١١٩.

الرأي مدى تجني ابن حزم على الآخرين واتهامه لهم لا لشيءٍ إلا كونهم من الموالين لآل محمد، وجزم ابن كثير[١] في سبب تلك النقمة على أبي الطفيل فقال: «صحابي، وهو آخر من رأى النبي (صلى الله عليه واله وسلم)...وكان من أنصار علي بن أبي طالب، شهد معه حروبه كلها، لكن نقم بعضهم عليه كونه كان مع المختار بن أبي عبيد، ويقال: إنّه كان صاحب رايته».

ومن بين الذين وقفوا مع المختار شريك بن جرير الثعلبي من صحابة الإمام علي (عليه السلام)، قاتل معه في صفين فأصيب في عينه، ولما أستشهد الإمام علي (عليه السلام) لحق ببيت المقدس وأقام هناك، فلما علم بما حل بالإمام الحسين (عليه السلام)، أقسم بالله أن يقتل ابن زياد، وعند قيام المختار بثورته التحق شريك به فأرسله المختار مع جيش ابن الأشتر يوم الخازر، فحمل على الحصين بن نمير السكوني وهو يظنه ابن زياد فاعتنق كل منهما صاحبه فنادى شريك أقتلوني وابن الزانية، فكان هو مَن قتلَ الحصين ابن نمير في تلك المعركة فبعثوا برأسه للكوفة [٢].

وقاتل مع المختار عبد الرحمن بن مَلّ بن عمرو كان يكنى بأبي عثمان النهدي، أسلم على عهد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) إلا أنه لم يره ولقي عدداً من الصحابة، ثم نزل الكوفة[٣]، وكان أحد الثقات[٤]، ولما

١ - البداية والنهاية، ج١٢، ص٦٧١ -٦٧٢.

٢ - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٧، ص٤٥٩ -٤٦٠.

٣ -ابن سعد، الطبقات، ج٩، ص٩٦ -٩٨؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص٤٥٩ - ٤٦٣؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٨٤.

٤ - العجلي، معرفة الثقات، ج٢، ص٤١٦؛ ابن حبان، الثقات، ج٥، ص٧٥.

استشهد الإمام الحسين فيها أقسم أنه لا يسكن بلداً قتل فيها ابن بنت النبي (صلى الله عليه واله وسلم)[١]، فلما أعلن المختار ثورته كان أبو عثمان من أوائل الذين بايعوه، ثم كان أحد أعضاء الوفد الذي ذهب للقاء إبراهيم بن الأشتر من أجل إقناعه للانضمام لثورة المختار[٢]، ولعب دوراً مهماً في مساندة المختار وسيطرته على الكوفة حين طرد ابن مطيع منها، وهو من نادى يا لثارات الحسين، ألا إنّ أمير آل محمد قد خرج، فكان ذلك سبباً في خروج أنصار المختار يتداعون يا لثارات الحسين حتى أقبلوا إليه[٣] ولما وصل المختار إلى الكوفة بعد مفارقته ابن الزبير كان أول من بايعه عبيدة بن عمرو السلماني [٤]، فبشره المختار بالنصر وقال له: «إنك يا أبا عمرو على رأي حسن، لن يدع الله لك معه مأثماً إلا غفره ولا ذنباً إلا ستره»[٥]، أسلم في عهد رسول الله لكنه لم يره، وهو من أصحاب الإمام علي عليه السلام فشهد بعض حروبه وكان أشجع الناس وأشعرهم وأشدهم تشيعاً وحباً للإمام علي

---

١ - ابن سعد، الطبقات، ج٩، ص٩٦ -٩٨؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص٤٥٩ - ٤٦٣؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٨٤.

٢ -ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٢٧.

٣ -الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٤٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٤٤ - ٦٤٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص٥١؛ البراقي، تاريخ الكوفة، ص٣٢٠.

٤ -الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٩٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٠٤ - ٦٠٥.

٥ -الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٩٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٠٤ - ٦٠٥؛ الأمين، أصدق الأخبار، ص٣٥.

تشيعاً وحباً للإمام علي (عليه السلام)[١]، هجا محمد بن الأشعث لقتاله مسلم بن عقيل فقال:

«وقتلت وافد آل أحمد غيلة وسلبت أسيافاً له ودروعاً»[٢]

كما قاتل مع المختار عبد الله بن عمرو النهدي وهو من أشراف الكوفة، كان قد شهد صفين مع الأمام علي (عليه السلام)، وأستمر في وقوفه معه حتى قاتل في حربه مع مصعب بن الزبير، فقال يومها لأصحابه: «ويحكم أروني الموضع الذي فيه محمد بن الأشعث فإنه ممن قاتل الحسين بن علي وشارك في دمه،... فقال: اللهم إنّني على ما كنت عليه بصفين، اللهم إنني أبرأ ممن قتل أهل بيت نبيك محمد أو شارك في دمائهم»[٣]، ثم حمل على أصحاب مصعب وتمكن من قتل محمد بن الأشعث، ثم قُتل بعد ذلك[٤].

ومن أصحاب المختار عبيد الله وعبد الرحمن أبناء الصحابي الجليل حجر

---

١ - ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٢١٣ -٢١٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٩٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٠٤ -٦٠٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٤٠ - ٤٤؛ الأمين، أصدق الأخبار، ص٣٥.

٢ -البلاذري، أنساب الأشراف، ص٨٦.

٣ -ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٨٨.

٤ -الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٠١؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٨٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٨٦؛ الأمين، حسن، مستدركات أعيان الشيعة، الطبعة الثانية، دار التعارف، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢، ص١٦٣؛ الشاهرودي، مستدركات علم رجال الحديث، ج٥، ص٦٥.

ابن عدي الكندي قَتَلَهم مصعب بن الزبير صبراً لوقوفهم مع المختار حتى مقتله[١]، وكان من قادة المختار كذلك معاذ بن هاني بن عدي الكندي[٢]، ابن أخ حجر بن عدي، ووقف معاذ بن عدي مع محمد ابن الحنفية في صراعه ضد ابن الزبير بعد مقتل المختار[٣]، وقُتل مع المختار كذلك عمران بن حذيفة بن اليمان[٤]، في حين كان أخوه سعد بن حذيفة أحد ولاة المختار وقادته، وغير هؤلاء العديد من الشخصيات والتي تطرقنا للبعض منها في موضعها[٥].

---

١ -ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٢، ص٢١٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٩٣؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج ١، ص٢٣٣.

٢ -الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧١.

٣ -العاملي، الدر النظيم، ص٤٣٥-٤٣٦؛ الأحمدي، علي الميناجي، مواقف الشيعة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٦ هـ، ج٢، ص٢٨٣.

٤ - ابن الأثير،الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٩٣؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة،ج١، ص٢٣٣.

٥ - ومن بين هؤلاء: إبراهيم بن الأشتر، وعبد الرحمن بن شريح الشبامي، ويزيد بن أنس الأسدي، وعبد الله بن كامل الشاكري، وعبد الله بن الحارث أخو مالك الأشتر، والسائب بن مالك الأشعري، وعبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومي، وعبد الله بن شداد الأسدي، أحمر بن شميط الأحمسي، ومالك بن عمرو النهدي، وزائدة بن قدامة الثقفي، وسعر بن أبي سعر الحنفي، وقدامة بن مالك الجشمي، وسعيد بن منقذ الثوري، وورقاء بن عازب الأسدي، والمثنى بن مخرمة العبدي، والطفيل بن عامر بن وائلة، وشرحبيل بن ورس الهمداني، وأبو عبد الله الجدلي، ورؤساء الأرباع في الكوفة فكان قيس بن طهفة النهدي على ربع أهل المدينة، وعبد الله بن حية الأسدي على ربع مذحج وأسد، وبعث الأسود بن جراد الكندي على ربع كندة وربيعة، وحبيب بن منقذ الثوري من همدان على ربع تميم وهمدان، للمزيد من التفاصيل. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٥-١٠٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٣٧-٦٩١؛ العلي، الكوفة وأهلها، ص٢٢٣-٤٠٢.

أما القبائل العربية التي كانت تسكن الكوفة فكان لها مواقف متباينة، فمثلاً كانت قبيلة همدان وهي من أكبر قبائل الكوفة منقسمة في ولائها بين المختار وبين أعدائه، فذكر الطبري[١] بسنده عن أبي مخنف قول عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس الهمداني: «ويحكم! مَنْ هؤلاء الذين أتونا من ورائنا؟ قيل له شِبَام - إحدى بطون همدان -؛ فقال: يا عجباً يقاتلني بقومي مَن لا قوم له!». وهناك روايات تشير إلى حجم هذه القبيلة، فبعد أن قتل مصعب بن الزبير دخل عبد الملك بن مروان الكوفة فاستعرضتا أمامه القبائل في النخيلة فذكر الطبري[٢] في تاريخه: «ثم جاءت مذحج وهمدان فقال -عبد الملك-: ما أرى لأحد مع هؤلاء بالكوفة شيئاً»، مما يدل على العدد الكبير لإفراد هاتين القبيلتين في الكوفة، وعلى الرغم من أن المختار حاول في بداية ثورته كسب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس لجانبه بجعله والياً على الموصل أهم ولايات دولة المختار[٣]، الذي كان والده من قادة الإمام علي (عليه السلام) في صفين[٤]، وربما من أجل قبيلته صاحبة المواقف المعروفة مع الإمام علي (عليه السلام)، فضلاً عن موقف همدان الإيجابي بشكل عام من

١ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص ٦٨.

٢ -تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص ١٤٥؛ العلي، الكوفة وأهلها في صدر الإسلام، ص٢٤٧.

٣ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٤٥؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٩٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٥٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٥٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص١١؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣١.

٤ - المنقري، وقعة صفين، ص١٢١.

ثورة المختار.

وأورد الدينوري[١] نصاً آخر يستشف منه حجم مشاركة العرب في السيطرة على الكوفة ودورهم في استسلام ابن مطيع فقال: «وبادر ابن مطيع إلى القصر، فتحصن فيه في طائفة من أصحابه، وأقبلت همدان حتى تسلقوا القصر بالحبال... فلما رأى ابن مطيع ضعفه عن القوم سأل الأمان على نفسه ومن معه من أصحابه، فأجابه المختار إلى ذلك، فأمنه».

وأشارت بعض المصادر التاريخية إلى مشاركة بعض القبائل الأخرى من غير همدان مع المختار فذكر البلاذري[٢]: «وتوافى إلى المختار من كل قبيل المائة والمائتان»، وذكر الطبري[٣] أنّه التحق من خثعم أحد بطون مذحج مئتي مقاتل قبل وثوب المختار بالكوفة، فكان هؤلاء الخثعميون من ضمن ثلاثة ألاف وثمان مائة وثب المختار بهم بالكوفة وحاصر ابن مطيع في قصر الأمارة.

ويظهر أن بعض القبائل العربية حافظت على ولائها للمختار طيلة مدة دولته ففي معركة المذار بين مصعب بن الزبير والمختار التي سبقت سقوط الدولة ومقتل المختار بمدة محدودة نجد أن أصحاب المختار ينادون يا معشر بجيلة وخثعم، الصبر الصبر! فناداهم المهلب الفرار الفرار! اليوم أنجى لكم[٤]، ويتضح أن بجيلة

---

١ - الأخبار الطوال، ص٢٦٧.

٢ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٩١.

٣ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٤٦.

٤ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٩٨؛ الأردكاني، ثورة المختار، ص٥١١.

بجيلة يوم المذار كان أثر القتل فيها وذلك من قول أعشى همدان[١]:

ألا هــل أتــاك والأنبــاء تُنْمــي   بمــا لاقــت بَجِيلــةُ بالمــذار
أتــيح لهــم بهــا ضــرب طِلَخْــفٌ   وطعــن صــائب وجــه النهــار
كــأن ســحابة صــعقت علــيهم   فعمــتهم هنالــك بالــدمار[٢]

وكذلك يظهر مشاركة قبيلة شبام ونهد وخارف فحين هجا الأعشى أصحاب المختار قال:

وأن ليس كالتابوت[٣] فينا وإن سعت   شـبام حولـه ونهـد وخـارف[٤]

وكذلك هناك أكثر من إشارة إلى مشاركة قبيلة شاكر في القتال مع المختار ففي رواية للطبري بسنده عن أبي مخنف عند حديثه عن الكرسي المقدس فقال: «فخرجت شبام وشاكر ورؤوس أصحاب المختار وقد عصبوه بالحرير والديباج»[٥]، وذكر ذلك أحد الشعراء فقال:

---

١ - هو أبو المصبح عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الهمداني، شاعر مفوه شهير من أهل الكوفة، كان متعبداً فاضلاً، ثم عبث بالشعر، مدح النعمان بن بشير الأنصاري فاعتنى به، وأعطاه أربعين الف دينار، خرج مع القراء في ثورة ابن الأشعث. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص١٨٥.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٩٩؛ الأردكاني، ثورة المختار، ص٥١٢.

٣ - يشير إلى همة الكرسي المقدس. ينظر من خلال البحث، ص٢٧٥-٢٨١.

٤ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٧٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص٣١.

٥ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٨.

تنـــزوا شـــبام حـــول أعـــواده وتحمـــل الـــوحي لـــه شـــاكر[١]

ويظهر من خلال ما تقدم أن الموالي على الرغم من مشاركتهم الفعالة في القتال إلا أنهم لم يكونوا وحدهم في الميدان وإنما كان إلى جانبهم الكثير من العرب.

ومن الجدير بالذكر أن أغلب تلك القبائل لها موقف مشرف مع الإمام علي (عليه السلام) في قتالها يوم صفين فروي أن الإمام علياً (عليه السلام) قال يوم صفين:

ولمـــا رأيـــت الخيـــل تقـــرع بالقنـــا فوارســـها حمـــر العيـــون دوامـــي
وتعـــرض نقعـــاً في الهـــوام كأنـــه ضـــبابة دجـــن ملـــبس بقتـــام
ونـــادى بـــن هنـــد ذا الكـــلاع وحمـــيراً وكنـــدة مـــع لخـــم وحـــي جـــذام
قبيلـــة همـــدان الـــذين هـــم هـــم إذا نـــاب أمـــر جـــنتي وســـهامي
دعـــوت فلبـــاني مـــن القـــوم عـــصبة فـــوارس مـــن همـــدان غـــير لئـــام
فـــوارس مـــن همـــدان ليـــسوا بعـــزل غـــداة الـــوغى مـــن شـــاكر وشـــبام
فلـــو كنـــت بوابـــاً علـــى بـــاب جنـــة لقلـــت لهمـــدان ادخلـــوا بـــسلام
جـــزى الله همـــدان الجنـــان فـــإنهم سمـــام العـــدى في كـــل يـــوم حمـــام[٢]

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٧٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص٣١.

٢ - بن مزاحم، وقعة صفين، ص١٢٠؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٥، ص٤٨٧؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج٢، ص٣٥٥؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٣، ج٥، ص١٤٩؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج٧، ص٢٤٣؛ النقدي، جعفر، الأنوار العلوية والأسرار المرتضويه، ←

وهو أمر لم يغب عن معاوية فهو عارف بموقف تلك القبائل فقال:

لا عـــيش إلا فلــق قحــف الهـــام — مـــن أرحـــب وشـــاكر وشـــبام
قـــوم هـــم أعـــداء أهـــل الـــشام — كـــم مـــن كـــريم بطـــل همـــام
كـــم مـــن قتيـــل وجـــريح دامـــي — كـــذلك حـــرب الـــسادة الكـــرام [١]

ومن خلال ما تقدم يتضح جلياً دور الموالي في نشوء دولة المختار ومحاربة أعدائها، في الوقت نفسه كانوا السبب غير المباشر في القضاء على تلك الدولة وذلك لعداء العرب وتعصبهم عليهم.

أما بقية طبقات المجتمع الكوفي فقد كان موقفها متبايناً من ثورة المختار، فمن الذين وقفوا مع المختار في قيام دولته القراء فحين ذكر البلخي[٢] العلاقة بين ابن الزبير والمختار قال: «خرج المختار بن أبي عبيد في جماعة من القراء، منهم أبو إسحاق الثقفي[٣]، وجابر الجعفي[٤]، وواقع ابن المطيع فطرده

المرتضويه، الطبعة الثانية، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٢م، ص٢٣٠.

١ - ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٣، ص٤٤؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج٢، ص٣٥٤؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج٧، ص٢٤٤؛ النقدي، الأنوار العلوية، ص٢٢٩.

٢ - البدء والتاريخ، ج ١، ص٢٤٧.

٣ - لم نعثر له على ترجمة، وأقترن اسم أبو إسحاق الثقفي بصاحب كتاب الغارات المتوفى ٢٨٣هـ وقطعاً أنّه لم يكن المقصود، الباحث.

٤ - هو جابر بن يزيد بن الحارث بن عبد غيوث الجعفي، تابعي من فقهاء الشيعة ومن أكبر علمائهم، ورعاً، صدوقاً، ثقةً، أُخذ عنه العلم، من أصحاب الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)، توفي عام ١٢٨هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٤٦٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج ٨، ص٥٩-٦٠؛ والكاشف في معرفة من له رواية في

وانكفئ عنهم».

وحسب رواية الشعبي أنه أجاب إبراهيم بن الأشتر حين سأله عن أصحاب المختار[١] الذين شهدوا على كتاب محمد ابن الحنفية لما دعي لمساندة المختار ومؤازرته فقال: «هم سادة القراء ومشيخة المصر وفرسان العرب»[٢].

وحين ذكر احد الباحثين معركة المذار بين المختار ومصعب بن الزبير قال: «وقد قتل منهم - أي أصحاب المختار - جماعة من الأمراء وخلق من القراء وطائفة كثيرة من الشيعة»[٣].

كتب السنة، ج١، ص٢٨٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص٢٥-٢٦؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج١، ص٢٨٣-٢٨٦؛ كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ج٣، ص١٠٦.

١ - روى الشعبي أنه كان هو ووالده برفقة الوفد الذي ذهب مع المختار وأصحابه لتسليم كتاب محمد ابن الحنفية لإبراهيم بن الأشتر يدعوه فيه للانضمام للمختار ومؤازرته في الأخذ بثأر الحسين (عليه السلام)، فذكر الشعبي أن إبراهيم طلب من المختار أن يشهدوا أصحابه على صحة الكتاب فشهدوا على ذلك وهم يزيد بن أنس، وأحمر بن شميط، وعبد الله بن كامل الشاكري، وورقاء بنت عازب الأسدي، والسائب بن مالك، ومالك بن عمرو النهدي، ولم يشهد الشعبي وأبوه على ذلك، ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٢٥؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٨٦؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤٦-٢٦٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٤٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٤١؛ الخطيب، دولة المختار، ص٢٠٠-٢٠٣.

٢ - أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٢٥؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤٦-٢٦٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٤٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٤١؛ الخطيب، دولة المختار، ص٢٠٠-٢٠٣.

٣ - الأطرقجي، الاتجاهات السياسية، ص١٩٤.

ولا يستبعد أن القراء وقفوا لجانب المختار منذ بداية نشوء دولته، فقد لعب القراء دوراً بارزاً يوم صفين مع الإمام علي (عليه السلام)[١]، وظهر دورهم بشكل واضح وكبير مع ابن الأشعث[٢] في ثورته ضد الأمويين حتى سميت ثورته آنذاك بثورة القراء على الرغم من أن هناك الكثير من نقاط الاختلاف بين ابن الأشعث والقراء لكن الذي جمعهم مع ابن الأشعث هو ظلم الأمويين وعمالهم يقول أحد المؤرخين المحدثين[٣]: «ونحن لا نعرف سبباً لفتنة ابن الأشعث سوى الحقد على الحجاج لظلمه أهل العراق أبناء

١ - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص١٢٣.

٢ - هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، أمير سجستان، خرج على الحجاج بن يوسف الثقفي ودعا لخلع عبد الملك بن مروان في سنة اثنتين وثمانين للهجرة، ووقعت بينه وبين الحجاج أكثر من ثمانين وقعة، كان آخرها وقعة دير الجماجم، قاتل معه أهل العراق للتخلص من ظلم الحجاج والأمويين، وقتل معه الكثير من القراء، قتله الحجاج عام أربعة وثمانون للهجرة.

ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص١٨٣ -١٨٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨، ص١٣٤ -١٣٥؛ ابن العماد، شهاب الدين عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت: ١٠٨٩هـ - ١١٨٦م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٦م، ج١، ص٣٤٥.

٣ - عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ج٢، ص١٥٧؛ لمزيد من التفاصيل عن ثورة ابن الأشعث وموقف القراء منها. ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص٢٣٨ -٢٥٨؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٩٤ -١٩٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٢٦٣ -٢٧٤؛ بيضون، من دولة عبد الملك إلى دولة عمر بن عبد العزيز، ص٢٧٠ -٢٨٦؛ الراوي، الدولة الاموية، ص١٧٥ -١٧٨.

جلدته وإهانتهم».

وهناك من يشير إلى أن فئة من النصارى وقفت مع المختار في ثورته، فذكر أحد المؤرخين المحدثين أن من أسباب قوة المختار أنه «انضمت إليه عناصر مسيحية من سكان العراق، الذين عُرفوا بالعباد»[1]، وهؤلاء ربما دخلوا الإسلام ولم يبقوا على نصرانيتهم لكن بقيت تسميتهم بالعباد حتى بعد إسلامهم.

وذكر بعض المؤرخين العباد فقالوا: إنهم قوم من قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية، ويعزى سبب هجرتهم من قبائلهم نحو الحيرة؛ لأنهم اختلفوا مع قومهم أو بسبب وضعهم الاقتصادي فنزلوها وبنوا مساكنهم فيها[2] في حين ذكرهم ابن عبد ربه الأندلسي[3] فجعلهم من قبيلة لخم.

أما سبب تسميتهم بالعباد فذكر البعض أنهم أنفوا أن يتسموا بالعبيد فقالوا نحن العِبادُ، والنسب عِبادي كأنصاري[4]، وقيل إنهم سموا بذلك بسبب أنّ وفداً منهم وفد على كسرى وكانت جميع أسماء ذلك الوفد تبدأ بعبد فسموا العباد أو أنّهم سموا لزهدهم وكونهم يعبدون الله، أو بسبب اتخاذهم شعار يا آل عباد عند الحرب فسموا بذلك، وقيل غير ذلك[5]، ويرى جواد

---

١ - عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ج٢، ص١١٧.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٢٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٢٤٧٧؛ العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ج١، ص٧٤.

٣ - العقد الفريد، ج٣، ص ٣٩٠.

٤ - ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٢٤٧٧.

٥ - غنيمة، يوسف رزق الله، الحيرة المدينة والمملكة العربية، مطبعة دنكور الحديثة، بغداد، ١٩٣٦م، ←

علي: «أنهم جماعة من قبائل شتى جمعت بينها وحدة الدين، ووحدة الموطن، لذلك لم يطلق إلا على النصارى العرب من أهل الحيرة، أما غيرهم من نصارى العرب فلم يشملهم اسم العباديين»[1].

ويمكن أن يستنتج أن المجتمع الكوفي بأغلب مكوناته شارك في ثورة المختار وهذه المشاركة أثارت حفيظة بعض أشراف الكوفة من أتباع الأمويين الذين فقدوا نفوذهم وامتيازاتهم نتيجة سياسة المختار التي أولت الطبقات المسحوقة في المجتمع دوراً لم يعتد الأشراف عليه ومن يرون أنفسهم أنهم علية القوم، فضلاً عن قيام المختار بالقصاص من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) ولعب هؤلاء أنفسهم دوراً كبيراً في قتاله ومساعدة أعدائه بالقضاء على ثورته؛ فعقدوا العزم وحاربوا المختار ودولته واستخدموا نفوذهم في كسب ولاء آل الزبير وتحريضهم على قتاله فنجحوا في القضاء على تلك الدولة وقتل المختار.

ص١٦، علي، المفصل، ج٣، ص١٧٠؛ العلي، صالح أحمد، محاضرات في تاريخ العرب، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٦٠م، ج١، ص٧٤.

١ - علي، المفصل، ج٣، ص١٧٠.

الفصل الرابع

المبحث الأول: تهمة ادعاء النبوة

تُعد تهمة ادعاء النبوة من بين أخطر التهم التي وجهت للمختار كونها تخرجه من دين المسلمين وملتهم، فضلاً عن أنها تحقق لمن روج لها ما عجز عن تحقيقه بأساليب وطرق متنوعة في النيل من شخصية المختار وضربه في الصميم من خلال عقيدته وذلك لعدم تقبل المجتمع الإسلامي على مر التاريخ قيام شخص ما بادعاء النبوة لإيمانهم المطلق بأنه لا نبوة بعد نبوة محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، وأنه خاتم النبيين والمرسلين فهي من مسلمات عقيدة الإسلام، ولذلك تم الترويج لهذا الأمر بشكل ملفت للنظر وقد وردت تلك التهمة بصيغ وأشكال متعددة تارة متشابهة وأخرى متباينة عند المؤرخين منها:

أولاً: كتاب المختار إلى الأحنف بن قيس

أسهبت المصادر التاريخية في تناولها كتاب المختار الثقفي الذي وجهه للأحنف بن قيس والذي زعم البعض أنّه ادعاء من المختار بالنبوة بل هناك مَن جزم بذلك، فذكر المؤرخون روايتين في هذا الشأن:

جاء في **الأولى**: «كتب المختار إلى الأحنف وهو على مضر: أما بعد فويل أم ربيعه ومضر. من أمر سوء قد حضر وأنّ الأحنف قد أورد قومه سقر. وأني لا أملك القدر، وما خط في الزبر ولعمري لئن قاتلتموني وكذبتموني لقد كذب من كان قبلي وما أنا بخيرهم»[١].

الثانية: أشار إليها المؤرخون [٢] عندما تحدثوا عن الحوار الذي دار بين الشعبي [٣] والأحنف بن قيس، فذكروا الرواية بسندهم عن الشعبي الذي قال: «جلست يوماً إلى الأحنف، فقال رجل من جلسائه يا كوفي استنقذناكم من عبيدكم، يعني يوم قتل المختار، قلت قد عفونا عنكم يوم الجمل فلم تشكروا... فقال يا كوفي أنتم أصحاب أنبياء، يعني المختار، قال فأجبته بجواب كرهه الأحنف وقلت تكذبون علينا في أشياء، فقام فجاء بصحيفة صفراء فقال اقرأ آنفا فإذا فيها من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف ومن قبله

---

١ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص ٤١٧.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤١٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٧-٧٨؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٤، ص٤٨٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٥٣٩؛ ابن كثير، ج١٢، ص٣٠-٣١.

٣ - هو عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي وهو من حمير وعداده في همدان وكان مولده لسنتين مضت من خلافة عثمان، وقيل ولد يوم جلولاء وكانت في سنة سبع عشرة للهجرة، عمل كاتباً لعبد الله بن يزيد الخطمي عامل الكوفة من قبل آل الزبير قبل وثوب المختار بالكوفة بمدة يسيرة، وكان مزاحاً، توفي سنة خمس ومائة وعمره سبع وسبعون سنة، ويقال توفي سنة أربع ومائة. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٣٦٥-٣٧٤؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٤٤٩ - ٤٥١؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١٤٣-١٥١؛ ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج٢، ص٤٣-٤٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٢٩٤-٣١٩.

سلم أنتم، أما بعد فويل لربيعة ومضر. وأنّ الأحنف مورد قومه سقر. حين لا يستطيع لهم الصدر. وأنّي لا أملك لكم إلا ما خط في الزبر، وبلغني أنّكم تكذبوني وقد كذبت الأنبياء مثلي ولست بخير من كثير فقال الأحنف: يا شعبي أكوفي هذا أم بصري؟».

أسهبت المصادر التاريخية في ذكر هاتين الروايتين فجاءت الأولى دون سند، في حين جاء سند الرواية الثانية عن الشعبي الذي قال فيه ابن عبد البر[١] عند ترجمته للمختار«إلا أنّه كان بينه وبين الشعبي ما يوجب أن لا يقبل قول بعضهم في بعض.؟».، وكذلك قال فيه ابن الأثير[٢] أثناء ترجمته للمختار «وأخباره غير حسنه - أي المختار -، رواها عنه الشعبي وغيره، إلا أنه كان بينهما ما يوجب أن لا يسمع كلام احدهما في الآخر»، ويظهر من قول ابن عبد البر وابن الأثير هذا أن هناك تحاملاً من الشعبي على المختار جعل بعض المؤرخين لا يقبلون بما يقوله تجاه المختار.

وقد ذكر ابن سعد[٣] قول الشعبي: «لو كانت الشيعة من الطير كانوا رخماً ولو كانوا من الدواب كانوا حميراً»، وكذلك نقل عنه ابن عبد ربه الأندلسي[٤]«أحذرك الأهواء المضلة، شرها الرافضة، فإنها يهود هذه الأمة، يبغضون الإسلام كما يبغض اليهود النصرانية»، بل وكانت الشيعة تتهمه

١ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (تحقيق: علي البجاوي)، ج٤، ص١٤٦٥.

٢ - أُسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص١١٧.

٣ - الطبقات، ج٨، ص٣٦٧.

٤ - العقد الفريد، ج٢، ص٤١٧.

ببغض الإمام علي (عليه السلام) [١].

وعُرف الشعبي بتقلبه في الولاء فعمل كاتباً لعمال آل الزبير في الكوفة[٢]، وكان مع المختار أثناء دعوة إبراهيم بن الأشتر للانضمام للثورة، ثم خرج بعد ذلك من الكوفة فلم يشهد من تلك المشاهد شيئاً[٣]، فأقام في المدينة[٤]، والمدائن[٥] خوفاً من المختار[٦]، وكان من المقربين للأمويين، وذكر ابن قتيبه[٧] قولاً للحجاج يستفتيه: «يا شعبي ما عندك في هذه الفريضة؛ أم، وأخت وجد؟». وعمل قاضياً لهم في الكوفة[٨] وفيه قول الشاعر[٩] لما رأى عدم عدالته في الحكم:

فتن الشعبي لما ... رفع الطرف إليها

فتنته بدلالٍ ... وبخطي حاجبيها

١ - المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ٣٨٤-٣٨٥؛ الخطيب، دولة المختار، ص٥٤٠.

٢ - ابن قتيبة، المعارف، ص٤٥٠.

٣ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٦٦

٤ - ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٣٦٧.

٥ - الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١٤٣.

٦ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٢٩٧.

٧ - الإمامة والسياسة، ص٢٥٢.

٨ - ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٣٣٥.

٩ - الشاعر: هو الهذيل الأشجعي هو هذيل بن عبد الله بن سالم، أحد شعراء الكوفة ومجانها، هجا قضاة الكوفة عبد الملك بن عمير، والشعبي، وهو القائل للشعبي أيام قضائه، فتن الشعبي لما. ينظر المرزباني، محمد بن عمران بن موسى (ت:٣٨٤هـ -٩٩٤م)، معجم الشعراء، تحقيق: فاروق سليم، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٥٢٩-٥٣٠.

قـــال للجلـــواز قربهـــــــا واحـــضر شـــاهديها
فقـــضى جـــوراً علـــى الخـــصـــم ولم يقـــض عليهـــا[١]

وهو كذلك من المعجبين بعبد الملك بن مروان حيث يقول: «ما جالست أحداً إلا وجدت لي عليه الفضل إلا عبد الملك بن مروان فإنّه ما ذكرته حديثا إلا وزادني فيه»[٢]، وبعثه سفيراً إلى ملك الروم[٣]، وروى الذهبي[٤] أن الحجاج جعله عريفاً على قومه وكان عنده بأحسن منزلة، فعَدهُ المحقق الحلي[٥]«غاية في الضعف لما كان عليه من متابعة بني أمية ومبايعتهم حتى أنّه يُعد من شيعتهم»، فضلاً عن أنّه كان يستهزئ بالموالي[٦].

ويبدو مما تقدم أن الشعبي له موقف سلبي ليس من المختار فحسب بل ومن الشيعة بشكل عام، كذلك طعن الشعبي بالموالي؛ ربما لدورهم الإيجابي في ثوره المختار، وموقفه من الشيعة متطرفٌ جداً، فوصفه الشيعة بالرافضة وأنهم يهود هذه الأمة فهذا المصطلح هو غالباً ما يقصد به الشيعة أو محبي آل البيت،

---

١ - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص١٥٨ -١٥٩؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٥، ص٤٠٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٣١٣-٣١٤.

٢ - السيوطي، تاريخ، الخلفاء، ص٢١٢؛ عبد الحميد، صائب، ابن تيمية حياته —عقائده موقفه من الشيعة وأهل البيت، مؤسسة دائرة المعارف، قم، ١٤٢٦هـ، ص٢٤٣ -٢٤٥.

٣ - الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،ج١٤،ص١٤٧؛ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٣.

٤ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٣٠٤.

٥ - جعفر بن الحسين (ت: ٦٢٢هـ- ١٢٢٥م)، المعتبر في شرح المختصر، مؤسسة سيد الشهداء، قم، ١٣٦٤هـ، ج٢، ص١٦٦.

٦ - ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٣٧٠.

فمن المعروف أنه لم يسلم من تهمة الرفض حتى الإمام الشافعي فقال[١] :

يا راكباً قف بالمحصب من منى ... وأهتف بساكن خيفها والناهضِ
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضاً كملتطم الفرات الفائضِ
إن كان رفضاً حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أني رافضي

والشعبي أصبح في الفترة التي تلت مقتل المختار مقرباً من الأمويين وقاضيا وسفيراً لهم ومن الطبيعي أن لا تقبل رواياته بخصوص خصوم الأمويين.

بينما جاء في سند الرواية الثانية زيادةً على الشعبي مجالد ، قال ابن سعد[٢] :«مجالد بن سعيد الهمداني... وكان ضعيفاً...قال يحيى بن سعيد القطان[٣] : ما كنت أشاء أن يقول لي مجالد من حديث من رأى الشعبي عن مسروق إلا فعل»، وروى الترمذي[٤] :«وقد ضعف مجالداً أهل العلم وهو

١ - ابن عبد البر، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ص٩٠؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٩، ص٢٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٥٨؛ العاملي، زين الدين بن أبي محمد علي بن يونس (ت: ٨٧٧هـ-١٤٧٢م)، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، تحقيق: محمد باقر البهبودي، دار إحياء الآثار الجعفرية، د. م، ١٣٨٤هـ، ج١، ص١٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٣، ص٤٣٤؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج١، ص٢١؛ الوائلي، أحمد، هوية التشيع، الطبعة الثالثة، مؤسسة السبطين، قم، ١٤٣٢هـ، ص٥٥.

٢ - الطبقات، ج٨ ، ص٤٦٨.

٣- يحيى بن سعيد القطان: ويكنى أبو سعيد، وكان ثقة مأموناً رفيعاً حجة، توفي بالبصرة سنة ثمان وتسعين ومائة. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٩، ص٢٩٤.

٤ - محمد بن عيسى بن سورة (ت: ٢٧٩هـ - ٨٩٢م)، سنن الترمذي ، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م، ج٢، ص٨٠.

كثير الغلط»، وكذلك ضعفه بن حزم [١] والبيهقي [٢]. وقال عبد الله بن قدامه[٣]: «وأما الخبر فلا يصح يرويه مجالد وهو ضعيف ، قال أحمد (أي أحمد ابن حنبل) مجالد يصير القصة واحدة كم من أعجوبة لمجالد»، وكذلك أضاف الذهبي [٤] في ترجمته لمجالد بن سعيد« ويدرج في عداد صغار التابعين وفي حديثه لين...قال البخاري كان يحيى بن سعيد يضعفه. وقال ابن معين لا يحتج به... وقال الدار قطني ضعيف»، وذكره الهيثمي [٥] فقال: «...وفيه مجالد بن سعيد وقد اختلط وضعفه جماعة»، وفي موضع آخر« وقد ضعفه الجمهور»[٦]، بينما أسهب بن حجر العسقلاني [٧] في ترجمته لمجالد فقال: «...كان أحمد بن حنبل لا يراه شيئا...وقال النسائي ليس بالقوي، وقال الدار قطني...ومجالد لا يعتبر به...وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به.»..

ويستشف من وجود الشعبي راوياً لكتاب المختار وسبباً في قيام الأحنف ابن قيس بالكشف عن مضمونه؛ كأن حوار المفاخرة الذي جرى بين الشعبي

---

١ - المحلى ، دار الفكر، بيروت، د. ت، ج٣ ، ص٦٢.

٢ - أحمد بن الحسين بن علي (ت :٤٥٨هـ - ١٠٦٥م)، السنن الكبرى ، دار الفكر، بيروت، د. ت، ج٩، ص٥٠.

٣ - عبد الله بن أحمد بن محمد (ت : ٦٢٠هـ -١٢٢٢م)، المغني ، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، ج١١ ،ص١١.

٤ - سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٢٨٤ -٢٨٧.

٥ - نور الدين علي بن أبي بكر (ت: ٨٠٧هـ -١٤٠٥)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م ، ج١، ص١٠٩.

٦ - مجمع الزوائد ،ج٥،ص١٣٣.

٧- تهذيب التهذيب، ج٤ ، ص٢٤-٢٥.

وأحد البصريين ليس له هدف إلا إلصاق تلك التهمة بالمختار، ويرى أحد الباحثين[١] أنّ الشعبي من أشهر خصوم الشيعة فلا يستبعد منه أن يبهت رجلاً سل سيفاً مرهفاً على خصوم الإمام علي (عليه السلام) وأوقع فيهم وقيعةً ليس لها في التاريخ نظير.

ولو سلمنا بصحة السند وقلنا لم يتلاعب الشعبي ومجالد في هذه الصحيفة - إن وجدت - فلا يمكننا أن نأخذها على إطلاقها وذلك لعدة أسباب منها أنها كانت مختلفة الألفاظ وهذا واضح من خلال المقارنة بين الروايتين والاختلاف بين ألفاظ الروايتين يقلب المعنى ويعزز رأي الذين اتهموا المختار بادعاء النبوة، وقد يكون هذا الأمر مفتعلاً من قبل الراوي أو من نقل عنه، ومن الأمثلة على التحريف في الروايتين أنّ الرواية الأولى لم يرد فيها ذكر للأنبياء أو الرسل بينما ورد هذا الأمر في الرواية الثانية.

ويظهر مما تقدم ذكره أن تلك الروايات لا يمكن الركون إليها بهذه السهولة بعد ما تبين ما يحيط بهما من شكوك سنداً ومضموناً، ولا يستبعد أن أيادي الرواة قد تلاعبت زيادة أو نقصاناً في نص تلك الصحيفة - إن وجدت - رغبة في تشويه شخصية المختار التي لعبت دوراً مهماً في التاريخ، ولها الكثير من الأعداء والخصوم.

وجاءت رواية ابن قتيبه[٢] مقتضبة جداً ذكر فيها«أن المختار بن أبي عبيد

---

١ - عبد الحميد، صائب، تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي، الطبعة الثانية، دائرة المعارف الإسلامية، قم، ٢٠٠٥م، ص٦٩٤.

٢ - تأويل مختلف الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ص٧٠.

أدعى النبوة لنفسه»، لكنه ذكر روايته دون إسناد أو تفصيل وهي لا يمكن الأخذ بها، وتطابقت معها رواية ابن حزم [١] عندما تحدث عن أبي عبيد الثقفي قال: «وابنه المختار بن أبي عبيد الذي ادعى النبوة بالكوفة»، في حين يرى ابن حزم [٢] في موضع آخر غير ذلك فقال: «ومن جيد ما وقع منه — أي المختار — أنه تتبع الذين شاركوا في أمر ابن الزهراء الحسين، فقتل منهم ما أقدره الله عليه، وفعل أفعالاً يُعفى فيها على هذه الحسنة، وقتل بالكوفة ممن توهم منه ما يوجب مباينة ما هو عليه، فهذا كان الغالب عليه».

ويظهر التناقض واضحاً في كلام ابن حزم ففي الوقت الذي اتهمه بادعاء النبوة، ثم ذكر أنه يعفى على ما فعله بسبب حسنته في قصاصه من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام)، فالظاهر أن ابن حزم غير جازم بصحة تلك التهمة التي ألصقت للمختار لما عُرف عن ابن حزم تشدده وتعصبه في آرائه الدينية، وعقب أحد المؤرخين المحدثين [٣] على ذلك فقال: «فلو كان من بين تلك الأفاعيل ادعاء النبوة ونزول جبريل عليه،...لما عفى عنه - ابن حزم - بهذه الحسنة ولا بغيرها، لأنها لا تبقى مع تلك الفظائع حسنة».

ووردت رواية ابن عساكر [٤] بسنده عن مجالد عن الشعبي أكثر تفصيلاً واختلفت من حيث المضمون ببعض العبارات عما جاء في روايات البلاذري

---

١ - جمهرة أنساب العرب، ص٦٢٨.

٢ - رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٤١.

٣ - عبد الحميد، تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي، ص٦٩٤.

٤ - تاريخ مدينة دمشق، ج٣٤، ص٤٨٢.

والطبري منها قول الشعبي في نهاية المحاورة مع البصريين«فقمت وما أحير جواباً»[١] وقوله كذلك«تؤذون رسلي»[٢]، ورواية ابن عساكر هذه تعزز ما ذهبنا إليه في التلاعب بإلفاظ تلك الصحيفة المزعومة، وإن صحت فتشير بشكل واضح لعتب المختار على الأحنف بن قيس بسبب موقفه من دعوة المثنى بن مخرمة العبدي لأهل البصرة لبيعة المختار.

بينما اعتمد الذهبي[٣] بشكل مختصر على رواية الطبري فروى«قال مجالد عن الشعبي قال: أقرأني الأحنف كتاب المختار إليه يزعم أنه نبي» ولم يكن كتاب المختار الذي رواه الطبري عن مجالد عن الشعبي بهذه الصراحة، والذي سبق وأن تكلمنا عن سنده، ولا يستغرب من الذهبي أن ينقلها وكأنها من المسلمات، فهو يصف المختار بأنه«ضال مضل...وهو شر من الحجاج أو مثله»[٤]، مما يوضح مدى تحامله وعدم موضوعيته في وصفه له، وهو يجعله شراً من الحجاج أو مثله؛ الذي عده السيوطي[٥] من مساوئ عبد الملك بن مروان (٦٥هـ-٨٦هـ):«لو لم يكن من مساوئ عبد الملك إلا الحجاج وتوليته إياه على المسلمين وعلى الصحابة يهينهم ويذلهم، قتلاً، وضرباً وشتماً، وحبساً وقد قتل من الصحابة وأكابر التابعين ما لا

---

١ - تاريخ مدينة دمشق، ج٣٤، ص٤٨٣.

٢ - تاريخ مدينة دمشق، ج٣٤، ص٤٨٣.

٣ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج٥، ص٢٢٧.

٤ - الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال تحقيق: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، ج٦، ص٣٨٥.

٥ - تاريخ الخلفاء، ص٢١٥.

يحصى فضلاً عن غيرهم، وختم في عنق أنس وغيره من الصحابة ختماً، يريد بذلك ذلهم، فلا رحمه الله ولا عفا عنه»، فأي مقارنةٍ ظالمةٍ قارن بها الذهبي بين المختار والحجاج.

أما ابن خلدون [1] عندما ذكر أبا عبيد، فقال وابنه المختار«الذي ادعى النبوة بالكوفة»، وهي متطابقة مع رواية ابن حزم، ولم يكتف بأن جعل النبوة من المسلمات بل نسب إليه الاعتقاد بإلوهية الأئمة فعندما تكلم عن طوائف الشيعة قال:« ومنهم طوائف يسمون الغلاة تجاوزوا حد العقل والإيمان في القول بإلوهية هؤلاء الأئمة...وسخط محمد ابن الحنفية على المختار بن أبي عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه فصرح بلعنته والبراءة منه» [2]، ويوضح هذا الاتهام للمختار مدى تحامل ابن خلدون وسعيه في تشويه شخصية المختار إلى أبعد الحدود حيث انفرد بذكر هذه التهمة.

وذكر ابن حجر العسقلاني [3] تهمة النبوة فقال:«وقد شهد عليه بدعوى النبوة»؛ ولم يقف عند ذلك أبن حجر العسقلاني فقال:«وقد زاد ابن الأثير في ترجمته - أي المختار - على ما ذكره ابن عبد البر قليلاً من ذلك قوله: كان بين المختار والشعبي ما يوجب أن لا يسمع كلام أحدهما في الآخر، أدرج ابن الأثير هذا القدر من كلام ابن عبد البر وليس هو فيه، ولا

---

١ - تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٣٧٠.

٢ - تاريخ ابن خلدون، ج١، ص٤٢٨.

٣ - الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٢٧٦.

هو بصحيح.».. [(١)]، بينما ذكر ابن عبد البر [(٢)] في ترجمته للمختار«...إلا أنه كان بينه وبين الشعبي ما يوجب أن لا يقبل بعضهم في بعض.»..

ورأي ابن حجر العسقلاني المتقدم يفتقر للموضوعية والأمانة العلمية، ففي الوقت الذي طعن بالأمانة العلمية لابن الأثير جزم بعدم صحة القول في الشعبي فيقول ولا هو بصحيح، وبذلك حاول بكل الوسائل النيل من المختار وإثبات وثاقة الشعبي حتى وصل به الأمر إلى اتهام الآخرين بالخيانة العلمية.

وأعتمد ابن كثير [(٣)] على رواية الطبري عن مجالد عن الشعبي ونقلها كما أوردها الطبري، وقال كذلك:«هاك اقرأ - أي الشعبي - فقرأته فإذا فيه من المختار إليه يذكر أنه نبي» [(٤)]، وابن كثير له مواقف عدائية متطرفة من المختار لأنه كان عدواً للأمويين والزبيريين وأخذ ثأر أهل البيت وقتل قتلتهم فقال عنه:«ولكن ما أدري هل كان يدّعي النبوة أم لا،... ولا أشك أنه كان ضالاً مضلاً أراح الله المسلمين منه».. [(٥)]، وليس غريباً قول ابن كثير هذا فهو من المعجبين بابن تيمية ومذهبه حتى وصف بأنه فُتن بحبه وأوصى أن يدفن في تربته [(٦)].

---

١ - الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٢٧٦.

٢ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (تحقيق: علي البجاوي)، ج٤، ص١٤٦٥؛ وينظر: ابن الأثير، أُسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص١١٧.

٣ - البداية والنهاية، ج٩، ص٣٠-٣١.

٤ - البداية والنهاية، ج٩، ص٢٥٣.

٥ - البداية والنهاية، ج٢، ص٧١.

٦ - عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، دار الغدير، بيروت، ٢٠٠١م، ص٢٢٥-٢٢٦.

أما السيوطي[١] فقد جاءت روايته بالشكل الآتي: «وفي أيام ابن الزبير كان خروج المختار...الذي ادعى النبوة...فجهز ابن الزبير لقتاله، إلى أن ظفر به في سنة سبع وستين، وقتله، لعنه الله» فلم يقف عند نقل روايته دون سند أو تمحيص حتى ختمها بلعنه، وهذا يوضح كيف تؤثر الأهواء والاتجاهات في كتابات الكثير من المؤرخين.

ويبدو أن همة النبوة استندت في بعض الأحيان على كتاب المختار إلى الأحنف بن قيس وهذا الكتاب - أن صح وجوده - جاء بعد أن أخفق المثنى ابن مخرمة العبدي في دعوة أهل البصرة إلى بيعة المختار[٢]، وكان للأحنف يومها موقفٌ سلبيٌّ حتى قال له عمر بن عبد الرحمن «إني لأعجب ممن يزعم أنّك حليم»[٣]، وعلى أثر ذلك قال الأحنف: «ما غبنت رأيي إلا يومي هذا»..[٤]؛ فعندما وصل المثنى إلى الكوفة بعد إخفاق مهمته أوضح للمختار مواقف زعماء البصرة[٥].

وقد أورد البلاذري والطبري كتاب المختار إلى الأحنف بعد الحديث عن مهمة المثنى مباشرة، ووردت كلمات الكتاب تؤكد ذلك فقد جاء في الكتاب «تكذبوني» «قاتلتموني» «تؤذون رسلي» يشير المختار بذلك إلى تكذيبهم

---

١ - تاريخ الخلفاء، ص٢١٠.

٢ - ينظر: من خلال البحث، ص١١٦ -١١٧.

٣ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤١٧.

٤ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٧.

٥ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٧٧.

وقتالهم المثنى بن مخرمة أثناء دعوته لهم لبيعة المختار، وزيادة على ذلك شجعته مواقف الأحنف السابقة من الإمام علي (عليه السلام)، فلم يشترك مع أهل البصرة في الجمل، وكان معه في صفين، واعترض على تحكيم أبي موسى الأشعري قائلاً: «فابعثني مكانه آخذ لك بالوثيقة وأضعك من هذا الأمر بحيث أنت» (١)

ويظهر من خلال ذلك أن المختار كان يأمل أن يكون الأحنف بن قيس إلى جانبه وليس إلى جانب آل الزبير، لاسيما أنّ البصرة كانت في وقتها إحدى ولاياتهم، وربما لو ساند الأحنف بن قيس المختار في دعوته لكان وضع البصرة مختلفاً، وتكون دولته في الكوفة أكثر أماناً، وأن لا يضطر للقتال على جبهتين آل الزبير من جهة البصرة والأمويين من جهة الشام فالمختار كان يعرف أمور الحرب جيداً، وهذا ما بينه قول عمير بن الحباب (٢) لإبراهيم عندما استشاره بقتال عبيد الله بن زياد: «فلا تعدون رأيه، فأن الشيخ قد ضرسته الحرب، وقاسى منها ما لم نقاس». (٣)

كما أنّنا يمكن أن نضيف إلى ما تقدم أنّ آل الزبير والأمويين كانوا

---

١ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٣، ص١٠٥.

٢ - هو عمير بن الحباب بن جعدة السلمي رأس القيسية في العراق، وأحد الأبطال الدهاة، كان ممن قاتل عبيد الله بن زياد مع إبراهيم بن الأشتر بالخازر، ثم أتى قرقيسيا خارجاً على عبد الملك بن مروان، وتغلب على نصيبين، واجتمعت عليه كلمة قيس كلها. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٨٨.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٩٠.

يستطيعون الافتراء والكذب على المختار دون أن يتحرجوا من ذلك والشواهد التاريخية تؤيد ذلك، فمثلاً بعث مصعب بن الزبير إلى عمرة بنت النعمان بن بشير وهي امرأة المختار، فقال لها: ما تقولين في المختار؟ فقالت: رحمه الله، كان عبداً من عباد الله الصالحين، فأودعها السجن، وكتب إلى أخيه عبد الله بن الزبير«أنها تزعم أنه نبي»، فكتب إليه أن اقتلها (١)، وقال أحد بني مروان للزهري (٢) - الذي كان عاملا لبني أميه فتركهم ولزم علي بن الحسين (عليه السلام) – يا زهري ما فعل نبيك؟ يعني علي بن الحسين (عليه السلام)(٣)، ويبدو أن هناك تحولاً حصل في حياة الزهري في أواخر حياته بسبب رسالة الإمام السجاد (عليه السلام) له والتي وعظه فيها بترك ما هو فيه من موالاة ومحاباة الأمويين وأعوانهم (٤).

والمستغرب هنا أن المؤرخين لم يلتفتوا إلى أن قضية ادعاء النبوة لا يمكن أن تنسجم مع حكم المختار للكوفة، فقد عُرف عن هذه المدينة أنّها مدينة

١ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٤٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٠٩؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٤١-١٤٢؛ أبن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص٣٨.

٢ - محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ) من مؤرخي المدينة ومن أوائل الذين كتبوا في المغازي، وهو صاحب شرطة بني أمية، وقد أمعن في خدمة بني أمية، حتى كتب إليه الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) رسالة وعظه فيها. ينظر: الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ص٢٧٤-٢٧٧.

٣ - ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٩٨؛ النويري، حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م، ج١٨، ص٢٢٢.

٤ - ينظر: الحراني، تحف العقول، ص١٧٣-١٧٥.

فكر وآراء ومن الصعب السيطرة عليها لاسيما إذا كان الشخص كذاباً أو مدعياً، والأمر المؤكد أنّ الكتاب الذي أرسل إلى الأحنف حدث فيه تلاعب كبير في ألفاظه وتأويله هدفه النيل من شخصية المختار الذي وقف بوجه الأمويين والزبيريين على حدٍ سواء.

ثانيا: تهمة نزول الوحي جبريل عليه

أسند أعداء المختار تهمة النبوة إليه فزعموا أنّه ادعى نزول الوحي عليه أو جلوس جبريل لجانبه، وتبعاً لذلك أسهبت بعض المصادر التاريخية في ذلك، فوردت روايتان عن أحمد بن حنبل وأربع روايات عن البلاذري بهذا الشأن:

الرواية الأولى: ذكرها أحمد بن حنبل:[1] بسنده «حدثنا يونس بن محمد، قال حدثنا عبد الله بن ميسرة أبو ليلى... قال رفاعة البجلي دخلت على المختار بن أبي عبيد قصره فسمعته يقول: ما قام جبريل إلا من عندي قبل، قال فهممت أن أضرب عنقه، فذكرت حديثاً حدثنياه سليمان بن صرد، عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) أن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ويقول: إذا أمنك الرجل على دمه، فلا تقتله قال وكان قد أمنني على دمه فكرهت دمه».

الرواية الثانية: جاء بها أحمد بن حنبل[2] بسنده عن «السدي عن رفاعة

---

١ - أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ - ٨٥٥م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٨م، ج٤٥، ص١٨٤.

٢ - مسند أحمد بن حنبل، ج٣٦، ص٢٧٨.

الفتياني، قال دخلت على المختار فألقي لي وسادة، وقال لولا أن أخي جبريل قام عن هذه لألقيتها لك. قال فأردت أن أضرب عنقه، فذكرت حديثاً حدثنيه أخي عمرو بن الحمق [١] قال: قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أيما مؤمن أمن مؤمناً على دمه فقتله، فأنا من القاتل بريء».

اما الرواية الأولى للبلاذري: [٢] أوردها بسنده عن«إسماعيل السدي عن رفاعة قال: دخلت على المختار وإذا وسادتان ملقاتان فقال يا فلان ائت فلاناً، لرجل دخل، بوسادة، فقلت وما هاتان الوسادتان؟ فقال: قام عن أحدهما جبريل وعن الأخرى ميكائيل، فو الله إن منعني من أن أضربه بالسيف إلا حديث حدثني به عمرو بن الحمق قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يقول: من ائتمنه رجل على دمه فقتله فأنا منه بريء ولو كان المقتول كافر».

---

١ - هوعمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب بن عمرو بن القين بن رزاح بن عمرو بن سعد بن كعب بن عمرو، من خزاعة. صحب النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ونزل الكوفة وشهد مع الإمام علي (عليه السلام) مشاهده، قال يوم صفين للإمام علي (عليه السلام) :يا أمير المؤمنين والله ما أحببتك وبايعتك على قرابة بيني وبينك، ولا أرادة مال تؤتينه، ولا التماس سلطان يرفع به ذكري، ولكني أجببتك بخصال خمس: لقدمك، وسابقتك، وقرابتك، وشجاعتك، وعلمك، ... فقال الإمام علي (عليه السلام) له: اللهم نور قلبه بالتقى، واهده إلى صراطك المستقيم، يا عمرو وددت لي في جندي ألف رجل مثلك. قتله عبد الرحمن بن أم الحكم بالجزيرة، وأول رأس حمل في الإسلام رأس عمرو بن الحمق. ينظر المنقري، وقعة صفين، ص٩١؛ ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص١٤٧.

٢ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٠٠.

وفي روايته الثانية قال البلاذري[١]: «حدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب عن أبيه عن عدة حدثوه... وغلظ أمر المختار بالكوفة، فجعل يخبرهم أن جبريل يأتيه وتتبع قتلة الحسين فقتلهم، وكان ممن قتل عمر بن سعد بن أبي وقاص، وهو الذي لقي الحسين فقتله، فأزداد أهل الكوفة أعظاماً له وحباً وطاعة؛ فخرج النعمان بن صهبان الراسبي [٢] من البصرة، وكان يرى رأي الشيعة،حتى قدم الكوفة فدخل على المختار ذات يوم، فقال له المختار: هنا مجلس جبريل قام عنه أنفاً، فخرج النعمان وأصحابه فقاتلوه فقتلوا أجمعين».

الرواية الثالثة: أوردها البلاذري [٣] بسنده عن«سعيد بن وهب قال: قيل لابن الزبير إنّ المختار يوحى إليه قال صدق ثم قرأ: {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ } [٤]».

الرواية الرابعة: ذكرها البلاذري [٥] بشأن الوحي فقال: «حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري عن أبيه قال: قال هشام بن عروة: قيل لابن عباس إنّ المختار يزعم أنه يوحى إليه، فقال: صدق إنّهما وحيان وحي الله إلى محمد (صلى الله عليه واله وسلم)؛ ووحي الشياطين، وقرأ { وَإِنَّ

---

١ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٥٤.

٢ - هو النعمان بن صهبان الراسبي من جرم كان من ضمن الجيش الذي بعثه الإمام علي (عليه السلام) لمحاربة الخارجي الخريت بن راشد، فاختلف معه بضربتين فقتل الخريت بن راشد. ينظر :البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٩٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٨٦.

٣ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٤٦.

٤ - سورة الشعراء، الآيتان ٢٢١ -٢٢٢.

٥ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٤٦.

الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ }[١]».

وتلك الروايات لا يمكن الركون إليها قبل مناقشتها سنداً ومضموناً فقد جاء في سند الرواية الأولى لأحمد بن حنبل عبد الله بن ميسرة أبو ليلى وهذا الراوي ضعفه ابن معين[٢]، والنسائي[٣]، والعقيلي[٤]، والمزي[٥]، والهيثمي[٦]، وابن حجر العسقلاني[٧]، وقال عنه ابن حبان[٨]«لا يحتج به»، وذكر البيهقي[٩] أنه«متروك»، وأورد الذهبي[١٠] أقوال العلماء فيه فمنهم من ضعفه أو تركه أو قال عنه ليس بشيء، ورواية أحمد بن حنبل هذه هي رواية البلاذري الأولى مع اختلاف في بعض الألفاظ، لكن ورد في سندها السدي:

---

١ - سورة الأنعام، الاية١٢١.

٢ - يحى بن معين بن عون (ت: ٢٣٣هـ - ٨٤٧م)، تاريخ ابن معين، تحقيق: عبد الله أحمد حسن، دار القلم، بيروت، د. ت، ج١ص١٩٤.

٣ - أبو عبد الرحمن أحمد بن شبيب (ت: ٣٠٣هـ -٩١٥م)، الضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦م، ص٣٠٣.

٤ - محمد بن عمرو بن موسى (ت:٣٢٢هـ - ٩٣٣م)، الضعفاء الكبير (ضعفاء العقيلي)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ج٢، ص٣٠٨.

٥ - تهذيب الكمال، ج١٦، ص١٩٧ -١٩٨.

٦ - مجمع الزوائد، ج٨، ص٢٨٠.

٧ - تقريب التهذيب، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، ج١، ص٥٣٩ -٥٤٠.

٨ - المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، ج٢، ص٣٢.

٩ - السنن الكبرى، ج١، ص١٢.

١٠ - ميزان الاعتدال، ج٤، ص٢١٠؛ وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج١١، ص٢٢٨ -٢٢٩.

وهو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي[١] وهذا الراوي ضعفه العقيلي[٢]، والرازي[٣]، وكذلك ذكر: ابن عدي[٤]، والمزي[٥]، وابن حجر[٦]؛ جماعة من علماء الحديث فمنهم من ضعفه أو تركه أو قال لا يحتج به، وهذا الراوي أورده أحمد بن حنبل في روايته الثانية بشأن الوحي.

أما مضمون روايتي أحمد بن حنبل ورواية البلاذري الأولى فعلى الرغم من أنها جاءت عن طريق رفاعة بن شداد، فقد اختلفت فيما بينها في أمور مهمة منها جعلت أصل الحديث النبوي مرة إلى عمرو بن الحمق، ومرة إلى سليمان بن صرد، وكذلك ذكر جبريل مرة وذكر جبريل وميكائيل في مرة أخرى، بل والأكثر من ذلك الرواية التي ذكرها البلاذري وأحمد بن حنبل وهي عن طريق السدي نفسه جعلت من نهاية حديث الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) من المختار رجلاً مؤمناً حسب رواية أحمد بن حنبل الثانية ورجلاً كافراً لدى البلاذري!، ويتضح من خلال سند ومضمون تلك الروايات أن هناك تناقضاً واضحاً يدل على أن هناك إرادة لتشويه صورة المختار بهدف النيل منه.

---

١ - ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج١، ص١٥٨.

٢ - الضعفاء الكبير (ضعفاء العقيلي)، ج١، ص٨٧ -٨٨.

٣ - الجرح والتعديل، ج٢، ص١٨٤ -١٨٥.

٤ - عبد الله (ت: ٣٦٥هـ -٩٧٥م)، الكامل، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م، ج١، ص٢٧٦ -٢٧٧.

٥ - تهذيب الكمال، ج٣، ص١٣٥ -١٣٧.

٦ - تهذيب التهذيب، ج١، ص١٩٩.

أما رواية البلاذري الثانية فقد وردت دون إكمال سندها، وهي لا يمكن الأخذ بها بهذا الشكل؛ وزيادة على ضعف سند تلك الرواية فإن ما ذكره البلاذري في سبب خروج النعمان بن صهبان على المختار يتناقض مع ما ذكره المؤرخ نفسه في مقتله في مواضع أخرى حيث قال: «وقال الهيثم بن عدي: كان المختار يقول: العجب كل العجب. بين جمادى ورجب؛ وكان يقول أحياء وأموات... فقاتله النعمان بن صهبان يوم جبانة السبيع فقتل»..[1]، وكذلك ذكر البلاذري[2]: «قالوا وقتل المختارية يوم جبانة السبيع النعمان بن صهبان... فسمع من المختار كلاماً أنكره فقاتله مع أهل جبانة السبيع حتى قتل»..

وسبق وأن أشرنا إلى سبب قتال المتمردين من أهل الكوفة يوم جبانة السبيع ومطالبهم التي أعلنوها وكان جلها يتمحور حول موقف المختار من الموالي وفي واقعها وحقيقتها خوف قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) من قيام المختار بالتفرغ لهم بعد أن يثبت أركان دولته وهو ما حصل فعلاً ولم يذكر المتمردون الوحي والنبوة.

المأخذ الآخر على رواية البلاذري الثانية جعلت مقدم النعمان بسبب قيام المختار بقتل قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) ومنهم عمر بن سعد وهؤلاء قتلوا بعد وقعة السبيع، حيث تفرغ المختار لقتلة الإمام الحسين (عليه

---

١ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٠٠.

٢ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٠١.

السلام)؛ فإذا كانت رواية البلاذري الثانية صحيحة فكيف ذكر البلاذري وغيره[١] أنّ النعمان قتل يوم وقعة جبانة السبيع. وهذا يدل على أن هناك تناقضاً واضحاً في رواية البلاذري من حيث السند والمضمون.

ويعتمد البلاذري في سند روايته الثالثة والرابعة على آل الزبير أعداء المختار وآل البيت على حد سواء، وقد قيل لأبن الزبير لم تركت الصلاة على النبي (صلى الله عليه واله وسلم) فقال: «إنّ له أهل سوء يشرئبون لذكره، ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به» [٢]، وقال يوماً لأبن عباس «إنّي لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة» [٣]، وقال له كذلك بعد مقتل المختار «يابن عباس أنه قد قتل الله المختار الكذاب الذي كنتم تمدون أعينكم إلى نصرته لكم»[٤]

زيادة على ذلك فقد ذكر البلاذري كلاماً يتناقض مع ما ورد في روايته بشأن الوحي قاله عبد الله بن العباس بحق المختار «...قد قتل قتلتنا، وطلب بدمائنا، وشفى غليل صدورنا» [٥] علاوة على قوله حين ذكر المختار «فقال: صلى عليه الكرام الكاتبون» [٦]. وكان المختار يرسل الأموال إلى عبد الله بن

١ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٠١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٤-٦٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥٧

٢ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٢.

٣ - المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٩٦.

٤ - أبن أعثم، الفتوح، ج٦، ص٣٢٣.

٥ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٤٥.

٦ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٤٦.

العباس فيقبلها [١]، وكان قتل المختار سبباً في قيام ابن الزبير بإخراج عبد الله ابن العباس من مكة إلى الطائف [٢]. ولم يكن تأييد ابن عباس لثورة المختار كونها ثورة ضد ابن الزبير فحسب وإنما يرى أنّها ثورة هادفة في الدرجة الأولى للأخذ بثأر الإمام الحسين وآل بيته (عليهم السلام) [٣].

ويبدو مما تقدم أن روايتي البلاذري بشأن الوحي لا يمكن الركون إليها؛ فالعلاقة بين المختار وابن عباس كانت إيجابية إلى درجة كبيرة حسب الروايات التاريخية.

وقال ابن قتيبة [٤]: «وكان يزعم أن جبريل يأتيه،»..فجاءت روايته دون إسناد أو تفصيل؛ وكذلك ذكرها البلخي [٥]: «ويزعم أن جبريل وميكائيل يأتيانه،.»..

بينما اعتبرها المسعودي [٦] إحدى وسائل المختار لكسب المؤيدين له فقال: «ومنهم من يدفعه عن هذا فيخاطبه بأن الملك يأتيه بالوحي ويخبره بالغيب،...»، ويظهر من رأي المسعودي هذا أن المختار كرجل حرب وسياسة استخدم كل الوسائل لكسب المؤيدين له، ويبدو أن هذا الرأي مبالغ

---

١ - ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٥، ص١١٧.

٢ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٨٢.

٣ - الحكيم، محمد تقي، عبد الله بن العباس شخصيته وآثاره، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠١م، ج١، ص٤٩٧.

٤ - المعارف، ص٤٠١.

٥ - البدء والتاريخ، ج١، ص٢٤٨.

٦ - مروج الذهب، ج٣، ص٩٠.

فيه فمهما بلغت حنكة المختار السياسية والعسكرية لا تصل الأمور به إلى كسب المؤيدين بادعاء أمور تضر بعقيدته ودينه، فضلاً عن أن المجتمع الإسلامي لاسيما في الكوفة لا يتقبل تلك الادعاءات بهذه السهولة بل تأتي بنتائج عكسية على المختار.

وأورد الزمخشري[١] رواية عن شبث بن ربعي قال: «قال لي المختار بن أبي عبيد: هل لك أن أريك جبرائيل؟ فأدخلني بيتاً في جوف بيت، فإذا أنا بشيخ على سرير قد سقط حاجباه على عينيه، فوثبت عليه، فجعلت أنتف لحيته، فصاح دقني دقني. والدقن بالنبطية اللحية».، وهذه الرواية أوردها الزمخشري دون إسناد عن شبث بن ربعي وهو من قادة ابن زياد يوم الطف، ومن أعداء المختار الذين قاتلوه، وهو ممن سار إلى مصعب بن الزبير ليحثه على قتال المختار ويستغيث به[٢]، وهي بذلك لا يمكن الأخذ بها لضعفها سنداً ومضموناً.

واعتمد أبن الجوزي[٣] والذهبي[٤] في روايتهم عن الوحي وجبريل على رواية أحمد بن حنبل الثانية والتي أوردها بسنده عن السدي ورفاعة، والتي ذكرناها من حيث السند والمضمون.

---

١ - أبو القاسم محمود بن عمر (ت:٥٣٨هـ - ١١٤٣م)، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٢م، ج١، ص٣١٤-٣١٥.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٩٦.

٣ - المنتظم، ج٥، ص٦٧-٦٨.

٤ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج٥، ص٢٢٦؛ سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٢٩٤.

في حين جاءت رواية ابن شاكر الكتبي[١] مختلفة نوعاً ما فقد ذكر ذلك قائلاً: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في ثقيف كذاب ومبير، وكان الكذاب المختار كذب على الله تعالى وأدعى أن الوحي يأتيه من الله تعالى»، وهذا المؤرخ أورد حديثا للرسول (صلى الله عليه واله وسلم) دون إسناد، ولم يكتف بذلك فأول الحديث وأضاف أن ذلك سبباً لتسمية المختار بالكذاب. وعلى غرار ذلك جاءت رواية ابن تغري بردي[٢] حيث قال: «ثم افترى على الله أنه يأتيه جبريل بالوحي، فلهذا قيل عنه: المختار الكذاب».

وأسهب ابن كثير في حديثه عن نزول الوحي وجبريل على المختار ذاكراً في ذلك العديد من الروايات:

الرواية الأولى: ذكر ابن كثير[٣] «وقد تواتر خبر المختار بن أبي عبيد...وقد قيل لابن عمر، وكان زوج أخت المختار صفية: إنّ المختار يزعم أن الوحي يأتيه. فقال صدق، قال الله تعالى { وَإِنَّ ٱلشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ }[٤]».

وهذه الرواية أوردها ابن كثير دون إسناد، ومن المستغرب أن هذه الرواية أوردها البلاذري[٥] ونسب هذا القول إلى عبد الله بن العباس، وفي

١ - فوات الوفيات، ج٤، ص١٢٣.

٢ - النجوم الزاهرة، ج١، ص٢٢٩-٢٣٠.

٣ - البداية والنهاية، ج٩، ص٢٥٢.

٤ - سورة الأنعام، الاية١٢١.

٥ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٤٦.

رواية أخرى مشابهة لهذا القول عند البلاذري[١] أيضا نسب فيها هذا الكلام إلى عبد الله بن الزبير، وزيادة على ذلك نسب القيرواني[٢] هذا القول إلى الأحنف بن قيس فقال: «وقيل للأحنف بن قيس: إن المختار يزعم أنّه يوحى إليه! فقال: صدق، وتلا: { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ }[٣]»، وهذا القول اختلف في نسبته مرة لعبد الله بن الزبير ومرة لعبد الله بن العباس وثالثة للأحنف بن قيس مما يدل على أنه قول لا أساس له من الصحة ومن ذلك يتبين مدى التلاعب في متن ومضمون تلك الرواية.

الرواية الثانية: جاء ابن كثير[٤] بها فقال: «قال الإمام أحمد...ثنا السدي عن رفاعة...دخلت على المختار فألقى لي وسادة وقال: لولا أن أخي جبريل قام عن هذه لأ لقيتها لك.»، وهذه هي رواية أحمد بن حنبل الثانية التي ناقشنا سندها ومضمونها.

الرواية الثالثة: قال ابن كثير[٥] «روى الطبراني، من طريق أنيسة بنت زيد بن أرقم[٦]، أن أباها دخل على المختار بن أبي عبيد فقال له: يا أبا عامر

---

١ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٤٦.

٢ - أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري (ت: ٤٥٣هـ-١٠٦٠م)، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، دار الجيل، بيروت، د. ت، ج١، ص٣٩٩.

٣- سورة الأنعام، الاية١٢١.

٤ - البداية والنهاية، ج١٢، ص٦٨.

٥ - البداية والنهاية، ج١٢، ص٦٩-٧٠.

٦ - هو زيد بن أرقم بن قيس بن النعمان، من الخزرج، كنيته أبو عامر، وقيل أبو أنيسة، غزا مع

لو سبقت رأيت جبريل وميكائيل.فقال له زيد: حقرت وتعست، أنت أهون على الله من ذلك، كذاب مفتر على الله ورسوله».

ورد في سند هذه الرواية ثابت بن زيد بن ثابت بن زيد بن أرقم الأنصاري [١] ضعفه العقيلي [٢]، والهيثمي [٣]، وقال عنه ابن حبان [٤]«يروي المناكير عن المشاهير...كان الغالب على حديثه الوهم»، قال الذهبي [٥]«له مناكير»، وذكر ابن حجر العسقلاني [٦] قول ابن حبان فيه والعقيلي، وهذه الرواية ضعيفة السند ولا يمكن الأخذ بها، ومن خلال مفردات الرواية يظهر الوهن على تلك الرواية فمن غير المعقول أن يتكلم زيد بهذا الكلام أمام شخصية مثل المختار لها نفوذ واسع وبيده السلطة والحكم.

الرواية الرابعة: ذكر ابن كثير رواية بسنده عن عبد الملك بن عمير، عن

رسول الله سبع عشرة غزوة، وسكن الكوفة، وأبتنى داراً في كندة، وشهد مع الإمام علي (عليه السلام) صفين، وهو معدود من خاصة أصحابه، روى الحديث عن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) توفي بالكوفة زمن المختار بن أبي عبيد سنة ثمان وستين، وقيل مات بعد قتل الحسين (عليه السلام) بقليل. ينظر: أبن سعد، الطبقات، ج٥، ص٣٥٧-٣٦١؛ ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٣٤٢- ٣٤٤.

١ - البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت:٢٥٦هـ-٨٦٩م)، التاريخ الكبير، المكتبة ألإسلامية، ديار بكر، د. ت، ج٢، ص١٦٣؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج٥، ص٢١٢.

٢ - ضعفاء العقيلي، ج١، ص١٧٤.

٣ - مجمع الزوائد، ج٧، ص٣٣٣

٤ - المجروحين، ج١، ص٢٠٦

٥ - ميزان الاعتدال، ج٢، ص٨٤.

٦ - لسان الميزان، ج٢، ص٧٧

رفاعة بن شداد فقال: «كنت أبطن شيء بالمختار الكذاب. قال فدخلت عليه ذات يوم فقال: دخلت وقام جبريل قبل من هذا الكرسي. قال فأهويت إلى قائم السيف - يعني لأضربه - حتى ذكرت حديثاً حدثنيه عمرو بن الحمق الخزاعي، أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال: إذا أمن الرجل الرجل على دمه ثم قتله، رفع له لواء الغدر يوم القيامة، فكففت عنه» [1]، ورد في سند هذه الرواية عن عبد الملك بن عمير وهو من لخم [2] قال عنه أحمد بن حنبل ضعيف جداً [3]، ومضطرب الحديث [4]، وقيل عنه مشهور بالتدليس [5]، وكذلك قيل عنه تغير حفظه قبل موته [6]، وهو متهم بقتل رسول الإمام الحسين (عليه السلام) إلى أهل الكوفة أخ الإمام الحسين (عليه السلام) من الرضاعة عبد الله بن يقطر [7] فلما أعيب عليه ذلك قال: إنّما

١ - البداية والنهاية، ج٩، ص٢٥٢-٢٥٣

٢ - ابن قتيبة، المعارف، ص٤٧٣

٣ - المزي، تهذيب الكمال، ج١٨، ص٣٧٣؛ ابن حجرالعسقلاني، تهذيب التهذيب، ج٢، ص٦٢٠

٤ - الرازي، الجرح والتعديل، ج٥، ص٣٦١؛ المفيد، الإفصاح، دار المفيد، بيروت، ١٩٩٣م، ص٢٢٠؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج١٢، ص٦٢٠

٥ - سبط بن العجمي، إبراهيم بن محمد بن خليل (ت: ٨٤١هـ - ١٤٣٧م)، التبيين لأسماء المدلسين، تحقيق: يحيى شقيق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م، ص٣٩-٤٠؛ ابن حجر العسقلاني، طبقات المدلسين، تحقيق: عاصم بن عبد الله القزويني، مكتبة المنار، د. ت، ص٤١.

٦ - ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج٢، ص٦٢٠

٧ - وهو اخو الإمام الحسين (عليه السلام) بالرضاعة، أرسله الإمام إلى سفيره في الكوفة مسلم بن عقيل (عليه السلام) فقبض عليه الحصين بن نمير قبل دخوله الكوفة، ولم يخبر ابن زياد بحاله، ←

أردت أن أريحه [١] وفي رواية أنه قتل قيس بن مصهر الصيداوي [٢]، وكان قاضياً زمن الأمويين في الكوفة [٣]، وكان يقبل الرشا في القضاء، ويحكم بالجور والعدوان، ومتجاهراً بالفجور، ويطعن في الإمام علي (عليه السلام)[٤]، وعلى أثر ذلك هجاه هذيل الاشجعي [٥].

إذن رواية ابن كثير هذه مرفوضة من حيث سندها، وكذلك اختلاف متنها مع ما ورد في الروايات السابقة التي ذكرناها، والتي أسندت القول إلى عمرو بن الحمق ولكن بصيغة أخرى مختلفة تماماً عن حديث الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) كما أوردها البلاذري[٦] وأحمد بن حنبل[٧] وهي بذلك

فأمره أن يصعد المنبر ويلعن الحسين، وأباه، ثم ينزل حتى يرى فيه رأيه فصعد ولما أشرف على الناس قال: أيها الناس إنّي رسول الحسين بن فاطمة بنت رسول الله لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة، فأمر ابن زياد به أن يرمى من فوق القصر فرموه فكسرت عظامه وبقي فيه رمق، فأتاه رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه ولما عيب له على ذلك قال: أردت أن أريحه. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٦٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٩٦.

١ - الطبري، التاريخ، ج٥، ص٢٦٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٩٦.

٢ - المفيد، الإرشاد، ص٢١٠.

٣ - ابن قتيبة، المعارف، ص٤٧٣؛ المفيد، الإفصاح، ص٢٢٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٦٤-١٦٥.

٤ - المفيد، الإفصاح، ص٢٢٠.

٥ - المرزباني، معجم الشعراء، ص٥٢٩؛ المفيد، الإفصاح، ص٢٢٠.

٦ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٠٠.

٧ - مسند احمد، ج٣٦، ص٣٧٨.

لا يمكن الركون إليها وقبولها لضعفها سنداً ومضموناً، ولا يخفى رأي ابن كثير في المختار الذي يكاد يخلو من كل موضوعية وحيادية فهو يتعرض للمختار بكل ما أمكنه من النيل منه؛ فهو على سبيل المثال يتكلم عن صفية أخت المختار فيقول: «قلت... وهي أخت المختار بن أبي عبيد، أمير العراق فيما بعد، وكانت امرأة صالحة، وكان أخوها فاجراً، وكافراً أيضاً»، فهو ينسب إليه الفجور والكفر وكأنه أمر مسلم به لا يحتاج إلى أي دليل أو برهان، ولذلك نجده قد استفاض بكل ما يمكن أن يشكل إدانة أو طعناً بشخصية المختار.

ويظهر من خلال روايات المؤرخين المتقدمة الذكر التي تناولت نزول الوحي أو جلوس جبريل مع المختار، أنها وردت دون إسناد يذكر أو ضعيفة الإسناد أو أن رواتها من أشد أعداء المختار، وكذلك مضطربة المضمون في الرواية الواحدة أو مع غيرها من الروايات الأخرى، بل يصل التناقض إلى المؤرخ نفسه يروي رواية ينقض بها ما ينسب إلى المختار فقد نقل المسعودي[١] قول زوجتي المختار لما دعيتا إلى البراءة من المختار فقالتا: «كيف نتبرأ من رجل يقول ربي الله؟ كان صائم نهاره قائم ليله، وقد بذل دمه لله ولرسوله في طلب قتلة أبن بنت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وأهله وشيعته».

ويرى ابن نما الحلي[٢] أن هناك لبساً في قضية الوحي وجلوس جبريل مع

---

١ - مروج الذهب، ج٣، ص١١٧.

٢ - ذوب النضار في شرح الثأر، ص٩٢

المختار فقد ذكر«قال المرزباني في كتاب الشعراء: كان للمختار غلام يقال له جبرائيل. وكان يقول قال لي جبريل، وقلت لجبريل، فيوهم الأعراب وأهل البوادي بأنّه جبرائيل (عليه السلام)، فاستحوذ عليهم بذلك حتى انتظمت له الأمور، وقام بإعزاز الدين ونصره، وكسر الباطل وقصره»، وقد يكون هذا الأمر معتاداً عند أهل الكوفة ومن المختار ولكن المؤرخين حرفوا التسمية من أجل التشنيع على المختار، وهذه هي الأخرى رواية ضعيفة لا يمكن الركون إليها، فقد أثبتت الدراسة والمصادر أن المختار كان رجل دولة يحمل عقيدة راسخة قدم الكثير في سبيلها فمن غير الممكن التدليس على الناس وإن كانوا أعراباً وأهل بوادي بهذه الطريقة، وهل يمكن للمختار أو لغيره أن يدعي ما نُسبَ له أن يبقى في الكوفة حاكماً مطاعاً يقاتل أهل الشام وينتصر عليهم انتصاراً مظفراً، ويبعث الجيوش إلى آل الزبير في مقرهم ويخرج محمد ابن الحنفية من سجنه، فضلاً عن تأسيسه لدولة تكاد تفرض سيطرتها على الشرق الإسلامي كله.

ثالثا: تهمة قتال الملائكة مع المختار

١. هجاء سراقة بن مرداس البارقي [١] للمختار

استند بعض المؤرخين في نسبة قتال الملائكة مع المختار على الشعر الذي

١ - هو سراقة بن مرداس الأزدي البارقي شاعر من شعراء العراق هجا المختار بن أبي عبيد وهرب إلى دمشق أيام عبد الملك ثم عاد إلى العراق مع بشر بن مروان وكانت بينه وبين جرير مهاجاة. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص٨٣-٨٤.

قاله سراقة بن مرداس البارقي يهجو فيه المختار وذلك بعد أن جيء به أسيراً في وقعة جبانة السبيع (سنة ٦٦هـ) [١]، فأسهبت بعض المصادر التاريخية في ذلك منها:

روى البلاذري [٢] ذلك ثم ذكر أنّ«سراقة بن مرداس البارقي صنع أشعارا فجعل يقول:

امنن علي اليوم يا خير معد ... وخير من لبى وحيا وسجد

فأمر به فحبس ليلة ثم خلاه فقال شعراً ذكر فيه أنه رأى الملائكة تقاتل مع المختار على خيل بلق، فأمره المختار أن يصعد المنبر فيعلم الناس ما رأى ففعل، ثم هرب إلى مصعب بن الزبير وهو بالبصرة وقال:

ألا ابلغ أبا إسحاق أني ... رأيت البلق دهما مصمتات

كفرت بوحيكم وجعلت نذراً ... علي قتالكم حتى الممات

أري عيني ما لم تبصراه ... كلانا عالم بالترهات»

وقريباً من ذلك جاءت رواية الدينوري [٣] فقال:«ثم إنّ المختار دعا بالأسرى الذين أسرهم من أهل الكوفة في الوقعة التي كانت بينه وبين أهل الكوفة، فجعل يضرب أعناقهم حتى انتهى إلى سراقة البارقي.... ثم قال

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٩؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١١٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٩.

٢ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٠١.

٣ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٧٧.

للمختار: أيها الأمير، لو أنكم أنتم الذين قاتلتمونا لم تطمعوا فينا. فقال المختار: فمن قاتلكم؟ قال له سراقة: قاتلنا قوم بيض الوجوه على خيل شهب. قال له المختار: تلك الملائكة، ويلك أما إذ رايتهم فقد وهبتك لهم، ثم خلى سبيله، فلحق بالبصرة وأنشأ يقول:

ألا ابلغ أبا إسحاق إني ... رأيت الشهب كمتاً مصمتات

في حين أورد الطبري بهذا الشأن روايتين:

الرواية الأولى: ذكرها بسنده عن أبي مخنف«ولما خرج المختار من جبانة السبيع وأقبل إلى القصر، أخذ سراقة... يناديه بأعلى صوته: أمنن علي اليوم يا خير معد... فبعث به المختار إلى السجن فحبسه ليلة، ثم أرسل إليه من الغد فأخرجه، فدعا سراقة فأقبل إلى المختار وهو يقول:

ألا أبلغ أبا إسحاق إنا ... نزونا نزوة كانت علينا

خرجنا لانرى الضعفاء شيئا ... وكان خروجنا بطرا وحينا

... فلما انتهى إلى المختار قال له: أصلحك الله أيها الأمير! سراقة بن مرداس يحلف بالله الذي لا اله إلا هو لقد رأى الملائكة تقاتل على الخيول البلق بين السماء والأرض؛ فقال له المختار: فاصعد المنبر فاعلم ذلك المسلمين، فصعد فاخبرهم بذلك ثم نزل. فخلا به المختار فقال: إنّي قد علمت أنّك لم تر الملائكة، وإنما أردت ما قد عرفت أن لا أقتلك فاذهب عني حيث أحببت، لا تفسد علي أصحابي».[1]

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٧.

الرواية الثانية: ذكر الطبري[١] بسند غير مكتمل قال: «حدثني أبو السائب سلم بن جنادة قال: حدثنا محمد بن براد، من ولد أبي موسى الأشعري، عن شيخ قال: لما أسر سراقة البارقي قال: وأنتم أسرتموني؟ ما أسرني إلا قوم على دواب بلق، عليهم ثياب بيض. قال: قال المختار: أولئك الملائكة، فأطلقه فقال:

ألا أبلغ أبا إسحاق أني ... رأيت البلق دهما مصمتات

أري عيني ما لم ترأياه ... كلانا عالم بالترهات»

وجاءت رواية ابن أعثم الكوفي[٢] مختلفة نوع ما قال: «وكان آخر من قدم عليه رجل من القوم بهي جميل فقال له المختار: من أنت؟ فقال: أيها الأمير! أنا سراقة بن مرداس البارقي، ولست ممن قاتل الحسين بن علي ولا مشارك في دمه، فاسمع كلامي ولا تعجل! فقال له المختار: فقل ما تشاء فإنّي سامع منك، فأنشأ يقول:

ألا أبلغ أبا إسحاق أنا ... نزونا نزوة كانت علينا

...قال: فقال له المختار: إنّي قد سمعت شعرك وأنت ممن قاتلني ولابد من قتلك أو تخليدك السجن؛ قال فقال سراقة: ولم ذلك فو الله وإلا فعليه كذا وكذا إن لم أر الملائكة بالأمس تقاتل معك، فلما وضعت الحرب أوزارها رأيت الملائكة تطير بين السماء والأرض، فقال له المختار: وأنا أحلف أنك ما

---

١ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٨.

٢ - ابن أعثم، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٦٤ -٢٦٥؛ ومقتل الحسين، ص٢٧١ -٢٧٢.

رأيت شيئاً مما رأيت من أمر الملائكة، وقد حلفتَ بالله كاذباً، وقد حقنت لك دمك فاخرج عن الكوفة والحق بأي بلد شئت! قال فقال سراقة: صدقت والله أصلح الله الأمير ما رأيت شيئاً وما كنت في يمين حلفت بها ساعة قط أشد اجتهاداً ولا مبالغة في الكذب من تلك اليمين، ولكني خفت سيفك. قال: ثم خرج...ثم أنشأ يقول:

ألا أبلغ أبا إسحاق أني ... رأيت البلق دهما مصمتات

لكن ابن عبد ربه الأندلسي[١] جاء برواية تختلف في تسلسل أحداثها عما ذكرناه فذكرت أن المختار عفا يوم جبانة السبيع عن سراقة لمجرد أنه قال لما أتي به مع الأسرى:

أمنن علي اليوم يا خير معد ... وخير من لبى وصلى وسجد

ثم خرج على المختار مرة أخرى فأتي به أسيراً وأراد قتله المختار فقال: لا والله لا تفعل إن شاء الله؛ قال ولم؟ قال: لأن أبي أخبرني أنك تفتح الشام حتى تهدم مدينة دمشق حجراً حجراً وأنا معك ثم أنشده الأبيات إلا أبلغ أبا إسحاق أنا حملنا حملة كانت علينا... فخلى سبيله، ثم خرج مرة ثالثة فقال: أنا لما التقينا رأينا قوماً عليهم ثياب بيض، وتحتهم خيل بلق،تطير بين السماء والأرض، فقال المختار: خلو سبيله ليخبر الناس، ثم دعا لقتاله.

وأورد مسكوية[٢] روايته بشكل مختصر فذكر:«فاما سراقة بن مرداس

١ - ابن عبد ربة، العقد الفريد، ج٢، ص١٤٣ -١٤٤.

٢ - تجارب الأمم، ج٢، ص١١٦.

البارقي، فإنّه حلف واجتهد في اليمين أنّه رأى الملائكة معهم تقاتل على خيول بلق، وقال لهم: أنتم أسرتموني؟ ما أسرني إلا قوماً على دواب لهم بلق، عليهم ثياب بيض. فقال المختار: أولئك الملائكة، اصعد المنبر، فاعلم الناس. فصعد واجتهد في اليمين وأخبرهم بذلك. ثم نزل فخلا به المختار وقال: إني علمت أنّك لم تر الملائكة، وإنما أردت ما قد عرفت: إلا أقتلك، فاذهب عني حيث أحببت، لا تفسد علي أصحابي. فخلى عنه، وذهب حتى لحق بمصعب بن الزبير، وقال:

إلا ابلغ أبا إسحاق ... إني رأيت الخيل دهما مصمتات

أري عيني ما لم ترايـاه ... كلانا عالم بالترهات»

بينما ذكر ابن عساكر [١] رواية تختلف كثيراً عما ذكرناه من قول وأشعار سراقة فقال بسنده عن«أبان بن عثمان البجلي الكوفي، قال: كان سراقة البارقي شاعراً ظريفاً تحبه الملوك، فكان قاتل المختار فأخذه أسيراً فأمر بقتله فقال: والله لا تقتلني حتى تنقض دمشق حجراً حجراً، فقال المختار لأبي عمرة: من يخرج أسرارنا؟ ثم قال: من أسرك؟ قال قوم على خيل بلق، عليهم ثياب بيض لا أراهم في عسكرك. قال: فأقبل المختار على أصحابه فقال إنّ عدوكم يرى من هذا ما لا ترون. قال: إنّي قاتلك قال: والله يا أمين آل محمد، إنّك تعلم أن هذا ليس باليوم الذي تقتلني فيه، قال ففي أي يوم أقتلك؟ قال يوم تضع كرسيك على باب مدينة دمشق، فتدعو بي يومئذ

---

١ - تاريخ دمشق، ج٢٠، ص١٥٦ -١٥٧.

فتضرب عنقي، فقال المختار لأصحابه يا شرطة الله من يذيع حديثي؟ ثم خلى عنه فقال سراقة: وكان المختار يكنى أبا إسحاق: إلا ابلغ أبا إسحاق أني رأيت البلق دهما مصمتات».

هذه الرواية تطابقت معها رواية الصفدي[١] أثناء ترجمته إلى سراقة البارقي وكذلك أشار ابن عبد ربه الأندلسي في روايته التي ذكرناها إلى دمشق وأنّ المختار سوف يهدمها حجراً حجراً.

وذكر ابن الجوزي[٢] رواية الطبري الأولى بشكل مختصر، بينما ذكرها ابن الأثير[٣] والنويري[٤] وابن كثير[٥] بالتفصيل كما أوردها الطبري بسنده عن أبي مخنف عن يونس بن أبي إسحاق.

ومن خلال ما تقدم يلاحظ على تلك الروايات العديد من نقاط الخلاف فيما بينها، ففي حين ذكر البلاذري أن المختار قتل من الأسرى من اشترك بدم الإمام الحسين (عليه السلام)، وأن سراقة هو من قال إني رأيت الملائكة تقاتل مع المختار، صورت رواية الدينوري المختار قاتلاً يضرب أعناق الأسرى حتى انتهى إلى سراقة، ونسبت القول برؤية الملائكة للمختار وليس لسراقة البارقي.

---

١ - الوافي بالوفيات، ج١٥، ص٨٣.

٢ - المنتظم، ج٥، ص٥٧.

٣ - الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٥٩ -٦٦٠.

٤ - نهاية الأرب، ج٢١، ص١٥ -١٦.

٥ - البداية والنهاية، ج١٢، ص٢١ -٢٣.

ورواية الطبري الثانية وإن لم تذكر قضية الأسرى، إلا أنها اتفقت من حيث المضمون مع رواية الدينوري حيث إنّها جعلت المختار هو من قال «أولئك الملائكة» في حين نسب القول نفسه في روايته الثانية لسراقة البارقي، واختلفت رواية ابن أعثم الكوفي مع الروايات الأخرى بأن المختار أخبر سراقة أمام الآخرين أنه لم ير الملائكة ولم يطلب منه أن يصعد المنبر ليخبر الناس بذلك؛ بل طلب منه أن يلحق بأي بلد شاء، ورواية ابن أعثم هذه جاءت مقبولة وملائمة للواقع فسراقة لم يشترك في قتال الإمام الحسين (عليه السلام) فعفا عنه المختار، ولأن المختار علم بأن سراقة اختلق تلك القصة أمره بعدم البقاء في الكوفة، فلو كان في قول سراقة مصلحة للمختار وأصحابه لما أمره بالخروج عن الكوفة.

وأكد مسكويه في روايته على الأيمان التي اجتهد فيها سراقة بأنه رأى الملائكة، أما ما جاء في رواية ابن عبد ربه التي ذكرناها من قيام المختار بالعفو عن سراقة ثلاث مرات، فقد انفرد بها ابن عبد ربه ولم تتطرق لها المصادر التاريخية الأخرى، فضلاً عن أنها وردت مرسلة دون إسناد لها فلا يمكن الأخذ بها على هذا النحو.

ويظهر من خلال تلك الروايات التي ذكرها المؤرخون أن الأمر لا يعدو كونها أكذوبة أراد من خلالها سراقة بن مرداس أن لا يعاقبه المختار؛ واعترف سراقة بتلك الأكذوبة أمام المختار كما ذكرها ابن أعثم الكوفي[1] في روايته،

---

١ - كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٦٥؛ ومقتل الحسين، ص٢٧٢.

وذكرها الطبري [١] بسنده عن أبي مخنف: «حدثني الحجاج بن علي البارقي، عن سراقة بن مرداس، قال: ما كنت في أيمان حلفت بها قط أشد اجتهاداً ومبالغة في الكذب من في أيماني هذه التي حلفت لهم بها، إني قد رأيت الملائكة معهم تقاتل..».

والظاهر أنّ شروط المختار في العفو عن الأسرى هو عدم أشتراكهم في القتال ضد الإمام الحسين (عليه السلام)[٢] وهذا يفند رواية الدينوري[٣] التي يقول فيها«فجعل يضرب أعناق الأسرى حتى انتهى إلى سراقة البارقي».

وأما المختار فكان سخياً وكريماً مع سراقة لا لشيءٍ سوى علمه بأنه ليس من الذين أشتركوا بالقتال ضد الإمام الحسين (عليه السلام) وهو ما فعله مع جميع الأسرى في هذه الوقعة؛ وقبلها فعل ذلك مع والي الكوفة عبد الله بن مطيع وأصحابه الذين كانوا معه محاصرين في القصر [٤]، فلا يستغرب منه عفوه عن الأسرى ومن ضمنهم سراقة الذي كان شاعراً وظريفاً فلذلك أخذت أقواله وأشعاره حيزاً كبيراً، واستغلت للتشهير بالمختار وتشويه صورته، يضاف إلى ذلك أن سراقة البارقي قام بهجاء المختار لدى وصوله إلى مصعب بن الزبير، وبعد ذلك أصبح من المقربين للأمويين وهؤلاء جميعاً هم

---

١ - تاريخ الطبري، ج٦، ص٦٨.

٢ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٠١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٥، ابن أعثم، الفتوح، ج٦، ص٢٦.

٣ - الأخبار الطوال، ص٢٧٧.

٤ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٩٤.

أعداء المختار وقد مدح بشر بن مروان والي العراق فقال:

دعا الرحمن بشر فاستجابا ... لدعوته فأسقانا السحابا
وكان دعاء بشر صوب غيث ... يعاش به ويحيى ما صابا
أغر بوجهه نسقى ونحيي ... ونستجلي بغرته الضبابا[1]

٢. قتال الملائكة مع المختار على هيأة الحمام

ألصقت هذه التهمة بالمختار عندما أرسل إبراهيم بن مالك الأشتر لقتال عبيد الله بن زياد حيث التقى إبراهيم مع جيش الشام في معركة فاصلة أدت إلى هزيمة منكرة لجيش الشام قتل على أثرها عبيد الله بن زياد، والحصين ابن نمير السكوني، وشرحبيل بن ذي الكلاع الحميري [2]، ويبدو أن هذا الأمر لم يرق للبعض لذلك ألصقوا بالمختار رواية غريبة وتصرفاً لا يصدر منه، أنّ المختار أوهم الناس بأن الملائكة تقاتل معه فعمل على تهيئة بعض الحمام الأبيض وطلب من خاصته أن يطلقوه أثناء المعركة، فذكر المبرد [3]«ودفع - أي المختار - إلى قوم من خاصته حماماً بيضاً ضخاماً، وقال إن رأيتم الأمر لنا فدعوها، وأن رأيتم الأمر علينا فأرسلوها، وقال للناس: أن استقمتم فبنصر الله، وإن حصتم حيصة فإني أجد في محكم الكتاب، وفي اليقين والصواب، أن

---

١ - ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد (٢٨١هـ-٨٨٤م)، مكارم الأخلاق، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة، د. ت، ص١٤٣.

٢ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨١.

٣ - الكامل في اللغة والأدب، ج٣، ص١٨٩ -١٩٠.

الله مؤيدكم بملائكة غضاب، تأتي في صور الحمام دوين السحاب....فلما التقوا كانت على أصحاب إبراهيم في أول النهار، فأرسل أصحاب المختار الطير، فتصايح الناس: الملائكة! فتراجعوا»

وكذلك جاءت رواية الشهرستاني[١]«فمن مخاريقه -أي المختار- والملائكة من فوقكم ينزلون مدداً لكم، وحديث الحمامات البيض التي ظهرت في الهواء، وقد أخبرهم قبل ذلك بأن الملائكة تنزل على صورة الحمامات البيض.».

بينما قال الكتبي[٢]«واتخذ حماماً أبيضاً طيرها في الهواء وقال لأصحابه: إن الملائكة تنزل عليكم في صورة حمامات بيض»..

أما الابشيهي[٣]« وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي من دهاة ثقيف، وثقيف دهاة العرب قيل: إنه وجه إبراهيم بن الأشتر إلى حرب عبيد الله بن زياد ثم دعا برجل من خواصه فدفع إليه حمامة بيضاء وقال له: إن رأيت الأمر عليكم فأرسلها. ثم قال للناس إني لأجد في محكم الكتاب وفي اليقين والصواب إن الله ممدكم بملائكة غضاب صعاب تأتي في صور الحمام تحت السحاب. فلما كادت الدائرة تكون على أصحابه عمد ذلك الرجل إلى الحمامة فأرسلها فتصايح الناس الملائكة الملائكة!! وحملوا فانتصروا وقتلوا ابن زياد».

---

١ - الملل والنحل، ص ١٤٤.

٢ - فوات الوفيات، ج٤، ص١٢؛ وينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٥، ص٢١٠.

٣ - المستطرف في كل فن مستظرف، ج١، ص٤٦٢ -٤٦٣.

لقد جاء المبرد بروايته عن الحمام وعدها من عجائب المختار [١] واعتبرها الشهرستاني [٢] من المخاريق المموهة، وأدرجها الكتبي [٣] ضمن محارمه التي تبرأ محمد بن الحنفية بسببها من المختار، وأوردها الابشيهي [٤] في باب الحيل والخداع المتوصل بها إلى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر، ويذكر فلهاوزن [٥] «فانتصر الشيعة على عدوهم الذي كان يبلغ عشرة أضعافهم بفضل مهارة قائدهم وبفضل شجاعتهم هم، ولم تطلق حمامات بيض.»، وهو بهذا لا يرى لها أي أثر في المعركة.

إن هذه الروايات ضعيفة وغريبة في الوقت نفسه فلم ترد إلا في بعض المصادر المتأخرة، ولم تذكر أغلب المصادر التاريخية مثل البلاذري [٦]، واليعقوبي [٧]، والطبري [٨]، وابن أعثم [٩]، وابن الأثير [١٠]، تلك الحمامات على الرغم من أنهم ذكروا ما كان بين المختار وحربه مع عبيد الله بن زياد لاسيما أن أغلب هؤلاء المؤرخين ذكروا تلك المعركة بالتفصيل

---

١ - الكامل في اللغة والأدب، ج٣، ص١٨٩.

٢ - الملل والنحل، ص١٤٥.

٣ - فوات الوفيات، ج٤، ص١٢٣.

٤ - المستطرف في كل فن مستظرف، ج١، ص٤٦٢.

٥ - الخوارج والشيعة، ص٢٢٣ -٢٢٤.

٦ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦ ص٤٢٣ -٤٢٧.

٧ - تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٠ -١٨١.

٨ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٦، ٩٥.

٩ - كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٦٧، ٢٨٢.

١٠ - الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٧٤، ٦٨٢.

وهذه الروايات المتقدمة وردت دون إسناد يذكر فهي لا تعدو كونها واحدة من التهم التي حرص واضعوها على النيل من شخصية المختار بشتى الوسائل، وكذلك هي محاولة للتقليل من قوة وبسالة الجيش الذي قاتل عبيد الله بن زياد وجيش الشام وانتصر عليه انتصاراً مشرفاً، وليس غريباً على أعدائه فعل ذلك فهؤلاء وأشباههم هم من وضعوا العديد من الأحاديث ونسبوها للرسول الكريم صلى الله عليه واله وسلم في فضل معاوية بن ابي سفيان وغيره، وفي الوقت ذاته نصبوا العداء للإمام علي (عليه السلام) وشيعتهم ومحبيهم [١].

١ - الحسني، الانتفاضات الشيعية، ص٣٣٥.

المبحث الثاني: تهم الكذب التي وجهت للمختار

أولاً: تهمة الكذب التي وجهت إليه من أعدائه مباشرة

ألصق بعض المؤرخين القدامى تهمة الكذب بالمختار وذلك اعتماداً على بعض الأقوال التي صدرت من آل الزبير والجنود الأمويين وأعداء المختار من أهل الكوفة فذكر البلاذري [1] قول عبد الله بن الزبير لما بلغه قول المختار أنا مبير الجبارين فقال...«قاتله الله كذاباً متهكماً.».، وروى الطبري [2] بسنده عن أبي مخنف قول ابن الزبير«لقد انبعث كذاباً متكهناً.».، بينما ذكر ابن أعثم الكوفي [3] أنّه قال: «قاتله الله من متكهن كذاب!»..إن أقوال ابن الزبير التي ذكرها المصادر المتقدمة جاءت بعد أن خرج المختار من سجن ابن زياد لاتهامه بنصرة مسلم بن عقيل (عليه السلام) فهو لم يسئ لآل الزبير ولكنهم

١ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٧٨.

٢ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٨٧.

٣ - كتاب الفتوح، ج٦، ص١٤٧؛ ومقتل الحسين، ص١٨٥.

يعلمون بولائه ومواقفه من نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) وحبه لآل محمد، الذي كان ابن الزبير يكتم بغضه لهم أكثر من أربعين سنة [١].

وذكر البلاذري [٢] بعد مقتل المختار قول عبد الله بن الزبير لابن عباس لما رأى منه توجعاً لقتل المختار«أتتوجع لابن أبي عبيد وتكره أن تسميه كذاباً»، وكذلك نقل قول عروة ابن الزبير«إن ربك قتل المختار الكذاب وهذا رأسه قد جيء به»..[٣]، ونقل البلاذري [٤]، والطبري [٥] أن بعض رسل وعيون إبراهيم بن مالك الأشتر سمعوا قول أحد جنود أهل الشام«يا شيعة أبي تراب، يا شيعة المختار الكذاب»، كما ذكر ابن أعثم الكوفي[٦] ذلك الأمر فقال:«وتقدم رجل من عتاة أهل الشام يقال له عوف بن ضبعان[٧] ونادى:

---

١ - المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٩٦.

٢ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٤٥.

٣ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٤٥.

٤ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٢٥.

٥ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٩١.

٦ - كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٧٩.

٧ - عوف بن ضبعان: أحد جنود عبيد الله بن زياد يوم الخازر، من عتاة أهل الشام ومردهم وهو الذي نادى: من منكم يدل بشجاعته وشدته فليبرز إلي لو كان صادقا، وجعل يجول في الميدان وهو يقول:

أنا ابن ضبعان الكريم المفضل   إني أنا الليث الكمي الهذلي

من عصبة يبرون من دين علي   كذاك كانوا في الزمان الأول

فخرج إليه الأحوص بن شداد الهمداني فقال للشامي ما اسمك؟فقال له منازل الأبطال؛ فقال له الأحوص وأنا مقرب الآجال، ثم حمل عليه فقتله. ينظر: ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٧٩؛ ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص١٣٣.

ألا يا شيعة أبي تراب! ألا يا شيعة المختار الكذاب، ألا يا شيعة ابن الأشتر المرتاب.».، وجاءت رواية ابن نما[١] باختلاف بسيط«ووقف العسكران، والتقى الجمعان، فخرج ابن ضبعان الكلبي ونادى: يا شيعة المختار الكذاب»..

وأورد ابن أعثم الكوفي[٢] قول الذين نقضوا بيعة المختار وقاتلوه يوم جبانة السبيع فقال:«فجعل بعضهم يقول لبعض: والله لقد تأمر علينا هذا الكذاب بغير رضا منا،.».، كما أورد الطبري[٣] قولاً للشمر بن ذي الجوشن عند هروبه من الكوفة:«أو كل هذا فرقاً من الكذاب؟.».، وكذلك ذكر ابن أعثم الكوفي[٤] أثناء حديثه عن وقعة جبانة السبيع فقال:«واذا برجل أسود قد أتي به حتى وقف بين يديه...فقال له المختار إني سمعت كلامك بالأمس وتحريضك، وأنت تنادي وتقول: أيها الناس قاتلوا الكذاب! أخبرني ما علمك بأنّي كذاب؟ نعم أنا الكذاب، نعم أنا الكذاب، نعم أنا الكذاب كما زعمت إن لم أذيقك حر الحديد. قال: فأمر به، فضربت عنقه صبراً».

إن هذه الاتهامات التي أوردناها أعلاه جاءت عن طريق أناس لهم موقفٌ سلبيٌ من المختار وتوجهاته المعادية للأمويين والزبيريين على حد سواء، وكذلك عن أعداءه داخل دولته ممن تأكدوا أنّه لا بقاء لهم في الكوفة والمناطق

---

١ - ذوب النضار، ص١٣٣.

٢ - كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٦٠.

٣ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٦٦.

٤ - كتاب الفتوح، ج٦، ص٢٦٣-٢٦٤.

التي يمتد نفوذ المختار اليها، وأغلبهم ممن شارك في قتل الإمام الحسين (عليه السلام)، فلم ير هؤلاء غير اتهام المختار بأي تهمة صغيرة كانت أم كبيرة، عسى أن تنقذهم من المصير المحتوم فبقاء المختار حياً يعني أنه سوف يتتبع أثرهم واحداً بعد الآخر ويقتلهم.

خلاصة القول مما تقدم إن الأمويين والزبيريين لا يتوانون عن تلفيق التهم الباطلة لخصومهم من أجل تشويه صورهم، فتهمة الكذب التي ألصقت بالمختار قد اتهم بها من هو أفضل من المختار والذي لا توجد مقارنة بينه وبين المختار؛ فهذا عبيد الله بن زياد وهو من أهم ولاة الأمويين يقول لقيس بن مسهر الصيداوي رسول الحسين بن علي (عليه السلام) إلى أهل الكوفة «اصعد فسب الكذاب الحسين بن علي، فصعد قيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فأجيبوه ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه واستغفر لعلي بن أبي طالب.؟»..[١]، وقال ابن زياد بعد مقتل الإمام الحسين (عليه السلام): «الحمد لله الذي قتل الكذاب ابن الكذاب الحسين وشيعته، فوثب عبد الله بن عفيف الأزدي [٢] لما سمع مقالة بن زياد فقال له: يابن

---

١ - المفيد، الإرشاد، ص٢١٠.

٢ - عبد الله بن عفيف الازدي من أصحاب الإمام علي (عليه السلام)، وكان من خيار الشيعة وزهادها ذهبت عينه اليسرى يوم الجمل، وفي صفين ضرب على رأسه ضربة وأخرى على حاجبه، فذهبت عينه الأخرى، وكان لا يفارق المسجد الأعظم، ولما سمع كلام ابن زياد وثب قائما ثم قال: يا ابن مرجانة أتقتلون أولاد النبيين وتتكلمون بهذا الكلام على منابر المسلمين، ←

مرجانة، إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه» [١]

وروى ابن سعد [٢] والبلاذري [٣] وابن عساكر [٤] والذهبي [٥] كيف أن الحجاج بن يوسف الثقفي - والي العراقين من قبل الأمويين — أمر عبد الرحمن بن أبي ليلى [٦] قال له: العن الكذابين علياً وعبد الله بن الزبير

فغضب ابن زياد، ثم قال: من المتكلم، فقال: أنا المتكلم، يا عدو الله! أتقتل الذرية الطاهرة التي أذهب الله عنها الرجس في كتابه وتزعم أنّك على دين الإسلام؟ وازداد غضب ابن زياد منه عندما قال أين أولاد المهاجرين والأنصار لا ينتقمون من طاغيتك، ثم قُتل على يد ابن زياد بعد أن بعث له جيشاً فقاتله حتى أثخن بالجراح فقتله وصلبه. ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٣، ص٤١٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص ٣١٠؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٥، ص١٢٣-١٢٤.

١ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٣، ص٤١٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣١٠؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٥، ص ١٢٤؛ المفيد، الإرشاد، ص٢٣٣؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص١٠٥؛ ابن نما الحلي، مثير الأحزان، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٠م، ص ٧٢.

٢ - الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٣٢-٢٣٣.

٣ - جمل من أنساب الأشراف، ج٢، ص٤٠٥.

٤ - تاريخ دمشق، ج٣٦، ص٩٨.

٥ - تاريخ الإسلام، ج٦، ص١٢٩.

٦ - أبو عيسى عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار بن بلال بن بليل بن احيحة بن الجلاح الأنصاري، الكوفي الفقيه، كان من أكابر تابعي الكوفة، روى عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وعثمان بن عفان، وأبي أيوب الأنصاري، وعبد الله بن مسعود، وسهل بن حنيف، وغيرهم، وقال: إنّه أدرك مائة وعشرين من الأنصار من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، وأراد الحجاج بن يوسف أن يستعمله على القضاء فقيل له: إن كنت تريد أن تبعث علي بن أبي طالب على القضاء فافعل. ويقال إنّ الحجاج استعمله على القضاء ثم عزله،

والمختار، فيقول ابن أبي ليلى لعن الله الكذابين، ثم يقول علي بن أبي طالب وعبد الله بن الزبير والمختار بن أبي عبيد، قال الأعمش [١]: فعلمت أنّه حين ابتدأهم ورفعهم أنّه لم يلعنهم. وهذا دليل على سياسة أعداء المختار في إلصاق التهم الباطلة ليس في أثناء حياته فحسب بل حتى بعد وفاته وبالأخص بعد أن أحكموا سيطرتهم على دولة الإسلام؛ فإذا كانوا لا يتورعون عن اتهام الإمام علي والإمام الحسين (عليهما السلام) بتلك التهم فمن الطبيعي أن يكون اتهامهم للمختار أسهل بكثير من فعلتهم تلك، ثم تتلقفها وتتلاعب بها كتابات الرواة والمؤرخين حسب الأهواء والظروف التي تحيط بهم وتؤثر فيهم وفي كتاباتهم.

← ثم ضربه ليسب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وكان يقول إذا سمعهم يذكرون الإمام علياً (عليه السلام) وما يحدثون عنه، قال: جالسنا علياً وصحبناه فلم نره يقول شيئاً مما يقولون؛ أو لا يكفي علياً أنّه ابن عم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وختنه على ابنته، وأبو الحسن والحسين؛ شهد بدراً وصلح الحديبية؟. ولد لست سنين بقين من خلافة عمر، وأجمعوا أنّه قتل بدجيل عندما خرج ابن الأشعث على الحجاج بن يوسف الثقفي سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين للهجرة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٢٩ -٢٣٣؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٢٦؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، ص٥٨؛ ابن قنفذ القسنطيني، أحمد بن حسن بن علي (ت: ٨١٠هـ-١٤٠٧م)، كتاب الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، الطبعة الرابعة، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م، ص٩٤.

١ - هو سليمان بن مهران، ويكنى أبا محمد الأسدي مولى بني كاهل، وكان الأعمش صاحب قرآن وفرائض وعلم بالحديث، ويقال إنّ الزهري كان إذا ذكر أهل العراق ضعف علمهم، فجيء له ببعض علم الأعمش؛ فلما قرأه قال: والله إنّ هذا العلم، ما كنت أرى أحداً يعلم هذا، ولد يوم استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) يوم العاشر من المحرم سنة ستين للهجرة، وتوفي مئة وثمان وأربعين، وهو ابن ثمان وثمانين سنة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٤٦١ -٤٦٢.

ثانياً: الحوار الذي جرى بين أسماء بنت أبي بكر والحجاج بن يوسف

اعتمد أغلب المؤرخين القدامى في توجيه تهمة الكذب إلى المختار بن أبي عبيد على حوار دار بين أسماء بنت أبي بكر[١] والحجاج بن يوسف الثقفي، عندما انتصر على عبد الله بن الزبير ثم قتله وصلبه وطالبت بإنزال جثته لكي تقوم بدفنه.وقد ذكر ابن سعد ثلاث روايات في هذا الشأن:

الرواية الأولى: جاءت هذه الرواية عند ترجمته لأسماء بنت أبي بكر فقال:«حدثنا إسحاق الأزرق عن عوف الأعرابي عن أبي الصديق الناجي أن الحجاج دخل على أسماء بنت أبي بكر فقال لها: إنّ ابنك أُلحد في هذا البيت وأنّ الله أذاقه من العذاب الأليم وفعل به وفعل. فقالت له: كذبت، كان براً بالوالدين صواماً قواماً ولكن والله لقد أخبرنا رسول الله أنّه يخرج من ثقيف كذابان، الآخر منهما شر من الأول وهو مبير»[٢]

الرواية الثانية: جاءت عندما ترجم لعبد الله بن الزبير:«أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني نافع بن ثابت، عن عبيد مولى أسماء قال: لما قتل عبد الله، خرجت إليه أمه حتى وقفت عليه، وهي على دابة، فأقبل الحجاج في

١ - وهي أسماء بنت أبي بكر بن أبي قحافة، أسلمت قديماً بمكة وبايعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، وهي ذات النطاقين، تزوجها الزبير بن العوام فولدت له عبد الله والمنذر وعاصماً والمهاجر وخديجة الكبرى وأم الحسن وعائشة، وعندما فرض عمر بن الخطاب الأعطيات في خلافته ففرض لأسماء بنت أبي بكر ألف درهم، وماتت أسماء بنت أبي بكر بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بليال، وكان قتله في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١٠، ص٢٣٧-٢٤٢.

٢ - ابن سعد، الطبقات، ج١٠، ص٢٤١-٢٤٢.

أصحابه، فسأل عنها، فأُخبر بها، فأقبل حتى وقف عليها، فقال كيف رأيت؟ نصر الله الحق وأظهره... قالت: كذبت، كان أول مولود في الإسلام بالمدينة... أشهد على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، لسمعته يقول: سيخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول وهو مبير وهو أنت»[1].

الرواية الثالثة: جاء ابن سعد [2] بها أثناء ترجمته لعبد الله بن الزبير فقال: «إنّ الحجاج لما قتل عبد الله بن الزبير صلبه على عقبة المدينة....ثم بعث إلى أمه أسماء بنت أبي بكر وقد ذهب بصرها، أن تأتيه فأبت أن تأتيه، فأرسل إليها لتأتيني أو لابعثن إليك من يسحبك بقرونك حتى يأتيني بك، فأرسلت إني والله لا آتيك حتى تبعث إلي من يسحبني بقروني فيائيتي بك...ثم خرج يتوذف[3] يعني مشية له حتى أتاها فدخل عليها، قال: فقال: كيف رأيتني صنعت بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك... أما إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يقول: إنّه سيخرج من ثقيف رجلان؛ كذاب ومبير فأما الكذاب، فقد رأيناه ابن أبي عبيد، وأما المبير فأنت ذاك. قال فوثب فانصرف عنها ولم يراجعها».

لقد جاءت الرواية الأولى والثانية لابن سعد ولم يرد فيهما أي ذكر

---

١ - الطبقات، ج٦، ص٥٠٩-٥١٠.

٢ - ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٥١٣-٥١٤.

٣ - وتعني التبختر، فإذا مر يقارب الخطو ويحرك منكبيه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٤٢٥٦.

للمختار. بينما ذكرت الرواية الثالثة قولاً نسبه ابن سعد إلى أسماء بنت أبي بكر أنّها قالت: «فأما الكذاب فقد رأيناه ابن أبي عبيد»، ووردت هذه الرواية في صحيح مسلم باختلاف بسيط في بعض المفردات إلا أنّها لم تذكر المختار أو ابن أبي عبيد بينما الرواية بسنده عن«الأسود بن شيبان عن أبي نوفل رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة...أما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا إن في ثقيف كذاباً ومبيراً فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا أخالك إلا إياه قال فقام عنها ولم يراجعها»[١]، وكذلك ذكر الطبراني[٢] رواية بهذا الشأن جاءت باختلاف بسيط مع رواية ابن سعد الثالثة إلا أنّها لم تذكر المختار أو ابن أبي عبيد أيضاً بسنده كذلك عن«الأسود بن شيبان حدثني أبو نوفل بن أبي عقرب قال صلب الحجاج بن يوسف عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة... وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنّ في ثقيف مبيراً وكذاباً فأما الكذاب فقد عرفناه وأما المبير فأنت ذاك قال فخرج». وبهذا اختلفت رواية ابن سعد مع روايتيه الأولى والثانية؛ ومن المستغرب أن تختلف مع روايتي صحيح مسلم والطبراني على الرغم من أنّ الراوي نفسه الأسود بن شيبان عن أبي نوفل بن أبي عقرب. وهذا الاختلاف في الرواية يعني أنّ الكلام الذي نسب لأسماء في رواية ابن سعد الثالثة ليس دقيقاً، وقد يكون

---

١ - مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١هـ-٨٧٤م)، صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، د. ت، ج٧، ص١٩٠-١٩١.

٢ - أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت: ٢٦٠هـ-٨٧٣م)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٢٤، ص١٠٢-١٠٣.

أضيف أما من قبل الرواة أو من المؤرخ نفسه.

وأورد البلاذري[١] رواية لا يختلف مضمونها عن رواية ابن سعد الثالثة إلا ببعض الكلمات التي لا تغير منها شيئاً، لكن تلك الرواية لم تذكر المختار فقال: «قال عوانة وغيره: لما قتل الحجاج ابن الزبير وصلبه بعث إلى أمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين لتأتيه، فأبت أن تفعل فبعث إليها لتقبلن أو لأبعث إليك من يجرك بقرونك، فقالت لرسوله: قل لابن أبي رغال: لست أفعل أو تبعث إلي من يجرني بقروني، فلبس سبته وجعل يتوذف في مشيه... قالت... أما إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)،يقول: يكون في ثقيف كذاب ومبير فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فأنت هو»..

أما اليعقوبي [٢] فقد ذكر هذا الأمر فقال: عندما ذكر قتل ابن الزبير في سنة ثلاث وسبعين للهجرة،قال: «ثم جاءت أمه أسماء بنت أبي بكر، وهي عجوز عمياء، حتى وقفت على الحجاج، فقالت: أما آن لهذا الراكب أن ينزل بعد؟ أما إني سمعت رسول الله يقول إنّ في ثقيف مبيراً وكذاباً فأما المبير فأنت، وأما الكذاب فالمختار بن أبي عبيد، فقال: من هذه ؟ فقيل: أم ابن الزبير فأمر به، فأُنزل»، وهنا ينسب اليعقوبي القول إلى أسماء بنت أبي بكر.

كذلك جاءت رواية ابن عبد ربه [٣] فقال: «فخرجت أسماء إلى الحجاج، فقالت له أتأذن لي أن أدفنه، فقد قضيت أربك منه؟ قال: لا. ثم قال

---

١ - جمل من أنساب الأشراف، ج٧، ص١٣٠.

٢ - تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٧.

٣ - العقد الفريد، ج٤، ص٣٩٤.

لها: ما ظنك برجل قتل عبد الله بن الزبير؟ قالت: حسيبه الله. فلما منعها أن تدفنه قالت: أما أنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، يقول: يخرج من ثقيف رجلان؛ الكذاب والمبير فأما الكذاب فالمختار، وأما المبير فأنت، فقال الحجاج: اللهم مبير لا كذاب».، وابن عبد ربه هنا ينسب القول إلى أسماء بأنها شخصت من هو الكذاب ويضيف أن الحجاج فضل أن يكون مبيراً لا كذاباً، ويبدو من هذه الرواية أن الحوار الذي جرى بين أسماء والحجاج كأنه نقاش طبيعي في مسألة عامة لا يتعلق بقتل ابنها وهذا لا يتلاءم مع الواقع.

وذكر ابن أعثم الكوفي [١] رواية تختلف عما ذكرناه«قال أهل العلم: فكان مقتل عبد الله بن الزبير... سنة ثلاث وسبعين... وأقبلت إليه أمه في اليوم الثالث حتى وقفت قبالته ثم بكت وقالت اللهم! إني راضية عنه فارض عنه، ثم أقبلت حتى دخلت على الحجاج فوقفت عليه ثم قالت ياحجاج! أما آن لهذا الراكب أن ينزل؟ فقال الحجاج: أما روحه فإلى مالك، وأما جثمانه ففي طريق البلاء. فقالت كذبت يا حجاج! إن الله تبارك وتعالى في ذلك أعدل من أن يجمع على ابني سيف القاسطين وثأر الظالمين، وقد قال النبي (صلى الله عليه واله وسلم): يكون في أمتي رجلان: أفاك ومبير، فأما الأفاك فصاحبك عبد الملك بن مروان، وأما المبير فأنت يا حجاج! فقال صدقتي يا أسماء أنا مبير المنافقين؛ فقالت: عملك شاهد عليك! ثم ولت وهي باكية،

---

١ - كتاب الفتوح، ج٦، ص٣٤٢-٣٤٣.

فرق لها الحجاج وأمر بابن الزبير فنزل عن خشبته وحمل إليها فأمرت به فصب عليه الماء وحنط وكفن وصلي عليه ودفن»، وهذه الرواية التي اعتمد فيها ابن أعثم على الإسناد الجمعي يبدو أنّها قريبة للواقع فقد جعلت من عبد الملك أفاكاً لأنه أصدر أوامره للحجاج قائده المفضل ومطلق اليد، كذلك شملت الحجاج الذي ارتكب الجرائم بحق عبد الله بن الزبير في الكعبة، إلا أنّ هذه الرواية ذكرت إن الحجاج قد رق لبكاء أسماء لذلك أمر بإنزال جثة ابن الزبير، وهذا أمر مستبعد لأنها كانت امرأة صلبة وقوية ويؤيد هذا إنها خلال المعركة التي دارت بين الأمويين وابنها أشارت عليه بالاستمرار في القتال، كما أنّ الروايات ذكرت أنّها أنفت من الذهاب للحجاج والتنازل له من أجل إنزال ابنها ودفنه، كذلك فإن الحجاج كان من النوع الذي يتلذذ بالقتل والتعذيب ولا تأخذه رأفة لأي سبب كان إلا تنفيذ أوامر الأمويين. والذي يهمنا من الرواية هي أنها لم تذكر أو تشير إلى المختار بأي شكل من الأشكال.

وروى المسعودي [1] رواية قريبة من رواية اليعقوبي فقال: «وكلمت أسماء أمه الحجاج في دفنه، فأبى عليها، فقالت للحجاج: أشهد إني لسمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، يقول: يخرج من ثقيف كذاب ومبير، فأما الكذاب فهو المختار، وأما المبير فما أظنك إلا هو»، وهنا ينسب المسعودي هذا القول إلى أسماء بنت أبي بكر، بينما ينقل ابن عبد البر[2] روايته بشكل آخر

١ - مروج الذهب، ج٣، ص١٣٤.

٢ - الاستيعاب، (تحقيق علي البجاوي)، ج٣، ص٩٠٩.

عندما يذكر قتل ابن الزبير وصلبه«فجاءت أمه امرأة عجوز طويلة مكفوفة البصر تقاد، فقالت للحجاج: أما آن لهذا الراكب أن ينزل؟ فقال لها الحجاج: المنافق؟ فقالت والله ما كان منافقاً ولكنّه كان صواماً براً، قال: انصرفي فإنّك عجوز قد خرفت، قالت لا والله ما خرفت ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير أما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فأنت المبير. قال أبو عمر الكذاب فيما يقولون المختار بن أبي عبيد الثقفي».

وضح ابن عبد البر أن المقصود بالكذاب في كلام أسماء فيما يقولون هو المختار بن أبي عبيد الثقفي، وهو لا يعدو كونه رأياً نسبه ابن عبد البر إلى أناس مجهولين فهو لم يذكر من هؤلاء الذين أوّلوا وفسروا الذي قصدته أسماء بالكذاب ولم تقل هي ذلك. لكن السمعاني [1] يرى أن أسماء هي من أولت الحديث النبوي فذكر عندما تحدث عن قبيلة ثقيف فقال:«وروي أن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) قال: يخرج من ثقيف كذاب ومبير، وأولت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أن الكذاب مختار بن أبي عبيد الثقفي والمبير حجاج بن يوسف هكذا قالت أسماء في وجه الحجاج لما قتل ابنها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما»، وذكر ابن عساكر أكثر من رواية في هذا الشأن:

الرواية الأولى: ذكر فيها رأيه صراحة فقال: بسنده عن«أبي المحياة، عن

١ - الأنساب، ج١، ص٥٠٩

أمه، قالت: لما قتل الحجاج بن يوسف عبد الله بن الزبير، دخل الحجاج على أسماء بنت أبي بكر وقال لها يا أمه أن أمير المؤمنين أوصاني بك فهل لك من حاجة فقالت ليست لك بأم ولكني أم المصلوب على رأس الثنية وما لي من حاجة ولكن انتظر حتى أحدثك ما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)،أني سمعته يقول يخرج في ثقيف كذاب ومبير فأما الكذاب فقد رأيناه تعني المختار وأما المبير فأنت فقال لها الحجاج مبير المنافقين».[1]، وهذه الرواية نقلها ابن كثير بسند البيهقي عن عبد الله بن الزبير الحميدي، ثنا سفيان بن عينية، عن أبي المحياة، عن أبيه ولم تذكر فيه أسماء بنت أبي بكر المختار [2]، ويتضح من الرواية أنّ ابن عساكر ايضاً أول قول أسماء فقال: فأما الكذاب فقد رأيناه تعني به المختار في رأي ابن عساكر.

الرواية الثانية: ذكر فيها ابن عساكر أيضاً كلام أسماء للحجاج فقال: «اخبرنا أبو علي المقرئ....قال دخلت مكة بعدما قتل ابن الزبير بثلاثة أيام وهو حينئذ مصلوب قال فجاءت أمه عجوز طويلة مكفوفة البصر فقالت للحجاج أما آن لهذا الراكب أن ينزل فقال الحجاج المنافق فقالت والله ما كان منافقاً إن كان لصواماً قواماً براً. فقال انصرفي يا عجوز فإنّك قد خرفت قالت لا والله ما خرفت منذ سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير فأما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فأنت»[3].

١ - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٩، ص٢٢

٢ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص٢٥١

٣ - تاريخ دمشق ج٦٩، ص٢٣.

وهذه الرواية لم يُذكر فيها اسم المختار، ولم ينسب ابن عساكر قولها إن الذي عنته بالكذاب هو المختار.

الرواية الثالثة: ذكر ابن عساكر[١] روايته هذه بسنده عن«أبي المحياة، عن أبيه، قال: دخلت مكة بعدما قتل ابن الزبير بثلاثة أيام، وهو مصلوب، فجاءته أمه، عجوز طويلة مكفوفة البصر، فقالت للحجاج: آما آن لهذا الراكب أن ينزل، قال: فقال الحجاج: المنافق قالت: لا والله ما كان منافقاً إن كان لصواماً براً، قال: انصرفي فإنك عجوز قد خرفت، قالت: لا والله ما خرفت منذ سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، يقول: يخرج من ثقيف كذاب ومبير فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير، فأنت المبير، قال: فقلت لأبي المحياة [٢] أما الكذاب فقد رأيناه، أليس يعني المختار قال لا أراه إلا إياه».

والملاحظ على رواية ابن عساكر هذه أن الذي أول الحديث هذه المرة أحد الرواة وليس أسماء بنت أبي بكر أو ابن عساكر الذي اكتفى بالاعتماد على جواب هذا الراوي.

الرواية الرابعة: ذكرها ابن عساكر[٣] بسنده عن الواقدي فقال:«وثنا

---

١ - تاريخ دمشق، ج ٢٨، ص٢٤٢ -٢٤٣.

٢ - أبو المحياة: هو يحيى بن يعلى بن حرملة بن الجليد بن عمار بن أرطاة مات بالكوفة سنة ثمانين ومائة في خلافة هارون وهو ابن ست وتسعين سنة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٥٠٦.

٣ - تاريخ دمشق، ج٢٨، ص٢٢٨.

محمد بن عمر، حدثني نافع بن ثابت، عن مولى أسماء قال: لما قتل عبد الله بن الزبير خرجت إليه أمه حتى وقفت عليه....قالت...أشهد على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، لسمعته يقول: سيخرج من ثقيف كذابان، الآخر منهما شرمن الأول، وهو مبير، وهو أنت».

وهذه هي رواية ابن سعد الثانية التي ذكرناها التي لم يتطرق فيها أحد إلى أن المقصود بالكذاب هو المختار.

الرواية الخامسة: جاء بها ابن عساكر [١] مبتورة السند عن العوام بن حوشب«قال: حدثني من سمع أسماء بنت...تقول للحجاج حين دخل عليها يعزيها بابنها ابن الزبير فقالت...فأما الكذاب فابن أبي عبيدة يعني المختار ، وأما المبير فأنت».

وهي ضعيفة من ناحية السند زيادة على اضطراب متنها؛ فقد ذكرت أن الحجاج ذهب ليعزيها في حين ذكرت أغلب الروايات التاريخية أنّه بعث عليها فلم تلبي طلبه فذهب هو لها، وحدث ما حدث بينهما.

واعتمد ابن الجوزي[٢] على رواية ابن سعد الثالثة التي ذكرناها في موضعها والتي نسبت الكذاب إلى قول أسماء بنت أبي بكر فقد روى أن أسماء قالت للحجاج«أما إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، يقول سيخرج من ثقيف رجلان: كذاب ومبير فأما الكذاب فقد رأيناه ابن أبي عبيد

---

١ - تاريخ دمشق، ج١٢، ص١٢٢٠.

٢ - المنتظم، ج٦، ص١٣٨ -١٣٩.

وأما المبير فأنت ذلك».

وروى ابن الأثير [١] قول أسماء بنت أبي بكر للحجاج «أما أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، حدثنا إن في ثقيف كذاباً ومبيراً، فأما الكذاب فقد رأيناه – تعني: المختار – وأما المبير: فأنت هو، وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه»، وهنا يوضح ابن الأثير رأيه في أنّ الذي قصدته أسماء بقولها إنّ الكذاب رأيناه هو المختار وكذلك جزم بصحة الحديث النبوي الشريف وذلك لان مسلم أخرجه في صحيحه، وقد ذكرنا كيف ورد الحديث في صحيح مسلم وهو لم يذكر أن المقصود بالكذاب المختار أو غيره. وكذلك ذكر الحديث ابن الأثير في موضع آخر وقال تعني بالكذاب المختار بن أبي عبيد[٢].

وجاء ابن أبي الحديد بروايتين في هذا الشأن:

الرواية الأولى: جاء بها عند حديثه عن ثقيف فقال: «وفي الخبر المشهور المرفوع وقد ذكر ثقيفاً - أي النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، بئست القبيلة، يخرج منها كذاب ومبير فكان كما قال (صلى الله عليه واله وسلم) الكذاب المختار، والمبير الحجاج»[٣].

الرواية الثانية: أوردها ابن أبي الحديد [٤] على رواية ابن عبد البر التي

---

١ - الكامل في التاريخ، ج٤، ص٤٨.

٢ - ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٣، ص٢٤٥.

٣ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٤، ج٨، ص٤٢٠.

٤ - شرح نهج البلاغة، مج١٠، ج٢٠، ص٣٠٥.

ذكرناها والذي ذكر بها رأيه في حينها؛ وقد ذكر ابن أبي الحديد ذلك قائلاً: «قال أبو عمر: قال يعلى بن منبه...وأني سمعت من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يقول: يخرج من ثقيف كذاب ومبير أما الكذاب فقد رأيناه – تعني المختار – وأما المبير فأنت».، وعلى الرغم من أن ابن عبد البر ذكر الكذاب فيما يقولون المختار، إلا أنّ ابن أبي الحديد أول قولها وجعله من ضمن الرواية، ومن المستغرب أنّ ابن أبي الحديد لم يترو في الحديث ويعرف مغزاه [1]، ويظهر أن ابن أبي الحديد قد اعتمد على رأي من سبقه في تأويل حديث الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، فأخذه وكأنه من المسلمات لديه.

أما الذهبي فأورد ثلاث روايات بهذا الشأن:

الرواية الأولى: [2] هي رواية ابن عساكر الأولى التي تطرقنا لها في موضعها.

الرواية الثانية: [3] هي رواية ابن عساكر الثانية والتي لم يذكر فيها المختار.

الرواية الثالثة: [4] جاء بها بسنده عن«إسحاق الأزرق، عن عوف الأعرابي...أن الحجاج دخل على أسماء فقال: إن ابنك ألحد في هذا

١ - المقرم، تنزيه المختار، ص٢٦.

٢ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٢٩٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص٣٥٨.

٣ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٢٩٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص٣٥٨.

٤ - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص٣٥٧-٣٥٨.

البيت...قالت...أخبرنا رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، أنه سيخرج من ثقيف كذاب ومبير الآخر منهما شر من الأول، وهو مبير» وهي رواية ابن سعد الأولى والتي لم يذكر فيها اسم المختار وحسب قول الذهبي [١] أنّ سندها قوي، لكنه رغم ذلك قال الذهبي [٢] رأيه صراحة في حديث أسماء أثناء ترجمته للمختار«وقد قال النبي (صلى الله عليه واله وسلم): يكون في ثقيف كذاب ومبير، فكان الكذاب هذا»..

وأسهب ابن كثير في ذكر الروايات التي تناولت كلام أسماء بنت أبي بكر مع الحجاج بن يوسف الثقفي بعد مقتل ابنها عبد الله بن الزبير؛ فذكر روايتين نقلهما عن البيهقي:

الرواية الاولى: ذكر فيها قول أسماء«فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فلا أخالك إلا إياه»..[٣].

الرواية الثانية: جاء بها ابن كثير [٤] بسند البيهقي عن أبي المحياة عن أبيه أنّ أسماء قالت«فأما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فأنت، فقال الحجاج: مبير المنافقين».

الرواية الثالثة: نقلها ابن كثير [٥] عن أحمد بن حنبل بأن أسماء قالت

---

١ - تاريخ الإسلام، ج٥، ص٣٥٨.

٢ - سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٥٣٩.

٣ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص٢٥.

٤ - البداية والنهاية، ج٩، ص٢٥١-٢٥٢.

٥ - البداية والنهاية، ج١٢، ص٧٠.

للحجاج عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)«انه سيخرج من ثقيف كذابان؛ الآخر منهما شر من الأول، وهو مبير» ذكر ذلك أثناء ترجمته للمختار ابن أبي عبيد، وكرر هذا الحديث مرة أخرى عند ترجمته للحجاج بن يوسف الثقفي [١].

الرواية الرابعة: أوردها كما وردت بسند مسلم عن الأسود بن شيبان[٢] وهي رواية صحيح مسلم التي ذكرناها، وهذه الروايات التي ذكرها ابن كثير أشارت إلى وجود كذاب من ثقيف لكنها لم يرد فيها اسم المختار.

الرواية الخامسة: جاء بها ابن كثير [٣] بسند مبتور وهي الرواية الخامسة التي أوردها ابن عساكر وبنفس السند والمتن وقد أشرنا إلى ضعفها سنداً ومضموناً.

وقد أشار ابن كثير في العديد من الموارد إلى أن المقصود بالكذاب في حديث الرسول الذي روته أسماء أنه المختار فذكر بعد أن ذكر قول الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) أن في ثقيف كذاباً ومبيراً فقال: «وذكر العلماء أن الكذاب هو المختار بن أبي عبيد» [٤]، وكذلك قال رأياً أكثر صراحة وجزماً مما ذكرناه فقال: «وقد تقدم الحديث أنّ في ثقيف كذاباً ومبيرا. وقد ذكرنا شأن المختار ابن أبي عبيد، وهو الكذاب المذكور في هذا

---

١ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٥١٤.

٢ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٧٠-٧١.

٣ - البداية والنهاية، ج١٢، ص٥١٤-٥١٥.

٤ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٧١.

الحديث،».. [١]، وكرر ذلك مرة أخرى فقال: «وتقدم الحديث في ذكر الكذاب والمبير من ثقيف، فالكذاب هو المختار ابن أبي عبيد الذي ظهر بالكوفة أيام عبد الله بن الزبير». [٢]، ولا يستغرب من ابن كثير تطرفه في آرائه ضد المختار فقد وصل به الأمر إذا ذكر المختار يتبعه بكلمة الكذاب وكأنها جزء من نسبه.

وجاء ابن حجر العسقلاني [٣] بروايته الأولى أثناء ترجمته لأسماء بنت أبي بكر متطابقة مع رواية ابن عساكر الثالثة بسنده عن أبي المحياة، عن أبيه، وفيها قول أسماء للحجاج: «فأما الكذاب فقد رأيناه.».، وهذه الرواية لم تتطرق إلى المختار. وذكر ابن حجر رواية ثانية أثناء ترجمته للمختار بن أبي عبيد فقال: «وأقوى ما ورد في ذمه ما أخرجه مسلم في صحيحه،عن أسماء بنت أبي بكر: أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال: يكون في ثقيف كذاب ومبير، فشهدت أسماء أن الكذاب هو المختار المذكور». [٤]، ووردت الرواية في صحيح مسلم ولم تذكر أسماء فيها اسم المختار حيث جاء فيها: «فأما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فلا أخالك إلا إياه».. [٥] وفي قول ابن حجر العسقلاني أن أسماء شهدت في صحيح مسلم بأن الكذاب هو المختار قال السيد

---

١ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٥٣٨.

٢ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٩، ص١٩.

٣ - الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٨، ص١٤.

٤ - ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٢٧٦.

٥ - مسلم، صحيح مسلم، ج٧، ص١٩٠ -١٩١.

المقرم[١]: «ولكن بعد أن راجعت صحيح مسلم وقرأت الحديث إلى أخره عرفت خيانته في النقل وتصرفه في الأحاديث كما يقتضيه هواه، وانكشف لي كيف يذهب البغض والعداء بالأكابر إلى حيث اختلاق الباطل والبهتان فيشوهون تلك الكتب العالية الشأن بالخرافات والأضاليل».

ويظهر من خلال الروايات المتقدمة الذكر التي تناولت حديث الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، أن في ثقيف كذاباً ومبيراً، هو أن الحديث لم يذكر من هو الكذاب، واختلفت الروايات لدى المؤرخين فمنهم من ذهب إلى أن أسماء بنت أبي بكر هي من أولت الحديث كما ذكر السمعاني، ومنهم من أوله هو وجزم بأن الذي قصدته أسماء بالكذاب هو المختار، مثل ابن عساكر في روايته الأولى، وابن الأثير، وابن أبي الحديد، والذهبي، وابن كثير، وابن حجر العسقلاني، والسؤال الذي يطرح نفسه كيف أنّ هؤلاء عرفوا أنّ أسماء تعني بتلك العبارة المبهمة أنّها تعني المختار، ومنهم من نسب ذلك القول إلى أنّ الراوي أوله كما ورد في رواية ابن عساكر الثانية، ومن المؤرخين من ذكر الحديث وجعل في ثقيف أفاكاً ومبيراً وهو ما أورده أبن أعثم الكوفي، وعلى الرغم من أن الطبري ذكر مقتل ابن الزبير ودور أمه في تشجيعه للقتال، وذكر قيام الحجاج بإرسال رأس ابن الزبير إلى عبد الملك بن مروان، إلا أن الطبري لم يشر إلى مقابلة أسماء مع الحجاج بعد مقتل ابنها.[٢]

---

١ - تنزيه المختار، ص٢٦ -٢٧.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٦٣ -١٦٧.

ويبدو أنّ تفسير أسماء بنت أبي بكر لحديث رسول الله صلى الله عليه واله وسلم) أما هو مجرد فهم خاص بها للحديث، أو هي نسبة كاذبة نسبت إليها من قبل أعداء المختار والذين من مصلحتهم تشويه صورة المختار[١]، وقال صفاء الخطيب[٢] : وسواء صدر التأويل من أسماء أو نسب كذباً إليها، فهو كلام خارج عن الموضوعية، في حين تساءل باحث آخر[٣] لماذا لم يكن المقصود بالكذاب في الحديث المغيرة بن شعبة أو المغيرة بن الاخنس[٤].

ويظهر أن أعداء المختار الذين أستمر نفوذهم بعد قتله سواء كانوا من الأمويين أم الزبيرين أرادوا أن يستغلوا ويوظفوا أي رأي أو حديث من أجل النيل من المختار؛ ووجدوا الفرصة سانحة لهم في التحامل على المختار لأن سلطته ونفوذه قد زال وما عليهم سوى تشويه صورته أمام المسلمين، وبالأخص إذا استطاعوا إسناد هذا التشويه إلى حديث نبوي أو قول لأحد الصحابة.

---

١ - محمد، حركة المختار، ص١١٣.

٢ - دولة المختار، ص٤٨٢.

٣ - الاردكاني الرضوي، ثورة المختار، ص١٠٠.

٤ - هو المغيرة بن الاخنس بن شريق الثقفي، وأمه خالدة بنت أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، حليف بني زهرة قال له الإمام علي (عليه السلام. يابن اللعين الأبتر والشجرة التي لا اصل لها ولا فرع، فو الله ما اعز الله إمرءً أنت ناصره، وكان رجلا وقاحا، خرج على أهل مصر يوم حصار الثوار لعثمان فظنوا انه عثمان فقتلوه. ينظر ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٧٧؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٥، ج٨، ص٤٢٠-٤٢١.

ثالثاً: تهمة الكذب التي وجهت للمختار بطرق مختلفة

١) حديث نسب إلى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)

ذكر ابن كثير[١] رواية بسند البيهقي: «عن عبد الله بن الزبير قال: قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً، منهم، مسيلمة، والعنسي، والمختار، وشر قبائل العرب بنو أمية، وبنو حنيفة وثقيف» ورد في سند هذا الحديث محمد بن الحسن الأسدي ذكره العقيلي[٢] في الضعفاء وقال لا يتابع على حديثه وقال عنه ابن حبان[٣]«كان فاحش الخطأ ممن يرفع المراسيل ويقلب الأسانيد، ليس ممن يحتج به،.»، وقال عنه ابن عدي[٤] بعد أن ذكر الحديث«وهذا لا أعلم رواه عن شريك إلا محمد بن الحسن هذا»، وسئل يحيى بن معين[٥] عنه فقال: «ليس بشي»[٦]،

---

١ - البداية والنهاية، ج٩، ص٢٥٠-٢٥١.

٢ - ضعفاء العقيلي، ج٤، ص٥٠.

٣ - المجروحين، ج٢، ص٢٧٧.

٤ - الكامل، ج٦، ص١٧٤.

٥ - هو يحيى بن معين بن عرن بن زياد بن بسطام ويكنى أبا زكريا البغدادي الحافظ، أمام أهل الحديث في زمانه والمشار إليه بين أقرانه، وقيل لا نعلم من لدن آدم كتب من الحديث مكتب يحيى بن معين، ولد سنة ثمان وخمسين ومائة في خلافة أبي جعفر المنصور، وتوفي وهو متوجه إلى الحج، سنة ثلاث وثلاثين ومائتين للهجرة ودفن في البقيع. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٩، ص٣٥٨؛ المزي، تهذيب الكمال، ج٣١، ص٥٤٣-٥٦٨.

٦ - العقيلي، الضعفاء، ج٤، ص٥٠؛ الرازي، الجرح والتعديل، ج٧، ص٢٢٥؛ ابن حبان، المجروحين، ج٢، ص٢٧٧؛ ابن عدي، الكامل، ج٦، ص١٧٣؛الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد (ت: ٤٧٤هـ-١٠٨٠م)، التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح، تحقيق: أحمد البزاز، وزارة الأوقاف، مراكش، د. ت، ج٢، ص٦٨١.

وأورد الذهبي الحديث فقال: «هذا منكر جداً»[١]، وذكر ابن حجر[٢] قول ابن معين أدركته وليس بشيءٍ وقول العقيلي لا يتابع على حديثه.

ويظهر من خلال سند الحديث الذي ذكره ابن كثير أنّه حديث منكر وسنده ضعيف، أراد به واضعوه النيل من المختار بوضع حديث نبوي يذكر به صراحة اسم المختار لكي يكون أكثر تأثيراً في تشويه صورة المختار عند المسلمين، ووضع الأحاديث غير الصحيحة والتي نسبت إلى الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، ليس بالأمر الغريب والتي أشارت إليها كتب الحديث وتوقفت أمام كل حديث من أجل إثبات صحة نسبته إلى الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) من عدمها.

٢) تهمة الكذب للمختار التي نسبت إلى قول الأئمة المعصومين (عليهم السلام)

أورد الكشي بشأن تهمة الكذب روايتين وجهت للمختار نسبت إلى الأئمة المعصومين (عليهم السلام):

الاولى: ذكر الكشي[٣] بسنده «عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كان المختار يكذب على علي بن الحسين (عليه السلام)».

الثانية: أوردها الكشي[٤] بسنده «عن أبي جعفر (عليه السلام) قال:

---

١ - الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٣، ص٣٨.

٢ - تهذيب التهذيب، ج٣، ص٥٤١.

٣ - رجال الكشي، ص٩٧.

٤ - رجال الكشي، ص٩٨.

كتب المختار بن أبي عبيدة إلى علي بن الحسين (عليه السلام) وبعث إليه بهدايا من العراق، فلما وقفوا على باب علي بن الحسين دخل الآذن يستأذن لهم فخرج إليهم رسوله فقال: أميطوا عن بابي فإنّي لا أقبل هدايا الكاذبين، ولا أقرأ كتبهم، فمحوا العنوان وكتبوا المهدى إليه محمد بن علي، فقال أبو جعفر: والله لقد كتب إليه بكتاب ما أعطاه فيه شيئاً إنّما كتب إليه يابن خير من طشى ومشى، فقال أبو بصير لأبي جعفر (عليه السلام): أما ومشى فانا اعرفه فأي شيء الطشي؟ فقال أبو جعفر الحياة»، وأورد الطوسي رواية تنسب الكذب للمختار فقال: بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام)«كان المختار يكذب على علي بن الحسين (عليهما السلام)»[1]، وأورد رواية أخرى بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام)«كتب المختار بن أبي عبيد إلى علي بن الحسين (عليهما السلام)... فقال أميطوا عن بابي فإنّي لا اقبل هدايا الكذابين»[2]، وروايتا الطوسي تشبه روايتي الكشي المتقدمة الذكر. كما أورد الطوسي[3] رواية ثالثة بسنده عن أبي عبد الله (عليه السلام): «إنّا أهل بيت صادقون، لا نخلوا من كذاب يكذب علينا...وكان أبو عبد الله الحسين بن علي (عليه السلام) قد ابتلي بالمختار»..

وقد فند ابن داود الحلي[4] تلك الروايات فقال: «وما روي فيه مما ينافي

---

١ - الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج١، ص٣٤٠.

٢ - اختيار معرفة الرجال، ج١، ص٣٤١.

٣ - اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٥٩٣.

٤ - رجال بن داوود، ص٢٧٧ -٢٧٨.

ذلك قال الكشي نسبته إلى وضع العامة أشبه، فمنه أن الصادق (عليه السلام) قال: كان المختار يكذب على علي بن الحسين. ومنه أنّ علي بن الحسين (عليه السلام) ردّ هداياه وقال لا أقبل هدايا الكذابين...وأما رد الهدية فقد روى الكشي عن محمد بن مسعود يرفعه إلى عمر بن علي أنّ المختار أرسل إلى زين العابدين بعشرة ألاف فقبلها وبنى بها دار عقيل بن أبي طالب ودارهم التي هدمت، ثم بعد ذلك بعث إليه بأربعين ألفاً فردها وهذا الإنفاذ يستلزم الاعتقاد وأما رد الثانية فلعله لعلة عارضة اقتضت ذلك....وأما تعليل رده إياها بقوله (لا يقبل هدايا الكذابين) فبعيد، إذ هذه العلة موجودة في الأولى وحاشا الإمام عليه السلام من هذا القول بعد قبول الأولى»..

وقد ذكر ابن داود[١] قبل تفنيده لتلك الروايات قول الباقر (عليه السلام)«لا تسبوا المختار فإنّه قتل قتلتنا وطلب بثأرنا وزوج أراملنا وقسم فينا المال على العسرة».

وكذلك ذكر«وأما علي بن الحسين (عليه السلام) فروي عنه أنه لما أرسل المختار برأس عبيد الله بن زياد خر ساجداً وجزى المختار خيراً»[٢].

ويرى ابن نما الحلي أن بعض العلماء لم يوفقوا في موقفهم من المختار، ويتدبروا أقوال الأئمة فيه بفطنة وذكاء[٣].

---

١ - رجال ابن داود، ص٢٧٧.

٢ - رجال ابن داود، ص٢٧٧.

٣ - ذوب النضار، ص١٤٥ -١٤٦.

وقال حسن صاحب المعالم[١] بعد أن ذكر الروايات التي تمدح المختار والروايات التي نسبت تهمة الكذب له من الأئمة المعصومين فيقول: «إذا عرفت هذا فإنّ الرجحان في جانب الشكر والمدحة ولو لم تكن تهمة فكيف ومثله موضع أن يتهم فيه الرواة ويستغش فيما يقول عنه المحدثون لفنون تحتاج إلى نظر»، وناقش السيد الخوئي[٢] (قدس سره) روايتي الكشي قال:

«وهذه الروايات ضعيفة الإسناد جداً، على أن الثانية منهما فيها تهافت وتناقض، ولو صحت فهي لا تزيد على الروايات الذامة الواردة في حق زرارة[٣]، ومحمد بن مسلم[٤]، وبريد[٥] وأضرابهم».

---

١ - صاحب المعالم، حسن بن زين الدين (ت: ١٠١١هـ -١٦٠٢م)، التحرير الطاووسي، تحقيق: فاضل الجواهري، مكتبة المرعشي، قم، ١٤١١هـ، ص٥٥٨-٥٦٠.

٢ - معجم رجال الحديث، ج١٩، ص١٠٥.

٣ - هو زرارة بن أعين بن سنبس مولى لبني عبد الله بن عمرو، وزرارة لقب، واسمه عبد ربه، توفي سنة خمسين ومائة للهجرة، وكان قارئاً فقيهاً متكلماً شاعراً أديباً، ومعرفة بالكلام والتشيع. ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص٢٧٦؛ النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن العباس (ت: ٤٥٠هـ -١٠٥٧م)، رجال النجاشي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠١٠م، ص١٧٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٣٣٨.

٤ - هو محمد بن مسلم بن رباح أبو جعفر الطحان مولى ثقيف، وجه الشيعة بالكوفة فقيه ورع من أصحاب الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)، وروى عنهما وكان من أوثق الناس، له كتاب يسمى الأربع مائة مسألة في أبواب الحلال والحرام توفي سنة خمسين ومائة. ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص٣٠٩-٣١٠.

٥ - هو بريد بن معاوية أبو القاسم العجلي، عربي، روى عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)، وهو من وجوه الشيعة، ومن فقهائهم، له حظوة عند الأئمة، له كتابٌ يروى عنه، توفي سنة مائة وخمسين للهجرة. ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص١١٠.

وقال السيد الخوئي[١] عن الرواية الثالثة للشيخ الطوسي والتي قال بصحة سندها«....لكن هذه الرواية لعل فيها تحريفاً، فإنّ المختار بن أبي عبيدة كان في الكوفة والحسين بن علي (عليه السلام) كان بالمدينة، ولم ينقل ولا بخبر ضعيف كذب من المختار بالنسبة إلى الحسين (عليه السلام)، وغير بعيد أن المختار الذي كان يكذب على الحسين (عليه السلام) أن يكون رجلاً آخر غير المختار بن أبي عبيدة»، ولما كان الأئمة (عليهم السلام) يذمون شيعة لهم تقية فمن الطبيعي أن يذموا المختار الذي نال الإمارة باسمهم وفعل بأعدائهم ما فعل تقية من أعدائهم لاسيما الإمام السجاد (عليه السلام) لعلمه بدولة بني مروان[٢]، فلو كان الإمام ناقماً على المختار مكذباً لدعوته لما دعا له بالخير حين بعث له برؤوس قتلة الإمام الحسين (عليه السلام)[٣].

بينما يرى السيد البروجردي[٤] بعد أن ذكر أقوال الأئمة بحقه ومنها قول الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) وجزى الله المختار خيراً، فيقول«فلا يعبأ بما ورد من الروايات الذامة»..

وقال السيد علي الميلاني [٥] - بعد أن ناقش أراء ابن تيمية في منهاج

---

١ - معجم رجال الحديث، ج١٩، ص١٠٥

٢ - التستري، قاموس الرجال، ج١٠، ص١٤

٣ - المقرم، تنزيه المختار، ص٢٤

٤ - البروجردي، طرائف المقال، ج٢، ص٥٩٨

٥ - الميلاني، علي الحسيني، دراسات في منهاج السنة لمعرفة ابن تيمية، مطبعة ياران، ١٤١٩هـ، ص٤٢٧ - ٤٢٨؛ وينظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ج٢، ص٦٨ -٦٩.

السنة واتهامه للشيعة بأنهم قصدوا بالمُلك إفساد دين الإسلام ومعاداة النبي...وأول هؤلاء بل خيارهم هو: المختار بن أبي عبيد الكذاب فإنّه كان أمير الشيعة - فقال: «إنّ جميع ما ذكره عن بني هاشم، وعبد الله بن العباس،...، والمختار....كله سباب وأكاذيب وافتراءات لا أساس لشيء منها من الصحة»..

يتضح من أقوال علماء الشيعة ومؤرخيهم في الأحاديث المنسوبة إلى الأئمة المعصومين بشأن اتهام المختار بالكذب أما مطعونة في سندها، أو فيها لبس أو تحريف، أو كانت تقية أو خشية، أو عدم التوفيق. ويبدو أنّ أرجح الآراء في ذلك رأي السيد الخوئي (قدس سره الشريف) الذي فند تلك الاتهامات التي نسبت للمختار بشكل جلي وواضح.

ولعل من المناسب القول أيضاً أنه لا توجد مبررات تحمل الأئمة (عليهم السلام) على تكذيب المختار أو ما شابه ذلك، إذ كمّ تبين المصادر التاريخية أن هناك تقاطعاً بين أحد الأئمة المعصومين (عليهم السلام) والمختار، فضلاً عن ذلك لم تبين المصادر التاريخية تجاوز المختار الحدود في علاقته مع الأئمة (عليهم السلام) بل كل النصوص تؤكد أنه كان مؤمناً بحقيقة تتمثل بإنصاف أهل البيت (عليهم السلام) والانتصاف من قتلتهم وظالميهم.

المبحث الثالث: الكرسي المقدس

شكلت قضية الكرسي المقدس إحدى ذرائع أعداء المختار ومناوئيه الذين ما فتئوا أن يوجهوا له التهمة تلو الأخرى فتارة تهمة النبوة وأخرى تهمة الكذب ولم تكن قضية الكرسي هي الأخيرة في سيل تلك التهم، وقد تناولت كتابات المؤرخين ذلك بشكل واضح فعدها البعض منهم من المآخذ السلبية التي وجهت له، ويمكن أن نحصر كتابات المؤرخين في نشوء قضية الكرسي بأربع روايات رئيسة ذكرتها المصادر التاريخية ثم سار عليه المؤرخون ممن عاصروهم أو من جاء بعدهم.

الرواية الأولى: نقلها البلاذري والطبري بسندهما عن أبي مخنف [١] «قالوا: وقال المختار لآل جعدة بن هبيرة، وأم جعدة أم هاني بنت أبي طالب: ائتوني بكرسي علي بن أبي طالب فقالوا: لا والله ماله عندنا كرسي، قال: لا تكونوا حمقى وائتوني به، فظن القوم عند ذلك لا يأتونه بكرسي

١ - جمل من أنساب الأشراف، ج٦، ص٤١٣؛ تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٨.

فيقولون هذا كرسي علي إلا قبله منهم ، فجاءوه بكرسي فقالوا : هذا هو ، فخرجت شبام وشاكر ورؤوس أصحاب المختار وقد عصبوه بخرق الحرير والديباج ، فكان أول من سدن الكرسي حين جيء به موسى بن أبي موسى الأشعري ، وأمه ابنة الفضل بن العباس بن عبد المطلب ، ثم دفعه إلى حوشب اليرسمي ، يرسم بن حمير وهم في همدان فكان خازنه وصاحبه حتى هلك المختار ، وكان أصحاب المختار يعكفون عليه ويقولون هو بمنزله تابوت موسى في السكينة، ويستسقون به ويستنصرون، ويقدمونه أمامهم إذا أرادوا أمراً».

الرواية الثانية : جاء بها الطبري[1] بسنده«عبد الله بن المبارك عن إسحاق بن يحيى بن طلحه قال : حدثني معبد بن خالد عن جعدة بن هبيرة قال : أعدمت مرة من الورق فأني لكذلك، إذ خرجت يوماً، فإذا زيات، جار لي له كرسي وقد ركبه وسخ شديد فخطر على بالي أن لو قلت للمختار في هذا. فرجعت فأرسلت إلى الزيات : أرسل إلي بالكرسي، فأرسل إلي به، فأتيت المختار فقلت : إني كنت أكتمك شيئاً، لم أستحل ذلك، فقد بدا لي أن أذكره لك قال وما هو؟ قلت كرسي كان جعدة بن هبيرة يجلس عليه، كأنه يرى أن فيه أثرة من علم. قال سبحان الله فأخرت هذا إلى اليوم ابعث إليه ابعث إليه. قال : وقد غسل وخرج عود نضار وقد تشرب الزيت فخرج يبض، فجيء به وقد غشي، فأمر لي باثني عشر ألفاً، ثم دعا : الصلاة جامعة،

١ - تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٨٧.

فحدثني معبد بن خالد الجدلي قال: انطلق بي وبإسماعيل بن طلحه بن عبيد الله وشبث بن ربعي، والناس يجرون إلى المسجد، فقال المختار: إنّه لم يكن في الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن في هذه الأمة مثله؛ وإنّه كان في بني إسرائيل التابوت فيه بقية مما ترك آل موسى وال هارون، وان هذا فينا مثل التابوت، اكشفوا عنه. فكشفوا عنه أثوابه، وقامت السبئية فرفعوا أيديهم وكبروا ثلاثا، فقام شبث بن ربعي وقال: يا معشر مضر، لا تكفرن! فنحوه فذبوه وصدوه وأخرجوه.قال إسحاق: فو الله إني لأرجو أنّها لشبث».

الرواية الثالثة: جاء بها البلاذري[١] فقال: «حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده قال: قيل لابن عمر إنّ المختار يعمد إلى كرسي علي ، فيحمله على بغل أشهب ويحف به الديباج ويطيف به أصحابه يستسقون به ويستنصرون فقال: فأين جنادبة الأزد عنه لا يعقر به بعضهم؟ قال وهم جندب بن زهير وجندب بن كعب من بني ضبيان وجندب بن عبد الله وهو جندب الخير».

الرواية الرابعة: جاءت عند الطبري[٢] بسنده عن أبي مخنف فقال: «قال: أبو مخنف حدثنا موسى بن عامر أبي الأشعر الجهني: إنّ الكرسي لما بلغ ابن الزبير أمره قال: أين جنادبة الأزد عنه».

اختلفت رواية أبي مخنف التي نقلها كل من البلاذري والطبري مع الرواية

١ - جمل من أنساب الأشراف ، ج٦، ص٤١٤.

٢ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦ ، ص٨٨.

الثانية التي نقلها الطبري وتكمن أهمية ذلك الاختلاف في القول إنّ هذا التابوت فينا هو بمنزلة تابوت موسى ففي حين نسب أبو مخنف هذا القول لأصحاب المختار نسبته الرواية الثانية إلى المختار نفسه، وهذا الأمر في غاية الأهمية فقد ذكر الطبري[١] بسنده عن أبي مخنف: «حدثنا موسى بن عامر، أنّه إنما كان يصنع ذلك لهم عبد الله بن نوف، ويقول المختار أمرني به، ويتبرأ المختار منه»، ويستشف من هذا النص التاريخي أن هناك من أصحاب المختار من يقوم ببعض الأمور دون علم المختار وينسبها له، زيادة على ذلك فإن الرواية الثانية وضعت شبث بن ربعي أحد قادة عبيد الله بن زياد يوم الطف في موضع الناصح والموجه لقبائل مضر فحذرهم من الوقوع في الكفر حتى استجابوا له وتركوا الكرسي، وأثار موقف شبث هذا إعجاب الراوي إسحاق بن يحي بن طلحة فقال: «فو الله إني لأرجو أنّها لشبث»، وهذا الراوي ضعفه كل من يحيى بن معين[٢] والعقيلي[٣] وابن حبان[٤] وابن حجر العسقلاني[٥]، إضافة إلى ذلك تركه أحمد بن حنبل[٦]، والنسائي[٧]،

---

١ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٩.

٢ - تاريخ ابن معين، ج١، ص١٢٧.

٣ - ضعفاء العقيلي، ج١، ص١٠٤.

٤ - ابن حبان، كتاب الثقات، ج٦، ص٤٥؛ والمجروحين، ج١، ص١٣٣.

٥ - تقريب التهذيب، ج١، ص٨٦.

٦ - أحمد بن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق: وصي الله محمد عباس، دار التآخي، الرياض، ١٩٨٨م، ج٢، ص٤٣٨.

٧ - الضعفاء والمتروكين، ص١٥٣.

والهيثمي[١]، والمتقي الهندي[٢]. بينما قال البخاري[٣]: «يتكلمون في حفظه»، ووصفه الترمذي[٤] والعجلي[٥] ليس بالقوي. وذكر الذهبي[٦] والصفدي[٧] من ضعفه أو تركه أومن كان لا يراه شيئاً.

ويبدو من خلال ما تقدم أن هناك مبالغة وتفخيماً لأمر لا يعدو كونه - إن صح وجوده - كرسياً عده المختار وأصحابه من ذخائر أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) للتبرك به، وإنْ حدثت مبالغة في تعظيمه فقد تكون من قبل أصحاب المختار وهو لا يعلم بذلك كما أشرنا في ذلك عند رواية الطبري التي أسلفنا ذكرها.

واختلفت الرواية الثالثة والرابعة من حيث المتن فنسبت الرواية الثالثة القول إلى عبد الله بن الزبير في حين نسب القول نفسه في الرواية الرابعة إلى عبد الله بن عمر، مما يدل على أنّ هناك تلاعباً في تلك الرواية لاسيما إذا

---

١ - مجمع الزوائد، ج٤، ص١٩٩.

٢ - علاء الدين علي بن حسام الدين (ت: ٩٧٥هـ - ١٥٧٦م)، كنز العمال في سنن القوال والأفعال، صححه ووضع حواشيه: بكري حياني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م، ج١٢، ص٥٠٨.

٣ - الضعفاء الصغير، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢١.

٤ - سنن الترمذي، ج٤، ص١٤١.

٥ - العجلي، معرفة الثقات، ج١، ص٢٢١.

٦ - ينظر: ميزان الاعتدال، ج١، ص٣٦٠؛ الذهبي، تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، تحقيق: مصطفى عبد الحي، دار الوطن، الرياض، ٢٠٠٠م، ج١، ص٣٣٧.

٧ - ينظر: الوافي بالوفيات، ج٨، ص٢٧٨.

علمنا أن هناك فرقاً كبيراً بين هاتين الشخصيتين، فلا يُستغرب قول عبد الله ابن الزبير في المختار، فهو يكن له عداءً واضحاً.

واعتمدت كتابات المؤرخين الذين كتبوا بعد عصر الطبري والبلاذري في أغلبها على تلك الروايات، وهناك من اعتمد على رواية ذكرها المُبَرَد[١] دون إسناد في قضية الكرسي، جاء فيها: «وقد كان عند المختار كرسي قديم العهد فغشاه بالديباج، وقال هذا الكرسي من ذخائر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فضعوه في بركاء الحرب، وقاتلوا عليه فإن محله فيكم محل السكينة في بني إسرائيل. ويُقال إنّه أشترى ذلك الكرسي من نجار بدرهمين».

ومن السهولة هنا أن يلاحظ مدى التناقض في الروايات التاريخية في قضية الكرسي ففضلاً عما ذكرناه تناقضت روايات بعض المؤرخين في سعر ذلك الكرسي ففي حين ذكرت الرواية الثانية التي نقلها الطبري بأن المختار دفع اثني عشر الفاً لصاحب الكرسي، جعل المبرد سعره درهمين.

وجمع مسكويه[٢] بين تلك الروايات بإيجاز كلام الطبري ورواياته في قضية الكرسي حتى ذكر: «فكانوا يرون أن المختار يتكلم عنه بوحي»[٣]. وتوقف دون أن يكمل رواية الطبري[٤] التي ذكر فيها: «أنّه إنما كان يصنع ذلك له عبد الله بن نوف، ويقول المختار أمرني ويتبرأ المختار منه».

١ - الكامل في اللغة، ج٣، ص ١٩٠.

٢ - تجارب الأمم، ج٢، ص١٢٥ - ١٢٦.

٣ - تجارب الأمم، ج٢، ص١٢٦.

٤ - تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٨٩.

وجعل الشهرستاني[١] قضية الكرسي من المخاريق المموهة للمختار والتي أدت بمحمد ابن الحنفية أن يتبرأ من المختار. وروايته هذه تتطابق مع رواية المبرد الذي لم يذكر أن محمد ابن الحنفية تبرأ من المختار، ولم يذكر التابوت الذي ذكره الشهرستاني وأغفل سعر الكرسي الذي ذكره المبرد.

ويبدو أنّ رواية الشهرستاني لا يمكن لها الصمود أمام العلاقة بين محمد ابن الحنفية والمختار ذكر ابن أعثم الكوفي[٢]: «ونظر عبد الله بن الزبير إلى المختار وغلبته على البلاد فعلم أنّه إنما يفعل ذلك بظهر محمد ابن الحنفية، فأرسل إليه أن هلم فبايع فإنّ الناس قد بايعوا» فرفض ذلك، فغضب ابن الزبير وحبس ابن الحنفية في حجرة زمزم[٣]، عند ذلك أرسل ابن الحنفية كتاباً إلى المختار كتب فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد ابن الحنفية ومن قبله من آل رسول الله إلى المختار بن أبي عبيد ومن قبله من المسلمين، أما بعد فإنّ عبد الله بن الزبير أخذنا فحبسنا في حجرة زمزم وحلف بالله الذي لا اله إلا هو لنبايعنه، أو ليضرمنها علينا بالنار، فيا غوثاه»[٤]، فأخرج إليه المختار أربعة آلاف عليهم أبو عبد الله الجدلي[٥]، فما شعر ابن الزبير إلا والرايات تخفق على رأسه[٦]، وهرب

---

١ - الملل والنحل، ص ١٤٥ -١٤٦.

٢ - مقتل الحسين، ص٢٤٩.

٣ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٢.

٤ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٢.

٥ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٣، ص٤٨٧.

٦ - المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٩٠.

ابن الزبير[١]، فلاذ بأستار الكعبة وقال: أنا عائذ الله[٢] وروى البلاذري [٣]«ولم يزل ابن الحنفية بالشِعب عزيزاً منيعاً حتى قتل المختار وظهر مصعب بن الزبير على الكوفة، وأشتد أمر عبد الله بن الزبير وتضعضع أمر أصحاب بن الحنفية وانقطعت عنهم موادهم واشتدت حاجتهم»، حيث كان المختار يرسل لهم الأموال[٤].

ويظهر مما تقدم أنّه لا وجود لموقف سلبي لمحمد ابن الحنفية من المختار، فكيف يصل الأمر إلى البراءة منه، ويستشف مما تقدم أن هذا الأمر هدفه النيل من شخصية المختار التي دأب على تشويشها الكثير من المؤرخين.

وذكر ابن الجوزي [٥]، وابن الأثير [٦]، قضية الكرسي اِعتماداً على روايتي الطبري الأولى والثانية، وذكرها أبو الفداء[٧]، بشكل مختصر جداً في حين ذكرها النويري[٨] بنحو أوسع، واختصر ذلك الذهبي[٩]. وكذلك ذكر الكتبي[١٠] الكرسي أثناء ترجمة المختار بن أبي عبيد الثقفي، معتمداً على رواية

١ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج ١٠، ج٢٠، ص٣٣٢.

٢ - المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٩٢.

٣ - جمل من أنساب الأشراف، ج٣، ص٤٧٨.

٤ - ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٥، ص١١٧.

٥ - المنتظم، ج٦، ص٦١.

٦ - الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٧٥ -٦٧٦.

٧ - المختصر في أخبار البشر، ج١، ص٢٧١.

٨ - نهاية الأرب، ج٢١، ص٢٣.

٩ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج٥، ص٥١ -٥٢.

١٠ - فوات الوفيات، ج٤، ص١٢٣ -١٢٤.

الشهرستاني[١]، جاعلاً الكرسي من محارم المختار التي كانت سبباً في تبرئ محمد ابن الحنفية منه، والكتبي واضحٌ في تحامله على المختار حيث وصفه بأنه خارجي ثم زبيري ثم رافضي[٢].

ونقل ابن كثير[٣] قضية الكرسي فذكر: قال بن جرير[٤] ثم ينقل روايته، وقد ذكر رأيه صراحة بعد أن أنهى كلامه عن الكرسي جاء فيه: «قلت: وهذا وأمثاله مما يدل على قلة عقل المختار وأتباعه، وضعفه وقلة علمه وكثرة جهله، ورداءة فهمه، وترويجه الباطل على أتباعه، وتشبيهه الباطل بالحق ليضل به الطغام، ويجمع عليه جهال العوام»[٥]، ويتضح من خلال قوله هذا مدى تحامله وعدم موضوعية رأيه وحياديته بسب ميوله المذهبية.

وعلى الرغم من كل ما ذكر حول قضية الكرسي هذه، لم يتطرق لها الدينوري[٦] على الرغم من أنّه فصل في أخبار المختار، وكذلك اليعقوبي[٧] وإن كان يتناول الحوادث باختصار، لكن ابن أعثم الكوفي[٨] الذي أسهب في أمر المختار وسيرته لم نجد عنده أي ذكر لهذا الكرسي.

---

١ - الملل والنحل، ص١٤٥ -١٣٦.

٢ - الكتبي، فوات الوفيات، ج٤، ص١٢٣.

٣ - البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٧-٤٠.

٤ - البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٧.

٥ - البداية والنهاية، ج١٢، ص٤٠.

٦ - الأخبار الطوال، ص٢٦٤ -٢٨٣.

٧ - تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨١ -١٨٥.

٨ - كتاب الفتوح، ج٥، ص ٣٣، ٢٢٤.

ويظهر من خلال ما ذكر حول قضية الكرسي أن هناك شكوكاً حول وجوده حسب سند تلك الروايات ومضمونها، ولا يستبعد أن يكون هدفها هو النيل من شخصية المختار لدوره الواضح في الوقوف ضد توجهات آل الزبير والأمويين، وإضافة إلى ذلك جعلت إحدى الروايات التي ذكرناها من قضية الكرسي منقبة لشبث بن ربعي أحد قادة ابن زياد البارزين في قتاله ضد الإمام الحسين (عليه السلام)، وهذا ما يؤيد تلك الشكوك فقد لعب هذا الشخص دوراً كبيراً في قتال المختار.

يقول الشيخ باقر شريف القرشي [١]: «ومن الاتهامات الباطلة التي أُلصقت بالمختار أن له كرسياً... وقد أشترى المختار هذا الكرسي... واجتمع عليه الشيعة يتبركون به، وهذا الكرسي هو الذي كان يجلس عليه وصي رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وباب مدينة علمه، وقد لامس جسده الشريف، وأشتراه المختار بهذا الثمن الغالي للتبرك به، وأي مؤاخذة عليه».

ويرى المستشرق الألماني فلها وزن[٢] «ويقال إنّ المختار قد أظهر الكرسي على أنّه كرسي علي بن أبي طالب ولكن ثمة روايات أخرى تقول بعكس ذلك تقول هذه الروايات إنّه ليس هو الذي ابتدع هذه البدعة، بل أقصى ما يقال هو إنّه وافق عليها. أما ابن نوف فقد تبرأ المختار منه. وهذه الروايات الثانية أقرب إلى التصديق».

---

١ - المختار الثقفي، ص٣٨-٣٩.

٢ - الخوارج والشيعة، ص٣٤٢-٣٤٣.

وعقب أحد الباحثين[1] على قضية الكرسي قائلاً: «وصفوة القول فإن في هذا الحديث -إن صح- أسلوبا رائعاً وفناً ممتازاً من أفانيين الحروب الذي قوى فيه عسكره وخذل فيه جبهة عدوه، على أنّا لا نمنع إكباره له واقعاً وقد رأينا أنّ من عادة المسلمين في تلكم العصور إكبار وإعظام كلما يتعلق بالأولياء والصالحين ومن تتبع آثارهم وجد الكثير من هذا النوع».

وإذا سلمنا بوجود هذا الكرسي على الرغم من تلك الشكوك فلا يعدو كونه ذخيرة من ذخائر الإمام علي (عليه السلام) أستخدمها المختار وأصحابه للتبرك بها، واليوم الناس تتبرك بكرسي المنبر الذي يُخطب عليه لصالح الإمام (عليه السلام) فكيف بتصور أنه كرسي الإمام علي (عليه السلام) نفسه، وقد يكون بعض أصحاب المختار يبالغون فيه دون علمه، وما المانع إذا استخدم المختار وسيله من الوسائل إذا لم تتعارض مع الشارع المقدس في تقوية معنويات أنصاره لسد الفارق الكبير فيما بين قواته وقوات آل الزبير والأمويين.

---

١ - الدجيلي، المختار الثقفي، ص١٢٠.

الخاتمة

الحمد لله تعالى على تمام نعمائه والصلاة والسلام على خاتم انبيائه الرسول محمد وعلى آله وصحبه المنتجبين وسلم، في ختام هذه الدراسة الموسومة «شخصية المختار بن أبي عبيد الثقفي عند المؤرخين القدامى» نذكر أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال ذلك وهي كالآتي:

١ - أثبتت الدراسة أن المختار ينتمي إلى أسرة تميزت بولائها المبكر للعلويين، وهو أمر اختلفت به عن غيرها من الأسر الثقفية التي عرفت بولائها لقريش عامة والأمويين خاصة، وأنّ البعض اجتهدوا في عدائهم لآل البيت وشيعتهم ومحبيهم فاتخذ ذلك العداء صوراً وأشكالاً عديدة هدفها النيل منهم والطعن فيهم، فنال المختار الكثير من العداء والطعن.

٢ - بعض المؤرخين القدامى نصبوا العداء لآل البيت وشيعتهم ومحبيهم وسار في ركبهم آخرون متناغمون مع النفوذ السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي زيادة على الميول المذهبية الضيقة، وكون أعداء المختار أصبحت

بأيديهم زمام الأمور فاجتهدوا في تلفيق التهم والمثالب له مثله كمثل غيره من خصومهم، ومن يجرأ على تشويه قدسية الإمام علي (عليه السلام) من الهيّن عليه النيل والطعن بغيره.

٣- المختار لم يكن عثماني الهوى أو خارجي المذهب ولم يكن كيسانياً أو زيدياً وإنما كان على المذهب الإمامي، وأنّ المختار - كقائد عسكري محنك وله باع طويل في السياسة - أراد الاستفادة من تأييد ودعم البيت العلوي العلني المتمثل بمحمد ابن الحنفية، ومن أجل الحفاظ على سلامة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) نتيجة الوضع السياسي الذي يحيط به، والتقية التي يتبعها الإمام (عليه السلام) في سياسته في مثل تلك الثورات والمواقف، جعل المختار يرتبط بمحمد ابن الحنفية.

٤- ظهر من خلال الدراسة أنّ المختار لم يكن له تأثير سلبي على ثورة التوابين وأنّ هدفه لم يكن يختلف عنها، إلا أنه أختلف معهم في آلية التنفيذ بسبب قراءته المستقبلية للمعركة التي قرر التوابون خوضها والتي رأى فيها أن كفة النصر تميل لصالح أعدائهم، وأنّ المختار استطاع أن يؤسس دولة مترامية الأطراف شكلّت خطراً كبيراً على الأمويين والزبيريين في وقت واحد.

٥- تبين من خلال الدراسة أن المختار اضطرته الظروف السياسية والعسكرية والدينية للوقوف مع عبد الله بن الزبير في حصار مكة الأول، للدفاع عن بيت الله الحرام من جهة وقتال الأمويين العدو المشترك بينهما من جهة أخرى إلى أن سمحت له تلك الظروف بإعلان ثورته.

٦ - تبيّن من خلال الدراسة أن المختار تتبّع قتلة الحسين (عليه السلام) وتنفيذ القصاص بهم دون هوادة تذكر، فبر بقسمه وأثبت بذلك صدق نيته وما تعهد به منذ أن استشهد الإمام الحسين (عليه السلام)، وكان ذلك بتوفيق من الله تعالى في نيل تلك المهمة، ثم أراد إرجاع الأمور إلى نصابها الصحيح فقام ببرنامجه الإصلاحي أسوة بما قام به الإمام علي (عليه السلام) في تقسيم العطاء بالسوية، ولذلك نظرت إليه الطبقات المسحوقة من الموالي والعبيد كمصلح اجتماعي ومنقذ لها، وقد وقف الكثير من أبناء أصحاب الإمام علي (عليه السلام) وشيعته ومحبيه ومن بقي من التوابين والموالي معه فضلاً عن بعض القبائل التي لها تاريخ مشرف في الوقوف مع الإمام علي (عليه السلام) في حروبه ودولته، في حين وقف بالضد منه جميع الأشراف الذين شاركوا في قتال الإمام الحسين (عليه السلام)، والموالين لآل أمية وآل الزبير.

٧ - تبين من خلال الدراسة أنّ التهم التي أُلصقت بالمختار لم تكن سوى افتراءات أعدائه عليه؛ بسبب مواقفه المؤيدة لآل البيت وتنفيذ القصاص بأعدائهم، وكان المختار يتمتع بالقوة والشجاعة والإيمان فهو لم يستسلم ولم يساوم بل بقي يقاتل حتى اللحظة الأخيرة من حياته في سبيل المبادئ التي أعلنها وطبقها ومات لأجلها.

المحتويات

الإهداء ٥

مقدمة اللجنة العلمية.. ٦

المختار الثقفي... رجل الأسطورة في نصرة الحق ٦

المقدمة ٨

الفصل الأول

المبحث الأول: ولادته ونشأته ١٩

أولاً: نسبه وقبيلته ١٩

ثانيا: نشأته ٢٩

المبحث الثاني: عقيدته وولاؤه.. ٥٦

أولا: المختار والولاء العثماني ٦٠

ثانيا: المختار ومذهب الخوارج ٧١

ثالثا: المختار وولاؤه للزبيريين ٨٢

رابعا: المختار والكيسانية ٨٥

خامسا: المختار بين الزيدية والرافضة ١٠٥

الفصل الثاني

المبحث الأول: الموقف من نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)........ ١١٣

أولاً: موقف المختار في عهد الإمام علي (عليه السلام) ١١٣

ثانياً: موقف المختار في عهد الإمام الحسن (عليه السلام) ١١٩

ثالثاً: موقف المختار من الشهادة ضد حجر بن عدي ١٣٥

رابعاً: موقف المختار أثناء نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) ١٥٠

خامساً: موقف أهل الكوفة من الإمام الحسين (عليه السلام) ١٥٦

المبحث الثاني: موقف المختار من حركة التوابين ١٧٣

المرحلة الأولى: موقف المختار من حركة التوابين أثناء شخوصهم إلى بلاد الشام ١٨٠

المرحلة الثانية: موقف المختار من التوابين بعد عودتهم من المعركة ١٩٣

المبحث الثالث: موقف المختار من حركة عبد الله بن الزبير........ ٢٠٤

أولاً: بداية حركة ابن الزبير........ ٢٠٤

ثانياً: قتال المختار مع عبد الله بن الزبير........ ٢٠٩

ثالثاً: سيطرة المختار على الكوفة ٢١٤

رابعاً: أوجه الخلاف العلني بين المختار وابن الزبير بعد سيطرته على الكوفة........ ٢٢٥

١- قيام المختار بطرد والي ابن الزبير على الكوفة........ ٢٢٥

٢- إرسال المثنى بن مخرمة العبدي إلى البصرة........ ٢٣٠

٣- القتال بين جيش المختار وجيش ابن الزبير في المدينة........ ٢٣٤

٤- موقف المختار من ابن الزبير عند حبسه محمد ابن الحنفية ٢٣٨

خامساً: رؤية المؤرخين لدولة المختار ونهايته على يد آل الزبير........ ٢٤٨

١- موقف إبراهيم بن الأشتر من المختار........ ٢٤٨

٢- هزيمة جيش المختار بسبب سوء إدارة ابن شميط في معركة المذار........ ٢٥٤

٣- دور قتلة الأمام الحسين (عليه السلام) وأعوانهم من أهل الكوفة ٢٥٦

٤- المرض الذي كان يعاني منه المختار أثناء قتال آل الزبير........ ٢٥٩

الفصل الثالث

المبحث الأول: نشوء الدولة ونظامها الإداري ٢٦٩

أولاً: نشوء الدولة ٢٦٩

بيعة المختار ٢٧٦

ثانياً: النظام الإداري للدولة ٢٨٣

١- أرمينية وهمدان ٢٨٣

٢- ولاية الموصل ٢٨٥

٣- ولاية أذربيجان ٢٩٢

٤- مدينة حلوان ٢٩٣

٥- ولاية المدائن وأرض جوخى ٢٩٧

٦- ولاية أصبهان وقم وإعمالها ٣٠١

٧- مدينتا الري ودستبي ٣٠١

المبحث الثاني: القصاص من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) وإحقاق الحق ... ٣٠٧

تنفيذ القصاص بقتلة الإمام الحسين (عليه السلام) ٣١٥

قتل قادة الجيش الذي قاتل الإمام الحسين (عليه السلام) ٣١٩

هدم دور بعض القتلة ورؤية المؤرخين في القصاص ٣٤٤

المبحث الثالث: موقف الأشراف والموالي والقبائل من دولة المختار ٣٥٢

الفصل الرابع

المبحث الأول: تهمة ادعاء النبوة ٣٩٩

أولاً: كتاب المختار إلى الأحنف بن قيس ٣٩٩

ثانيا: تهمة نزول الوحي جبريل عليه ٤١٤

ثالثا: تهمة قتال الملائكة مع المختار ٤٢٩

١. هجاء سراقة بن مرداس البارقي للمختار ٤٢٩

٢. قتال الملائكة مع المختار على هيأة الحمام ٤٣٨

المبحث الثاني: تهم الكذب التي وجهت للمختار ٤٤٢
أولاً: تهمة الكذب التي وجهت إليه من أعدائه مباشرة ٤٤٢
ثانياً: الحوار الذي جرى بين أسماء بنت أبي بكر والحجاج بن يوسف ٤٤٨
ثالثاً: تهمة الكذب التي وجهت للمختار بطرق مختلفة ٤٦٥
١) حديث نسب إلى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ٤٦٥
٢) تهمة الكذب للمختار التي نسبت إلى قول الأئمة المعصومين (عليهم السلام) ٤٦٦
المبحث الثالث: الكرسي المقدس ٤٧٢
الخاتمة ٤٨٣
المحتويات ٤٨٦

إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	ابكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن	السيد عبد الله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي

١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟	السيد نبيل الحسني
١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني
١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمدحسين الطباطبائي
١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي
٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي
٢١ ـ ٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ثلاثة أجزاء	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمد جواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف ـ دراسة لغوية وتحليل	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء ـ بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزءين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو
٤١	منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن	الأستاذ عباس الشيباني

٤٢	السجود على التربة الحسينية	السيد عبد الرضا الشهرستاني
٤٣	حياة حبيب بن مظاهر الأسدي	السيد علي القصير
٤٤	الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها	الشيخ علي الكوراني العاملي
٤٥	السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري	جمع وتحقيق: باسم الساعدي
٤٦	موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف ـ ثلاثة أجزاء	نظم وشرح: حسين النصار
٤٧	الظاهرة الحسينية	السيد محمد علي الحلو
٤٨	الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام	السيد عبد الكريم القزويني
٤٩	الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية	السيد محمد علي الحلو
٥٠	نساء الطفوف	الباحثة الاجتماعية كفاح الحداد
٥١	الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد	الشيخ محمد السند
٥٢	خديجة بنت خويلد أُمّة جُمعت في امرأة – ٤ مجلد	السيد نبيل الحسني
٥٣	السبط الشهيد – البُعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
٥٤	تاريخ الشيعة السياسي	السيد عبد الستار الجابري
٥٥	إذا شئت النجاة فزر حسيناً	السيد مصطفى الخاتمي
٥٦	مقالات في الإمام الحسين عليه السلام	عبد السادة محمد حداد
٥٧	الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني	الدكتور عدي علي الحجّار
٥٨	فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين	الشيخ وسام البلداوي
٥٩	نصرة المظلوم	حسن المظفر
٦٠	موجز السيرة النبوية – طبعة ثانية، مزيدة ومنقحة	السيد نبيل الحسني
٦١	ابكِ فانك على حق – طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٦٢	أبو طالب ثالث من أسلم – طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٦٣	ثقافة العيد والعيدية – طبعة ثالثة	السيد نبيل الحسني
٦٤	نفحات الهداية– مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ ياسر الصالحي
٦٥	تكسير الأصنام– بين تصريح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعتيم البخاري	السيد نبيل الحسني
٦٦	رسالة في فن الإلقاء– طبعة ثانية	الشيخ علي الفتلاوي

٦٧	شيعة العراق وبناء الوطن	محمد جواد مالك
٦٨	الملائكة في التراث الإسلامي	حسين النصراوي
٦٩	شرح الفصول النصيرية– تحقيق: شعبة التحقيق	السيد عبد الوهاب الأستراَبادي
٧٠	صلاة الجمعة– تحقيق: الشيخ محمد الباقري	الشيخ محمد التنكابني
٧١	الطفيات– المقولة والإجراء النقدي	د. علي كاظم المصلاوي
٧٢	أسرار فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام	الشيخ محمد حسين اليوسفي
٧٣	الجمال في عاشوراء– طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٤	سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٥	اليحموم، - طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٧٦	المولود في بيت الله الحرام: علي بن أبي طالب عليه السلام أم حكيم بن حزام؟	السيد نبيل الحسني
٧٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية– طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٨	ما أخفاه الرواة من ليلة المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٩	علم الإمام بين الإطلاقية والإشائية على ضوء الكتاب والسنة	صباح عباس حسن الساعدي
٨٠	الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أنموذج الصبر وشارة الفداء	الدكتور مهدي حسين التميمي
٨١	شهيد باخمرى	ظافر عبيس الجياشي
٨٢	العباس بن علي عليهما السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٣	خادم الإمام الحسين عليه السلام شريك الملائكة	الشيخ علي الفتلاوي
٨٤	مسلم بن عقيل عليه السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٥	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق) – الطبعة الثانية	السيد محمدحسين الطباطبائي
٨٦	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان– طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٧	المجاب برد السلام– طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٨	كامل الزيارات باللغة الانكليزية (Kamiluz Ziyaraat)	ابن قولويه
٨٩	Inquiries About Shi‘a Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٠	When Power and Piety Collide	السيد مصطفى القزويني

٩١	Discovering Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٢	دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني	د. صباح عباس عنوز
٩٣	القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام	حاتم جاسم عزيز السعدي
٩٤	قبس من نور الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ حسن الشمري الحائري
٩٥	تيجان الولاء في شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء	الشيخ وسام البلداوي
٩٦	الشهاب الثاقب في مناقب علي بن أبي طالب عليهما السلام	الشيخ محمد شريف الشيرواني
٩٧	سيد العبيد جون بن حوي	الشيخ ماجد احمد العطية
٩٨	حديث سد الأبواب إلا باب علي عليه السلام	الشيخ ماجد احمد العطية
٩٩	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام ـ الطبعة الثانية ـ	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٠	هذه فاطمة عليها السلام– ثمانية أجزاء	السيد نبيل الحسني
١٠١	وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضع قبره وروضته	السيد نبيل الحسني
١٠٢	الأربعون حديثا في الفضائل والمناقب- اسعد بن إبراهيم الحلي	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٣	الجعفريات - جزآن	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٤	نوادر الأخبار– جزآن	تحقيق: حامد رحمان الطائي
١٠٥	تنبيه الخواطر ونزهة النواظر– ثلاثة أجزاء	تحقيق: محمد باسم مال الله
١٠٦	الإمام الحسين عليه السلام في الشعر العراقي الحديث	د. علي حسين يوسف
١٠٧	This Is My Faith	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٨	الشفاء في نظم حديث الكساء	حسين عبدالسيد النصار
١٠٩	قصائد الاستنهاض بالإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه	حسن هادي مجيد العوادي
١١٠	آية الوضوء وإشكالية الدلالة	السيد علي الشهرستاني
١١١	عارفاً بحقكم	السيد علي الشهرستاني
١١٢	شمس الإمامة وراء سحب الغيب	السيد هادي الموسوي
١١٣	Ziyarat Imam Hussain	إعداد: صفوان جمال الدين
١١٤	البشارة لطالب الاستخارة للشيخ احمد بن صالح الدرازي	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٥	النكت البديعة في تحقيق الشيعة للشيخ سليمان البحراني	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٦	شرح حديث حبنا أهل البيت يكفر الذنوب للشيخ علي بن	تحقيق: مشتاق صالح

	عبد الله الستري البحراني	المظفر
١١٧	منهاج الحق واليقين في تفضيل علي أمير المؤمنين للسيد ولي بن نعمة الله الحسيني الرضوي	تحقيق: مشتاق صالح المظفر
١١٨	قواعد المرام في علم الكلام، تصنيف كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني	تحقيق: أنمار معاد المظفر
١١٩	حياة الأرواح ومشكاة المصباح للشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي	تحقيق: باسم محمد مال الله الأسدي
١٢٠	باب فاطمة عليها السلام بين سلطة الشريعة وشريعة السلطة	السيد نبيل الحسني
١٢١	موسوعة في ظلال شهداء الطف	الشيخ حيدر الصمياني
	تربة الحسين عليه السلام وتحولها إلى دم عبيط في كربلاء	السيد علي الشهرستاني
١٢٢	يتيم عاشوراء من أنصار كربلاء	ميثاق عباس الحلي
١٢٣	The Aesthetics of ‘Ashura	السيد نبيل الحسني
١٢٤	نثر الإمام الحسين عليه السلام	د. حيدر محمود الجديع
١٢٥	قرة العين في صلاة الليل	الشيخ ميثاق عباس الخفاجي
١٢٦	من المسيح العائد إلى الحسين الثائر	أنطوان بارا
١٢٧	ظاهرة الاستقلاب في عرض النص النبوي والتاريخ	السيد نبيل الحسني
١٢٨	الإستراتيجية الحربية في معركة عاشوراء: بين تفكير الجند وتجنيد الفكر	السيد نبيل الحسني
١٢٩	النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومستقبل الدعوة	مروان خليفات
١٣٠	البكاء على الحسين عليه السلام في مصادر الفريقين	الشيخ حسن المطوري
١٣١	تفضيل السيدة زهراء على الملائكة والرسل والأنبياء	الشيخ وسام البلداوي
١٣٢	The Prophetic Life A Concise Knowledge Of History	السيد نبيل الحسني
١٣٣	معاني الأخبار للشيخ الصدوق	تحقيق: السيد محمدكاظم
١٣٤	ضياء الشهاب وضوء الشهاب في شرح ضياء الأخبار	تحقيق: عقيل عبدالحسن
١٣٥	المنهج السياسي لأهل البيت عليهم السلام	السيد عبدالستار الجابري
١٣٦	هوامش على رسالة القول الفصل في الآل والأهل	عبدالله حسين الفهد

١٣٧	فلان وفلانة	عبدالرحمن العقيلي
١٣٨	معجم نواصب المحدثين	عبدالرحمن العقيلي
١٣٩	استنطاق آية الغار	السيد نبيل الحسني
١٤٠	دور الخطاب الديني في تغيير البنية الفكرية	السيد نبيل الحسني
١٤١	أنصار الحسين عليه السلام.. الثورة والثوار	السيد محمد علي الحلو
١٤٢	السنة المحمدية	عبدالرحمن العقيلي
١٤٣	قواعد حياتية على ضوء روايات أهل البيت عليهم السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٤٤	المُثل العليا في تراث أهل البيت عليهم السلام	د. محمدحسين الصغير
١٤٥	خاصف النعل	الشيخ ماجد العطية
١٤٦	الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ورواياته الفقهية	عبد السادة الحداد
١٤٧	الإمام حسن العسكري عليه السلام ورواياته الفقهية	عبد السادة الحداد
١٤٨	أصول وقواعد تفسير الموضوعي	الشيخ مازن التميمي
١٤٩	بحوث لفظية قرآنية	عبد الرحمن العقيلي
١٥٠	مستدرك الكافي	د. علي عبد الزهرة الفحام
١٥١	الافصاح عن المتواري من احاديث المسانيد والسنن والصحاح – جزئين	الحاج محسن الخياط
١٥٢	آمنة بنت الحسين عليهما السلام	السيد محمد علي الحلو
١٥٣	أمهات الأئمة المعصومين – جزئين	د. السيد حسين الصافي
١٥٤	قراءة في السيرة الفاطمية	كفاح الحداد
١٥٥	الايمان والعلم الحديث	محمد حسين الاديب
١٥٦	موسوعة آثار السيد المقرم	السيد عبد الرزاق المقرم
١٥٧	الأمن في القرآن والسنة	الشيخ خالد النعماني